

عُلُوم الْبَلاغَةِ البيان والمعانيٌّ والبدائع

تألِيفُ
أَحْمَد مُصطفى المَراغِي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب الشفاعة والجماعة
دار الكتب الهمية
ببيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

Copyright ©
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة
تضييد الكتاب كاملاً أو جزءاً أو تسجيله على
أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو
برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة
الناشر خطياً.

Exclusive Rights by

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be
translated, reproduced, distributed in any
form or by any means, or stored in a data
base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Droits Exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle
ou morale d'édition, de traduire, de
photocopier, d'enregistrer sur cassette,
disquette, C.D, ordinateur toute
production écrite, entière ou partielle,
sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الرابعة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف، شارع البحيري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس: ٣٦٣٩٨ - ٣٦٣٥٢ - ٣٧٨٥٤٢ (٩٦١ ١)
صندوق بريد: ١١٩٤٣ بيرouت - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Bohtory St. Metkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax: 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box: 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Metkart, 1ere Étage
Tel. & Fax: 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. 11 - 9424 Beyrouth - Lebanon

ISBN 2-7451-1097-7

9 0 0 0 0 >



9 7 8 2 7 4 5 1 1 0 9 7 8

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

المقدمة

حَمْدًا لِكَ اللَّهُمَّ ، بِكَ الْمُعْوَنَةُ وَالْتَّوْفِيقُ ، وَمِنْكَ الْهُدَايَا لِأَفْوَمِ طَرِيقٍ ، إِذَا
أَظْلَمْتَ الشَّهَابَاتِ ، فِي دَجْنَةِ الْخَطُوبِ الْمَدْهَاتِ ، وَبِفَضْلِكَ نَطَّلْبُ يَقِينًا يَلْأَ الصَّدْرِ ،
وَيَسْتَوِيَ عَلَى زَمَامِ الْقَلْبِ ، وَيَكْبِتُ سُورَةَ النَّفْسِ ، فَيَرْدَهَا عَنْ غَيْرِهَا ، وَيَكْسِحَ
جَاهَ شَهَوَاتِهَا ، فَإِنَّكَ الْمَلْجَأُ وَالنَّصِيرُ وَالْمَعْنَى ، وَصَلَةُ وَسَلَامًا عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ
وَرَسُولِكَ الَّذِي آتَيْتَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابَ ، وَعَصَمْتَهُ مِنَ الْخَطَا وَأَهْمَتَهُ
الصَّوَابَ ، وَمَنْتَ عَلَيْهِ بِفَضْلِيَّةِ الْبَيَانِ ، فَفَنَدْ بِقَاطِعِ حَجْتِهِ قَوْلَ مَنْ عَارَضَهُ مِنْ
أَهْلِ الزُّورِ وَالْبَهَانِ .

وَبَعْدَ – فَإِنَّ مَوْضِعَ عُلُومِ الْبَيَانِ مِنْ عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، مَوْضِعَ الرَّأْسِ مِنَ الْإِنْسَانِ،
أَوَ الْبَيْتِيَّةِ مِنْ قَلَائِدِ الْمَعْقِيَانِ ، فَهِيَ مَسْتَوْدِعُ سَرَّهَا ، وَمَظْهَرُ جَلَالِهَا ، فَلَا فَضْلَيَّةُ
لِكَلَامٍ ، إِلَّا بِمَا يَحْوِيهِ مِنْ لَطَانَفَهَا ، وَيَوْدَعُ فِيهِ مِنْ مَزَايَاها وَخَصَائِصِهَا ،
وَلَا تَبَرِّيزُ لِتَكَلُّمِ عَلَى آخَرِ ، إِلَّا بِمَا يَحْوِيَ كَمِنْ وَشِيشَهَا ، وَيَلْفَظُهُ مِنْ دَرَهَا ، وَيَنْفَثُهُ
مِنْ سُحْرَهَا ، وَيَحْيِيهِ مِنْ يَانِعِ ثَمَرَهَا .

إِلَى أَنْ يَهَا نَعْرُفُ وَجْهَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَنَدْرَكَ مَا فِيهِ مِنْ خَصَائِصِ الْبَيَانِ ،
وَنَفْهُمُ بِرَاعِيَّةَ أَسْلُوبِهِ ، وَانْسِجَامِ تَأْلِيفِهِ ، وَسَهْوَلَةِ نَظْمِهِ وَسَلَامَتِهِ ، وَعَذْوَبَتِهِ
وَجَزَالَتِهِ ، إِلَى أَمْثَالِ تَلْكَ الْحَاسِنِ الَّتِي أَسَالتَ عَلَى الْعَرَبِ الْوَادِي عَجَزًا ، حَقِّ
حَارَتْ عَقُولُهُمْ ، وَقَصَرَتْ عَنْ بَلوَغِ شَأْوِهِ جَهَابِذَتِهِمْ وَفَحْوَلَهُمْ ، حَقِّ اضْطَرَرَ ذَلِكُمْ
الْمُتَكَبِّرُ الْجَاحِدُ ، وَالصَّلْفُ الْمَعَانِدُ ، الْوَلِيدُ بْنُ الْمَفِيرَةُ ، أَنْ يَقُولَ فِيهِ مَقَالَتُهُ الْمَأْوِرَةُ:
« وَاللَّهِ إِنَّ لِكَلَامَهُ لَحْلَوةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطْلَوَةً ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمَدْقَنًّا ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ
لَمَوْرَقًّا ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُمُ وَلَا يَعْلَمُ عَلَيْهِ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ الْبَشَرِ » ، فَالْجَاهِلُ بِأَسْرَارِهَا ،

والمحروم من اقتطاف جنى ثمارها ، لا يعرف وجـه الإعجاز إلا بالتقليد ،
ولا يعلم ذلك إلا بالسماع ، فسواء في قضية النظر ، هو والزنجي والبربرى ،
والفارسي والنبطي ، إذ كل أولئك يتلقونه سـماعاً ، ويصل إـلـيـه عـلمـه مشـافـهـة .

ما تقدم تعلم جليل خـدـلـرـهـا ، وعـظـيمـهـ مـنـزلـةـها ، وأنـهـ لا تـدـانـيهـاـ مـنـزلـةـ عـلـمـ آخر
من عـلـومـ الـمـرـبـيـةـ ، فـلـاغـرـوـ اذاـ اـتـجـهـتـ هـمـ الـعـلـمـاءـ وـالـبـاحـثـينـ فيـ مـخـتـلـفـ الـعـصـورـ
إـلـىـ التـأـلـيفـ فـيـهـاـ ، وـبـسـطـ القـوـلـ فـيـ بـيـانـ مـفـازـهـاـ وـمـرـامـيهـاـ ، وـقـدـ رـأـيـنـاـ أـنـ نـدـلـيـ
دـلـوـنـاـ بـيـنـ الدـلـاءـ ، وـنـضـرـبـ بـسـمـمـ فـيـ هـذـاـ الـمـيدـانـ ، وـالـلـهـ وـلـيـ التـوـقـيقـ ، وـالـهـادـيـ
لـأـقـومـ طـرـيـقـ .

أـحـدـ مـصـطـفـيـ الـمـرـاغـيـ

نبذة في تاريخ علوم البيان ...

١ - الحاجة الى وضع قواعدها

(أ) اشتغلت ثار الجدل صدر الدولة العباسية حتى اندلع لهمها وتطاير شرها الى جميع أنحاء البلاد الإسلامية رحماً من الزمن غير قليل بين أئمة الأدب وأرباب المقالات من علماء الكلام في بيان وجه إعجاز القرآن، واختلفوا في ذلك طرائق قدداً، وتفرقوا أيسدي سباً، وتعددت نزعاتهم، وتضاربت مذاهبهم وأرؤهم كلها هو مسطور في زuber المتكلمين كالمواقف لعهد الدولة، والمقاصد لسعد الدين التفتازاني .

وكان الرأي الآخر من بين هذه الآراء وأبعدها عن الصواب ، رأي إبراهيم النظام صاحب المذهب الذي ينسب اليه (مذهب الصرف) إذ قال : إن القرآن ليس معجزاً بفصاحته وببلغته ، وإن العرب كانوا قادرين على أن يأتوا به ، لكن الله صرفهم عن ذلك تصديقاً لنبيه ، وتأييداً لرسوله حتى يؤدي رسالاته ربها ، فانبرى للرد عليه جم غفير من العلماء من بينهم الجاحظ والباقلاني ، وإمام الحرمين ، والفارغ الرازى ، وناضلوا نضالهم الحمود الذي خــلد لهم في بطون الأسفار فكتبو الفصول المتعة مبينين خطأ رأيه وفساد مذهبـه ، بما أملته عليهم قرائتهم الوقادة ، وأفكارهم التقادـة ، حتى لم يبق في القوس منزع ، ولا زيادة لمستزيد .

(ب) كذلك قامت سوق نافقة للحجاج والمناظرة ، بين أئمة اللغة وال نحو أنصار الشعر الجاهلي ، الذين رأوا أن الخير كل الخير في المحافظة على أساليب العرب وأوضاعها ، والأدباء والشعراء أنصار الشعر المحدث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم من العرب ، ورأوا أنهم في حل من كل قديم ، لا يشاكل بنيـة

الحضارة التي 'غذوا بلبنها'، وربوا في أحضانها، ولم يكن الغرب ليحملوا بها من قبل، ولو أن القدر أتاح لهم أن يروا زخارف تلك المدينة، وطرائف اطائفها، لكان لهم شأن في آدابهم، وممוצע في أساليبهم غير شأنهم هذا.

(ج) أضف إلى تلك الضوضاء وذلك اللجب، ما شجر من الخلاف بين أئمة الأدب وأساطينه، في بيان وجود تحسين الكلام حتى يرقى في سلم البلاغة، وبينال قسطه من الفصاحة، وتناقضت آراؤهم في ذلك أياً تناقض، ففريق مال إلى رصين الكلام الجامع بين المندوبة والجزالة، وفريق أولع بالمنطق المoshi المشتمل على صنعة البديع، يرشد إلى ذلك ما تراه في كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٤٧٦هـ حين حكم على تلك الأبيات المشهورة لكيثير عزة بأنها مونقة خلابة في لفظها، لكنك إذا فتشتها وبحثت عن ذات نفسها لم تخل منها بطائل، وهي :

ولما قضينا من مني كل حاجة
ومستح بالأركان من هو ماسح
وشتت على حدب المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسائل بأعناق المطى الأباطح

ثم ما تجده في كتاب «الصناعتين» لأبي هلال العسكري من استحسان هذه الأبيات ونقد حكم ابن قتيبة واتهام ذوقه، ووافقه على نقاده أبو الفتح بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢هـ في كتاب «الخصائص»، والإمام عبد القاهر في «أسرار البلاغة»، وأطال الإطراء لثالثها إلى غير ذلك من مختلف الآراء مما لسنا بصدق سرده الآن.

كل أولئك لفت أنظار أئمة البلاغة إلى أن يضموا قوانين وضوابط يتحاكمون إليها عند الاختلاف، وتكون دستوراً للنااظرين في آداب العرب، منشورها ومنظومها، ونشأ من ذلك البعث في علوم البيان، أو علوم البلاغة.

٢ - أول من دونها

لا نعلم أحد سبق أبا عبيدة معمراً بن المنفي الرواية تلميذ الخليل بن أحد المتوفى سنة ٥٢١هـ. فقد وضع كتاباً في علم البيان سماه «مجاز القرآن» لكنه لم يرد بالمجاز الوصف الذي ينطبق على ما وضع من القواعد بعد، بل هو أشبه بكتاب

في اللغة تؤخذ فيه جمع الألفاظ التي أريد بها غير معانيمها الوضعية ، ألا تراه وقد سئل مرة عن قول الله عز وعلا : ﴿ طلعمها كأنه رؤوس الشياطين ﴾^(١) فقال : هو مجاز كقول أمرىء القيس : « ومسنونة زرق كأنباب أغوال » .

كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني ، وإنما أثر فيه نبذ عن بعض البلاء كأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكندي المتوفي سنة ٢٥٥ هـ إمام الأدباء وسلطان المنشدين في عصره ، والقدوة في أساليبه التي اختص بها ، وتحداه فيها الأئمة من بعده .

فقد أشار إلى مسائل منه في كتابه « إعجاز القرآن » وعنوان في كتابه « البيان والتبيين » بدرس بعض القواعد التي كثر ولوع القوم بها في عصره ، كبيان معنى الفصاحة والبلاغة ، وحسن البيان والتخلص من الخصم ، وحسن الاستجاع ، ثم قفاصاً ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » والمبرد في كتابه « الكامل » فتعرضوا لبعض نتف من هذه العلوم .

وغنى عن البيان أن المتكلمين بدأوا ذي بدء في أي فن من الفنون لا يحيطون بأطرافه ، ولا يتغلبون في استقصاء مباحثه .

لكتنا نعلم أن أول من دون البديع الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسى المتوفى سنة ٢٩٦ هـ فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات ، وألف كتاباً سماه « البديع » ذكر فيه سبعة عشر نوعاً منها الاستعارة والكتابية والتورية والتجنيد والسبع ، إلى غير ذلك ، وقال : « ما جمع قبلى فنون البديع أحد ، ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف ، ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فليفعل ، ومن رأى إضافة شيء من المحسن إليه فله اختياره » .

ومن بين أن أسم البديع بهذا الإطلاق يتناول ما سماه المتأخر من بعلم البيان ، ثم ألف معاصره قدامة بن جعفر البغدادي المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتاباً في نقد الشعر سماه « نقد قدامة » ذكر فيه ثلاثة عشر نوعاً من البديع زيادة على ما أملأه ابن المعتز فتمها ثلاثين نوعاً .

(١) سورة الصافات الآية ٦٥ .

تلا هذين العالمين أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٥٣٩هـ وألف كتابه « الصناعتين »، صناعتي النثر والنظم ، جمع فيه خمسة وتلائين نوعاً من البديع ، وبحث فيه عن عدة مسائل أخرى كالفصاحة والبلاغة والإيماز والإطناب والخشوع والتطويل وعدة أبواب في نقد الشعر ، إلى غير ذلك من جليل المباحث .

وكتابه يعتبر أول مصنف أشير فيه إلى مسائل علوم البيان الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) .

٣ - رقي هذه العلوم بتأليف الإمام عبد القاهر

تتحقق القرن الخامس فولد نادرة البطن ، وتابعة البلغاء ، وإمام حلبة الفصحاء أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ الذي نظر يمنه وبسراة فلم يجد من مسائل هذه الفنون إلا تتفاوت مبتداة لا تسمن ولا تفني من جوع فشمر عن ساعد الجد ، وجمع متفرقاتها ، وأقام بناءها على أساس متينة ، وركز دعائمها على أرض جدد لا تنها ، وأمل من القواعد ما شاء الله أن يليل في كتابيه « أسرار البلاغة » و « دلائل الإعجاز » وأحكم بينيابها بضرب الأمثلة والشواهد ، حق أناف بها على اليفاع ، وقرن فيها بين العلم والعمل ، إذ رأى أن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار إلا بكثرة الأمثلة والنماذج ، فالصور الإيجالية التي تؤخذ من القواعد ، إن لم تؤيدتها الصور التفصيلية التي تستفاد من النماذج ، لا تمثل في الأذهان حق التمثيل ، ولا تتجلّي حقيقتها تمام الإجلال .

وقد ساعده على ذلك ما آتاه الله من عنودية البيان ، وما تحلى به فمه من الطلاوة الخلابة ، والبلاغة الساحرة للألباب .

٤ - الإمام جار الله الزمخشري

نبغ إثر عبد القاهر أستاذ المفسرين ، جار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ وألف قفسيره « الكشاف »، كما فيه نحو الفرض المقصود من تفسير التنزيل ، وهو إظهار أسراره ، وشرح وجه إعجازه ، ببيان وفاء دلالته على المراد ، وكشف خصائصه ومزاياه التي استأثر بها ، حق بلغ هذه المرتبة ، وحق تمجيده البشر بأنهم لن يأتوا بمنته لو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

وغيّ عن البيان أنّه لن يصل إلى تملّك المزّلة إلّا من أتاها الله فطرة سليمة ،
ورأياً حصيفاً ، وفكراً ثاقباً ، وبرهاناً ساطعاً ، وقلماً أطوع له من بنائه حق
يتاح له بواسط البرهان ، وبديع البيان ، أن يوضع خصائص التراكيب ولطائف
الأساليب التي هي من أسرار التنزيل ، وبذلاً أباً في عرض كلامه كثيراً من
قواعد هذه الفنون التي اخذهما من جاءه بعد ، دستوراً للكلام في كثير
من مسائلها .

٥ - أبو يعقوب يوسف السكاكي

جاء بعد من تقدم ذكرهم العلامة أبو يعقوب ، يوسف السكاكي ، المتوفى سنة
٦٢٦هـ وألف كتابه « مفتاح العلوم » وجمع في القسم الثالث منه زبدة ما كتبه
الائمة قبله في هذه الفنون ، ونظم لأنّها المتفرقة في تصاعيف كتبهم ، وأحاط
بكثير من قواعدها المبعثرة في الأممات ، ورتّبها أحسن ترتيب ، وبوهمها خير
تبويب ، وفصل فتون البيان الثلاثة بعضها من بعض ، لما كان له من واسع الاطلاع
على علوم المنطق والفلسفة .

ولولا أن المؤلّف أولّ بتطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم
مع ما بينهما من « بعد الدار » ، وشط المزار واختلاف البيئات وتقابض المعتقدات ،
لكان خيراً كتاباً آخر جزّ للناس في هذه الفنون ، بل معه شتاها ، وضمه ما تفرق
من قواعدها .

وقد اختصر مؤلّفه في كتاب آخر سماه « التبيان » ، وتحصي بعض المتأخرین
في أمهات مشهورة ، كما فعل ابن مالك في كتابه « المصباح » ، والخطيب جلال الدين
محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩هـ في كتابه « تلخيص المفتاح »
و« شرح الإيضاح » ، والأخير مؤلّف جليل ، جمع فيه مؤلّفه خلاصة « المفتاح »
و« دلائل الإعجاز » و« أسرار البلاغة » و« سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجي .

٦ - الوزير ضياء الدين ابن الأثير

بينما السكاكي يؤلّف كتابه « مفتاح العلوم » ، إذا بالوزير ضياء الدين أبي الفتح
نصر بن محمد الموصلي الشيباني المعروف بابن الأثير الجزائري المتوفى سنة ٦٣٧هـ

وزير الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي، يصنف كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» وهو كتاب فريد في بابه يفوق أنداده وأترابه، جمع فيه فأوعى، ولم يترك شاردة ولا واردة، لها مساس بالكتابة والقرآن إلا ذكرها بشرح واف، يدل على طول باع، وسعة اطلاع، مع قدرة على النقد، وبديهية حاضرة في إدراك خصائص البلاغة، ومن ثمة اشتمل كتابه على كثير من أبواب تلك الفنون، وطبق عليها كثيراً من آي الكتاب والسنة النبوية، وتلك منقبة امتاز بها من بين هاتيك المؤلفات في تلك العلوم.

وكان يحاكي في أسلوبه أسلوب القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦هـ وزير صلاح الدين الأيوبي (على ما بينها من شاسع الbon) وطريقة القاضي معروفة بين المتأدبين وهي من النوع الذي يغلب عليه السجع والجناس وغيرهما من المحسنات اللفظية، وكانت براءة الكتاب في هذا العصر وما بعده تظهر في استعمال تلك الطلاوة اللفظية، وبها يفوق كاتب كتاباً، ويبز الأقران في هذا الميدان.

٧ - عصور الاختصار ووضع الشروح والخواشي

طقق المؤلفون من القرن الثامن وما بعده يوسعون الشروح والخواشي على المفتاح وتلخيصه للقزويني، وصرفوا جل همهم في تفسير ما أشكل من عبارات المؤلفين، والجمع بين ما تناقض من آرائهم.

ومن أجل ذلك الشروح شروح مسعود سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١هـ وشرح السيد البرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ، ثم تابعت التقارير والخواشي توضيح ما انبهم من تلك التراكيب الجملة، والعبارات الفاضحة، وليس علينا من غضاضة في التصريح بأن أساليب التأليف في تلك العصور قد ملكت عليهما المجمعة أمرها، وجلبت عليها أنواع التعقيد بخيالها ورجالها، فلم تكن هي الأساليب التي يحدرك أن تكتب بها علوم البلاغة، أو بالأحرى علوم خصائص اللسان العربي المبين.

ومن ثمة لم يكن القاريء ليجعلها قدوة في أساليبها، أو غاذج في تراكيبيها، فهي أخرى أن تكون أساليب اصطلاحية علمية، لا لغوية أدبية، تشرح خصائص لغة العرب وتبيان مزاياها وأساليبها، وما زالت تتندلى وتتدحرج حتى وصلت إلى ما تراه اليوم، تتضاءل في أطهارها البالية وتتزوي أمام أهل الجيل الحاضر.

٨ - تأليف معاصرينا في هذه الفنون

أنشئت المدارس العالية والثانوية بمصر في نهاية القرن الفابر ، وسلكت في التربية والتعليم طريقاً سوياً ، لا مشاكلاً بينه وبين ما تقدمه في محمد العرفان ، وكان في مقدمة تلك المدارس التي شيدت ، مدرسة دار العلوم من نحو أربعين سنة ونيف ، فألف أساتذتها مختصرات تناسب تلك البرامج المدرسية ، ويسهل على الطلبة أن يحصلوا على بقيتها منها ، فمحمد لهم الناس جميل صنفهم وأوفهم حقهم في الثناء والتقرير يظيق مقدار ما كان المؤلفات من المزء إبان ظهورها .

وفي الحق أن تلك الرسائل وإن اختلف ترتيبها ، وتتنوع تبويبها ، تتحوّل إلى الجملة في أسلوبها ، منحى ما كتبه صاحب التلخيص وشراحه ، وتسير على خطتهم وتحذو حذوهم (وقد عرفت حال هذه التأليف) فضلاً عن خلوها من الأمثلة الموعنة التي تتضح بها بجملات تلك القواعد .

وأفضل تلك المختصرات كتاب « دروس البلاغة » فهو على إيجازه الذي لوحظ فيه حال النشر ، وهم في بدء تحصيل مختلف العلوم ، كفيل بتصوير القواعد في أذهانهم جهد المستطاع .

٩ - طريقنا في التأليف

رأينا أن نضع كتاباً يجمع بين طريق المقدمين ، من سعة الشرح والبيان ، والاعتداد على الأمثلة والشواهد ، حتى تستبين للقارئ خصائص البلاغة مرمونة محسوسة ، ولطائف الكلام مجسمة ملموسة ، ويسهل تطبيق العلم على العمل ، والإجال على التفصيل ، وذلك أمثل الطرق ، لبنيانه على قواعد علم النفس ، من تعويذ الناظر الركون إلى الوجودان والحس ، وطريق المتأخرین من حسن الترتيب والتبويب ، وجمع ما تفرق من قواعد هذه الفنون ، ليكون أنجع في الدرس ، وأقرب إلى التناول .

إذاً كنا قد وفقنا إلى ما قصدنا وُهدينا إلى الفرض الذي توخيانا ، فذلك من فضل الله علينا ، وإن كنا تكتسبنا عن جادة الحق وأخطأتنا شاكلة الصواب ، فليغض القارئ الطرف عمّا يراه من الهمفوات ، ويعذر عليه من الزلات ،

فإن الطريق وعر ، والركب غير ذلول ، وقد يأ قال الأول : « كفى المرأة نيلاً
أن تُعدّ معايبة » .

وليعلم أننا لم ندخل وسماً في تحخيص ما كتبنا وتهذيبه ، وتنقيح ما رتبنا
وتجويده ، بعد أن قضينا زمناً طويلاً في البحث والتنقيب ، في الأمهات المؤلفة
في هذه الفنون وغيرها المتقدمين والمتاخرين ، واطلعنا على الرسائل التي
صنفها معاصرتنا ، ومن تقدمهم ، جزى الله الجميع خيراً ، وعليه التكلال ،
وبه المستعان .

أحمد مصطفى المراغي

المقدمة

في حقيقة الفصاحة والبلاغة لغة واصطلاحاً

للفصاحة لغة ومعانٍ متعددة كلها تشف عن الظاهر والإبانة ، فيقال :

١ - فصح البن وأفصح اذا أخذت عنه الرغوة ، قال نضلة السلمي :

وتحت الرغوة البن الفصيح^(١)

٢ - أفصح الصبح : بدا ضوءه ، ومنه المثل : «أفصح الصبح الذي عينين»^(٢).

٣ - يوم مفصح وفصح لا غيم فيه ولا قمر.

٤ - أفصح الأعجمي بالعربية ، وفصح لسانه بها اذا خلصت لفته من الكتمة وفي التنزيل : «وأخي هرون هو أفصح مني لساناً»^(٣) أي أين مني قوله .

والبلاغة لغة : تنبيه عن الوصول والانتهاء .

يقال : بلفت['] الفاية اذا انتهيت اليها ، وبلغ الشيء منتهاه ، ورجل بلينغ وبلينغ وبلينغ ، حسن['] الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لمعانه كنه ما في قلبه ، وبلغ['] بالضم بلاغة : صار بليناً ، وتبالغ في كلامه تعاطى البلاغة وما هو بلينغ ، وتبالغ به الفرح والحزن : تناهى .

أما البلاغة اصطلاحاً فالبلاغة في ذلك فريقان :

١ - المتقدمون كالإمام عبد القادر الجرجاني ومن لف لفه ، وهؤلاء يرون

(١) يضرب مثلاً للأمر ظاهره غير باطنه .

(٢) يقال للشيء ينكشـف بعد استثارـه .

(٣) سورة القصص الآية ٣٤ .

أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ متراوحة لا تتصف بها المفردات ، وإنما يوصف بها الكلام بعد توخي^(١) معانٍ النحو فيها بين الكلم بحسب الأغراض التي يصاغ لها ، وإلى ذلك أشار في دلائل الإعجاز في مواضع عدّ منها قوله : « فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نظقوه وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد » ، ومن المعلوم أنه لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجرىها مما يفرد فيه اللفظ بالمعنى والصفة وينسب فيه الفضل والمزية إليه ، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وقامتها فيما له كانت دلالة » ، ثم قال : « ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يوثق المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكتسبه ثبلاً وينظر فيه مزية » .

وقال قبله أبو هلال العسكري في الصناعتين : « الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منها إنما هو الإيازة على المعنى والإظهار له » .

وقال الفخر الرازمي في نهاية الإيماز : « وأكثر البلفاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال الشيتين المتراوحتين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما » .

ويشهد لذلك قول الجوهرى في الصلاح : الفصاحة : البلاغة .

وعلى هذا الرأى فرجعهما وما شاكلهما النظم والكلام دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة .

٢ - المؤخرون كأبي يعقوب يوسف السكاكى وابن الأثير ، ومن شاكلهما ، وأولئك يرون إخراج الفصاحة من كتاف^(٢) البلاغة ، ويجعلونها اسمًا لما كان بنجحوة^(٣) من تناقض الحروف وغرابة الألفاظ ومخالفة القياس ، إلى آخر ما سينذكر

(١) الطلب والتحري .

(٢) الناحية والجانب .

(٣) يقال : هو بنجحوة من كذا إذا كان بعيداً .

بعد ، ويحملون البلاغة اسم طابق مقتضى الحال مع الفصاحة ، وعلى هذا الرأي فالبلاغة كلها الفصاحة جزء ، وعليه أيضاً فالفصاحة من صفات المفرد كما هي من صفات المركب بحسب الاعتبارات الآتية :

والى هذا أشار صاحب الصناعتين حيث قال ، وقيل : الفصاحة تأم آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ ، والبلاغة إنما هي إنتهاء المعنى إلى القلب ، فكأنها مقصورة على المعنى ، اهـ

وها نحن أولاء نشرحها لك على الرأي الأخير فقد استقر عليه البحث ، وبالله التوفيق ، ومنه الهدى لأقوم طريق .

الفصاحة

تقع الفصاحة وصفاً للمفرد والكلام والمتكلم .

فصاحة المفرد

فصاحة المفرد تتحقق بسلامته من أربعة عيوب^(١) :

- ١ - تنافر الحروف .
- ٢ - غرابة اللفظ
- ٣ - خالفة القياس .
- ٤ - الكراهة في السمع .

تنافر الحروف

صفة في الكلمة ينجم عنها ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها ، ولا ضابط لذلك غير الذوق السليم والشعور الذي ينشأ من مزاولة أساليب البلاء ، وليس منشئه قرب خارج الحروف كما قيل ألا ترى أنك تمجد الحسن في لفظ الجيش مع تقارب خارج حروفه ، ونحوه ، الفم والشجر ، وتتجدد لفظ ملع بمعنى أسرع متبعاً خارج وهو متنافر ، ولا طول الكلمات لأنك إن صح ذلك في نحو

(١) لتسليم من الخلل مادته وصيغته ومعناه .

صَهْلَكَلْقٌ^(١) وَخَنْشِلِيلٌ^(٢) دَمَاهَا ، فَلَيْسَ يَصُحُّ فِي نَحْوِ لِيْسَ تَخْلُفُهُمْ فِي الْأَرْضِ فَسِيكِيفِيكِهِمْ اللَّهُ .

ولكن يمكن وضع ضابط إجمالي أساس المشاهدة ، وهو أن أصول الأبنية لا تحسن إلا في الثلاثي وفي بعض الرباعي نحو : عذب وعسجد . أما الخاسي الأصول نحو : صهصلق وجحمرش ، وما جرى مجرها ، فإنه قبيح ، ومن ثمة لم يوجد شيء من هذا الضرب في القرآن الكريم إلا ما كان معرجاً من أسماء الأنبياء كإبراهيم وإسماعيل .

والتنافر ضربان :

- ١ - شديد متناه في الثقل كالصممعع^(٣) والطمساسيج^(٤) والظيش^(٥) .
- ٢ - خفيف كالنقاخ^(٦) والنفقة^(٧) والمنجبر^(٨) ومستشرزات في قول أمرىء القيس :

غدائره مستشرزات^(٩) إلى العلا
تضل المداري في مثني ومرسل^(١٠)

والضمير في غدائره يرجع إلى فرع في قوله قبله :

وفرع يَزِينُ الْمَنْ أَسْوَدَ فَاحِمَ
أَيْثَ كَفَنُوا النَّخْلَةَ الْمُتَعَشِّكَلَ

(١) الشديد من الأصوات .

(٢) السيف .

(٣) الصغير الرأس .

(٤) جمع طسوج القرية ونحوها .

(٥) الموضع الخشن .

(٦) الماء العذب .

(٧) صوت الضفادع .

(٨) السائل من ماء أو دمع .

(٩) غدائره أي ذوابته جميع غدرية وهي الشعر المشدود بخيوط على الرأس ومستشرزات أي مرتفعات وتضل تفيب والمداري جمع مداراة آلة تعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط أو أطول منه يسرح بها الشعر المتلبد ، والمشنى المقتول وضده المرسل .

(١٠) الفرع الشعر والآيث الكبير والقتو الكباشة والتتشكل كثير المثاكيل أي العيدان التي عليها البسر ومراده من كل ذلك الدلالة على وفرة شعرها ، وكان من عادة نساء المغرب أن تشد قسماً من الشعر كالرمانة ، ثم ترسل فوقه المشنى والمرسل .

الغرابة

هي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ، ولا مأولة الاستعمال عند خلص العرب (لا عند المولدين لأن كثيراً مما في المعاجم غريب عندهم) .

ولذلك سببان^(١) :

١ - احتياجها إلى بحث وتفتيش في كتب اللغة ، ثم يعثر على معناها بعد كسمحةنفة^(٢) وبُعاق^(٣) وجراحت^(٤) وجحش بمعنى فريد مستبد برأيه في قول تأبظ شرآ يصف ابن عم له بكثرة الترحال :

يظل يوماً ويسي بغيرها جحشياً ويعوري ظمور المسالك^(٥)

وهرجلة وزيزم في قول ابن جحدار :

خلفتُ بما أرقلتَ حوله هرجلة خلقها شيطنم^(٦)
وما شبرقتَ من تنوفية بها من وحي الجن زيزم^(٧)

ورعا لا يعثر على معناها كجحننجع ، قال في اللسان : قال أبو تراب : كنت سمعت من أبي الهميسع حرفاً وهو جحننجع فذكرته لشمر بن حدوبيه وترأت إليه من معرفته ، وكان أبو الهميسع من أعراب مدین لا نفهم كلامه ، وأنشدته ما كان أنسدني :

(١) لأن الغرابة أما في الجوايد والمصادر المشتقات باعتبار مبادئها أي أصولها وهو القسم الأول ، وإما في المشتقات باعتبار هيئاتها ، وهو القسم الثاني .

(٢) أي متعدة .

(٣) المطر .

(٤) الرادي .

(٥) الوماه المفازة ويقال للمستبد برأيه جحش وحده بالتصغير عند إرادة الله واعروري الفرس ركب عرياناً .

(٦) الأرقال ضرب من السير والهرجلة الناقة السريعة والشيطنم الشديد الطويل من الإبل ، والخيل وشبرقت قطمت ، والتنوفية المفازة والوحى الصوت الخفي وزيزم حكاية صوت الجن إذا قالـت زـي زـي عـلـى زـعمـهم . يزيد أنه حلف بما سارت حوله الناقة الشديدة السير المظيمة الخلق وبـما قـطـمت لـا يـسـمع فـيـها إـلا صـوتـ الجن .

إن تمنعي صوبك صوب المدمع
يموري على الحد كضب الشعن
وطمحة صيرها جحنانجع
لم يحضم الجدول بالتنوع^(١)

قال في المثل السائر : ومن الغريب من يعب استعماله في النثر دون النظم
كلفظ مشمخ في أبيات بشر في وصف الأسد :

وأطلقت المهد من يبني
فقد له من الأضلاع عشرا
فخرّ مضرجاً بدم كاني
هدمت به بناء مشمخ^(٢)

ولفظ الشديدة ، وهي ضرب من النوق في قول أبي تمام :
يا موضع الشديدة الوجناء ومصارع الأدلاج والاسراء^(٣)

ثم قال : واعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنثور يسوغ استعماله في
المنظوم دون المكس ، وذلك شيء استنبطته ولدي عليه الدوق .

وقال الجاحظ في البيان والتبيين : ورأيت الناس يديرون في كتبهم ، أن امرأة
خاخصت زوجها إلى يحيى بن يعمر ، فانتشرت مراراً فقال له يحيى : أن سألك
ثمن شكرها وشبك أنسأت تطلبها وتفضلها^(٤) ، فإن كانوا قد رروا هذا الكلام
لكي يدل على فصاحة وبلاعة فقد باعده الله من صفة البلاغة ، وإن كانوا فعلوا ذلك
لأنه غريب فأبيات من الشعر المجاج والطرماح تأتي لهم مع الوصف الحسن على
أكثر من ذلك .

٢ - احتياجها إلى التعریج على وجه بعيد حق يفهم منها المعنى المقصود نحو
مسرجاً وصفاً للأنف في قول رؤبة بن العجاج (شاعر إسلامي) :

(١) الصوب المطر النصب والضب حب اللؤلؤ والطمحة النظرة والصبر السحابة البيضاء
وحضا النار حر كها والجدول النهر والشروع تحريك الربيع الفصن والتذبذب وصيورة الشيء أنواعا .
(٢) قد قطع والمدرج الماطخ بالدم والمشمخ العالي .

(٣) الإيقاع نوع من السير ، والوجناء عظيمة الوجنتين ، والأدلاج والاسراء من
سرى الليل .

(٤) الشكر بفتح الشين وكسرها عضو التناسل ، والبشر التكاح ، وضهل فلان حقه نقصه
وطله مطله .

أيام أبدت واضحاً مقلباً أغراً براقاً وطوفاً أبداً
 ومقلةً وحاجباً مزججاً وفاحماً ومرساً مسرجاً^(١)

فالمرسن الأنف ولا يدرى ماذا أراد بوصفه بسرج ، ومن ثم اختلف أئمة اللغة في تفسيره ، فابن دريد قال : هو من قولهم لسيوف سريجية أي منسوبة إلى حداد يسمى سريجياً ، فهو يزيد تشبيهه بالسيف السريجي في الدقة والاستواء ، وأiben سيده صاحب (الحكم) قال : هو من السراج فهو يقصد أنه شبيه به في البريق والمعان ، وهذا قريب من قولهم : سرج وجهه بالكسر ، أي حسن ، وسرج الله وجهه ، بهجه وحسناته .

وعلى كلا الحالين فهو غير ظاهر الدلالة على ذلك المعنى ، لأن مادة فعل التشديد إنما تدل على مجرد نسبة شيء إلى آخر لا على التشبيه ، فدلالة على بعيدة ، وقريب من هذا امتناع استعمال اللفظ المشترك بين معنيين فأكثر بدون قرينة لما فيه من دخول الحيرة على السامع كاستعمال اللفظ المشترك بين المعنى وضده ، إلا إذا وجدت قرينة تخصصه بالمراد ، نحو عزّر ، فإنه لفظ مشترك بين التعليم والإهانة فلا تقول لقيت فلاناً فمزرته إلا بقرينة ، ومن ثم لم يستعمله القرآن الكريم إلا مع القريئة فقال : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾^(٢) فذكر النصر قرينة على إرادة التعليم

مخالفة القياس

كون الكلمة غير جارية على القانون الصرف المستنبط من كلام العرب كجمع ناس على نواكس ، يعني مطأطي الرؤوس في قول الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار
 مع أن فواعل إنما تتقاس في وصف المؤنث عاقل ، لا لذكر كياماً هنا ،
 وكفك الأدغام في أجلل من قوا ، أبي النجم بن قدامة من رجائز الإسلام :

(١) الضمير في أبدت يعود إلى محبوبته ليلي في الآيات قبله وراضحا ، أي فيما فيه أسنان واضحة والقليل تباعد ما بين الأسنان والأغبر الأبيض والبريق المعان والبرج بالتعريج عظم العين وحسنها والترجح للتدقيق مع تقويس ، رفاحماً أي شعر أسود كالفعم .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

الحمد لله العلي الأجل أنت مليك الناس رباً فا قبل

واستعمال هزة القطع بدل هزة الوصل في قول جمیل :

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمه^(١) على حدثان الدهر مني ومن جمل

وعكسه في قوله : إن لم أقاتل فالبسوني برقصاً .

فهذا وأمثاله قبيح يشن الكلام وينهض به^(٢) .

قال في الصناعتين : وإنما استعمل ذلك القدماء لأنهم كانوا أصحاب بدایة ، والبدایة مزلة ، مع أن أشعارهم لم تكن تتقى عليهم ، ولو نقدت كما تقدر على شعراء هذه الأزمنة ويهرج^(٣) من كلامهم ما كان فيه أدنى عيب لتجنيبوه .

وقال القاضي عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة بين التبني وخصوصه : ولو لا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقديم واعتتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام الحجة لوجدت كثيراً من أشعارهم معيماً متذلاً ومردوداً منفياً ، لكن هذا الظن الجليل ستر عليهم ونفى الظنة عنهم فذهب الخواطر في الذب عنهم كل مذهب وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام . اه

وبستثنى من ذلك ما ثبت عن العرب من الشواد نحو : أبي ، يابى^(٤) ، وعور^(٥) واستحوذ^(٦) وقطط^(٧) شمره .

الكراء في الجمع

هي أن تجع الكلمة الأسماع وتتألف منها الطياع لوحشيتها وغلظتها كالجرشى ، يعني النفس في قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة :

(١) الشيمة الخلق والحدثان نواب الدهر وجمل فرسه أو جمله .

(٢) حسنة وروقه .

(٣) البهرج الرديء .

(٤) قيل مضرعه الكسر ، لأن المفترج العين لا يكون إلا إذا كانت عين ماضية أو لامه حرف حلق كـأـلـ وـقـعـ .

(٥) القيلان فيه عار لتعرك الواو وافتتاح ما قبلها .

(٦) القيلان استحاذ .

(٧) تجمد .

مبارك الاسم أغلى اللقب
وكالنقاخ فيما أنشده شعر:

وأحقى ممن يلعق الماء قال لي دع الماء واشرب من نقاخ مبرد^(٤)

لكن البصير بصنعة الكلام يعلم أن استئصال الطبيع لما يسمع، إنما يتصور من جهة غرابة الكلمة ووحشيتها، ففي ذكر الفرادة غنية عن ذكرها.

تدریب اول

يُبيّن ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

قال المتنى مدح سيف الدولة :

- ١ - وما أرضي لملته بحمل
اذا انتبهت توهمه (ابتشاكا) ^(٣)

٢ - لم يلقها الا بشكبة باسل
يخشى الحوادث حازم (مستعدد) ^(٤)

٣ - يا نفس صبرا كل حي لاق
 وكل (اثنين) الى افتراق

٤ - فلا يبرم الامر الذي هو (حالل)
ولا (يحلل) الامر الذي هو يبرم

٥ - انت بنى للشام زهده
مالي في صدورهم من (مودده)

٦ - كتب بعض أمراء بغداد رقعة طرحها في المسجد الجامع حين مرضت امه
فقال : صين أمرؤ ورعى دعا لامرأة (إنقحلاة) ، (مقستنة) فقد منيت بأكل
الطرموق فأصابها من أجله (الاستعمال) انت ين الله عليهما (بالاطرغشاش) ،
و (الابرغشاش) ^(٥) .

(١) مبارك الاسم لأن اسمه على من الملو، وأغراً اللقب أبي مشهوره لأن سيف الدولة .

(٤) ملعق بلحسر ، والنقاوم العذب من الماء .

(٢) الاتصال الكذب والحلم والرؤيا التي يراها النائم .

(٤) الضمر يعود إلى المترد ، والشارة المحصلة ، والبازل الشجاع .

(٥) أتفعللة يابسة ومقستة مسنة عجوز ومنيت ابنتيلت والطرموق الخناص والاستعمال
الأسهل والاطرغشاش والبرغشاش البره من المرض .

الاجابة

الكلمة	الحكم	السب
الاشتاد	غربية	لقلة استعمالها ومن ثم قال الصاحب بن عياد لم يسمع هذا اللفظ في شعر قديم ولا محدث
مستعدد	مخالف للقياس	إذ الواجب في هذه الحالة الادعام
اثنين	مخالف للقياس	إذ جعل عمرة الرصل عمرة قطع وابتها
حالل	مخالف للقياس	إذ الواجب الادعام في مثل هذا
يعحل	مخالف للقياس	إذا الواجب الادعام في مثل هذا
مودده	مخالف للقياس	إذا الواجب الادعام في مثل هذا
إنتحلة	غربية متأخرة	لقلة الاستعمال ونقل النظر
مقسنة	غربية	لقلة الاستعمال ونقل النظر
الاستعمال	غربية متأخرة	لقلة الاستعمال ونقل النظر
الأطر غشاش	غربية متأخرة	لقلة الاستعمال ونقل النظر
الابر غشاش	غربية متأخرة	لقلة الاستعمال ونقل النظر

تدريب ثان

بيان ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

١ - قال ابن نباته في خطبة له يذكر أهوال يوم القيمة :

(أقطر) وبالها ، و (أشيخر) نكالها ، فما ساغت ولا طابت (١) .

٢ - يوم (عصيصب) و (هلوف) ملا السجسج طلا (٢) .

٣ - قد قلت لما (اطلخم) الأمر وانبعثت عشواه تاليه غبسا (دهاريسا) (٣)

٤ - نعم متع الدنيا حبك به أروع لا (جبدر) ولا جبس (٤)

(١) اقطر اشتد والوبال الشقل وال Roxhamme واصغر طال.

(٢) والمصيصب الشديد الحر والحرق الذي يستر غمامه شمه والسبع الارض السهلة والطل المطر الندى أو المطر القليل .

(٣) اطلخم اشتد وعظم والدهاريس الدواهي والعشواء الثاقفة الضعيفة البصر والقبس جمع أغبس وغباء وهي الشديدة الظلمة وهو لأبي تمام وبعده :

لي حرمة بك أضعي حق فازطا وفنا عليك فدتك النفس محبوبيا

(٤) حبك أعطاك والأروع المحب والجيدير القصير والجنس الثقيل .

- ٥ - نقى نقى لم يكثر غنىمة بنهاكة ذي قربى ولا (بحقائد)^(١)
- ٦ - قال امرؤ القيس حين أدركته المنية وكان قد ذهب الى ملك الروم يستنجهد
على قتله أبيه : رب جفنة (متعجره) ، وطعنة (مسجنفره) ، وخطبة
مستحضره ، وقصيدة محبره ، تبقى عدأ بأنقره^(٢).

الاجابة

الكلمة	الحكم	السب
امطر	متنافة	لنقل النطق بها
أشمخ	غربية	لقلة الاستعمال
عصصب	غربية	لقلة الاستعمال
هلوف	غربية	لقلة الاستعمال
اطلخم	غربيّة غليظة في السمع	لقلة استعمالها ووحشيتها
دهاريس	غربيّة غليظة في السمع	لقلة استعمالها ووحشيتها
جيذر	غربيّة	لقلة استعمالها ووحشيتها
حفلد	غربيّة	لقلة استعمالها ووحشيتها
مشنجر	متنافة	لقلة استعمالها ونقل النطق بها
مسجنفرة	متنافة	لقلة استعمالها ونقل النطق بها

تمرين (١)

بيان ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

- ١ - تشکو الوجی من (أظلل وأظلل) من طول إمسال وظهر "ملل"^(٣)
- ٢ - فأرحام شیر تتصلن (لدنه) وأرحام مال ما تني تقطفع^(٤)
- ٣ - رواق المز حولك ("مباطر") وملك على" ابنك في كمال^(٥)

(١) النهاكة الغلب والحداد الاثم .

(٢) المجنحة الملأى والمسجنفة التسعة ، وأنقرة بلد بأسيا الصغرى .

(٣) الوجي الحفي والأظل باطن خف البعير وبغير مثل أكثر ركوبه حتى دبر ظهره .

(٤) تنا تأخر ، وتقطع تمزق .

(٥) مسيطر ممتد .

- ٤ - لا نسب اليوم ولا خلة (إتسع) الفتق على الواقع^(١)
- ٥ - فأيقتلت أني عند ذلك ثائر غدائله أو هالك في (الموالك)^(٢)
- ٦ - قال أبو علقة يوماً لحاجه : أرهف ظبات المشارط ، وأمر المسح ، واستنجل الرشح ، وخفف الوطء ، وعجل النزع ، ولا تكرهن أبیا ، ولا ترددن أتیا ، فقال له الحاج : ليس لي علم بالحروف^(٣) .

تمرين (٢)

بيان ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

- ١ - جرت سحاماً فقلت لها (أخبريني) نوى مشمولة فمك اللقاء^(٤)
- ٢ - اعاذل قد جربت من خلقي أني أجود لأقوام وإن (ضنوا)
- ٣ - من كلام أم الهيثم الأعرابية لأبي عبيدة الراوية ، وقد عادها في علة أصابتها ، كنت وحى (سدكة) ، وشهدت مأدبة ، فاكلا (جبيحة) ، من صيف (هلمة) فاعتبرتني (زلحة) ، فقيل لها أهي شيء تقولين ، فقالت أو للناس كلامان ، والله ما كفتك إلا بالعربي الفصيح^(٥) .
- ٤ - يا نرجس الدنيا أقم أبداً (للاقتراح) و دائم النخب^(٦)
- ٥ - قال بعض الأدباء لكتابه يوصيه بحسن الجلوسة للكتابة والاستماع لما يعلى عليه ، ألقق روانفك (بالجذبوب) ، وخذن المسطر (بشناورك) ،

(١) الخلة للصدقة والفتق الشق والواقع مصلح الفتق .

(٢) الثابر الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثاره .

(٣) أرهف رقق ، والظبات جمع ظبة وهي السيف والموس ، والشارط جمع مشرط وهو مبضع الحجاج الذي يشرط به الجلد واستنجل استخرج والرشح النز والأبي المتنج والأبي الجاني والحرف هنا اللئات .

(٤) السح الشديدة والتوى البعد وهو خبر لمبدأ مخزوف أي هذه والمشمولة العامة .

(٥) سدكة مشتهية للطعم والجبيحة كوش يخشى باللحم المقطع ، والصفيف الشواء ، والملعن أنسى المز ، والزلحة وجمع في الظهور .

(٦) الاقتراح الابتداع والاختيار ، والنخب الشربة المظبمة من المثر وغيرها .

وأجل (‘خندورتيك) إلى (قيملي) حتى لا أنفي نفيّة ، إلا أودعها
‘حماطة جاجلانك) ^(١) .

فصاحة الكلام

يراد بالكلام هنا ما يشمل المركب للنام والنافق ^(٢) وفصاحتته تكون بسلامته من كل ما ينفلق به معناه وينهم مقزاه ، وإلا كان مردوداً خارجاً عن حدود البلاغة ، ورسوم الفصاحة ، ولو احتوى على أجل المعانى وأشرفها ، وإنما يتم له ذلك إذا عرى عن الأشياء الآتية :

- ١ - تنافر الكلمات مجتمعة ، ويدخل فيه كثرة التكرار وتتابع الإضافات .
- ٢ - ضعف التأليف .
- ٣ - التعقيد اللفظي .
- ٤ - التعقيد المعنوي .

تنافر الكلمات - المعاطلة ^(٣) اللغوية

هو وصف يعرض للكلمات مجتمعة فيوجب ثقلها واضطراب اللسان عند النطق بها ، وقد علم بالاستقراء أن منشأه إما :

- ١ - تكرير حرف أو حرفين من الكلمة في المنشور أو المنظوم ، وهو قسمان :
 - (١) ما استد ثقله وقناهى كالذى أنسده المحاط :

و^{قبر} حرب ^{بكان} قفر ^{وليس قرب} قبر حرب ^{قبر} ^(٤)
فأنت ترى أن قافاته وراءاته قلقة نابية ، وكأنها سلسلة تبراً بعض حلقاتها من بعض .

(١) الروانف جمع رائفة الآلة والجبوب الأرض ، والقلم والشثار الأصابع ، والخندورنان حدتنا العين ، والقييل الوجه ، والحماطة حبة القلب ، والجلجلان الصدر .

(٢) كالمركب الاضافي ، والمركب التقيدى ، وهو مجاز من اطلاق الخاص على العام .

(٣) عاظل الكلام عقده ووالى بعضه فوق بعض .

(٤) حرب هو حرب بن أمية بن عبد شمس ولشدة الثقل فيه زعموا أنه من شعر الجن قالوه لا قتلوه بشار حية منهم ودفنه بناحية بعيدة وقرف ، فمعت مقطوع للضرورة أو هو خبر ، وبالباء بمعنى في أي مكان .

(ب) ما كان فيه بعض النقل كقول أبي تمام :

كريم مقً أمدهه أمدحه والورى
معي وإذا ما لمنه لمنه وحدى (١)
وقول المتنى :

كيف ترثي التي ترى كل جفن راءها غير جفتها غير رافق^(٢)
فتكرار الحاء والهاء المتقارب في المخرج في بيت أبي تمام، والجم والراء في أكثر
كلمات بيت المتنبي، وأوجب الثقل فيها.

وقال بعض الوعاظ في كلام أورده: (حق جنات' وَجَنَّاتُ جَنَّاتِ الْحَبِيبِ) فلما سمعه بعض الحاضرين صالح وقال : سمعت جيماً في حجم فصحت .

٢ - إيراد أفعال يتبع بعضها بعضاً بدون عطف ، سواء اختلفت بين المضي والاستقبال نحو قول القاضي الأرجاني يحدث عن الشمع :

بالنار فرقـت الحوادث بينـا وـيهـا نـذـرـت أـعـود أـفـتـل روـحـي (٣)

أُمّا لم تختلف كقول المتنى يدح سيف الدولة :

أفل أفل أقطع احمل عل سل أعد زدهش بش تفضل أدن سر صل (٤)

فورد ندرت أعود أقتل مكتابه على تلك الشاكلة في البيت الأول جاء ثقلاً متضاطلاً، كها أن جعي، أفعال الأمر متكررة في البيت الثاني جعل للشلل فيها حظاً عظيماً، فإن جاءت الأفعال مع حرف المطف لم تكن في الشلل كال الأول نحو قول عبد السلام بن رغبة المعروف بديك الحزن:

احصل وامسر وضر واففع ولن واخشن وأبیر ثم انتدلت للمعالى^(٥).

(١) وفيه عيب آخر وهو مقابلة المدح باللوم وأنما يقابل بالذم ، وكأنه أراد أن ينفي الذم عنده بتنفيه اللوم بالطريق الأول.

(٢) وراءها رأها فحصل فيه إعلال بالقلب بتقدم الألف وتأخير الممزة ورقا الدمع والدم انقطعت ، يريد أنها لا تحرج ياكا لأنها تحبس الدم في أحشاء المشاة خاتما

(٤) يقول بلسان الشمع أنه ألف العسل وهو أخوه الذي ربى معه لكن النار فرقته منه، وأنه نذر أن يقتل نفسه بها أيضاً من أيام الفراق.

(٤) أقل من الإقالة وأقطع من الأقطاع ل الأرض ونحوها وعلى من العلو وصل ، أي بالعطة .

(٥) أبى ر من قولهم أبى اليهين أمضاها على الصدق واتدب لكتذا ساسها .

٣ - إبراد صفات متعددة على طريق واحدة كقول المتنبي في المديح ، وقد ألمع كثيراً بهذا النوع :

دان بعيد حب مبغض بـ سج أغـرـ حـلـوـ نـمـرـ لـسـنـ شـرسـ
ند أبي غـرـ وـافـ أـخـيـ ثـقـةـ جـمـدـ سـرـتـهـ نـدـبـ رـضـىـ نـدـسـ^(١)
ولا يخفى ما فيه من الثقل فـا أـشـبـهـ بـسـلـسـلـةـ طـوـبـلـةـ مـتـصـلـلـةـ الـحـلـقـاتـ .

٤ - تعاقب الأدوات ومجيء بعضها إنما بعض كمن وإلى ، وفي وعن وعلى كقول أبي تمام :

كـانـهـ فـيـ اـجـتـمـاعـ الرـوـحـ فـيـ لـهـ فـيـ كـلـ جـارـحةـ مـنـ جـسـمـهـ رـوـحـ^(٢)
وـقـولـ المـتـنـبـيـ بـصـفـ فـرـسـاـ :

وـتـسـعـدـنـيـ فـيـ عـرـمـةـ بـعـدـ غـمـرةـ سـبـوحـ هـاـ مـنـهـ عـلـيـهاـ شـواـهـدـ^(٣)
فـجـيـ،ـ فـيـ بـعـدـ لـهـ فـيـ الـبـيـتـ الـأـوـلـ ،ـ وـلـهـ مـنـهـ عـلـيـهاـ فـيـ الـبـيـتـ الـثـانـيـ ،ـ أـورـثـ
فـيـهـاـ تـقـلـاـ حـمـلـ الـلـسـانـ يـتـعـشـرـ عـنـدـ النـطـقـ بـهـاـ ،ـ قـالـ صـاحـبـ الصـنـاعـتـينـ :ـ وـسـبـيلـ
تـلـافـيـ ذـلـكـ أـنـ تـفـصـلـ بـيـنـ الـحـرـفـيـنـ كـانـ تـقـولـ :ـ اـقـمـ بـهـ شـهـيدـاـ عـلـيـهـ .

٥ - تتابع الإضافات كما تقول : سرج فرس تابع الأمير ، وعليه ورد قول ابن بايلك :

حـامـةـ جـرـعـيـ حـوـمـةـ الجـنـدـلـ اـسـجـعـيـ فـأـنـتـ بـرـأـيـ مـنـ سـعـادـ وـمـسـعـ^(٤)
قـالـ فـيـ دـلـائـلـ الـإـعـجـازـ :ـ وـمـنـ شـأـنـ هـذـاـ الضـرـبـ أـنـ يـدـخـلـ الـإـسـكـرـاءـ ،ـ
قـالـ الصـاحـبـ بـنـ عـبـادـةـ :ـ إـيـاكـ وـالـإـضـافـاتـ الـمـنـدـاخـلـةـ ،ـ وـذـكـرـ أـنـهـ يـسـتـعـملـ فـيـ
الـمـجـاهـ كـقـوـلـهـ :

(١) الشرس الصلب هـنـاـ وـالـقـرـىـ المـقـرـىـ بـغـفـلـ الـجـمـيلـ وـجـمـدـ الـلـاضـيـ فـيـ الـأـمـوـرـ وـالـسـرـيـ
الـشـرـيفـ وـالـتـنـبـيـ الـعـاقـلـ وـالـنـدـبـ السـرـيعـ فـيـ أـمـوـرـهـ ،ـ وـالـنـدـسـ الـعـارـفـ الـبـعـاثـةـ ،ـ يـرـيدـ أـنـهـ مـعـ
لـأـهـلـ الـفـضـلـ مـبـغـضـ لـأـهـلـ التـقـصـ يـبـيـجـ بـالـقـصـادـ وـيـكـلـوـ لـأـرـلـيـانـهـ وـيـمـرـ عـلـيـ أـعـدـائـهـ .

(٢) الجارحة المتصوّر يريده أن يقطن نشيط .

(٣) الفمرة الشدة ، والسبوح الفرس الحسن العدو الذي لا يتعب راكبه كأنه يسبح في الماء يريده ألا يعينه على الشدائـدـ ،ـ وـلـهـ شـواـهـدـ دـالـةـ عـلـىـ كـرـمـ خـصـالـهـ .

(٤) الجرعى تأبى الأجرع وهي الرملة لا تبتث شيئاً ، والحومة معظم الشيء ، والجندي
المجارة ، والسبوح هديل الحمام المعنى اطربى لأن الحببية تراك وتسمك .

يا علي بن حمزة بن عمارة أنت والله ثلجة^(١) في خيارة
 (تنبيه) لا يقع القسمان الآخرين إلا إذا أوجبا ثقلاً على الإنسان ،
 وإلا فلا يخلان بالفصاحة ، فقد تكررت الأدوات وكانت حسنة مليحة في قول
 قطرى بن الفجاءة :
 ولقد أراني للرماح درية^(٢) من عن ييني مرة وأمامي^(٣)
 كما تكررت الإضافة ولطفت في قوله تعالى : ذكر رحمة ربك عبده
 زكريابه^(٤) وقول ابن المعتز :
 وطلت قدير الراح أيدي جاذر عناق دنانير الوجوه ملاح^(٥)
 ومن ذلك تعلم أنه لا وجه لعد هذين القسمين بعيدين عن التناقض .

ضعف التأليف

هو أن يكون تأليف الكلام مخالفًا لما اشتهر من قوانين النحو المشورة ،
 كوصل الضميرين ، وتقديم غير الأعراف (مع وجوب الفصل في نحو هذا) ،
 كقول المتنى :
 خلت البلاد من الغرالة ليلاً فاعاصم الله كي لا تحزن^(٦) ،
 وكنصب المضارع بلا ناصب نحو :
 أنظرا قبل تلوماني إلى طالل بين النقا والتحنى^(٧) ،
 وكمحذف نون يكمن في الجزم حين يليها ساكن نحو :

(١) قوله ثلجة في خيارة في أي خيارة ثلجة ، وفي هذا اشتباه من عبد القاهر ، لأنه ليس فيه تتابع اضافات .

(٢) الدرية الحلقة التي يتعلم عليها الطعن والرمي (النشان) .

(٣) سورة مرعيم .

(٤) الراح الحمر ، والجاذر جمع جؤذر ولد البقر الوحشية تشبه به الحسان بجبل عينيه ، والمعنqi النجائب ودنانير الوجوه أي وجوههم متلائمة كالدنانير .

(٥) الغرالة الشمس ، يريد أن البلاد إذا خلت من الشمس ليلاً جعلك الله عوضاً منها .

(٦) الطلل ما يبقى من آثار الديار ، والنقا والتحنى موضعان .

لم يكُ الحق سوى أن هاجه رسم دار قد تعفَّت بالمرز^(١)
وكالاضمار قبل الذكر لفظاً ومعنى وحكمـاً^(٢) في قول حسان بن ثابت:
ولو أن مجدـاً أخلـد الدهـر واحدـاً من الناس أبـقى مجـدـه الـدهـر مـطعـماً^(٣)

التعقيـد

هو ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد ، ولذلك سبـان ،
أحدـها يرجع إلى خلل في النظم والتركيب وهو التعـيـد الـلفـظـي ، وثـانـها يرجع
إلى المعنى وهو التعـيـد المـعـنـوي .

التعـيـد الـلفـظـي^(٤)

حقيقةـه أن تكون الأـلـفـاظـ مـرـتـبةـ لاـ عـلـىـ وـقـقـ تـرـتـيبـ المـعـانـيـ ، فـيـفـسـدـ نـظـامـ
الـكـلـامـ وـتـأـلـيقـهـ بـسـبـبـ ماـ يـحـصـلـ فـيـهـ مـنـ تـقـدـيمـ وـتـأـخـيرـ وـنـحـوـ ذـلـكـ ، كـتـقـدـيمـ الصـفـةـ
عـلـىـ الـمـوـصـفـ ، وـالـصـلـةـ عـلـىـ الـمـوـصـولـ .

وـهـوـ مـذـمـومـ مـرـفـوضـ عـنـدـ أـهـلـ الـبـيـانـ لـأـنـ يـوـجـبـ اـخـتـالـ الـمـعـنـىـ وـاـضـطـرـابـهـ ،
وـذـلـكـ ضـدـ الـفـصـاحـةـ الـقـيـ هيـ ظـهـورـ وـإـبـانـةـ ، وـمـنـ ثـمـ قـالـ الـعـتـابـيـ : الـأـلـفـاظـ أـجـسـادـ
وـالـمـعـانـيـ أـرـوـاحـ ، إـنـماـ تـرـاهـاـ بـعـيـنـ الـقـلـوبـ ، فـإـذـاـ قـدـمـتـ مـنـهـاـ مـؤـخـراـ أوـ أـخـرـتـ
مـنـهـاـ مـقـدـماـ ، أـفـسـدـ الـصـورـةـ وـغـيـرـتـ الـمـعـنـىـ ، كـمـاـ لوـ حـوـلـ رـأـسـ الـمـوـضـعـ يـدـ
أـوـ يـدـ الـمـوـضـعـ رـجـلـ ، فـإـنـ الـخـلـقـةـ تـتـحـولـ وـالـخـلـيةـ تـتـغـيـرـ .

وـأـكـثـرـ مـنـ اـسـتـعـمـلـهـ الـفـرـزـدقـ وـكـانـ يـقـصـدـهـ لـأـنـ مـثـلـهـ لـأـنـ يـحـيـيـ إـلـاـ مـتـكـلـفـاـ ،
إـذـ لـوـ خـلـيـ الـإـنـسـانـ وـنـفـسـهـ تـجـرـيـ عـلـىـ سـجـيـتـهـ فـيـ الـاسـتـرـسـالـ لـمـ يـعـرـضـ لـهـ شـيـءـ مـنـ
هـذـاـ النـوـعـ ، فـنـ ذـلـكـ قـوـلـهـ يـدـحـ الـوـلـيدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ :

(١) هـاجـ ثـارـ وـرـسـمـ الدـارـ أـثـرـهـ وـتـعـفـتـ درـسـتـ وـاضـمـحلـتـ وـالـرـوـرـ مـوـضـعـ .

(٢) فـانـ تـقـدـمـ الضـمـيرـ لـفـظـاـ وـتـأـخـرـ مـعـنـىـ جـازـ نـحـوـ ضـرـبـ غـلامـ مـحـمـدـ ، وـكـذـاـ إـنـ تـقـدـمـ لـفـظـاـ
وـتـأـخـرـ حـكـمـاـ نـحـوـ فـعـمـ رـجـلـ عـلـىـ .

(٣) يـرـثـيـ مـطـعمـ بـنـ عـدـيـ أـحـدـ رـؤـسـاءـ الـشـرـكـيـنـ وـكـانـ يـدـافـعـ عـنـ النـبـيـ عـلـيـ الـصـلـةـ وـالـسـلـامـ .

(٤) قـدـ يـحـصـلـ التـعـيـدـ بـاجـتـيـاعـ عـدـةـ أـمـوـرـ مـوجـبـةـ لـصـمـوـبـةـ فـهـمـ الـمـعـنـىـ وـإـنـ كـانـ كـلـ مـنـهـاـ جـارـيـاـ
عـلـىـ قـانـونـ النـحـوـ ، فـلـاـ يـغـنـيـ ذـكـرـ ضـعـفـ التـأـلـيفـ عـنـهـ .

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب " تصاهره " ^(١)
يريده إلى ملك أبوه ليست أمه من محارب ، فقدم وأخر حق أبيهم المعنى .
وقوله في البيت المشهور الذي جرى مجرى المثل في التعقيد يمدح به إبراهيم
ابن هشام بن إسماعيل المزومي خال هشام بن عبد الملك :

وَمَا مِثْلَهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلِكًا أبوه حبي أبوه يقاربه ^(٢)

مراده : وما مثل هذا المدوح في الناس حبي يقاربه ويشبهه في الفضائل
إلا مملكاً أبو أم ذلك الملك أبو المدوح ، فيكون المدوح خال الملك ،
وخلاصة ذلك أنه لا يائله إلا ابن أخته .

فانظر رعاك الله كيف عقد المعنى ، وصار به إلى التعمية دون الأفصاح ،
ولهذا قال الرمانى : قد اجتمع في البيت أسباب الإشكال الثلاثة : سوء الترتيب
وبه تغير نظام الكلام ، وسلوك الطريق الأبعد في قوله : أبوه أمه أبوه ، وكان
يجزئه أن يقول : خاله ، وإيقاع مشترك الألفاظ في قوله : حبي يقاربه ، لأنها
لفظة تشترك فيها القبيلة والحي من سائر الحيوان بالحياة .

قال في المثل السائر ومن أقبح هذا النوع قول الآخر :

فأصبحت بعد خط بعثتها كان قفرا رسومها فلما ^(٣)

يريد فأصبحت بعد بعثتها قفرا كان قلما خط رسومها ، ففصل بين الفعل
الناقص وخبره ، وبين كأن واسمها ، وبين المضاف والمضاف إليه ، وقدم خبر
كأن عليها ، وعلى اسمها .

التعقيد المعنوي

هو خفاء دلالة الكلام على المعنى المراد من أجل ما عاقها من اللوازم البعيدة
والكتابيات المفتقرة إلى وسائل ، أو اللوازم القريبة الخفية العلاقة ، مع عدم

(١) محارب وكليب قبيلتان .

(٢) فصل فيه بين المبتدأ والخبر وهو أبو أمه أبوه بالأجنبي الذي هو حبي ، وبين الموصول
الصفة ، أعني حبي يقاربه بالأجنبي الذي هو أبوه ، وتقدم المستثنى أعني مملكاً على المستثنى
منه ، وهو حبي ، وفصل كثير بين البدل وهو حبي ، والبدل منه وهو مثلك .

(٣) الظاهر أنه يصف دياراً درست وعفت آثارها .

ظهور القرائن الدالة على المقصود ، فبعجز الكلام عن أداء المعنى ، كقول العباس ابن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدأ
يريد أنه يتتحمل الفراق وآلامه ، ويوطن النفس على الحزن والأسى ، عمله يحظى بوصل يدوم ، وسرور لا ينقطع ، فطالما نال الصابرون أمانهم ، وفرجت كروبيم . وهذا المعنى مطروق لهجت به ألسن الشعراء والكتاب ، قال عروة ابن الورد :

تقول سليمي لو أقت بأرضنا ولم تدر أني المقام أطوف
وقال أبو قاتم :

أكلفة النحيب كم افترق أم فكان داعية اجتماع^(١)

وقيل للربيع بن خيثم ، وقد صل ليلة حق أصبح : أتعبت نفسك ، فقال : راحتها أطلب .

إلا أن ابن الأحنف لم يتم له ما أراد على سن قويم ، فإنه كنى بما قصد بكلماتين أصحاب في أولاهما ، الحزن وطبق المفصل ، وأخطأ في آخرها وجه الحقيقة ، ولم يسلك المريح الواضح في الرمز والإيماء إلى ما أراد ، بيان هذا أنه دل بيديثاً بسكب الدموع على ما يلزم فرقة الأحباب من الحزن والكمد والتعب والنصب ، فأصاب شاكلاً الصواب ، فإن البكاء عنوان الحزن والأمارة الدالة عليه ، فيرمز به إليه حق قالوا : « أبكاني وأضحكني » على معنى سامي وسرفي ، كما قال الحاسبي :

أبكاني الدهرُ وبِرا ربِّا أضحكني الدهرُ بما يرضي^(٢)

ثم تلا ذلك فدل يحمود العين على ما يوجهه دوام التلاقي ، من الفرح والسرور ، لكن التوفيق لم يكن حليفه في هذا ، إذ الجمود إنما هو خلو العين من البكاء عند الداعية إليه ، فهو كنایة عن البخل بالدموع حين الحاجة إليها ، كما قال أبو عطاء يرشي أبي هبيرة :

(١) ألم نزل ، ولنحيب البكاء .

(٢) قبله : أنزلني الدهر على حكمه من شامخ عال إلى خفض .

ألا إن عيننا لم تجده يوم واسط عليك مجري دمعه ما جمود
 لا كنایة عن السرور لأنّه لو صع ذلك لجاز أن يدعى به فيقال : لا زالت
 عينك جامدة ، كما يقال : لا أبكي الله عينك ، ولا خفاء في بطلان ذلك ،
 كما يرشد إليه قول أهل اللغة : سنة جاد لا مطر فيها ونافة جاد لا لبن فيها ،
 على معنى أن السنة بخيلة بالقطر ، والنافة لا تسخو بالدر .

وهكذا حال الكنيات التي استعملها العرب ، لأغراض إذا غيرها المتكلم
 وأراد بها أغراضًا أخرى ، كما إذا استعمل قولهما : بيته كثير الجرزان ، كنایة
 عن وسخ المزول وسوء نظامه ، وقولهم : أبيض سر فالطباخ ، كنایة عن نظافة
 الطاهي وحسن هندامه ، كان ذلك خروجاً من سنن العرب واستعمالاتهم ، وعد
 ذلك تعقيداً، إذ هذا غير ما يتبادر إلى الفهم ، لأنّ العرب كانت بالأولى عن كثرة
 الطعام ، وبالثانية عن البخل .

تدريب أول

اذكر ما أخلّ بفصاحة الكلام فيما يلي :

- ١ - تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
- ٢ - لما رأى طالبوه 'مضيقاً' ذعرروا وقاد لو ساعد المقدور ينتصر
- ٣ - لو كنت كنت كنت السر كنت كما كما وكتَّ ولكن ذاك لم يكن
- ٤ - لما عصى أصحابه 'مضيقاً' أدوا إليه الكيل كيلا بصاع
- ٥ - ولم أر مثل جيراني ومثلي لشلي عند مثلهم 'مقام'

الاجابة

- ١ - في البيت تعقيد لفظي ، إذ تقديره : نكن يا ذئب مثل من يصطحبان .
- ٢ - فيه ضعف التأليف ، لأن الضمير في طالبوه يعود إلى مصبوب وهو متاخر لفظاً ومرتبة .
- ٣ - فيه تناقض في الكلمات ، أوجبه تكرار لفظ كنت عدة مرات .
- ٤ - فيه ضعف التأليف ، لأن الضمير في أصحابه يعود إلى مصبوب المتاخر لفظاً ومرتبة .
- ٥ - فيه تناقض في الكلمات ، سببه تكرار لفظ : مثل .

تدریب ثان

اذكر ما أخل بفصاحة الكلام فما يلي:

- ١ - ولذا اسم أغطية العيون جفونها
٢ - تجمعت في فؤادهم هم
٣ - ألا ليت شعري هل يلومن قومه
٤ - لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو
٥ - قبيل "أنتَ أنتَ" أو كنت منهم
٦ - جواب مسائلى الله نظير

الاجابة

- ١ - فيه تعقيد لفظي ، لأن تقديره من أجل أن العيون عوامل عمل السيف سميت أغطيتها جفونا .
 - ٢ - فيه تناقض ، أوجبه ثقل النطق بالهاء والميم مجتمعين في كلمتين .
 - ٣ - فيه ضعف التأليف ، لأن الضمير في قوله يعود إلى متاخر لفظاً ورتبة .
 - ٤ - فيه تناقض ، لثقل تأليف البيت وركرة صوغه .
 - ٥ - فيه تعقيد وتناقض ، لأن تقديره قبيل أنت على شرف قدرك ، أفت منهم ، وأنت أنت ، وإذا كنت أنت منهم وجدرك بشر فكفاهم بذلك فخراً .
 - ٦ - فيه تناقض ، أوجبه تكرار لا عدة مرات ، حق قال الصاحب بن عباد : ما قدرت أن مثل هذا البيت يلتج سمعاً ، وقد سمعت الفأفاء ولم أسمع بالللاء حق رأيت هذا المتكلف المتعسف الذي لا يقف حيث يعرف .

(١) تمرن

أذكر سبب خروج ما يأتي من الأساليب الفصحى :

- ١ - واذور من كان له زائرٌ وعاف عافي العرف عرفانه^(١)
 ٢ - لم تر من نادمت إلا كا لا لسوى ودك لي ذاكا

(١) اذور عدل وعاف كره والعافي طالب المعروف والعرف التوال والمطاء .

- ٣ - وبه يضن على البرية لا بها
 ٤ - هو السيف الذي نصر بن أروى به عمان مروان المصابا
 ٥ - ونهنت نفسي بعدهما كدت أفعله^(٢)
 ٦ - الطيب أنت اذا أصابك طيبة والماه أنت اذا اغتسلت الغاسل^(٣)

تمرين (٢)

- فلاقلَ عيسى كلامن فلاقل^(٤)
 سيفه دون عرضه مسلول
 ويجهل علمي أنه بي جاهل
 ووبي فلم يبذل ولم أتبذل^(٥)
 به نبتفي منهم عديلاً نبادله^(٦)
 بتجهن يفتئن غب تجني^(٧)
 ذات دل اذا رأت داودا^(٨)
 (١) وقلقت بالهم الذي قلقل الحشا
 (٢) ليس إلاك يا علي همام^{*}
 (٣) ومن جاهل بي وهو يجهل جهله
 (٤) صان اللثيم وصنت وجهي ماله
 (٥) فما من فتي كنا من الناس واحدا
 (٦) فتنتني فجنتني تجني
 (٧) زار داود أروى وأروى^{*}

فصاحة المتكلم

هي صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التعبير بما يحول في خاطره من الأغراض والمقاصد.

- (١) الصن البخل والبرية الخلق ، يوسي يحزن ، يريد أنه يدخل بالمدرج على الناس كلهم لا بهم يدخل عليه .
 (٢) نهنه كف وزجر :
 (٣) يريد أنك أطيب من الطيب وأطهر من الماء اذا اغتسلت به .
 (٤) قلقل حرك والحسنا داخل الجروف وقلقل الأولى جمع قلقة وهي الناقة السريعة والثانية جمع قلقة وهي الحركة ، وغير كلمن للعيش لا للقلقل ، والمعنى : سررت بسبب المم الذي حررك نفسي نوقاً حفافاً في السير سريعات الحركة .
 (٥) الأصل صان اللثيم ماله ووبي ، فلم يبذل وصنت وجهي ولم أتبذل .
 (٦) تقديره فيما فتي واحداً من الناس كنا نبتفي به عديلاً نبادله منهم ، أي أنه لا نظير له يكون عوضاً منه .
 (٧) تعجبني آخر المصراع الأول اسم امرأة وبتجهن ، أي بدعوى ذنب ، ويفتن بتوع ، وغب عقب .
 (٨) أروى اسم امرأة ، والدل الدلال .

وبتلك الصفة يتمكن من صياغة ضروب الكلام ، من مدح وهجاء وتهان ومراث ، وخطب محيرة ، ورسائل منمقة في الوعظ والإرشاد ، والفالخارات والمنافرات .

ولن يلغ شاعر أو ناشر هذه المنزلة إلا إذا كان ملماً باللغة كثيراً الأطلاع على كتب الأدب ، محبطاً بأسرار أساليب العرب ، حافظاً لعيون كلامهم من شعر جيد ونشر مختلف ، عالماً بأحوال الشعراء والخطباء ، و مجالس الملوك والأمراء ، محبطاً بعادات العرب وأخبار أيامهم .

البلاغة

تقع البلاغة وصفاً للكلام ، والمتكلم ، ولم يسمع وصف الكلمة بها .

بلاغة الكلام

بلغة الكلام مطابقته لقتضى الحال التي يورد فيها مع فصاحتها^(١) . ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين واعتبار طبقاتهم في البيان وقوة النطق ، فللسوقة كلام لا يصح غيره في موضوعه والفرض الذي يبني له ، ولسرأة القوم والأمراء فن آخر لا يسد مسداه سواه ، ولقد أفصح عن ذلك الخطيبية حين خاطب عمر بن الخطاب فقال :

تحنن على هداك الملك فإن لكل مقام مقلا

قال صاحب الصناعتين : وربما غلب سوء الرأي وقلة العقل على بعض علماء العربية ، فيخاطبون السوق والمملوك والأعجمي بالفاظ أهل مجده ، والسرأة كأبي علقة إذ قال طبيب : « أجد رئيساً في أسنانه وأرى رجعاً فيما بين الوابلة إلى الأطرة من دأبات العنق »^(٢) فقال له الطبيب (متهمكاً) : هل من وجع القرشى ؟ قال له : وما يبعدنا منهم يا عدى نفسه ، نحن من أرومة واحدة ونجعل واحد . قال الطبيب : كذبت ، وكلما خرج هذا الكلام من جوفك كان أهون لك . قال : بل لك الهوان والخسارة والسباب .

(١) فإذا قلت : فلان مستعد للامر ، لم يكن بليغاً .

(٢) الرئيس ابتداء الحمى إذا فتو الجسم ، والاسنان منابت الأسنان ، والوابلة طرف الكتف والأطرة كل ما أحاط بشيء ، ودأبات العنق نقارها .

وَمَا سُبِقَ تَعْلُمُ أَنْ :

- (١) الحال (المقام) هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى إبراد خصوصية في التركيب .
- (٢) المقتضى (الاعتبار المناسب) هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة .
- (٣) مقتضى الحال هو إبراد الكلام على ذلك الصورة .

فثلاً الوعظ حال ومقام يقتضي البسط والأطناب ، وذلك البسط مقتضى ، وإبراد الكلام على صورة الأطناب مطابقة للمقتضى .

وكذا كون المخاطب منكراً يوم البعث حال يقتضي التأكيد ، والتأكيد مقتضى ، وكونك تخاطبه بقولك « إن يوم الساعة لا شئ فيه » مطابقة لمقتضى الحال ، وهكذا مقام الذي يخالف في الخطاب مقام الغبي ، ومقام الذي ي بيان مقام الحذف ، لأن لكل منها من الاعتبارات واللطائف وما يخالف ضده .

مراتب البلاغة

بلغة الكلام متفاوتة ، لأن الألفاظ اذا ركبت لافادة المعانى المراده منها حصل لها بالتركيب صور مختلفة لا يحصرها العد ، لأن ترى أن طيبة الفرقه اذا كتبوا في موضوع واحد في منشئتهم تناولوا معانى متقاربة ، أو متشابهة ، لكنهم يتفاوتون في الأشياء الآتية :

- (١) العبارة التي ينشئونها .
- (٢) ترتيب المعانى .
- (٣) بسط الألفاظ أو إيجازها .

وكما كان المتكلم أكثر مراعاة للمقتضيات والاعتبارات ازداد الكلام حسناً وكلما كان أوفي بها كان أبلغ ، وبالعكس اذا قل وفاوه بتلك المخصوصيات المعتبرة عند البلفاء كان أقل مرتبة في البلاغة ، ولا يزال ينزل حتى يصل الى المرتبة السفلی ، فيتحقق عند البلفاء بأصوات الحيوان ، وإن كان صحيح الإعراب .

والمرتبة العليا وما يقرب منها هي مرتبة المجز ، وهو كلام الله تعالى الذي عجز البشر قاطبة أن يأتوا بأقصر سورة من مثله ، وقد نزل في أرقى المصور

فصاحة وأكملها بلاجة ، ومع ذلك وجم العرب ، وخرست شفاسةهم مع طول التحدي وشد النكير عليهم ، وحققت له الكلمة العليا .

ثم يليه في الرتبة كلام رسوله عليه السلام ، فقد أتي من جوامع الكلم ما حارت في أمره جمابندة الفصاحة وأساطين البلاغة ، ثم كلام البلماء من العرب جاهلين وإسلاميين .

شواهد

من فصيح الكلام تشرح أسرار الفصاحة وتبين مراتب البلاغة

القرآن الكريم هو الينبوع الذي لا يفيض ماؤه والشجرة التي لا ينقطع ثمرها والجديد الذي لا تبلى جدته ، فقد ضرب الأمثال ، وتفجرت منه ضروب الحكمة وقص علينا من أخبار الماضين وسير الغافرين مما فيه العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وبسط ذلك برائع الأساليب ، وبديع التراكيب ، انظر الى ما جاء فيه عند ذكر الحساب والصراط والميزان ، تجد اللقط الجزل ، والقول الفصل ، نحو : ﴿ وَنَفَخْتُ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ شَاءَ فُنْحَنَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يُنْظَرُونَ . وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضَعَ الْكِتَابُ وَجَيَّءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشَّهَادَةِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾^(١) . كما تجد السهل المهلل خطاباً لنبيه عليه السلام نحو : ﴿ وَالضَّحْيَ وَاللَّيلَ إِذَا سَجَى مَا وَدَعَكَ رَبَّكَ وَمَا قَلَّا ﴾^(٢) إِلَى آخرها .

وقد اغترفت السنة النبوية من ذلك البحر وقطفت من تلك الرياض فأوتيت من موجز الحكمة وجامع الكلم ما لا يزال مجده الرائد وكمبة القاصد ، فمن جزءها قوله عليه السلام : « يا بن آدم تؤتي كل يوم برزقك وأنت تحزن وينقص كل يوم من عمرك وأنت تفرح ، أنت فيها بكفيك ، وتطلب ما يطفئك ، لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع » .

(١) سورة الزمر .

(٢) سورة الضحى .

ومن مهللها وسهلها قوله عليه السلام : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل واعدد نفسك في الموتى ، فإذا أمسكت فلا تحدثها بالصباح ، وإذا أصبحت فلا تحدثها بالمساء ، وخذ من صحتك لسقتك ، ومن شبابك لهرسك ، ومن فراغك لشفلك » .

وإن شئت إياضحاً وبياناً ، وعلماً وعرفاناً ، فوازن بين قول النمر بن قولب يند الحياة :

فكيف ترى طول السلامه يفعل
ينوه اذا رام القيام ويحمل
يود الفق طول السلامه والفنى
يكاد الفق بعد اعتدال وصحه
وقول الفند الزمانى :

أيا تملئك يا تمل
وذات الطوق والحليل
ذرني وذرى عنى
فإنت العذل كالقتل

تجدد المدى واسعاً والهوة بينها سمحقة والتفاوت لا حد لغايته ، أو اقرن بين قول معن بن أوس في الفخر :

ولاحلتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصرى لها
وأعلم أني لم تصبني مصيبة
ولعمرك ما أهويت كفي لربة
وأعلم أني لا قد أصابت فقي قبلى
وقول بشار بن برد :

ربابة رببة البيت
تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات
ودبك حسن الصوت
ترى عجباً عاجباً وتقاوتنا في الصنعة لا يحتاج الى مراء أو جدل .

وإن شاقك أن تعرف فاخر الكلام ورصينه ، وما يسابق معناه ولفظه ،
ولفظه معناه ، وما لا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك ، وما قالوا
في مثل إنه يدخل في الآذان بلا استثنان فانتظر قول الرفاسي في العلة والاعتبار:
« سل الأرض من شق أنوارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تجبك حواراً
أجابتك اعتباراً ». وقول بعض الكتاب : مثلك أوجب حقاً لا يحجب عليه ،
وسمح بحق وجب له ، وقبل واضح العذر ، واستكثر قليل الشكر ، لازالت
أياديك فوق شكر أوليائك ، ونعم الله عليك فوق آمالهم فيك .

بلاغة^(١) المتكلم

هي ملكرة يقتدر بها على التصرف في فنون الكلام وأغراضه المختلفة ، ببديع القول وساحر البيان ، ليبلغ من المخاطب غاية ما يريد ، ويقع لديه الكلام موقع الماء من ذي الفلة الصادي ، وتلك الملكرة لا يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خبراً ، وعرف سفن تخاطبهم في منافراتهم ومفاخراتهم ومديحهم وهجوهم واعتذارهم وشكراً ، ليلبس لكل حال لبوسها ، ويراعي الخصائص والمقتضيات التي تناسبها .

انظر إلى النبي عليه السلام تجده راعي حال من يخاطبه ، فكتب إلى أهل فارس بما يسهل ترجمته ، فقال : « من محمد رسول الله إلى كسرى أبرويز عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، فأدعوك بداعية الإسلام فإني أنا رسول الله إلىخلق كافة ، لينذر من كان حياً ويحق للقول على الكافرين ، فأسلم تسلم ، فإن أبى فلائم المحسوس عليك » .

وكتب بضدتها إلى وائل بن حجر الخضرمي وقومه ففخم لهم اللفظ لما عرف من قضل قوتهم على فهمه ، وعادتهم ساع مثله فقال : « من محمد رسول الله إلى الأقىال العباة من أهل حضرة موت بإيقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، على النعمة الشاة ، والنعمة لاصحابها ، وفي السبوب الحسن ، لا خلط ولا ورط ، لا شناق ولا شفار ، ومن أجبى فقد أربى ، وكل مسكن حرام »^(٢) .

(١) قال صاحب الصناعتين : وصف المتكلم بالبلاغة من قبل التوسيع ، والمجاز ، وحقيقة بلغة الكلام كما تقول رجل حكم وتفني إحكام أعماله كما قال تعالى : « حكمة باللغة » فووصف الحكمة بالبلاغة ولم يصف بها الحكم .

(٢) الأقىال واحدة قيل بفتح القاف وهو الملك ، والعبابة الذين أقرروا على ملكتهم ، والنعمة الأربعون من النعم ، والنعمة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، والسبوب المأدن ، ولا خلط أي لا يخلط رجل إليه بابل غيره أو يقره ليمنع الصدقة ، والوراثة الخديعة والفضش ، والشاق ما بين الفريضتين حتى تتم ، والشاق أن يزوج كل واحد صاحبه امرأة على أن يزوجه أخرى بلا مهر ، والاجباء بيع الزرع قبل أن يمدو صلاحه .

متممات

أولاً : علمت مما سبق في بيان تعريف الفصاحة والبلاغة ، ما يعتور الكلام من العيوب ، ويزري بقيمةه ويحط من قدره ، فوجب أن تعرف بمَ تداوي هذه العيوب ، فتقول :

(أ) مخالفة القياس - يمكن تجنبها بالاطلاع على علم التصريف ، فهو الكفيل بمعرفة سن المفردات العربية ونحو استعمالها ، ألا ترى أن نافع بن أبي نعيم ، وهو من أكابر القراء السبعة قدرأ وأفخمهم شأنًا ، قال في معايش ، معاش بالهز ، مع أن الياء^(١) فيها ليست زائدة لأنها من العيش ، فعيوب عليه ذلك ، حق إن أبو عثمان المازني قال : إن نافعًا لم يدر ما العربية .

(ب) ضعف التأليف والتعقيد اللغطي - يتبعها بغير انتباه بـ ملاحظة قواعد النحو ، إذ هو الباحث عن كيفية استعمال المركبات على وجه الصواب . وقد يشذ عن قانونه الخاصة بلنه العامة فينزل كلامهم إلى الدرك الأسفل ويكون عرضة للقادح ، انظر ما وقع فيه أبو نواس حيث يقول في مدح الأمين :

يا خير من كان ومن يكون إلا النبيُ الطاهر الميون
فرفع المستثنى في موجب الكلام ، وبمعرفة هذا من ظواهر النحو لا من خواصيه .

(ج) الغرابة - يسهل التباعد عنها بالاطلاع على متن اللغة ، فإذا تتبع المتكلم مشهور الكتب وأحاطت بمعاني المفردات المألوفة ، عرف أن ما سواه مما يفتقر إلى بحث وتنقير ، أو تخريب على وجه بعيد فغريب .

(د) الأحوال ومقتضياتها - تعلم من دراسة علم المعانى .

(هـ) التعقيد المعنوي - يمكن التجاوز عنه بدراسة علم البيان .

(وـ) وجوه تحسين الكلام التي تكسوه طلاوة وتكتسبه رقة ، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة - تعرف من علم البديع .

(زـ) التناقض - وملأك معرفته الذوق السليم والشعور النفسي .

(١) ظن أن مفرداتها فعلية فبعضها على فعالي ، وليس كذلك ، بل هي مفعولة بكسر العين ، فأصلها مميضة بكسر الياء ، فياؤها ليست كياء صحيحة فلا تقلب في الجمع همزة .

ثانياً : علم البيان في اصطلاح المتقدمين اسم جامع للعلوم الثلاثة (المعاني والبيان والبدائع) وعليه قول الجاحظ : البيان اسم جامع لكل ما كشف المك المعنى ، وقول ابن المعتز : البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول .

بعض الأئمة يسمى الثلاثة علم البدائع لما فيها من بديع الصنعة ، كما يسمى بعضهم الأول علم المعاني ، والآخرين علم البيان .

ثالثاً : للمتقدمين في حدود البلاغة ورسومها ، كلمات مجملة تقرب لك ببعضها فصلناه ، منها قول محمد بن الحفيبة : البلاغة قول تضطر المقول الى فهمه بأيسر العبارة . وقول ابن المعتز : البلاغة البلوغ الى المعنى ولما يطل سفر الكلام ، وقول ابن الأعرابي : البلاغة التقرب من البغية ودلالة قليل على كثير . وقول بعضهم : هي قلة اللفظ ، وسهولة المعنى ، وحسن البداعية .

علم المعاني

هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وفق الفرض الذي سيق له ، فيه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، فنعرف السبب الذي يدعو الى التقاديم والتأخير ، والحدف والذكر ، والإيجاز حيناً والاطنان آخر ، والفصل والوصل ، الى غير ذلك مما سندكر بعد .

فمنه نعرف مثلاً :

- (١) أن العرب توجز إذ شكرت أو اعتذرت .
- (٢) أن العرب تطلب إذا مدحت .
- (٣) أن الجملة الاسمية تأتي لإفاده الثبات بمقتضى المقام .

فهي وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه لم يزع عن أساسياتهم ونهج تراكيزهم وجاء كلامه مطابقاً لمقتضى الحال التي يورد فيها ، فالشكر حال يقتضي الإيجاز وإيراد الكلام على هذه الصورة مطابقة لمقتضى الحال .

واضعة : أول من بسط قواعده الإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، فهو الذي هذب مسائله وأوضح قواعده ، وقد وضع فيه الأئمة قبله نتفاً كالجاحظ وأبي هلال العسكري ، إلا أنهم لم يوفقا الى مثل ما وفق اليه ذلكم الحبر الجليل .

فائدۃ

(١) الوقوف على أسرار البلاغة في منثور الكلام ومنظومه ، فتحتني
هذه حذوها ، وتنسج على منوالها ، ونعرف السر في افتخار النبي عليه السلام بقوله :
«أنا أفصحَ مِنْ نَطْقِ الْمُضَادِ» . وقوله : «أوتَّيْتُ جَوَامِعَ الْكَلْمَ وَأَخْتَصَرْتُ
الْكَلْمَ اِخْتَصَارًا» . ونفهم وجـه تعجب الصحابة من فصاحتـه عليه السلام ،
فقد روـي أنـ أبا بـكر رضـي الله عنـه قالـ لهـ : ما بالـك يا رسولـ اللهـ ؟ أـفصـحـنا
ولـم تـخرجـ منـ بـينـ أـظـهـرـنـاـ .

(٢) معرفة وجه إعجاز القرآن من وجه ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما استعمل عليه من عذوبة وجزالة ومسؤوله وسلامة، فنقتصر ببيانه وندرك السر في فصاحته، وكيف كان ممتعزة خالدة على وجه الدهر لا يبلها كر الجددين ولا مرور المئون.

وقد رقينا الكلام في هذا الفن على اثني عشر باباً :

الباب الأول في الخبر

و فيه خمسة مباحث

المبحث الأول في تعريف الخبر

الخبر ما احتمل الصدق والكذب لذاته ، قوله يدخل فيه الأخبار الواجبة الصدق ، كأخبار الله وأخبار رسله ، والواجبة الكذب كأخبار المتنبئين في دعوى النبوة ، والبيانات المقطوع بصدقها أو كذبها ، فكل هذه إذا نظر إليها لذاتها دون اعتبارات أخرى احتملت أحد الأمرين ، أما إذا نظر فيها إلى خصوصية في الخبر ، أو في الخبر تكون متعدنة لأحد هما ، وإن شئت فلت الخبر ما لا تتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو : الصدق فضيلة ، وإنفاق المال في سبيل الخير محمود . وبغض هذه التعرفيين الإنشاء .

صلة الخبر

لكل خبر تلفظ به نسبتان :

- (١) نسبة تفهم من الخبر ، ويدل عليها الكلام ، وتسمى النسبة الكلامية .
- (٢) نسبة أخرى تعرف من الخارج والواقع بقطع النظر عن الخبر وتسمى بالنسبة الخارجية ، فإن طابت النسبة الكلامية بالنسبة الخارجية في الإيجاب أو في النفي كان الكلام صدقا ، وإلا كان كذبا . مثلاً إذا قلنا : « الشمس طالعة » وكانت هي في الواقع والخارج كذلك سمى الكلام صدقا ، وإن لم تكن طالمة سمى الكلام كذبا ، فصدق الخبر إذا مطابقته الواقع والخارج ، وكذبه عدمها .

تنبيه

ما تقدم من المصار الخمس في الصادق والكاذب ، ومن تعريف الصدق والكذب بما ذكر هو مذهب الجمهور الذي عليه المعمول .

ويرى إبراهيم النظام ومن تابعه أن صدق الخبر مطابق لاعتقاد الخبر به ، ولو كان خطأ غير مطابق الواقع ، وكذبه عدمها ، فإذا قال قائل : الشمس أصغر حجماً من الأرض ، معتقداً ذلك ، كان صدقاً ، وإذا قال : الشمس أكبر من الأرض ، وكان غير معتقد ذلك ، كان كذباً .

واحتاج لذلك بوجهين :

(١) أن من اعتقد أمراً فأخبر به ، ثم ظهر خبره مخالفًا للواقع فإنه يقال : ما كذب ولكنه أخطأ ، كما روى أن عائشة قالت فيمن شأنه كذلك : ما كذب ولكنه وهم ، ورد بأن المفهوم عمداً الكذب لا الكذب ، بدليل تكذيبنا اليهودي إذا قال : الإسلام باطل ، وتصديقنا إياه إذا قال : الإسلام حق .

(٢) قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَشْهِدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) ، فقد كذبوا في قولهم : إنك لرسول الله ، وإن كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه . وأجيب عن ذلك بوجوه :

(أ) أن المفهوم نشهد شهادة وافتقت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يرشد إلى ذلك التأكيد بأن اللام والجملة الاسمية في قولهم : إنك لرسول الله ، فالتكذيب راجع إلى الشهادة باعتبار تضمنها خبراً كاذباً ، وهو أنها من صميم القلب ، وخلوص الاعتقاد .

(ب) أن التكذيب متوجه إلى تسمية إخبارهم شهادة ، لأن الإخبار إذا خلا عن الواطأة للاعتقاد لم يكن شهادة في الحقيقة .

(ج) أن المراد للكاذبون في قولهم : إنك لرسول الله ، لا في الواقع ، بل في زعمهم واعتقادهم لأنهم يعتقدون أنه غير مطابق الواقع ، فيكون كذباً باعتبار اعتقادهم ، وإن كان صادقاً في الواقع والحقيقة ، فكانه قبل إثباتهم يزعمون أنهم كاذبون في هذا الخبر الصادق .

ويرى تلبيذه الجاحظ أن الخبر غير منحصر في القسمين الصادق والكاذب ، بل الأقسام الثلاثة : صادق وكاذب وواسطة بينهما ، لأن الحكم إن طابق الواقع مع اعتقاد الخبر أنه مطابق فهو صدق ، وإن لم يطابق الواقع مع اعتقاده أنه

(١) سورة المنافقون .

غير مطابق ، فهو كذب ، وغير هذين^(١) ليس بصدق ولا كذب .
واحتاج لذلك بقوله تعالى : ﴿ افترى على الله كذباً أم به جنة ﴾^(٢) فقد حصر المشركون إخبار النبي بالحشر والنشر في الإفتاء ، والأخبار حال الجنون على طريق منع الخلو والاجتاع معًا . ولا شك أن أخباره حال الجنون ليس كذباً لجعلهم الإفتاء^(٣) في مقابلته ، ولا صدقاً لأنهم اعتقادوا عدم صدقه .
وقد رد هذا المعنى قوله : ﴿ أَمْ بِهِ جَنَّةٌ ﴾ أَمْ لم يفتر فيكون مرادهم أن أخباره ~~غافل~~^{غافل} إما مختلفة قصداً أو مختلفة بلا قصد ، فعبروا عن الأول بالإفتاء وعن الثاني بوجود الجنة لاستلزمـه^(٤) عدم الإفتاء ، وعلى هذا يكون حصر الأخبار في الإفتاء وعدمه من قبيل حصر الكذب في نوعية العمد وغيره لا حصر الخبر مطلقاً .

المبحث الثاني في تأليف الجمل

لكل جملة ركناً أساسيان لا بد منها في تكوينها (وما المسند إليه) وهو المبتدأ ونحوه (والمسند) الخبر ونحوه ، وما زاد عليهما من مفعول وحال وتمييز فهو قيد زائد إلا صلة الموصول والمضاف إليه :

المسند	فالمسند إليه هو
(١) المبتدأ المستغنـى عن الخبر	(١) فاعل الفعل التام نحو جاء على
(٢) خبر المبتدأ	(٢) المبتدأ الذي له خبر نحو الصدق نافع
(٣) أخبار النواسـخ كإن وكان وظن	(٣) أسماء الأدوات الناسخة نحو إن الصادق محظوظ
(٤) الفعل التام	(٤) فاعل الوصف نحو أمسافر أخوه
(٥) المفعول الثاني لظن وأخواتها	(٥) المفعول الأول لظن وأخواتها نحو أظن خدمة الوطن فضيلة
(٦) المفعول الثالث لأرى وأخواتها نحو	(٦) المفعول الثاني لأرى وأخواتها نحو أربت عليـاً الصدق نافعاً
(٧) اسم الفعل نحوـي بمعنى أعجب	

-
- (١) وهو أربعة أقسام : المطابقة مع اعتقاد عدم المطابقة ، أو بدون الاعتقاد أصلاً ، وعدم المطابقة مع اعتقاد المطابقة ، أو بدون الاعتقاد أصلاً .
(٢) سورة سباء الآية ٨ .
(٣) وهو الكذب .
(٤) على طريق المجاز المرسل ، فقد أطلق اسم المزرم وأراد اللازم .

المبحث الثالث في الفرض من القاء الخبر

الأصل في الخبر أن يلقي لأحد فرضين :

(١) إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجلة ، ويسمى ذلك فائدة الخبر ، نحو : حروب المستقبل جوية .

(٢) إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم ، ويسمى ذلك لازم الفائدة ، كـما تقول لشخص أخفى عليك سفره فعلته من طريق آخر : أنت سافرت أمس .

وربما لا يقصد من القاء الخبر أحد ذينك الفرضين ، بل يلقي لأغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام ، أهمها :

(أ) إظهار الأسف والمحسنة على فائدة نحو :

ذهب الذين يعيشون في أكتافهم وبقيت في خلف كجلد الأجراب

(ب) إظهار الضعف نحو :

فقد كنت عدي التي أسطوا بها ويدى اذا اشتد الزمان وساعدى

(ج) الاسترحام والاستعطاف نحو :

رب إني لا أستطيع اصطبارة فأعف عنـي يا من يقبل العثـارا

(د) التوبـيج كـما تقول للطالب المهمـل الذي رـسـبـ فيـ الـإـمـتـحـانـ : «ـأـنـتـ رـسـبـتـ فيـ الـإـمـتـحـانــ» .

(هـ) إـظـهـارـ الـفـرـحـ ، كـما يـقـولـ مـنـ نـجـحـ فيـ الـإـمـتـحـانـ مـاـنـ يـعـرـفـ ذـلـكـ : فـزـتـ فيـ الـإـمـتـحـانــ» .

(وـ) التـنشـيطـ وـتحـريـكـ الـهـمـةـ لـنـيلـ ماـ يـلـازـمـ تـحـصـيـلـهـ نحوـ : النـاسـ يـشـكـرـونـ الـمـحـسـنــ .

(زـ) التـذـكـيرـ بـماـ بـيـنـ الـمـرـاتـبـ مـنـ التـفاـوتـ نحوـ : لـاـ يـسـتـوـيـ كـسـلـانـ وـنـشـطــ .

(حـ) الـوعـظـ وـالـإـرـشـادـ نحوـ : ﴿ـكـلـ مـنـ عـلـيـهـ فـانـ﴾ (١) .

(١) سورة الرحمن الآية ٢٦ .

نموذج أول

اذكر ما يستفاد من هذه الأخبار:

- فأ عبس المخزون حتى تبسا
هم نسيي إذا انقطع الفمام^(١)
مقرأ بالذوب وقد دعاك
يدافع عن أحبابهم أنا أو مثلي
- (١) هناء حما ذاك العزاء المقدما
(٢) أصبحت بسادة كانوا عيونا
(٣) إلهي عبدك العاصي أنا كا
(٤) أنا القائد الحامي النمار وإنما
(٥) تقول للعاشر : المصباح في يدك
(٦) الحياة كطيف الخيال

الاجابة

- (١) الفرح بالمقبل ونسيان الأحزان المدبرة .
(٢) الأسف والحزن على فقدان أولئك السادة الأجداد .
(٣) الخشوع والضعف .
(٤) الفخر والشجاعة والحبة .
(٥) التوبية والتأنيب لوجود حال تقتضي ضد ما حصل .
(٦) العزة والاعتبار .

نموذج ثان

- والمحظ عني بالجهال في شغل
أهبت بالحظ لو تاذبت مستمعا
ذهب الشباب فما له من عودة
وأتأتي الشيب فأين منه المهرب
ما أنت بالذي يمول عليه
قيمة كل امريء ما يحسن
كل امريء بما كسب رهين
تقول لضيف زارنا الغيث

(١) كانوا يطلبون للاء اذا انقطع الغيث بالاشارة بذكر العظاء والأشراف .

الاجابة

- (١) الأسف والخسارة على فوات ما كان مرجواً .
- (٢) الأسف والخسارة على ما فات .
- (٣) التوبين وإغاظة المخاطب .
- (٤) تنشيط السامع ، وحثه على صالح العمل .
- (٥) الحث والتنشيط على العمل .
- (٦) الفرح والسرور بقدمه .

تمرين (١)

ماذا يراد من هذه الأخبار:

- (١) ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(١)
- (٢) وأنت الذي ربّيتَ ذا الملك مرضعه وليس له أم سواك ولا أب
- (٣) ذل من يفْبَطُ الذليل يعيش رب عيش أخفٌ منه الحمام
- (٤) تقول لمن يحيث على الحرب: الحرب متلفة للمباد . ذهابه بالطارف والنلاذ .
- (٥) يقول الطالب لأهله: نلت الجائزة الأولى .
- (٦) يقول الناجر الذي خسر: ضاعت أتعابي سدى .
- (٧) أودى الشباب بما له منقفر وفقدت أترابي فـأين المغبـر^(٢)؟

تمرين (٢)

- (١) كل نفس ذاتنة الموت .
- (٢) ويطعمون الطعام على جبه مسكوناً ويتيناً وأسيراً .
- (٣) الظلم ظلمات يوم القيمة .
- (٤) من حفر حفرة لأنبيه المؤمن وقع فيها .
- (٥) مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلّت
- (٦) رزئنا أبا عمرو ولا حي مثله فله ريب الحادثات بين وقع
- (٧) دفينا بك الأيام حق اذا أنت تريديك لم نسطع لها عنك مدفعاً^(٣)

(١) سورة فصلت الآية ٤٦ .

(٢) المنقرن التبع ، والأتراب جمع ترب ، وهو من في سنك ، والمغبر المهرب .

(٣) مدفناً أي دفنا .

المبحث الرابع في طريق إلقاء الخبر

من مزايا اللغة العربية دقّة التعبير واختلاف الأساليب ، بتنوع الأغراض والمقاصد ، فمن الخطأ عند ذوي المعرفة البسط والأطناب ، اذا لم تكن الحاجة ماسة اليه ، والإيحاز حيث تطلب الزيادة ، وقد خفيت هذه الدقائق على الخاصة بلئه العامة ، ويرشد الى ذلك ما رواه الثقات من أن المتفاسف الكثيري ركب الى أبي العباس المبرد ، وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشوأ ، فقال أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبدالله قائم ، ويقولون أن عبدالله قائم ، ثم يقولون أن عبدالله لقائم ، فالآلفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الآلفاظ ، فالاول إخبار عن قيامه والثاني جواب عن سؤال سائل والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الآلفاظ لتكرر المعاني ، فما أحجار المتفاسف جواباً .

ومن هنا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بقدار الحاجة لا زائداً عليها ، وإلا كان عيناً ، ولا ناقصاً وإلا أخل بالفرض ، وهو الإفصاح والبيان ، وتعلم أيضاً أن المخاطب لا يخلو من أن يكون واحداً من ثلاثة :

(١) خالي الذهن من الحكم ، ومن التردد فيه فيلقي اليه الكلام ساذجاً غافلاً من أدوات التوكيد التي سترد عليك ، ويسمى هذا الضرب ابتدائياً ، نحو : محمد مسافر .

(٢) المتعدد في ثبوت الحكم وعدمه بـألا يترجح عنده هذا على ذلك ، وحينئذ يحسن تقوية الحكم بـكذلك ليزيل ذلك التردد ، ويسمى هذا الضرب طليباً . ويرى عبد القاهر أنه إنما يحسن التوكيد إذا كان للمخاطب ظن على خلاف حكمك ، وله ت Shawf إلى الوقوف على الحقيقة ، فيحسن تقوية الحكم له بـأن ونحوها ليتمكن المعنى المراد في نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره .

ثم قال : ومن ثم يحسن موقع إن اذا كان الخبر بأمر يبعد في الظن مثله لأن المادة جرت بخلافه كقول أبي نواس :

عليك باليأس من الناس إن غنى نفسك في اليأس
لما كان في مجرى العرف والمعادة ألا يدع الناس الطمع والرجاء ويحملوا أنفسهم
على اليأس ويعملوا فيه الغنى كما ادعى ، أكده بأن .

(٣) النكر للحكم ، وهذا يحيب أن يؤكده الكلام بقدر إنكاره ، قوله
وضعفًا، ذلك أن المتكلم أحوج ما يكون إلى الزيادة في تثبيت خبره إذا كان هناك
من ينكره ويدفع صحته ، فهو حينئذ يبالغ في تأكيده حق يزيل إنكاره ، يدل
على ذلك ما قصه الله تعالى علينا حكاية عن رسول عيسى عليه السلام حين بعثهم إلى أهل
أنطاكية فكذبوا لهم فقالوا لهم في المرة الأولى : ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُون﴾^(١) وفي
الثانية : ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ أَنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُون﴾^(٢) فأكذبوا لهم أولاً بأأن واسمية الجملة ،
و ثانياً بالقسم (إذ ربنا يعلم في حكم ، علم الله وشهد الله) وان اللام والجملة الاسمية
لما رأوا من شديد إنكارهم ، ويسمى هذا الضرب إنكارياً^(٣) .

والجروي على هذا المنهج والسير على تلك الطريق في الأضرب الثلاثة يسمى :
إخراج الكلام على مقتضى الظاهر .

وقد يلاحظ المتكلم اعتبارات أخرى خفية ، فيخرج كلامه على اعتبارها ،
ويسمى ذلك إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، ولذلك صور كثيرة منها :

(١) أن ينزل غير السائل منزلة السائل ، فيؤكده الكلام إذا تقدم ما يشير
إلى حكم الخبر فتستشرف نفسه وتقطع إليه استشراف الطالب المتعدد ، وذلك
كثير في القرآن الكريم وكلام العرب ، نحو قوله تعالى : ﴿وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الدِّينِ
ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُون﴾^(٤) فحين تقدم قوله : واصنع الفلك بأعيننا ، قوله :
ولاتخاطبني ، صار المقام مقام تردد بأن القوم هل حكم عليهم بالإغراف ؟ فقيل :
إنهم مغرقون ، وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنْ زَلَّةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ﴾^(٥) . وقوله : ﴿وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَاتُكَ سَكُنٌ لَهُم﴾^(٦) .

(١ و ٢) سورة يس الآية ١٤ و ١٦ .

(٣) واعتبارات التفسي كاعتبارات الآيات في مجرد عن المؤكدات في الابتدائي ويقوى بموكد
استحساناً في الطلب ويجيب التوكيد في الإنكار .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٤٧ .

(٥) سورة الحج الآية ١ ، فإن أمرهم بالتقى يشير إلى جنس الخبر الآتي بعده وأن هناك
أهراً لا تؤمن التقى من فزعها في ذلك اليوم ، فكان المقام مقام تردد في أنه هل هناك أمامهم
أمر مهم يقع لهم أن لم يتقوا ، فقيل أن زلالة الخ ، وهكذا يقال فيما بعده .

(٦) سورة التوبه الآية ١٠٣ .

وقول بعض العرب :

إن عناء الإبل الحداء
ففتها وهي لك الفداء

وقول بشار :

بكرًا صاحبي قبل المغير
إن ذاك النجاح في التكبير

(٢) أن ينزل من لا ينكر الخبر منزلة من ينكروه تهكمًا به إذا لاح عليه شيء
من أمارات الإنكار كقول حigel بن نصلة القيسى ، وهو من أولاد عم شقيق:
جاء شقيق عارضاً رحمة إنبني عملك فيها رماح

فمجيء شقيق هكذا مدلأً بنفسه معجبًا بشجاعته ، وأضاع رحمة عرضاً^(١) ،
دليل على صلفه وزهوه ببسالته ، واعتقاده أنه لن يجد مقاوماً منبني عم ،
حق كأنهم عزل ليس معهم ما يدافعون به ، ومن ثم نزله منزلة المنكر ،
وخطابه بالشطر الثاني خطاب التفاتات بعد غيبة ، تهكمًا به ، ورميًّا له بالنزق ،
وخرق الرأي .

(٣) أن يحمل المنكر كأنهم غير منكر ، فلا يعتقد بإإنكاره ، لأن أمامه من
الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة ، ما فيه مقنع له لو أزال تلك الشاشة عن
عينيه والتفت إلى ما يحيط به ، وعليه قوله تعالى خطاباً لمنكري الوحدانية :
﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَإِنَّدُّهُمْ بِهِ﴾^(٢) إذ العقل قاض بأن تعدد الآلهة يقتضي تحالف
أفعالهم لاختلاف علومهم وإرادتهم ، وكل منهم له التصرف في السموات والأرض ،
والقدرة على إيجاد المكنونات فتضارب أفعالهم ويفسد نظام الكون ، والشاهد
أنه على أتم نظام ، فهو الواحد لا شريك له .

(٤) أن ينزل العمال بالفائدة ولا زمها منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب
العلم (وهو العمل به) كما تقول من يسيء إلى أبيه ويقوس عليه : هذا أبوك
فأحسن إليه . فكأنك تقول له : إن هذه المعاملة لتدل على أنك تحمل أبوته لك .
وهذا كل اعتبارات الإثبات ، وقس عليه اعتبارات النفي كقولك : ليس
زيد منطلقًا وبنطلق ، ووالله ليس على المنطلق ، وهكذا .

(١) بأن يجعل الرمح على فخديه وهو راكب بخيت يكون عرضه جهة العدو .

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٣ .

تہذیبات

(١) التوكيد تكين الشيء في النفس وتقويته، لإزالة الشكوك وإيمانه الشبهات بما أنت بصدق الإخبار عنه، المراد به في هذا الباب تأكيد الحكم، لا تأكيد المسند إليه، ولا تأكيد المسند، فلو قلت: على نفسه قائم، أو جاءه على، لا يكون بما نحن فيه.

(٢) التوكيد في الجمل الإسمية يكون بـأَنْ ، أَوْ بـأَنْ ، وـاللَّام ، أَوْ بـأَنْ وـاللَّام
والقسم كما قد عرفت ، وفي الجمل الفعلية يكون بـقَدْ ، أَوْ بـقَدْ وـالقسم ، كقول
العُبَيْسَى بْنَ مَرْدَاسْ :

لقد عظِّمَ البعير بغير لبٍ فلن يستفِن بالعُظم البعير

(٣) المؤكّدات المشهورة هي : إن ، أن ، لام الابتداء ، نونا التوكيد ، القسم ، أمـا المشرطـية ، أحـرف التـنفيـه ، أحـرف الـزيـادة ، ضـمير الفـصل ، تـقدـيمـيـفـالـفـاعـلـيـفـالـمعـنىـ ، نحوـ : مـحمدـ يـقـومـ ، السـينـ وـسـوفـ الدـاخـلـاتـانـ عـلـىـ فعلـ دـالـ عـلـىـ وـعـدـ ، أوـ وـعـيدـ ، نحوـ : سـأـمـنـحـ المـجـتـهدـ جـائـزةـ ، وـسـأـعـاقـبـ المـسـيـءـ ، قـدـ الـتـيـ للـتحقـقـ ، تـكـرـرـ النـفـيـ ، إـنـماـ .

(٤) الخطاب بالجملة الإسمية وحدتها كمد من الخطاب بالجملة الفعلية ، فإذا أريد مجرد الأخبار فقط أنتي بالفعلية ، وإن أريد التأكيد فبالإسمية وحدتها ، أو بها مع إن أو بها وباللام ثم بالثلاثة والقسم .

هذا والتأكد كما يأتي في الخبر يأتي في الإنشاء كقول الشاعر :

هلا تعن بوعـد غير مخلفة كـما عـهـدتـكـ فـيـ أـيـامـ ذـيـ سـلـامـ
ولـكـنـ لـاـ يـكـونـ فـيـ لـدـقـعـ التـرـدـدـ ،ـ أوـ الإـنـكـارـ ،ـ لـكـنـ لـدـلـالـتـهـ عـلـىـ استـبعـادـ
الـحـكـمـ مـنـ الـخـبـرـ ،ـ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ ﴿ـ رـبـ إـنـ قـومـيـ كـذـبـونـ ﴾ـ (١)ـ .ـ

(٥) من فوائد إن غير التوكيد :

(أ) ربط الجملة بما قبلها ، كيما تقدم في قوله : إن غناء الإبل الحداء ، فلو أسقطت إن ، لم يقل إلا بالفاء ، فيقال : فغناء الإبل الحداء .

١١٧) سودة الشعراء الآية .

(ب) تهيئة النكارة وصلاحيتها ، لأن تكون مسندًا إليه كقوله :

إن دهرًا يلف شملي بسعدي لزمان يوم بالإحسان

(ج) غناها عن الخبر في بعض الموضع كقولهم : إن مالاً ، وإن ولداً ، وإن عدداً يريدون إن لهم مالاً ، وإن لهم عدداً ، وعليه قول الأعشى :

إن مَحْلًا وإن مُرْتَجِلًا وإن في السفر إذ مضوا مهلاً^(١)

(د) الدلالة على أن الظن كان من المتكلم في الذي كان أنه لا يكون كقولك للشيء هو برأي ومسمع من المخاطب : إنه كان من الأمر ما ترى ، وأحسنت إلى فلان ثم إنه جعل جزائي ما ترى ، وعليه قوله تعالى : ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْشَى﴾^(٢) . ﴿رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونَ﴾^(٣) . قاله عبد القاهر في «دلائل الإعجاز» .

(ه) أن لضمير الشأن معها حسنة لا يكون بدونها ، نحو : أنه من يتقى وبصبر . أنه من يعمل سوءاً يحيز به . أنه لا يفلح الكافرون .

تدريب أول

اذكر أضرب الخبر فيما يلي ، وبين المؤكدات التي في كل جملة :

- (١) ما أَنْ نَدَمْتُ عَلَى سَكُوتِي مَرَّةً ولقد ندمت على الكلام مراراً
- (٢) وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنْوِي بِنِي وحسبك أن الله أثني على الصبر
- (٣) فِي الْحَدَاثَةِ عَنْ حَلْمٍ بِعَانَةٍ قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
- (٤) وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبْلَتْ نَصِيْحَتِي والنصح أغلى مما يُباع ويُوهَب
- (٥) فِي يَوْمٍ عَلَيْنَا وَيَوْمٍ لَنَا وَيَوْمٍ نُسَرَّ
- (٦) وَإِنِّي لَحَلُوْتُ لَعْنِي مَرَّةً وَإِنِّي لَتَرَأَكَ لَمَّا لَمْ أَعُودُ

(١) تقدير العذوف إن لنا في الدنيا محل ، ولنا عنها إلى الآخرة مرتعلا .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٦ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١١٧ .

الاجابة

الضرب	المؤكّدات	الجملة	الرقم
طليبي	إن الزاندة	ما أن ندمت	(١)
إنكاري	لام القسم وقد	ولقد ندمت	
إنكاري	إن ولام الابداء	إني لصبار	(٢)
طليبي	أن	وحسبي أن الله الخ	
طليبي	باء الزاندة	نما الحداثة الخ	(٣)
طليبي	قد	قد يوجد الخ	
إنكاري	القسم وقد	ولقد نصحتك الخ	(٤)
طليبي	التكبير	في يوم الخ	(٥)
ابتدائي		والنصح أعلى الخ	
إنكاري	إن ولا الابداء	واني لحلو الخ	(٦)
إنكاري	إن ولا الابداء	واني لترك الخ	

تدريب ثان

- (١) إن الحياة ثوب سوف يخلعه وكل ثوب إذا ما رث ينخلع
- (٢) أنتك الخلافة منقادة إليك تجرر أذى لها
- (٣) إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حكمة
- (٤) قد يدرك الشرف الفقى ورداؤه خلق
- (٥) ألا إن أخلاق الفتى كزمانه منهن بيض في العيون وسود

الاجابة

الضرب	المؤكّدات	الجملة
إنكاري	أن ولام الابداء	إن الحياة ثوب الخ
ابتدائي		وكيل ثوب الخ
ابتدائي		أنتك الخلافة الخ
إنكاري	إن ولام الابداء	أن من البيان سحراً
إنكاري	إن ولام الابداء	إن من الشعر لحكمة
طليبي	قد	قد يدرك الشرف الفقى الخ
إنكاري	حرف النسبة وان	ألا إن أخلاق الفتى كزمانه
ابتدائي		منهن بيض في العيون وسود

تمرين (١)

- من أي الأضرب الجمل الآتية ، وأيها جرى على خلاف مقتضى الظاهر؟
- ١ - ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ ^(١).
 - ٢ - ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا يَخْوِفُهُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٢).
 - ٣ - قال أبو بكر رضي الله عنه : أن البلاء موكل بالمنطق .
 - ٤ - ﴿لَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَأَرِيبٍ فِيهِ﴾ ^(٣).
 - ٥ - الإسلام حق .
 - ٦ - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَيَتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبَعَّذَنُونَ﴾ ^(٤).

تمرين (٢)

- (١) ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليأس
- (٢) ^{﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾} ^(٥).
- (٣) إن على سائلنا أن نسأله والعبء لا تعرفه أو تحمله
- (٤) ولقد علمت لتأتين منيتي إن المزايا لا تطيش سهامها
- (٥) إن السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات الخلب السبع
- (٦) هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن سعادته أزمان

المبحث الخامس في الجملة الاسمية والفعلية

ما تمس الحاجة إلى معرفته ، الفرق بين الجملة الاسمية والفعلية في الاستعمال ،
لوعورة المسارك ودقة الصنع ، إذ قلما يفطن له الفصحاء ذوو الدراسة في المنطق ،
وببيان ذلك أن الجملة قسمان :

-
- (١) سورة القصص الآية ٢٦ .
 - (٢) سورة يومن الآية ٦٢ .
 - (٣) سورة البقرة الآيات ١ و ٢ .
 - (٤) سورة المؤمنون الآية ١٦ .
 - (٥) سورة آل عمران الآية ١٠١ .

(١) اسمية وتفيد بأصل وضعها ثبوت الحكم فحسب ، بلا نظر إلى تجدد ولا استمرار ، فلا يستفاد من قولنا : على مسافر ، سوى ثبوت السفر فعلاً لعلى دون نظر إلى تجدد ولا حدوث ، فالمعنى فيه شبيه بالمعنى في قولنا : محمد طويل ومحمود قصير ، فكما لا يقصدها هنا إلى أن يجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث ، بل يقصد إيجابها ونفيها فقط ، كذلك لا يتعرض في قولنا : على مسافر لأكثر من إثباتات السفر فعلاً لعلى .

ولكن قد تحف بها قرائن أخرى تستفاد من سياق الكلام ، كأن يكون في معرض مدح أو ذم أو حكمة ، أو نحو ذلك ، فتفيد الدوام والاستمرار حينئذ ، وعليه قول النضر بن جويرية يتمدح بالغنى والكرم :

لا يألف الدرهم المضروب صرتانا لكن يمر عليها وهو منطلق^(١)

فهو يريد أن دراهمهم دائمة الانطلاق تمرق من الكيس مروقة السهام من قسيها لتوزع على المعوزين وأرباب الحاجات ، كما يرشد إلى ذلك ما قبله :

إنا إذا اجتمعتم يوماً دراهمنا ظلت إلى طرق المعروف تستبق

ونظيره قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَمَلِي خَلْقٌ عَظِيمٌ﴾^(٢) ، فسياق الحديث في معرض المدح دال على إفاده الاستمرار والدوام .

(٢) فعلية ، وقدل بأصل وضعها على التجدد في زمن معين مع الاختصار ، فلا يستفاد من نحو : طلعت الشمس ، إلا إثبات الطلوع فعلاً للشمس في زمن مضى.

تفسير هذا أن الفعل يدل على أحد الأزمنة الثلاثة بذاته لا بقرينة^(٣) خارجة عنه ، وهذا الزمن الذي هو أحد مدلوليه (مدلوله الثاني الحدث) لا تجتمع أجزاءه في الخارج ، بل تتصرم وتتنقض شيئاً فشيئاً ، ومن ثم كان الفعل مع إفادته الزمن يفيد أيضاً تجدد الحدث وحصوله بعد أن لم يكن ، بخلاف الاسم ، فإنه إنما يدل على الزمن المعين بقرينة أخرى ، كأن يقال : أمس أو الآن أو غداً .

(١) الصرة كيس الدرهم .

(٢) سورة القلم .

(٣) أما احتياج الفعل المضارع إلى قرينة في تعين الحال أو الاستقبال فهو تعين للمواضد لا تعين للزمن لأنه دال عليه بالوضع .

وقد تفيد الاستمرار التجدد شيئاً فشيئاً بمعرفة القراءن اذا كان الفعل مضارعاً ، ومن بين في ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّا سَخْرُونَا الْجِبَالَ مَعَهُ يَسْبِحُونَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(١) ، فالقصد الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال آنما إثر آن ، وحالاً بعد حال . ونحوه قول طريف بن تميم العنبرى يتمدح بحراته وشجاعته :

أَوْ كَلَمًا وَرَدَتْ عَكَاظٌ قَبِيلَةٌ بَعْثَوْا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّمُونَ^(٢)

إذ يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ليتفرس في وجوه القوم مرة بعد أخرى ، ويتوسمها وقتاً بعد وقت ، لعله ينتدي إلى معرفتي . وقول المتنبي :

تَدْبِرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْقُرْبَ كَفَهُ وَلَيْسَ لَهَا يَوْمًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلٌ

فقرينة المدح تدل على أن تدبیر الملك ديننه وحاله المستمرة التي لا يحيط عنها .

نبهات

١ - الجملة الاسمية إنما تفيد الدوام والثبات بقربينة المقام اذا كان خبرها مفرداً أو جملة اسمية ، نحو : محمد كريم ، على أبوه جواد . أما اذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد .

٢ - المسند قارة يكون مفرداً فعلاً كان أو اسم ، وطوراً يكون ظرفاً للاختصار ، نحو : البركة في البكور . وحينما يكون جملة للأسباب الآتية :

(أ) اذا قصد تقوية الحكم بتكرير الإسناد ، نحو قول المتنبي :

وَاللَّهُ يَسْعَدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَهُ وَيُزِيدُ مِنْ أَعْدَانِهِ فِي آلِهِ

(ب) اذا قصد قصر الحكم وتحصصه بالمسند ، نحو: أنا سعيت في حاجتك ، أي لا غيري .

(ج) اذا كان سبباً أي جملة معلقة على مبتدأ يعائد لا يكون مسندأ إليه في تلك الجملة ، نحو: محمد أخيه نبيه - إبراهيم نجح ابنه .

(١) سورة ص الآية ١٨ .

(٢) عكاظ أكبر الأسواق العربية التي كانت من أسباب تهذيب اللغة ، وفيها كانوا يجتمعون للتغافر والتنافر ليلاً ولتصريح المتأجر نهاراً .

تدريب أول

بيان فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التركيب الآتية :

- ١ - قال تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾^(١).
- ٢ - نروح ونندو حاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
- ٣ - وعلى إثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام
- ٤ - الحلف منفعة للسلعة بمحنة للبركة ^(٢)
- ٥ - يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه ، أمن الحلال أم من الحرام
- ٦ - وتحي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحي التبسم والجدا ^(٣)

الاجابة

الابصاح	ما تفيده	نوعها	الجملة
إذ محو بعض الخالق وإثبات البعض مستمر متجدد	الاستمرار التجديدي	مضارعية اسمية	يَمْحُوا اللَّهُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ
أم الكتاب اللوح المحفوظ والقرينة قوله: وحاجة من عاش لا تنقضي لأن خيرها فعل القرينة حالية وهي الحزن والأسى	الدائم الاستمرار التجديدي	اسمية مضارعية	نَرُوحُ وَنَنْدُو وَحاجة من عاش الخ
القرينة حالية وهي الحزن	تفيد التجدد الاستمرار التجديدي	اسمية مضارعية	عَلَى إِثْرِهِمْ تِسْاقِطُ
القرينة حالية وهي الذم	الاستمرار الدائم	اسمية مضارعية	وَذِكْرُهُمْ لِي سَقَمٌ
بقرينة المدح	الاستمرار التجديدي	مضارعية مضارعية	الحلف منفعة يأتي على الناس الخ وتحي له المال

(١) سورة الرعد الآية . ٣٩

(٢) نفقت السلعة راجت في السوق ، والمحق الزوال.

(٣) الصوارم السيف والقنا الرماح والجدا العطاء .

تدريب ثان

- ١ - سلام على القبر الذي لا يحيينا ونحن نعيي ربنا ونخاطبه
- ٢ - لا خير في ود امرئ متعلق حلو اللسان وقلبه يتلهب
- ٣ - ﴿إِنْ رَبِّكَ لِبِلَارْصَادٍ﴾^(١)
- ٤ - ثمرة القناعة الراحة ، وثمرة التواضع الحبة
- ٥ - لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار باليفاع تحرق
- ٦ - الأرض مظلمة والنار مشورة منذ كانت النار

الاجابة

الابضاح	ما تفيده	نوعها	الجملة
بقرية الحرث والأسى لأن خبرها فعل لأن العقام للذم.	الدoram	اسمية	سلام على القبر
بقرية الاستاد إلى الله تعالى	التجدد	اسمية	ونحن نحي
بقرية أنها حكمة	الدoram	اسمية	لا خير في ود امرئ
بقرية الملح في معرض الحكمة	التجدد والحدوث الاستمرار التجدي	اسمية ماضوية مضارعية	ان ربك الخ ثمرة القناعة الخ لعمري لقد لاحت الخ حرق
	الدoram	اسمية	الأرض مظلمة

تمرين (١)

بيان ما يستفاد من الجمل فيما يلي واذكر أضرب الخبر:

- ١ - فدعوت ربى بالسلامة جاهداً ليصحني فإذا السلامة داء
- ٢ - ﴿وَيَوْمَ كَشْفُنَّ السَّهَابَ بِالْفَهَامِ وَنُزَلَّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا، الْمُلْكُ يُومَئِذٍ الْحَقُّ لِرَحْنِنِ﴾^(٢).
- ٣ - يهوى الثناء مبز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان

(١) سورة الفجر الآية ١٤ .

(٢) سورة الفرقان الآيتان ٢٥ و ٢٦ .

- ٤ - بلْ اجتمعَ الْمَلِكُ الْمَبْدُ شَمَاءَ وَضَمَتْ قَوَاصِ مَنْهُ بَعْدَ قَوَاصِي
- ٥ - ﴿إِنَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)
- ٦ - العين ترى كل شيء ، ولا ترى نفسها إلا بمرآة .

تمرين (٢)

- ١ - يكفِكُفْ غَيْلَةً إِحْدَى يَدِيهِ وَيَسْطُطْ لِسْلُوْبَ عَلَى أُخْرَى
- ٢ - الْمَجْدُ عَوْفِيٌ إِذْ عَوْفِيَتِ الْكَرْمُ
- ٣ - السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءِ الْكِتَابِ
- ٤ - لِيَسَ الزَّمَانُ وَإِنْ حَرَصْتَ مَسَالَمًا
- ٥ - وَالشِّيخُ لَا يَتَرَكُ أَخْلَاقَهُ
- ٦ - هَنَاءُ مَا ذَاكَ الْعَزَاءُ الْمَقْدَمَا فَهَا عَبْسُ الْمَخْزُونِ حَقُّ تَبَسِّمَا

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

الباب الثاني في الإنشاء

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول في تعريف الإنشاء

الإنشاء في اللغة الإيجاد والاختراع في الاصطلاح يطلق بأحد إطلاقين :

١ - المعنى المصدري وهو إلقاء الكلام الذي ليس لنسبيته خارج تطابقه أو لا تطابقه .

٢ - المعنى الاسمي وهو نفس الكلام الملقى الذي له الصفة المقدمة .
وينقسم باعتبار الأول إلى :

(١) طبلي وهو خمسة ^(١) أنواع : الأمر والنهي والتمني والاستفهام والنداء ، ويعرف بأنه ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب .

(٢) غير طبلي وهو ما يستدعي مطلوبًا حاصلًا .

وأنواعه كثيرة ، منها صيغ المدح والذم ، نحو : نعم الخليفة عمر ، وبشّر الظالم الحجاج ، والعقود كبعت واشترت ووهبت ، والقسم نحو : ثالث لاصدقك ، والتعجب نحو : ما أجمل الصدق ، والرجاء بعسى ولعل ونحوهما نحو : لعل الله يأتي بالفرج ، ورب وكم الخبرية .

والذى يتم البليغ بالبحث عنه هو القسم الأول ^(٢) لأن فيه من المزايا واللطائف ما ليس في القسم الثاني .

(١) لأن الطلب إن كان غير متوقع الحصول فهو التمني وإن كان متوقعاً ، فاما حصول صورة شيء في الذهن فهو الاستفهام وإما حصول صورة شيء في الخارج فان كان انتقاماً فهو النهي ، وإن كان ثبوتاً فاما بآخر النداء فهو المنادي ، وإما بغيرها فهو الآخر .

(٢) ولأن كثيراً من الإنشاءات غير الطلبية أخبار في الأصل نقلت إلى الإنشاء .

المبحث الثاني في التعمي

هو طلب حصول شيء محبوب لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلًا ،
قول المتنى :

فليت وقارك فرقته وحلت أرضك ما تحمل

واما لكونه بعيد التتحقق والحصول نحو : (ه) يا ليت لنا مثل ما أوتي
فارون إن له حظ عظيم)^(١) ، فإن كان منتظر الحصول قريب الوجود
كان ترجياً ويعبر فيه بعسى ولعل . قوله :

عسى الله أن يحرري المودة بيننا ويصل جبلاً منكم بحالها

وقوله :

تأن ولا تمجل بلومك صاحباً لعل لـه عنـراً وأنت تلـوم

وقد يعبر فيه بليت كقول قريط من بلثعنبر يـجو قـومـه :

فليـتـ لـيـ هـمـ قـوـماـ إـذـاـ رـكـبـواـ شـدـواـ الإـغـارـةـ فـرـسـانـاـ وـرـكـبـاـ

وألفاظ التعمي أربعة : واحدة أصلية ، وهي ليت ، وثلاثة ثانية عنها ، وهي :

١ - (هل) نحو : (ه) هل)^(٢) لنا من شفاء فيشفعوا لنا)^(٣) ويبذر بها
التمفي في شكل المستفهم عنه الذي لا يجزم باتفاقه ، إظهاراً لكتاب العناية به
حق لا يستطيع الآتيان به إلا في صورة الممكن المطموء في وقوعه .

٢ - (لو) نحو : (ه) لو)^(٤) أن لنا كرمة فنكون من المؤمنين)^(٥) ،
ويتمنى بها إشعاراً يعزه التعمي حيث أبرز في صورة ما لا يوجد)^(٦) .

٣ - (لعل) ويتمنى بها إذا كان المرجو بعيداً مبنوساً من حصوله ، فصار
شبيها بالحالات والمكائن التي لا طباعية في حصولها ، نحو :
أسراب القطا هل من يعبر جناحه لعلـيـ إـلـىـ الـمـلـىـ أـطـيرـ

(١) سورة القصص الآية ٧٩ .

(٢) دليل أنها للتعمي أنهم يعلمون عدم الشفيع .

(٣) سورة الشوراء الآية ١٠٢ .

(٤) دليل أنها للتعمي نصب الجواب والكرة والترجمة .

(٥) سورة الأعراف الآية ٥٣ .

(٦) لأن لو بحسب أصلها حرف امتناع .

(تنبيه) يُتمنى بهلا وألا ولو لا ولو ما ، وهي ألفاظ مركبة من هل ولو مع لا وما ، والشرط ألا هلا ، قلبت الماء هزة ، لتتبين دلالتها على التعمي ، ويزول احتمال الاستفهام والشرط ، ويتحول من التمني معنى التنديم في الماضي ، نحو : هلا^(١) سافرت ، ومعنى التحضيض في المستقبل ، نحو : هلا تخلص في عملك^(٢) .

ولاستعمال هذه الأدوات في التمني ينصب المضارع في جوابها .

تہذیب

بيان الأدوات التي تفيد التمني والتي تفسد الترجي في التراكيب الآتية :

- فَهَا كُلِّبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ
تَأْتِي عَلَى حِسْبِ الْمُعْصِيَانِ فِي الْقَسْمِ
مِنَ الْبَعْدِ مَا بَيْنِي وَبَيْنِ الْمَصَابِ
فَعَلَتْ كَمَا الْجَهَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
وَرَبِّا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعَلَلِ
أَكُونُ رَفِاقًا لَا عَلَيْهِ وَلَا لِيَ
فَيَخْبُرُ بِالذِّنَابِ أَيْ زِيرٍ^(٣)

لَيْتَ الْمَدَائِعَ تَسْتَوِي مَنْسَاقَهُ
لَعِلَّ رَحْمَةً رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
فِيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنِ أَحْبَبِي
فَلِيَتَكَ إِذَا لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبُو تِي
لَعِلَّ عَتَّبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبَهُ
فِيَا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي وَمِمْعَشِي
فَلُو نَشَرَ الْمَقَابِرَ عَنْ كُلِّبٍ

^(٤) هَلْ إِلَى مُرْدَةٍ مِنْ سَبِيلٍ

المبحث الثالث في الاستفهام

الاستفهام هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به ، بأداة من إحدى أدواته وهي : الهمزة وهل ومن ومتى وأين وأنى وكيف وكم وأي .

وتنقسم بحسب الطلب ثلاثة أقسام :

(١) فالمعنى ليتك سافت .

(٢) تقصى حثه على الاخلاص.

(٣) قاله مهلل في رثاء أخيه كليب وذلك أن مهللا زير نساء ولا يأخذ بنار ، فلما أدرك
نار أخيه قسأ ذلك ، والذائب موضع ، وأي رفع على الابتداء ، والذير محدرف ، فكأنه :
أي زير أنا .

(٤) إِذْ أَهْلُ النَّارِ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا مُرْدُ لهُ ، الْآيَةُ ٤٤٠ من سورة الشورى .

- ١ - ما يطلب به التصور ثارة ، والتصديق أخرى ، وهو المهمزة .
- ٢ - ما يطلب به التصديق فحسب وهو هل .
- ٣ - ما يطلب به التصور فحسب ، وهو الباقي .

الكلام على المهمزة

للهمزة حالتان :

١ - أن تكون لطلب تصور المفرد ومعرفته ، كطلب معرفة المسند إليه ، أو المسند أو غيرها فتقول : أَمْسَافِرْ أَمْ مُحَمَّدْ ، اذا كنت تعتقد أن أحدهما مسافر ، ولا نعلم عينه فتطلب تعينه فتجاب بأنه محمود مثلاً ، وتقول : أَمْسَافِرْ مُحَمَّدْ ، أَمْ مَقِيمْ ؟ فتجاب بأنه مقيم مثلاً . وهذه المهمزة لا يليها إلا المسؤول عن سواء أكان :

(أ) مسندأً كما تقول : أَبْنَيْتُ الدَّارَ الَّتِي كُنْتُ أَزْمَعْتُ أَنْ تَبْنِيهَا ؟ أَفْرَغْتَ من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ تبدأ في مثل هذا بالفعل ، لأنك متربّد بين وجوده وانفائه .

(ب) أَمْ مسند إليه نحو : أَلْأَنْتَ ابْتَكَرْتَ هذه الخطبة ؟ أَلْأَنْتَ بَنَيْتَ هذه الدار ؟ تبدأ في هذا بالفاعل ، لأنك لم تشك في الفعل أنه كان ، وكيف يحول الشك بخاطرك وأنت قرئ داراً مبنية ، وتشير إلى خطبة مكتوبة ، وإنما أنت تشك في الفاعل من هو ، فلو قلت : أَلْأَنْتَ أَنْشَأْتَ الخطبة التي كان في نفسك أن تكتّمها ، خرّجت عن سفن التخاطب ، وكذا لو قلّت : أَبْنَيْتَ هَذِهِ الدَّارَ ، أَقْلَتَ هَذَا الشِّعْرَ ، تكون قد قلت مما لا يصح أن يقال لفساد أن تقول في شيء مشاهد نصب عينيك موجود أم لا .

(ج) أَمْ مفعولاً نحو : أَلِيَايِ تَرِيدْ ؟

(د) أَمْ حَلَّاً نحو : أَمْسِتَبْشِرَاً جَاءَ عَلَى .

(هـ) أَمْ ظرفاً نحو :

أَبْعَدَ بْنِ عَمْرُو أَسْرَءَ بَعْلَى
مِنَ الْمَيْشِ أَوْ آسَى عَلَى إِثْرِ مَدْبُرٍ
وَهَكَذَا قِيَاسُ سَائِرِ الْمَعْلُوقَاتِ .

(تنبيه) يجوز أن يذكر مع همزة التصور معادل بعد لفظ أَم كما تقدم ، ويجوز حذفه ، نحو : أَرَاغْبَ أَنْتَ فِي إِنْجَازِ حَاجَتِي ، إِذْ قَدِيرُه : أَمْ رَاغِبٌ عَنْهَا وَكَارِهٌ إِنْجَازَهَا .

٢ - أن يطلب بها التصديق أي إدراك نسبة يتردد المقل بين ثبوتها ونفيها ، والكثير أن يكون ذلك بجملة فعلية نحو : أَقْدَمْ صَدِيقَكَ ؟^(١) ويقال أن يكون بجملة اسمية نحو : أَفَادَمْ صَدِيقَكَ ؟ ويجاب في هذين بلا أو بنعم .

ويتسع أن يذكر مع هذه معادل ، فإن جاءت أَم بعدها قدرت منقطعة بمعنى بل^(٢) .

اللام في هل

هل حرف اطلب التصديق فحسب أي معرفة وقوع النسبة أَم عدم وقوعها فتقول : هل قدم أخوك من السفر ؟ فتجاب بنعم أو بلا .

ولأجل اختصاصها بالتصديق لأصل الوضع :

١ - امتنع أن يذكر معها معادل بعد أَم ، لأن ذلك يؤدي إلى التناقض ، فإن هل تفيد أن المسائل جاهل بالحكم ، لأنها اطلبه ، وأَم المتصلة تفيد أن السامع عالم به ، وإنما يطلب تعين أحد الأمرين ، فإن جاءت بعدها أَم كانت منقطعة بمعنى بل التي تفيد الأضراب كقول قتيلة ترثي أبيها النصر : هل يسمع النصر إن ناديتها أَم كيف يسمع ميت لا ينطق

٢ - وقبح استعمالها في التراكيب التي هي مظنة العلم بضمون الحكم ، نحو : هل محمدًا كلامت ؟ إذ تقديم المعمول على الفعل يكون للتخصيص غالباً^(٣) وهذا يفيد علم المتكلم بالحكم ، وإنما يطلب المخصوص فحسب ، وحيثند تكون هل لطلب تحصيل ما هو حاصل وهو عبث .

(١) فقد تصوّرت القدوم والصديق والسبة بينها وسألت عن وقوع النسبة بينها هل هو محقق خارجاً ، فإذا قيل : قدم ، حصل التصديق ، فالسائل في مثل هذا يطلب تعين النسبة .

(٢) لم نر شاهداً عربياً يؤيد استعمال أَم بعد همزة التصديق ، بل سمع ذلك بعد هل فقط .

(٣) ومن غير الغالب يكون التقدم للاهتمام بالقدم وحيثند فلا يفيد التقديم العلم بالحكم .

تنبيهات

١ - هل كالسين وسوف تخلص المضارع للاستقبال، فلا تستعمل فيها هو للحال فلا يقال : هل تنهر هذا وهو أبوك ، بل يقال : أتهر هذا وهو أبوك .

٢ - الراجح أن توصل هل بفعل لفظاً أو تقديرأً ، نحو : هل يقدم هاشم من السفر ؟ وهل هاشم يقصد من السفر ؟ وذلك لاختصاصها بالتصديق وتخلصها المضارع للاستقبال ، فإن عدل عنها إلى الاسمية كان ذلك لنكتة تلاحظ لدى البلغاء (وهي جمل ما يحصل كأنه حاصل موجود اهتماماً بشأنه) ومن ثم كان قوله تعالى : ﴿فَهُلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾^(١) أدل على طلب شكر العباد من : (أَفَأَنْتُمْ شَاكِرُونَ^(٢) فَهُلْ شَكِرُونَ ، فَهُلْ أَنْتُمْ شَكِرُونَ^(٣)) .

٣ - هل نوعان :

(أ) بسيطة^(٤) وهي ما يستفهم بها عن وجود الشيء أو عدم وجوده نحو : هل الخل^٥ الوفي^٦ موجود ؟

(ب) مركبة ، وهي ما يستفهم بها عن وجود شيء لشيء ، نحو : هل المريخ مسكون ؟

٤ - علم مما سبق أن همزة التصور يليها المستوى عنه ، وليس كذلك همزة التصديق وهل ، لأن السؤال بها إنما يكون عن النسبة .

٥ - بين الهمزة ، وهل الفروق الآتية :

لا تدخل هل على

(أ) النفي فيمتنع هل لم يسافر على .

(ب) المضارع الذي للحال فيمتنع هل تختقر عليه وهو مؤدب ؟

(ج) الشرط فيمتنع هل إن نجحت أكafa .

(١) سورة الأنبياء الآية ٨٠ .

(٢) لأن الجملة وإن كانت اسمية تقيد الثبوت لكن هل أدعى لل فعل من الهمزة فتركه معها أدل على كمال المعنوية بحصول ما سيتجدد .

(٣) إذ هي داخلة على الفعل تقديرأً لأن أنتم فاعل فعل محدود يفسره المذكور .

(٤) اذا اعتبر في هذا وجود الخل فقط ، بخلاف الذي يعده ، فإنه يلاحظ فيه وجود المريخ وسكناه ، ولهذا ساع أن تسمى الاولى بسيطة والثانية مركبة .

- (د) إن فيمتنع هل إنك مسافر .
- (هـ) حرف المطف، فيمتنع هل . فيتقدم بعد ذلك وتدخل المءزة على جميع ما ذكر .

من وما

- (من) يطلب بها تعين أحد المقلاء ، نحو : من شيد الهرم الأكبر .
- (ما) للاستفهام عن غير المقلاء ، وهي أقسام :
- (أ) ما يطلب بها إيضاح الاسم وشرحه ، نحو : ما **الْجِنِّينُ**؟ فيجاب بأنه الفضة .
- (ب) ما يطلب بها بيان حقيقة ^(١) المسمى نحو : ما الحسد؟ فيجاب : بأنه تزي زوال نعمة الحسود .
- (ج) ما يطلب بها بيان حال الشيء نحو قوله قادم عليك وأنت لا تعرفه : ما أنت؟ وقول المتنبي :
- لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوِي مَنَاقِبَهِ فَيَا كَلِيبُ وَأَهْلَ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ

متى وأيان وأين وأنى

- (مق) يطلب بها تعين الزمان ماضياً كان أو مستقبلاً ، نحو : متى قدمت؟ ومتى تاسفـ؟
- (أيان) يطلب بها تعين الزمان المستقبل خاصة ، وتكون في مقام التفخيم والتهويل ، نحو : **يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ^(٢) .
- (أين) يطلب بها تعين المكان نحو : أين تاسفـ؟
- (أنى) تكون :

- (أ) بمعنى كيف ، نحو : أنى تقدم الصناعة ، ولم تعرها الأمة عناء؟
- (ب) بمعنى من أين نحو : أنى لك هذا المال ، وقد عهديك معدماً؟
- (ج) بمعنى متى ، نحو : أنى يفيض نهر النيل؟

(١) تقع هل البسيطة في الترتيب بين الأولى والثانية، لأن الترتيب الطبيعي يقتضي أن يطلب أولاً شرح الاسم ثم وجود الشيء معرفة ماهيته وحقيقة .

(٢) سورة القيامة الآية ٦ .

كيف كم وأي

(كيف) يطلب بها تعين الحال ، نحو : كيف التعليم بصر؟

(كم) يطلب بها تعين عدد منهم ، نحو : كم مملكة اشتركت في الحرب العظمى؟

(أي) يطلب بها تعين أحد المترشحين في شيء يعمها نحو : أي البلدين أذنا جو القاهرة أم الإسكندرية؟ وهي بحسب ما تضاف إليه فيسأل بها عن الزمان والمكان والحال والعدد ، إلى غير ذلك ، في أي يوم تسافر؟ في أي مكان تقim؟ أي صاحبيك أحسن خلقاً أَمْ عَلَى ؟ بأي ذنب قتلت؟

(تنبيه) قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن أصل وضعها فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض تستفاد من سياق الحديث ودلالة الكلام ، أهمها :

- ١ - الاستبطاء ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَزُلُّزِلُوا حَقٌّ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَقْنُصُ اللَّهِ ﴾^(١) . وقول أبي العلاء :
- إِلَامَ وَفِيمْ تَنَقَّلَنَا رَكَابٌ وَتَأْمَلُ أَنْ يَكُونَ لَنَا أَوَانٌ^(٢)
- ٢ - التعجب ، نحو : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ﴾^(٣) . وقول الآخر :

أَنْشَا يَنْزِقُ أَثْوَابِي يَؤْدِبِنِي أَبْعَدُ شَيْئاً عَنِي الْأَدِبَاءِ

٣ - التنبيه على ضلال الخطاطب ، نحو : فَأَنِّي تَذَهَّبُونَ^(٤) ؟

- ٤ - الوعيد والتخييف ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يُهْلِكْ الْأُولَئِنَّ ﴾^(٥) .
- ٥ - الأمر ، نحو : ﴿ فَهُلْ مِنْ مُدْكَرٌ ﴾ ، نحو : أتصون يديك عن الأذى؟

(١) سورة البقرة الآية ٢١٤ .

(٢) إل متى تسير هذه الطايسا وترجو أن يكون لنا وقت نجزبها فيه على إحسانها بنا .

(٣) سورة المائدة الآية ٨٤ .

(٤) فليس المقصود الاستفهام عن مذهبهم بل التنبيه عن ضلائم وأنه لا مذهب لهم ينبعون به .

(٥) سورة الرسلات الآية ١٦ .

٦ - النهي ، نحو: ﴿الخشونهم فالله أحق أن تخشوه﴾^(١) .

٧ - التقرير بحمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلحاده إليه .

وحكم المهمزة فيه حكمها في همة الاستفهام من إيلاء المقربة المهمزة ، فإذا قلت : أفعلت هذا ؟ كان غرضك أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وإذا قلت : أأنت فعلت هذا ؟ كان غرضك أن تقرره بأن هو الفاعل ، وعليه قوله تعالى حكاية عن قوم نحود: ﴿أأنتَ فعلتَ هذا بآهتنا يا إبراهيم﴾^(٢) إذ غرضهم أن يقرّ لهم بأنه قد كسر أصنامهم لا أن يقرّ لهم بأنه هل حصل كسر ، يدل على ذلك جواب إبراهيم بقوله : ﴿بل فعله كبيرُهم هذا﴾^(٣) ، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أم لم أفعل .

٨ - الإنكار ، ويشترط فيه أن يلي المنكر المهمزة ، ويكون:

(أ) إما للتوضيح على الفعل بمعنى ما كان ينبغي أن يكون كقوله تعالى: ﴿أنتمرونَ الناسَ بالبرِّ وتنسونَ أنفسكم﴾^(٤) وأما بمعنى لا ينبغي أن يكون كقولك للرجل يربك الخطر: أتخرج في هذا الوقت؟ والغرض في مثل هذا قنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع عن فعل ما هم به .

(ب) وإما للتکذیب في الماضي بمعنى لم يكن ، نحو: ﴿أفاصطافاكم ربكم بالبنینَ واتخذنَ من الملائكة إثنايْ﴾^(٥) : ﴿اصطفي البناتِ على البنينَ﴾^(٦) أو في المستقبل بمعنى لا يكون نحو: ﴿أنزلتمكموها وأنتم لها كارهون﴾^(٧) .

وقول أمري ، القيس :

(١) سورة التوبه الآية ١٣ .

(٢ و ٣) سورة الأنبياء الآيات ٦٢ و ٦٣ .

(٤) سورة البقرة الآية ٤٤ .

(٥) سورة الاسراء الآية ٤٠ .

(٦) سورة الصافات الآية ١٥٣ .

(٧) أي أنزلتمكم تلك الجعة وتفسرتم على قبولها وأنتم كارهون لها .

أيقتلني والمرء في مضاجعي
ومسنونة "زرق" كأنباب أغوال^(١)
وقول الآخر :

أترك أن قلت درهم خالد زيارته إني إذا لست
ومن بغيه المهمزة للإنكار قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ﴾^(٢).
وقول جرير :

الستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح^(٣)
إذ المعنى : الله بكاف عبده ، وأنتم خير من ركب المطايا ، لأن نفي التفوي
إثبات ، وهذا مراد من قال : إن المهمزة فيه للتقرير ، أي للتقرير بما دخله النفي ،
لا للتقرير بالاتفاق .

٩ - التهمك ، نحو : أرأيك يرشدك إلى ماتقول ؟ وعليه قوله تعالى :
﴿أَصْلَاتَكَ تَأْمِرُكَ أَنْ تَرْكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾^(٤) . وقوله :

وما أدرى ولست إخال أذري أقوم آل حصن أم نساء
١٠ - الاستبعاد ، نحو : أني يرى ذلك وهو أكمه ، وعليه قوله تعالى :
﴿أَنِّي لَهُمُ الْذَّكْرَى وَقَدْ جَاءُهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْهُ عَنْهُ وَقَالُوا مَعْلُومٌ
مَجْنُونٌ﴾^(٥) .

١١ - التهويل ، نحو : ﴿القارعة﴾ القارعة وما أدرك ما القارعة^(٦).

١٢ - التتحققير ، نحو : أهذا الذي كنت تطنب في مدحه ، أهذا الذي كنت
تركتن إليه .

١٣ - التعظيم ، نحو قول أبي نواس :

(١) الشرقي منسوب إلى مشارف اليمن ، وهي بلاد تعمل فيها السيف وسهام مسنونة حادة
النصال ، وزرق صافية مجلولة كأنباب الأغوال في الحدة .

(٢) سورة الزمر الآية ٣٦ .

(٣) المطايا جمع مطية ، وأندى من الندى وهو الكرم ، والراح جمع راحة باطن الكف .

(٤) كان شميب كثير الصلوات اذا رأه قومه تضاحكوا واستهزموا به (سورة هود الآية ٨٧).

(٥) سورة الدخان الآية ١٣ .

(٦) القارعة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم وبه سمي يوم القيمة (سورة القارعة) .

فَإِنْ فَتَى بَعْدَ الْخُصُبِ تَزُورٌ^(۱)

اذا لم تطا أرض الخصيف ركابنا

١٤ - النفي :

بما كان فيها من بلاء ومن خفـض

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي

١٥ - التمني، نحو:

هل بالطول لسائل رد؟ أم هل لها بتكلم عمد.

١٦ - التشویق ، نحو : ﴿أَدْلِكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ نَّتَجْيِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢).

١٧ - التكثير ، نحو قول أبي العلاء المعرى:

صاحب هذه قبورنا تملأ الرحمة بـ فؤان القبور من محمد عاد

١٨ - التسوية ، نحو : ﴿ سواءً علينا أو عَطْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنْ الْوَاعِظِنَ ﴾^(٣).

تدریب اول

وندعب والموت لا يطع

١- أنلام و أيامنا تذهب

إذا كنت تنتبه وغيرك مهدم

٢ - متى يبلغ البنيان يوماً عامه

من بعد ما عرف الخلائق شانى

٣ - فعلم يلتئم العدد مساعي

ورأى أمير المؤمنين جمل

٤ - وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى

ودون الذي أملأ منك حجاب

٥ - وهل نافعٍ أن ترفع الحجب بيننا

لیوم کریمہ و سداد نفر

٦- أضاعوني وأي فتى أضاعوا

وكان قليلاً من يقول لها أقدمي

٧ - ومن مثل كافور إذ الخيل أحجمت

وهل ذهب الابريز ملکیہ بہرج

٨ - متى يستقيم الظل والعود أعوج

(١) الخصيـب من ولاة مصر .

(٢) سورة الصاف الآية ١٠

(٢) سورة الشعراه الآية ١٣٦ .

الاجابة

- (١) التوبيخ يعني لا ينبغي أن يكون .
- (٢) النفي أي لا يبلغ القام مطلقاً .
- (٣) الاستبعاد .
- (٤) النفي أي لا أخاف الفقر .
- (٥) النفي .
- (٦) التعظيم لشأنه .
- (٧). التعظيم لشأن المدوح .
- (٨) النفي .

تدريب ثان

- ١ - في الحق أن يعطى ثلاثة شاعرًا ويحرم ما دون الرضا شاعرًا مثلـي
- ٢ - أعني وقد مارست كل خفية يصدق واس أو يخيب سائل
- ٣ - فدع الوعيد فما وعیدك ضائري أطنين أججحة الذباب يضرـ(١)
- ٤ - ومن ذا الذي يدلـي بمدرـ وحجـة وسيـف المـنـايا بـين عـينـيه مـصلـتـ(٢)
- ٥ - ومن ذا الذي ترضـي مـجاـيـاهـ كـلـها كـفىـ المرـءـ نـبـلاـ أـنـ تـعدـ مـعاـيـبهـ
- ٦ - أـلمـ تـرـ أـنـ اللهـ أـعـطاـكـ سـورـةـ تـرىـ كـلـ مـلـكـ دـونـهاـ يـتـذـبذـبـ

الاجابة

- (١) الإنكار وبيان أن ذلك ما كان ينبغي أن يكون .
- (٢) التهمـ أو الإنـكارـ لاـ يـنـبغـيـ أنـ يـكـونـ .
- (٣) التـحقـيرـ لـشـأنـ الـخـاطـبـ بـضـربـ الـمـثـلـ .
- (٤) التعـظـيمـ لـشـأنـ ذـلـكـ المـوقـفـ .
- (٥) التعـظـيمـ لـشـأنـ ذـلـكـ الجـامـعـ الجـمـيلـ الـغـصـالـ .
- (٦) التـقرـيرـ وـبـيانـ أـنـ قـدـ أـعـطـيـ الـبـطـشـ وـالـقـوـةـ .

(١) الطـنـينـ صـوتـ أـجـنـحةـ الذـبـابـ ،ـ وـيـضـرـ يـضـرـ .

(٢) مـصلـتـ مـسـلـولـ .

تدريب ثالث

سل عما يأقى :

- (١) حال الزراعة بالسودان .
- (٢) مكان اصطياد الحيوانات المفترسة .
- (٣) معنى القند .
- (٤) مخترع البرق الأثيري (التلغراف اللاسلكي) .
- (٥) مُدخل زراعة القطن بمصر .
- (٦) موسم الحج وإقامة شعائره .
- (٧) عدد الناجحين في الامتحان .
- (٨) ترددت في مجيء علي في عربة أو سيارة .
- (٩) ترددت في زرع القطن في ينابير أو فبراير .
- (١٠) الفائز في لعب الكرة الخديوية ، أو التوفيقية .

الاجابة

- (١) كيف الزراعة بالسودان ؟
- (٢) أين تصطاد الحيوانات المفترسة بالسودان ؟
- (٣) ما القند (عسل السكر) ؟
- (٤) من اخترع البرق الأثيري ؟
- (٥) من أدخل زراعة القطن بمصر ؟
- (٦) متى موسم الحج ؟
- (٧) كم الناجحون في الامتحان ؟
- (٨) أفي عربة جاء على أم في سيارة ؟
- (٩) أفي ينابير أم فبراير يزرع القطن ؟
- (١٠) الخديوية فازت أم التوفيقية ؟

تمرين أول

بيان المعاني التي تستفاد من الاستفهام في الجمل الآتية :

- (١) قال تعالى : هُوَ أَمْ نُرِبِّكُ فِينَا وَلِيدًا)١١(.

(١) سورة الشوراء الآية ١٨ .

- (٢) ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَرَكَ سَدِّي﴾^(١)
 (٣) ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَلَمْ يَسْتَنِي بَشَرٌ﴾^(٢).
 (٤) أَلَيْسَ لِي مَلْكُ مَصْرُ وَهَذَا الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي .
 (٥) هَلْ عَلِمْتَ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ .
 (٦) أَلَا تَحْبُّونَ أَنْ يَقْرَئَ اللَّهُ لَكُمْ .
 (٧) أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا .
 (٨) أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا .

تمرين ثان

- في مراسِ لم أَبْلُغُ الْيَوْمَ رَشْدِي
 أَرَأَيْتَ عَيْنَاهُ لِلْبَكَاءِ تَمَارِ
 يَا سَمَاءَ مَا طَارَلَتْهَا سَمَاءٌ
 مِنْ ذَا يَقِيسُ بِهِمْ بَنِي الْأَشْرَافِ
 الشَّمْسُ لَا تَخْفِي مَعَ الإِشْرَافِ
 مَا قَوْمَهُ مَا يَوْمَهُ مَا الْمَصْرُعِ
 فَقَدْ سَرِي بِجَهِيلَتِ الْقَوْمِ رَكْبَانٍ
 أَمْ لَيْلَ عَرْسٍ أَمْ بَسَاطَ سَلَافِ
- ١ - أَتَرَانِي وَقَدْ طَوَيْتِ حَيَاتِي
 ٢ - مِنْ ذَا يَعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِيْهَا
 ٣ - كَيْفَ قَرَقَى رَقِيقُكَ الْإِنْبِيَاءِ
 ٤ - شَرْفُ الْعَصَامِيَّينَ صَنْعُ نَفْوِهِمْ
 ٥ - مَالِيْ أَرَاكَ تَنْكِرُونَ مَكَانِي
 ٦ - أَيْنَ الَّذِي الْهَرْمَانُ مِنْ بَنِيَاهِ
 ٧ - أَعْنَدُكُمْ نَبَأً عَنْ أَهْلِ أَنْدَلُسِ
 ٨ - مَا أَنْتَ يَا دُنْيَا أَرْوَيَا نَائِمٌ

تمرين ثالث

سلِّ عَما يَأْتِي :

- (١) إِقَامَةُ مَهْرَجَانِ الْمَوْلَدِ النَّبُوِيِّ .
 (٢) شَكَّكْتُ فِي اسْمِ الْمَأْمُونِ .
 (٣) حَالُ الْمَعَادِنِ بِعَصْرِ .

(١) سورة القيمة الآية ٣٦ .

(٢) سورة مرثى الآية ٢٠ .

- (٤) فاكهة على المائدة لا تعرف اسمها .
- (٥) عن الوقت لتضبط ساعتك .
- (٦) نزل مطر لا تعلم زمن نزوله .
- (٧) بدء نزول الأمطار بالسودان .
- (٨) قدم أحد أخويك ولا تدري من هو .
- (٩) عدد صفحات الكتاب .
- (١٠) وقت دخول المجلس النسابي بصر .
- (١١) مكان المدرسة .
- (١٢) مستقبل مصر .

المبحث الرابع في الأمر

هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء^(١) ، وله صيغة أربع :

- ١ - فعل الأمر كقوله تعالى : ﴿وَاصْنُعْ لِفُلُكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا﴾^(٢) .
 - ٢ - المضارع المترن بلام الأمر نحو : ﴿لِيَنْفَقْ ذُو سَعْةَ مِنْ سَعْتِهِ﴾^(٣) .
 - ٣ - اسم فعلي الأمر ، نحو :
- وحذار أن ترضى مودة من يُقلِّي المقلَّ ويعشق المشرى
- ٤ - المصدر النائب عن فعله ، نحو :
- فاصبراً معينَ الْمَلَكِ إِنْ عَنْ حادث فعاقبه الصبر الجميل جليل
- والأصل في صيغة الأمر أن تفيد الإيجاب أي طلب^(٤) الفعل على وجه اللزوم وهذا هو المفهوم منها عند الإطلاق ، نحو : قم وسافر . وما عداه يحتاج إلى قرائن أخرى تستفاد من سياق الحديث ، وأهمها ما يأتي :
- (١) الدعاء ، نحو :

فأسلم أمير المؤمنين ولا ترول مستعلياً بالنصر والتأييد

(١) وهو عد الأمر نفسه عالياً سواء كان عالياً في الواقع أم لا .

(٢) سورة هود الآية ٣٧ .

(٣) سورة الطلاق الآية ٧ .

(٤) ويستفاد الفور أو التراخي من القرائن .

- (٢) الإلقاء : كما تقول لمن هو في منزلتك : أعطني كتابك .
- (٣) الإرشاد ، نحو : خذ المفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ^(١) .
- (٤) التعجيز كقول الفرزدق يخاطب جريأاً :
- أولئك آبائي فجئني بهم إذا جمعتنا يا جرير الجامع
- (٥) الإهانة والتحقير ، كقول أبي العلاء المعربي في الفخر :
- أرى النقاء تكبر أن تصطادا فمائدة من تطبق له عنادا ^(٢)
- (٦) التهديد ، نحو :
- إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
- (٧) الاعتبار ، نحو : انظروا إلى ثره إذا أثرا ^(٣) .
- (٨) التمني ، نحو :
- يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعبي صباحاً دار عبلة واسلمي ^(٤)
- (٩) التخيير ، نحو :
- عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود ^(٥)
- (١٠) الإباحة ، نحو : اختر ما تشاء .
- (١١) الدوام ، نحو : إهدنا الصراط المستقيم ^(٦) .
- (١٢) التأديب ، وهو ما يكون لتهذيب الأخلاق والعادات نحو : كل ما يليلك .
- (١٣) التعجب ، نحو : انظر كيف ضربوا لك الأمثال ^(٧) .

- (١) المفو نقىض الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس ولا تكلفهم ما يشق عليهم المعرف الجميل من الأفعال ، والاعراض عن الجاهلين يكون بالحلل عنهم (سورة الأعراف الآية ١٩٩).
- (٢) المتقاه طائر معروف الاسم معهول الجسم .
- (٣) سورة الأنعام الآية ٩٩ .
- (٤) عبلة بنت عمها ، والجواء واد بدير بنى عبس ، وعمي صباحاً كلمة تحية .
- (٥) البنود جمع بندر الملم الكبير ، وخفقاً اضطرابها .
- (٦) سورة الفاتحة الآية ٥ .
- (٧) سورة الاسراء الآية ٤٨ .

نموذج أول

بيان ما يراد بصيغة الأمر في التراكيب الآتية :

- ١ - قال عز وجله : « أفسحوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نائم ، تدخلوا الجنة بسلام » .
- ٢ - أسيئني بنا أو أحسي لامونة » الدينما ولا مقلية إن تفلت
- ٣ - عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور
- ٤ - هـ وأسرروا قولكم أو اجهروا به إنه علم بذات الصدور هـ .
- ٥ - قف بتلك القصور في اليم غرّق مسکاً بعضها من الدعر بعضاً
- ٦ - انظر الى القبة الغراء مذهبة كأنما الشمس أعطتها حياماً

الاجابة

صيغة الأمر	الغرض منها	صيغة الأمر	الغرض منها
أفسحوا السلام	الارشاد	أسيئني بنا	النسوية
أسرروا قولكم	الدعاء	قف بتلك القصور	الاعتبار والعظة
انظر	التخدير	هـ	التعجب

نموذج ثان

- ١ - أريني جواداً مات هزاً لعلني أرى ما ترين أو بخيلاً مخدلاً .
- ٢ - قال تعالى : هـ هاتوا برهانكم إن كتم صادقين هـ .
- ٣ - قد رشحوك لأمر إن فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع العمل
- ٤ - هـ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري هـ .
- ٥ - ليس هذا بمشك قادرجي .
- ٦ - اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

(١) سورة الملك الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ١١١ .

(٣) سورة طه الآية ٢٥ .

الاجابة

صيغة الأمر	الفرض منها	صيغة الأمر	الفرض منها
أشرح لي صدري ادرجي اعمل لدنياك	الدعاء الإهانة الارشاد	التعجز التعجز الارشاد	(١) أروني جواداً (٢) هاتوا برهانكم (٣) اريا بنسك

تمرين (١)

بين ما يستفاد من صيغ الأمر فيما يلي :

- ١ - غفرانك ربنا وإليك المصير .
- ٢ - فأتوا بسورة من مثله .
- ٣ - ادخلوها بسلام آمنين .
- ٤ - تعموا فإن مصيركم إلى النار .
- ٥ - فاقض ما أنت قاض .
- ٦ - ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق .

تمرين (٢)

- ١ - فانهض إلى صهوات المجد معتلياً
 - ٢ - المسا على معن وقولاً لقبره
 - ٣ - حاول جسيمات الأمور ولا تقل
 - ٤ - فيها موت زر إن الحياة كرحة
 - ٥ - ليدع المدعون العلم والأدبوا
 - ٦ - أيتها النفس أجيلى جرعاً
- فالباز لم يأو إلا عاليَ القتل
سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعاً
إن الحامد والملا أرزاق
ويا نفس جدي إن دهرك هايل
فقد تفتب عبد الله واحتسبا
إن الذي تحذرين قد وقعا

المبحث الخامس في النهي

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعمال ، وليس له إلا صيغة واحدة هي : المضارع ، مع لا النافية ، نحو : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾^(١).

ومدلوله طلب الكف عن الفعل فوراً كما يستفاد من تتبع فصيح التراكيب ، وقد يستعمل منه معان أخرى تفهم بالقرائن من سياق الحديث محوزاً واتساعاً في الاستعمال ، وأهمها :

١ - الدعاء ، نحو : ﴿ ربنا لا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به ﴾^(٢).

٢ - الإرشاد ، نحو :

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

٣ - التهديد ، نحو : لا تنته عن غليك .

٤ - التبييض ، نحو :

ولا تأت أمرأ إذا ما اشتبه فلا يخدعنك لوع السراب

٥ - الالتماس ، نحو :

ثانية فإن ذلك ذنب غير مفتر لا قطوا السر عني يوم

٦ - التمني ، نحو :

ألا تبكيان لصخر الندى أعيني جوداً ولا تجداً

٧ - التوبيخ ، نحو :

لا تنه عن خلق وتأني مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

٨ - التسلية والصبر ، نحو : ولا تجزع فإن الله رحيم بعباده .

غودج

أذكر ما يراد بصيغ النهي الآتية :

١ - ﴿ ولا تلبسو الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف الآية ٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ٤٢ .

- ٢ - لا تكون رطباً فتعصر ، ولا يابساً فتكسر .
- ٣ - لا تعتذروا اليوم .
- ٤ - لا تحسب المجد ثرماً أنت آكله لن تبلغ المجد حق تلعم الصبرا
- ٥ - لا تختجب عن العيون أيها القمر ..
- ٦ - لا تعرضنَ لجعفر متشبهـاً بندى يديـه فلستَ من أنداده

الاجابة

- (١) التوبیخ لهم على خلطهم الحق بالباطل .
- (٢) الإرشاد الى حسن الخلق .
- (٣) التبییس .
- (٤) التوبیخ والتقریب .
- (٥) التمنی .
- (٦) التوبیخ والتأدیب .

تمرين (١)

ماذا يراد بصيغ النهي الآتية :

- (١) ولا تمش في الأرض مرحاً .
- (٢) ولا يضار كاتب ولا شهيد .
- (٣) ولا يجعل يدك مفلولةً الى عنقك .
- (٤) ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا .
- (٥) لا تسألو عن أشياء وإن تبدّلكم تسوكم .
- (٦) ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

تمرين (٢)

- ١ - ولا يفرقنك بشر من أخي ملقي فرونق الآل لا يشفى من الفلل
- ٢ - لا تلهينك عن معادك لذة تفني وتراث دائم الحسرات
- ٣ - لا تودع السر مشاء به مذلاً فما رعى غنمًا في الدوّ سرحان^(١)

(١) المشاء كثیر الوشایة ، والمذل المفسد ، والدو الفلاة ، والسرحان الذئب .

- ٤ - لا تلتمس من عيوب الناس ما ستروا .
- ٥ - لا تحسّبْ سروراً دائمًا أبداً .
- ٦ - لا تعاد الناسَ في أوطنهم .

المبحث السادس في النداء

هو دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل كادعوا ونحوه ، وأدواته ثمان :

يا والهمزة وأي وآي وأيا وهيا ووا .

وهي في الاستعمال قسمان :

- ١ - الهمزة وأي للقريب .
- ٢ - باقي الأدوات للبعيد .

وقد ينزل البعيد منزلة القريب فینادي بالهمزة أو أي تنبئها على أنه لا يغيب عن القلب ، بل هو مالك الفؤاد واللب ، فكأنه حاضر الجئان ، ليس بناء عن العيان ، كقول الضبي في رثاء ابنه :

أبيُّ لا تبعد وليس بخالد حيٌّ ومن تصب المنونُ بعيد

كما قد يعكس فينزل القريب منزلة البعيد فینادي بإحدى أدواته إما :

(أ) للدلالة على أن المنادي رفيع القدر عظيم الشأن فيجعل بعد المنزلة كأنه بعد في المكان كقول أبي بكر بن النطاح في مدح أبي دلف العجلي :

أبا دلف بوركتَ في كل بلدة كابوركتَ في شهرها ليلة القدر^(١)

(ب) للإشارة إلى أنه وضع ، منحط الدرجة ، وعليه قول الفرزدق يجو جريراً :

أولئك آبائي فحيثني بثلهم إذا جمعتنا يا جريرا الجامع

(ج) للإشعار بأن السامع غافل لاه ، فتعتبره كأنه غير حاضر في مجلسك ، وعليه قول البارودي :

يأيها السادر المزور^(٢) من صلف مهلا فإنك بالأيام منخدع

(١) أبو دلف العجلي أحد القواد الشجعان في عهد المؤمن والمتصنم ، توفي سنة ٥٢٦هـ .

(٢) السادر الناهض عن الشيء ترفاً ، والمزور المنحرف ، والصلف الكبر .

وقد تخرج ألفاظ النداء إلى معانٍ أخرى تستفاد من القرآن ، ومن ذلك :

١ - التحسر والتوجع ، كقول حافظ في الرثاء :

يا درة نزعت من ثاج والدها فأصبحت حلية في ثاج رضوان
وقول من رثى معن بن زائدة :

فيما قبر معن كيف واربت جوده

٢ - التعجب ، كقول طرفة :

يا لك من قبرة بعمر خلا لث الجو فيضي واصفري (٢)

٣ - الاختصاص ، كقوله :

إنا بني نهشل لا ندعى لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

٤ - الندبة ، كقول أبي العلاء :

فواعجبواكم يدعى الفضل ناقص دواأسفاكم يظهر النقص فاضل

٥ - الإغراء ، كقولك للجندي المتردد في الدفاع : يا شجاع تقدم .

٦ - الزجر واللامة ، نحو :

أفؤادي مق المتاب ألمًا تصح والشيب فوق رأسي ألمًا (٣)

٧ - الاستفانة ، نحو :

يا للرجال ذوي الألباب من نَسَفَر لا يبرح السفينة المردي لهم دينًا (٤)

٨ - التحير والتذكرة ، وقد كثر ذلك في نداء الأطلال والمنازل والمطابا ،
ك قوله :

أبا منازل سلى أين سلاك من أجل هذا بكيناكا (٥)

(١) المترع الملاوه .

(٢) الشطر الثاني يضرب مثلاً للحاجة يتمكن منها صاحبها .

(٣) ألم الثانية بمعنى نزل .

(٤) المردي للملك ، والدين العادة .

(٥) فيه حذف حرف المطف ، أي وبكيناك ، يريد أنه بكى على سلبي ، وبكى على المنازل
لعدم وجود سلبي بها .

وقول أبي العلاء :

يا ناق جدي فقد أفتت أناشك بي صبري وعمرى وأحلاسي وأنساعي^(١)

تنبيه

الأكثر أن يصحب النداء أمر أو نهي ، نحو : يا إيه الناس عبدوا ربكم .

يا إيه الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله^(٢) .

ويقل أن تصحبه الجملة الخبرية ، نحو : يا عباد لا خوف عليكم اليوم .

أو الاستفهامية ، نحو : يا أبى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر .

نحوذ

بيان المعاني التي تستفاد من النداء :

- ١ - يا ليل قد طلت فهل مات السحر
- ٢ - يا راحلا أخلي الدنيا رـ وفضله أم يرحل
- ٣ - صادح الشرق قد سكت طويلاً وعزيز عليه ألا تقـولا
- ٤ - أبا الهول طال عليك العصر
- ٥ - يا ابن أمي ويـا حبيب نفسـي أنت خلقتـني لدهـر شـديد
- ٦ - يا إيه القمر المباهـي وجهـ لا تكذـبن فـلستـ من أـشكـالـه

الاجابة

- (١) المراد بالنداء التحير والتضجر .
- (٢) يراد به التحسـر .
- (٣) التذكر والتضجر .
- (٤) التعجب .
- (٥) التحسـر والتأسف .
- (٦) الـزـجـرـ والمـلامـةـ .

(١) الأناة الثاني والتأخر ، والأخلاق جمع حلس وهو كـاء يـطـرحـ على ظـهـرـ البعـيرـ ، والـانـسـاءـ جـمعـ نـسـعـ وهو سـيرـ عـريـضـ يـوضـعـ في صـدرـ البعـيرـ .
(٢) أي لا تقطـعواـ أـمـراـ إـلاـ بـعـدـماـ يـحـكـيـانـ بـهـ وـيـاذـنـانـ فـيـهـ ، فـتـكـونـواـ إـمـاـ عـاـمـلـينـ بـالـوـحـيـ الـتـزـلـ .
وـإـمـاـ مـقـتـدينـ بـرـسـولـ اللهـ (صـ)ـ .

ترى من

بَيْنَ الْمَعَانِيِّ الْمُسْتَفَادَةِ مِنَ النَّدَاءِ فِيهَا يَلِي :

- ١ - وَيْكَ يَا قَبْرُ صَرَتْ لِلْفَضْلِ مَثْوَى
لَا يَسْأَمِي وَلِلْتَّبُوغِ مَقْبِلًا
- ٢ - أَحْجَاجَ لَا يَقْلِلُ سَلَاحُكَ إِنَّا
الْمَنَاهَا بِكَفِ اللَّهِ حِيتَ يَرَاهَا
- ٣ - أَمْهَدْ وَالْجُودُ فِيكَ سَجِيَّةُ
يَهْنِيَكَ طَبِيبَ ذَكْرِهَا يَهْنِيَكَا
- ٤ - فِي صَاحِبِي رَحْلِي دُنَا الْمَوْتُ فَاتَّزَلَ
بِرَابِيَّةِ إِنِّي مَقْمُّ لِيَالِيَا
- ٥ - أَلَا أَهَا الْلَّيلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِي
بَصْبَحُ وَمَا الْأَصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَل
- ٦ - يَا مَوْتَهُ لَوْ أَفْلَتَ عَزْرَهُ
يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكَهُ لَفَدَ

الباب الثالث في الذكر

لم يتعرض لهذا الباب كثير من أئمـة هذا الفن كأبـي هلال العسـكري والإمام عبد القـاهر، وكـأنـهم لم يروـا فيه من الـطـائف والمـزاـيا ما يـسـيـغـ الـبـحـثـ عـنـهـ فـيـ عـلـومـ الـفـصـاحـةـ إـذـ هوـ بـيـاحـتـ عـلـمـ النـحـوـ أـشـهـ .

ولـكـنـ الـتـأـخـرـينـ كـالـسـكـاـيـ وـشـيـعـتـهـ ذـكـرـواـ فـيـ نـكـاتـ وـمـزـاـياـ لـمـ يـسـتـطـيـعـواـ أـنـ يـرـدـفـوـهـ بـآـيـ منـ التـنـزـيلـ ،ـ أـوـ بـشـواـهـدـ مـنـ كـلـامـ ذـوـيـ اللـسـنـ وـالـفـصـاحـةـ ،ـ وـقـصـارـىـ مـاـ قـالـوـ إـنـ الـمـسـنـدـ إـلـيـهـ يـذـكـرـ وـجـوـبـاـ إـذـاـ لـمـ تـقـمـ قـرـيـنـةـ تـدـلـ عـلـيـهـ كـانـ الـكـلـامـ مـعـمـىـ لـاـ يـسـتـبـيـنـ الـمـرـادـ مـنـهـ ،ـ وـيـتـرـجـحـ إـذـاـ وـجـدـتـ الـقـرـيـنـةـ لـمـزـيـةـ مـنـ الـمـزـاـياـ الـآـتـيـةـ :

- ١ - أنه الأصل وليس هناك ما يقتضي العدول عنه ، كما تقول : هذا أخي وذلك صديقي .
- ٢ - زيادة الكشف والإيضاح ، كما تقول : الليبَّ مَنْ فَكَرَّ في المُوَاقِبَ ، الليبَّ مَنْ خَالَفَ نَفْسَهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ .

وعليه قوله تعالى: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلعون﴾^(١).
ففي تكرير اسم الإشارة تبيـهـ إـلـيـهـ أـنـهـ كـماـ ثـبـتـ لـهـ الـأـثـرـ بـالـهـدـيـ فـهـيـ ثـابـتـةـ لـهـ بالـفـلـاحـ أـيـضاـ ،ـ فـجـعـلـتـ كـلـ وـاحـدـةـ مـنـهـاـ فـيـ تـمـيـزـهـ بـهـاـ عـنـ غـيرـهـ بـالـثـابـةـ الـقـيـةـ لـوـ انـفـرـدتـ كـفـتـ مـيـزةـ عـلـىـ حـيـاـهـاـ ،ـ قـالـهـ فـيـ «ـ الـكـشـافـ »ـ .

بسـطـ الـكـلـامـ فـيـ مقـامـ الـافتـخارـ ،ـ كـقـوـلـ سـاميـ الـبـارـوـدـيـ :

أـنـاـ مـصـدـرـ الـكـلـمـ الـبـوـادـيـ بـيـنـ الـمـعـاـضـرـ وـالـنـوـادـيـ
أـنـاـ فـارـسـ أـنـاـ شـاعـرـ فـيـ كـلـ مـلـحـمـةـ وـنـادـيـ

(١) سورة البقرة الآية ٥ .

٤ - التسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الانكار ، كقول الفرزدق يدح زين العابدين :

هذا ابن خير عباد الله كلّهم^١ هذا التقى النقى الطاهر العلم

٥ - الاستلذاذ بذكر الاسم المحبوب ، كما يكرر المادحون ذكر مدحهم ، ك قوله :

فعباس^٢ يصد الخطيب عنا وعباس^٣ يغير من استجارة

٦ - التهويل ، كما تقول : ملك البلاد يأمرك بكذا .

٧ - التعظيم ، اذا كان اللفظ يفيد ذلك ، كما يقال في جواب أحضر الملك ؟ حضر سيف الدولة .

٨ - التحقير ، اذا كان اللفظ يشعر بالإهانة ، نحو : حضر المجرم في جواب : هل حضر فلان ؟

٩ - التمجّب ، اذا كان الحكم غريباً في مجرى الألف والمادة ، نحو : على يصرع الأسد في جواب : هل يصرع على الأسد ؟

١٠ - ضعف القرينة ، فتقل الثقة بها فلا يعتمد عليها ، نحو : أول الإنسان نطفة مذرة ، وأخره جيفة قدرة .

ويذكر المسند اللطائف ومزاياها تشبه ما ذكر في المسند إليه ، أهمها :

(١) كون الذكر هو الأصل ولا داعي للدول عنده ، نحو : الأدب خير من العلم .

(٢) الرد على المخاطب ، اذا كان ينكر صحة ما يقال له ، كقوله تعالى :

﴿يُحِبُّهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوْلَ مَرَّةٍ﴾ بعد قوله ﴿مَنْ يَحِبِّي الْعَظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(١).

(٣) الاحتياط لضعف التعميل على القرينة نحو : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ خَلَقُوهُنَّ الْعَزِيزُ 'الْعَلِيمُ'﴾^(٢).

(٤) التعریض بفباء المخاطب ، نحو : ﴿وَيَلِّ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ بعد قوله ﴿أَلَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَهْلَنَا بِإِبْرَاهِيمَ﴾^(٣).

(١) سورة ياسين الآية ٧٩ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٩ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٦٢ .

(٥) إفاده أنه فعل فيفيد التجدد والحدث مقيداً بأحد الأزمنة على أخص طرق أو اسم فيفيد الثبوت مطلقاً مثل: ﴿أَخْنادُونَ اللَّهُ وَهُوَ خَادُونَ﴾^(١)، فإنّ أخنادون يفيد التجدد حيناً بعد آخر مقيداً بالزمان بدون حاجة إلى قرينة تدل عليه ، قوله : وهو خادون ، يفيد الثبوت مطلقاً من غير نظر إلى زمان مخصوص .

موجّح

بيان السر في ذكر المسند إليه أو المسند ، فيما يلي :

- ١ - وقد علم القبائل من مَعَدْ اذا قبب بأبطحها بنينا
بأنَا المطعمون إذا قدَرْنَا
- ٢ - قال ﷺ : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك
تموت غداً .
- ٣ - أعنيني "جوداً ولا تجمداً
ألا تبكيان لصخر الندى
- ٤ - قال الحافظ في وصف الشمس :
هي أم الأرض في نسبتها
هي أم النار والنور معاً
هي أم الريح والماء المعين
- ٥ - أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب .
- ٦ - الرجال المخلصون هم الذين يذودون عن الوطن ، الرجال المخلصون هم
الذين يظهرون عند الشدائـد .
- ٧ - ملـيكـ الـبـلـادـ يـأـمـرـ بـالـعـدـلـ وـالـإـنـصـافـ .

الاجابة

- (١) ذكر المسند إليه لبسـطـ الكلـامـ فيـ مـعـرـضـ الفـخـرـ .
- (٢) ذكر المسند إليه لزيادة التقرير والإيضاح .

(١) سورة النساء الآية ١٤٢ .

- (٣) ذكر المسند لإفادة التجدد بالجملة الفعلية .
 - (٤) ذكر المسند إليه لأن المقام مقام تعظيم وتفخيم .
 - (٥) ذكر المسند إليه لأن المقام للافخار .
 - (٦) ذكر المسند إليه لتعظيم شأن الرجال العاملين .
 - (٧) ذكر المسند الله للتمويل .

三

بيان أسباب ذكر المسند الله أو المسند ، فيما يلي :

- ١ - إن حل في روم فيها قيصر
 أو حل في عرب فيها قيسار

٢ - ونحن النار كون لما سخطنا
 ونحن الآخذون لما رضينا

٣ - وإنني لحلو تعززني مرارة
 وإنني لستراك لما لم أعود

٤ - إلهي نصيري ، يحفظني شر المهازين المشائين بنعيم

٥ - أجتنتنا بالحق أم أنت من اللاعبين

٦ - ﴿فَهُلِّ الْكَافَّرُونَ أَمْ هُلُّمْ رُوبِدَا﴾^(١)

٧ - إذا نزل الحجاج أرضًا مريضة
 تتبع أقصى دائئراً فشاماً

غلامًاً إذا هز القناءة سقاها
 شفاتها من الداء العossal الذي بها

(١) سورة الطارق الآية ١٧ .

الباب الرابع في الحذف

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول في مزايا الحذف وشروطه

من دقائق اللغة، وعجب سرها، وبديع أساليبها، أنك قد ترى الجمال والروعة تتجلّى في الكلام اذا أنت حذفت أحد ركني الجملة أو شيئاً من متعلقاتها، فإن أنت قدرت ذلك المهدوف وأبرزته صار الكلام الى غث سفاسف ونازل ركيك لا صلة بينه وبين ما كان عليه أولاً.

ومن ثم قال في « دلائل الإعجاز » : هذا باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنه ترى به ترك الذكر، والصمت عن الإفاده، أزيد للإفاده، وتجده أنطق ما تكون اذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً اذا لم تبين، وهذه جملة قد تنكرها حق تخبر، وتدعها حق تنظر. اه.

ومن شرط الحذف أن يكون في الكلام ما يدل على المهدوف، وإلا كان تعصي وإلفاظاً، ومن شرط حسنة أنه مقاوم ظهور المهدوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاؤة، وهو على ضربين :

١ - ضرب يظهر فيه المهدوف عند الاعراب كقولهم : أهلاً وسهلاً ، فلت نصب الأهل والسهل يدل على ناصب مهدوف يقدر بنحو : جئت أهلاً ونزلت مكاناً سهلاً ، وليس لهذا الحذف من الحسن والارجحية ما تجده في قسميه الثاني .

٢ - ضرب لا يظهر بالأعراب ، وإنما تعلم مكانه اذا أنت تصفحت المعنى ووجده لا يتم اذا لم يراع ذلك المهدوف كما يقال : فلان يحمل ويعد ، ويعطي وينعم ، إذ من بين أن المعنى يحمل الأمور ويعدوها ، ويعطي ما يشاء وينعم ما يشاء ، ولكن لا سبيل الى إظهار ذلك المهدوف ، ولو أظهرته زالت تلك البهجة وضاع ما تشعر به من رواه وجاء .

المبحث الثاني في حذف المسند إليه

يمحذف المسند إليه لأغراض ، أهمها :

- ١ - ظهوره بدلالة القرآن عليه ، فذكره يعد حيئث عيناً في الظاهر^(١) كقوله تعالى : ﴿فَصَكَّتْ وِجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾^(٢) أي أنا .
- ٢ - ضيق القام عن إطالة الكلام بسبب التوجع والتضجر ، نحو : قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل
- ٣ - إخفاء الأمر عن غير المخاطب ، كما تقول : (انتهت) ، أي المسألة المعهودة يبنكتها .
- ٤ - خوف فوات فرصة سانحة ، كقول من رأى طياراً مقبلاً : طيار .
- ٥ - المحافظة على سجع أو قافية ، فال الأول نحو : من طابت سيرته حمدت سيرته ، أي حمد الناس سيرته . والثاني نحو : وما المال والأهلون إلا وداعٍ ولا بد يوماً أن ترد الودائع^(٣)
- ٦ - اتباع الاستعمال الوارد بالحذف كقولهم في المثل : رمية من غير رام^(٤) ، أي هذه رمية ، أو الوارد على ترك نظائره ، كما في الرفع على المدح ، أو الذم أو الترحم ، فإن المسند إليه لا يكاد يذكر في هذه الموضع ، فيقولون بعد أن يذكروا^(٥) المدوح : غلام من شأنه كذا وكذا ، وفق من شأنه كيت وكيت ، كما قال ابن عنقاء الفزاروي يمدح 'عميلة' ، وقد شاطره ماله لما رآه معوزاً : رأني على ما بي 'عميلة فاشتكى إلى ماله حالياً أسر كما جهر غلام رماه الله بالخير يافما له سيميه لا تشق على البصر^(٦)

(١) وإنما فلا عيب في ذكره على الحقيقة لأنه أحد ركني الأسناد .

(٢) سورة الزاريات الآية ٢٩ .

(٣) إذ لو قيل أن يرد الناس الودائع لاختلقت القافية .

(٤) يريد رمية مصيبة من رام غير محسن ، يضرب مثلاً من صدر منه فعل حسن ليس أهلاً لأن يصدر منه . قاله الحكم بن عبد يقوث المضري .

(٥) قال الرازبي : يشبه أن يكون السبب في ذلك أنه بلغ في استحقاق الوصف إلى حيث أنه لا يكون إلا لل موضوع ، سواء أكان في نفسه كذلك ، أم بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة .

(٦) رماه الله وضع فيه ، واليافع الشاب ، والسيمياء العلامة والهيئة ، ولا تشق على البصر أي تفوح به من ينظر إليه .

و كما قال عبد الله الأستاذ يدح عمرو بن عثمان بن عفان :
 سأذكر عنـراً إن تراحت منيـة
 أيادي لم تـقـن وإن هي جـلـست
 فـقـ غير محـجـوبـ الفـقـ عنـ صـديـقـه
 ولا مـظـهـرـ الشـكـوـيـ اذاـ النـعـلـ زـلت
 رـأـيـ خـلـائـيـ منـ حـيـثـ يـخـفـيـ مـكـانـهـ
 فـكـانـتـ قـذـىـ عـيـنـيـهـ حـقـ تـجـلـتـ (١١)
 وبعد أن يذكروا الديار والمنازل ربـعـ كـنـاـ وـكـذاـ كماـ قالـ :
 اعتـادـ قـلـبـكـ منـ لـيلـيـ عـوـائـدـهـ
 وـهـاجـ أـهـواـكـ المـكـنـونـةـ الطـلـلـ
 ربـعـ قـراءـ أـذـاعـ المـعـصـرـاتـ بـهـ
 وكلـ حـيـرـانـ سـارـ مـاـوـهـ خـضـلـ (٢٢)
 ٧ - تعـيـينـهـ وـعـدـمـ اـحـتـالـ غـيرـهـ ، إـماـ بـحـسـبـ الحـقـيقـةـ وـالـوـاقـعـ ، كـماـ تـقـولـ :
 خـلـاقـ لـمـ يـشـاءـ ، أـيـ اللـهـ تـعـالـىـ ، وـإـماـ بـحـسـبـ الـبـالـغـةـ وـالـادـعـاءـ ، كـمـاـ يـقـولـ المـادـحـ
 وـهـتـابـ الـأـلـوـفـ أـيـ المـدـوحـ .
 ٨ - تـكـثـيرـ الفـائـدـةـ باـحـتـالـ أـمـرـيـنـ عـنـ الـحـذـفـ ، نـحـوـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :
 ﴿فـصـبـرـ جـمـيلـ﴾ (٣) ، أـيـ فـأـمـرـيـ صـبـرـ جـمـيلـ ، أوـ فـصـبـرـ جـمـيلـ بـيـ وـأـوـلـيـ .
 ٩ - تـأـيـيـدـ الـأـنـكـارـ عـنـ الـحـاجـةـ إـلـىـ ذـلـكـ ، كـمـاـ يـقـالـ : ﴿هـازـ مـشـاءـ بـنـمـ﴾ (٤)
 إـذـ قـامـتـ الـقـرـيـنـةـ عـلـىـ أـنـ الـمـرـادـ خـالـدـ مـثـلاـ .
 ١٠ - إـيهـامـ الـمـدـولـ إـلـىـ أـقـوىـ الدـلـلـيـنـ ، وـهـوـ الدـلـلـيـ المـقـلـيـ دـوـنـ الـلـفـظـيـ ،
 فـإـنـ الـاعـتـادـ عـنـ الذـكـرـ عـلـىـ دـلـلـةـ الـلـفـظـ وـعـنـ الـحـذـفـ عـلـىـ دـلـلـةـ الـعـقـلـ وـهـيـ أـقـوىـ
 وـإـنـاـ قـيلـ لـإـيهـامـ ، لـأـنـ الدـالـ فـيـ الـحـقـيقـةـ عـنـ الـحـذـفـ هـوـ الـلـفـظـ الـمـدـولـ عـلـيـهـ بـالـقـرـيـنـةـ
 وـيـحـتـملـهـ (ـقـالـ لـيـ : كـيـفـ أـنـتـ ؟ قـلـتـ : عـلـيـلـ) .
 وـمـنـ حـذـفـ الـمـسـنـدـ إـلـيـهـ مـاـ إـذـ أـسـنـدـ الـفـعـلـ إـلـىـ ثـانـيـ الـفـاعـلـ لـاـعـتـيـارـاتـ ، مـنـهـاـ :

١ - جـهـلـ الـفـاعـلـ ، كـفـوـلـ الـمـرـقـشـ الـأـكـبـرـ :

إـنـ تـبـتـدرـ غـاـيـةـ يـوـمـاـ لـكـرـمـةـ
 تـلـقـ السـوـابـقـ مـنـاـ وـالـمـاصـلـيـنـ

(١) زـلتـ النـعـلـ كـنـيـةـ عـنـ الـخـاصـصـةـ وـالـفـاقـةـ .

(٢) أـذـاعـ الـمـعـصـرـاتـ أـنـزـلتـ مـاـهـاـ بـكـثـرـةـ ، وـالـحـيـرـانـ السـارـيـ هوـ الـمـزـنـ يـحـرـيـ لـيـلـاـ ، وـالـخـضـلـ
 الصـافـيـ ، وـربـعـ قـوـاءـ لـاـئـيـسـ بـهـ .

(٣) سـوـرـةـ يـوسـفـ الـآيـةـ ١٨ـ .

(٤) سـوـرـةـ الـقـلـمـ الـآيـةـ ١١ـ .

- ٢ - الخوف عليه ، كقول النابغة يعتذر إلى النعيمان :
- نبشت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد^(١)
- ٣ - العلم به ، كقول ليل الأخيلية تدح الحجاج :
- أحجاج لا يفلل سلاحك إنما الله منايا بكتف الله حيث يراها
- ٤ - احتقاره ، كقول النابغة :
- لعن كنت قد بلئت عن وشائة لمبلغك الواشي أغش وأكذب
- ٥ - الخوف منه ، كما تقول : صودرت أموال فلان ، اذا كان ظالم ذو سطوة . قد أخذها .

المبحث الثالث في حذف المستند

يحذف المستند لأغراض ، منها :

- ١ - قصد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر والتوجع كقول ضابىء البرجمي من أبيات قالها في الجبس :
- ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بهما لغريب^(٢)
- تقديره فإني لغريب وقيار كذلك ، والباعث على تقديم قيار على خبر إن قصد التسوية بينهما في التحسر على الاغتراب حق لأن قياراً تأثر بما تأثر هو به أيضاً ، وعليه قوله تعالى : ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحْقُّ أَنْ يَرْضُوهُ﴾^(٣) تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك .
- ٢ - الثقة بشهادة العقل دون الاعتماد على اللفظ كما تجيز من قال : هل لك أحد ؟ إن الناس إلَّا^(٤) عليك (إن مهداً وإن علياً) أي إن لي مهداً ، وإن لي علياً ، وعليه قول الأعشى :
- إن محلاً وإن مرتاحلاً وإن في السفر إذ مضوا مهلاً
يريد أن لنا محلاً في الدنيا ، وإن لنا مرتاحلاً عنها إلى الآخرة .

(١) أبو قابوس كنية النعيمان بن المنذر والنبي له عاصم حاجب النعيمان ، وقد أسر له بذلك .

(٢) في الأساس الماء في رحله أي منزله ومواته ، وقيار اسم جمل ، والبيت خبر أريد به إنشاء التحسر والتوجع من الغربة .

(٣) سورة التوبه الآية ٦٢ .

(٤) مجتمعون على عداوتك .

٣ - الدلالة على الاختصاص ، نحو : قل لو أنت تملكون خزائن رحمة ربى .
 تقديره لو تملكون تملكون بالنكرار للتوكيد ، ثم حذف الفعل فانفصل الضمير وأفاد الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشـ المتـاهـي ، ونظيره قول حاتم :
 لو ذات سوار لطمنـي ^(١) .

ولا بد للحذف من قرينة دالة على المهدوف ليفهم المعنى كوقوع الكلام جواباً عن سؤال محقق نحو : هـ ولـن سـأـلـتـهـ مـنـ خـلـقـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ لـيـقـولـنـ اللـهـ ^(٢) أو مقدر ، نحو : يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ، في قراءة من بني الفعل للمجهول ، كأنه قيل : من يسبح ؟ فقيل : يسبحه رجال ، ونحو قول ضرار بن نهشل يوثي يزيد أخاه :

لـبـيكـ يـزـيدـ ضـارـعـ لـخـصـومـةـ وـخـتـبـطـ مـاـ تـطـبـعـ الطـوـائـحـ ^(٣)

كأنه قيل : من يـسـكـيـهـ ؟ فقال : ضـارـعـ ذـلـيلـ لـخـصـومـةـ إـذـ هوـ مـلـجـأـ الـأـذـلـاءـ وـعـوـنـ الـضـعـفـاءـ .

المبحث الرابع في حذف المفعول

للفعل رابطة بكل من الفاعل والمفعول ، وإن تنوعت جهـتها ، فارتباطه بالفاعل لإفادـةـ وـقـوـعـهـ مـنـهـ لـإـفـادـةـ وـجـوـدـهـ فـيـ نـفـسـهـ فـحـسـبـ ، وـارـتـبـاطـهـ بـالـمـفـعـولـ لـبـيـانـ وـقـوـعـهـ عـلـيـهـ .

ولاختلاف نوع الارتباط اختلف العمل ، فعمل الفعل في الفاعل الرفع ، وفي المفعول النصب ، أما إذا أريد الإخبار بوقوع الفعل في ذاته من غير إرادة أن يعلم من وقع ، أو على من وقع ، فالعبارة التي تدل على ذلك أن يقال : كان ضرب ، أو وقع أو وجد أو نحو ذلك من الألفاظ التي تدل على الوجود المجرد .
 اذا علمت ذلك نقول : الفعل المتعدي اذا أسند الى فاعله ولم يذكر له مفعول فهو على ضربين :

(١) يضرب مثلاً للشريف يبينه الوسيع ، وللعرب تكفي بذلك السوار عن الحرة .

(٢) سورة الزمر الآية ٣٨ .

(٣) الضارع الذليل ، والختبـطـ هوـ الـذـيـ يـظـلـبـ مـنـكـ الـمـعـرـفـ مـنـ غـيرـ وـسـيـلـةـ ، وـالـاحـاطـةـ الـانـهـاـتـ ، وـالـطـوـائـحـ جـمـعـ مـطـبـعـةـ عـلـيـ غـيرـ قـيـاسـ ، وـمـاـ مـعـلـقـ بـمـخـبـطـ وـمـاـ مـصـدـرـيـةـ أـيـ يـسـكـيـ ضـارـعـ لـأـذـهـابـ الـمـنـاـيـاـ يـزـيدـ .

١ - أن يكون الفرض إثبات المعنى في نفسه لفاعل من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بين وقع عليه ، وحينئذ يكون المتعمد بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول لثلا يتوجه السامع أن الفرض الإخبار به ، باعتبار تعلقه بالمفعول ، ألا ترى أنك اذا قلت : فلان يعطي الدنانير ، كان المقصود بيان جنس المعطى لا بيان كونه معطياً ، ويكون كلاماً مع من أثبتت له إعطاء ولا يدرى ما عطاها ، كما لا يقدر له مفعول أيضاً ، لأن المقدر في حكم المذكور ، وهذا الضرب نوعان :

(أ) أن يجعل الفعل حال كونه مطلقاً عن اعتبار العموم والخصوص كناءة^(١) عنه متعلقاً بمفعول مخصوص بدلالة سبق ذكر أو دليل حال إلا أنك تقسيمه نفسك وتوجه أنك لم تذكر الفعل إلا لأن ثبتت معناه من غير أن تقصد تعميده إلى مفعول مخصوص ، وعليه قول البحتري يمدح المعتز بالله ويصرّض بالمستعين بالله :

شجو حساده وغيط عداده أن يرى مبصرٌ ويسمع واع^(٢)

فالمعنى المراد أن يرى مبشر آثاره ويسمع واع أخباره ، ولكنك أغفل هذين المفعولين وأبعدهما عن وهمه^(٣) ليتسنى له أن يبين أن محاسن المدحوح قد ذات صيتها واستهر أمرها فلا تخفي على ذي بصر وسمع ، فيكفي في معرفة أنها سبب في استحقاقه الإمامة دون غيره أن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم الرائي والسامع أنه لا يليق لقامت الخلافة غيره ، ومن ثم ترى الحساد والمدا يتمنون ألا توجد عين تبصر ولا أذن تسمع لتخفي هذه الفضائل فيجدوا إلى منازعاته فيها سبيلاً .

(١) فالطلق يجعل كناءة عن القيد فالفعل عند تنزيله منزلة اللازم يكون مدلوله المائية الكلية، ثم بعد ذلك يكون كناءة عن شيء مخصوص ، فيكون مدلوله جزئياً ، والقيد وإن لم يكن لازماً للطلق يدعى فيه الملزم بالقرينة .

(٢) شجاه الأمر أحزنه .

(٣) ونزلها منزل اللازمين أي تصدر منه الرؤية والسماع من غير تعلق بمفعول مخصوص ثم جعلها كنائين عن الرؤية والسماع المتعلقتين بمفعول مخصوص هو محاسنه وأخباره بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية محاسنه وبين مطلق السماع وسماع أخباره للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الشهرة مبلغاً لا يستطيع خفاوها معه فلا يرى الرائي إلا آثاره ولا يسمع إلا أخباره، فذكر الملزم وأراد اللازم على ما هو طريق الكناية .

(ب) ألا يحمل كنایة عن مفعول مخصوص ، بل يقصد إثبات المعنى في نفسه من غير تعرض لمفعول كقولهم : فلا يحل ويعقد ويأمر وينهي ويضر وينفع ، فالمقصود أن له حلاً وعقداً وأمراً ونهياً وضراً ونفعاً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ هُل يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١) ، فالمعني : هل يستويَّ مَنْ لَهْ عِلْمٌ وَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، وَقُولُهُ عَزَّ اسْمُهُ : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾^(٢) .

٢ - أن يكون القرض إفادة تعلقه بمفعول ، ويجب تقديره بحسب القرآن ، ويحذف حينئذ لداع من الدواعي الآتية ، وهي :

١ - البيان بعد الإيهام ليكون أوقع في النفس كما فعل في المشيئة اذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة ، فتقول : لو شئت جئت ولو شئت لم أجيء ، علم السامع أن هاهنا شيئاً تعلقت المشيئة بوجوده أو عدمه ، فإذا قلت : جئت أو لم أجيء عرف ذلك الشيء ، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ قَلُوْ شَاءَ هَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٣) ، وقول البحترى :

لو شئت لم تقدر ساحة حاتم كرماً ولم تهدم مآثر خالد

فإن كان تعلق الفعل به غرابة ذكر المفعول ليتقرر في نفس السامع ويأنس به كما يقول الرجل مخبراً عن عزه : لو شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته ، وعليه قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَخَذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مَا يَخْلُقُ ﴾^(٤) ، وقول إسحاق الحزري يرثي حفيده :

ولو شئت أن أبيكِ دمًا لبكيرته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
لأنه لما كان من البدع العجيب أن يقابل أحد الخليفة كل يوم ، وأن يريد رب العالمين ولداً ، وأن يشاء الإنسان بكاء الدم صرح فيها بذكر المفعول .

٢ - دفع توهם الساهم من أول وهلة إرادة شيء غير ما هو مراد ، كقول البحترى يذكر ذود المدوح ومساعدته إياه :

(١) سورة الزمر الآية ٩ .

(٢) سورة النجم الآية ٤٣ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٤٩ .

(٤) سورة الزمر الآية ٤ .

وكم ذدت عنني من تحامل حادث وسورة أيام حزن إلى العظم

إذ لو قال : حزن اللحم ، لجاز أن يدور في خلد السامع قبل ذكر ما بعده
أن الحزن كان في بعض اللحم ولم يصل إلى العظام ، فترك ذكر اللحم لينفي عن
فكرة ما ربما يختل في خاطره باديء ذي بدأة .

٣ - إرادة ذكره ثانيةً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه لكيما
البنية به والاهتمام بوقوعه ، كقول البحتري :

قد طلبنا فلم نجد لك في السوّ دد والمجد والمكارم مثلًا

إذ تقديره طلبنا لك مثلاً فلم نجده ، لكنه حذف المثل ليوقع نفي الوجود
على لفظ المثل صراحة .

(الللاحظة) مثل هذا الغرض عكس ذو الرمة في قوله :

ولم أمدح لأرضيه بشعرى لئيمًا أن يكون أصاب مala

فأعمل الفعل الأول وهو أمدح في لفظ اللثيم وأعمل أرض في ضميره ، لما كان
غرضه إيقاع نفي المدح على اللثيم صريحاً دون الإرضاة ، ولو عكس لأبهم الأمر
فيما هو الأصل وأبانه فيها ليس بأصل .

٤ - قصد التعميم مع الاختصار^(١) ، كما تقول : قد كان منك ما يؤلم ، أي
ما الشأن في مثله أن يؤلم كل أحد ، وعليه قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دارِ
السَّلَامِ﴾^(٢) ، أي جميع عباده .

٥ - رعاية السجع وروي الفاصلة كقوله تعالى : ﴿وَالضَّحْنِ وَاللَّيلِ إِذَا سَجَنَ
مَا وَدَعْلَكَ رِبَكَ وَمَا قَلَّا﴾^(٣) ، أي ما قلاك وأبغضك .

ويرى صاحب « الكشاف » أن حذف المفعول في مثل هذا الاختصار
اللفظي لعلم به .

٦ - استمجان ذكره ، كقول عائشة رضي الله عنها : ما رأيت منه ولا رأى
مني (تعني العورة) .

(١) أي إن هذا التعميم ، وإن استقيد من ذكر المفعول بصيغة المفعول ، يقوت الاختصار .

(٢) سورة يومن الآية ٢٥ .

(٣) سورة الضحى الآية ١ .

٧ - مجرد الاختصار كقولك: أصغيتُ إلَيْهِ أذنِي وأغضبتُ عَلَيْهِ أَيْ بصرِي
ومنه قوله تعالى: ﴿أَهُدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(١)، أَيْ بعثَ اللَّهُ .

٨ - تعينه ، كقوله تعالى: ﴿لَيَنْذِرَ بَاسًا شَدِيدًا﴾^(٢) ، أَيْ لِيَنْذِرَ
الَّذِينَ كَفَرُوا .

وَكَثِيرٌ مِّنَ الْأَغْرَاضِ السَّابِقَةِ تَجْرِي هُنَا كِإِخْفَائِهِ عَلَى غَيْرِ السَّامِعِ أَوِ التَّمْكِنِ
مِنْ إِنْسَاكِهِ عِنْدِ الْحَاجَةِ أَوِ ادْعَاءِ تَعْيِنِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

تدريب

بَيْنَ أَسْبَابِ حَذْفِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ أَوِ الْمَسْنَدِ أَوِ الْمَفْعُولِ ، فِيمَا يَلِي :

١ - بِرْدٌ حَشَّا يَ إِنْ أَسْطَعْتَ بِلِفْظَةِ فَلَقَدْ تَضَرَّ إِذَا تَشَاءَ وَتَنْفَعَ

٢ - قَالَ تَعَالَى : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ ضَلَالًا فَهَدِي﴾^(٣) .

٣ - لَسِنٌ اذَا صَدَعَ الْمَنَابِرَ اَوْ نَضَّا قَلْمَانًا شَأْيَ الْخَطَّابَ وَالْكَتَابَ^(٤) .

٤ - وَقَبِيلٌ يَا أَرْضَ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءَ أَفْلَعِي وَغَيْضَ الْمَاءِ﴾^(٥) .

٥ - حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيْعٌ لِدِينِهِ وَلَيْسَ لَمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيْعٍ

٦ - ﴿وَلَا صُرْبَابْ ابْنِ مَرِيمٍ مُثْلًا إِذَا قَوْمَكَ مِنْهُ يَصْدُونَ﴾^(٦) .

٧ - خَلِيلٌ لَا يَفِيرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخَلْقِ الْجَهَنَّمِ وَلَا مَسَاءٌ

٨ - وَإِنِّي رَأَيْتَ الْبَخْلَ يَزْرِي بِأَهْلِهِ فَأَكْرَمْتَ نَفْسِي أَنْ يَقَالُ بِخَيْلِ

الاجابة

(١) حذف المفعول ، أَيْ تضرني وتنفعني لتزييل الفعل منزلة اللام ، إذ المراد
أنه يحصل منك نفع وضرر .

(٢) حذف المفعول رعاية لحسن الكلام ، وتجانس الفواصل ، وتقديره :
آواك وهداك .

(١) سورة الفرقان الآية ٤١ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢ .

(٣) الضلال هنا الجهل بالشرائع وما طريقه السمع ... الآيات ٦ و ٧ من سورة الصافع .

(٤) نضا أمسك ، وشأي سبق .

(٥) سورة هود الآية ٤٤ .

(٦) سورة الزخرف الآية ٥٧ .

- (٣) حذف المسند إليه أي هو لسن لا دعاء العلم به .
- (٤) حذف المسند إليه وهو الله تعالى للعلم به في باب المدح .
- (٥) حذف المسند إليه لا دعاء العلم به في باب الذم .
- (٦) حذف المسند إليه للعلم به وهو الله تعالى .
- (٧) حذف المسند إليه للعلم به ادعاء في باب المدح .
- (٨) حذف المسند إليه للجهل به .

تدريب ثان

- ١ - على أني راض بأن أحمل الموى وأخرج منه لا علي ولا لي .
- ٢ - وعد بالحضور ليلاً (تقصد شخصاً مهوداً) .
- ٣ - يقول مبصر اللص : لص .
- ٤ - شريرُ غي مشاه بنعم .
- ٥ - أرنى أنظر إليك .
- ٦ - ﴿وَلَا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتَنِ تَذَوَّدَانِ، قَالَ مَا خَطَبُكُمَا قَالَا نَا نَسْقِي حَقَّ يَصْدِرُ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (١١).
- ٧ - ﴿فَإِنَّ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (١٢).
- ٨ - فلو أن قومي أنطقوني رماحهم نطقت ولكن الزماح أجرت

الاجابة

- (١) حذف المسند للمحافظة على الوزن والأصل : لا علي شيء ولا لي شيء .
- (٢) حذف المسند إليه لإخفاء الأمر على غير المخاطب .
- (٣) حذف المسند إليه لاتهاب الفرصة والأصل : هذا لص .
- (٤) حذف المسند إليه لتأكيـد الإنكار عند الحاجة .
- (٥) حذف المفعول للاختصار والأصل : أرنـي ذاتك .

(١) سورة القصص الآيتان ٢٢ و ٢٣ .

(٢) سورة الشورى الآية ٢٤ .

(٦) حذف المفعول هنا في مواضع ، فحذف مفاعيل : يسقون وتذودان ونسقي ، لتنزيل القلمة منزلة اللازم ، لأنه إنما رحمة لأنها كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمها لأن مذودهما غنم ومستقيمهم إبل مثلاً ، وكذلك قولهما: لا نسقي ، المقصود منه السقي لا المسقى .

(٧) حذف المفعول في باب المشيئة للبيان بعد الإيهام .

(٨) حذف المفعول هنا لجعل الفعل المطلق كنایة عن الفعل متعلقاً بمفعول معين ، لأن غرضه أن يثبتت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن مدحهم والافتخار بهم ليتوصل إلى مطلوبه وهو أنها أجرته .

تمرين

بين أسباب الحذف فيما يلي :

- | | |
|---|---|
| بنـا نـعـلـنا فـي الـواـطـئـين فـزـلتـ (١) | ١ - جـزـى اللهـ عـنـا جـعـفـرـأـ حـيـنـ أـزـلـفـتـ |
| تـلـاقـيـ الـذـي لـاقـوهـ مـنـا مـلـتـ | أـبـواـ أـنـ يـلـوـنـاـ وـلـوـ أـنـ أـمـنـاـ |
| إـلـىـ حـجـرـاتـ أـدـفـأـتـ وـأـظـلـتـ | مـخـلـطـوـنـاـ بـالـنـفـوـسـ وـأـلـجـنـوـاـ |
| خـافـةـ مـلـوـيـ مـنـ الـقـدـ خـصـدـ (٢) | ٢ - فـإـنـ شـتـتـ لـمـ تـرـقـلـ وـإـنـ شـتـ أـرـقـلـ |
| وـاسـتـوـنـقـواـ مـنـ رـتـاجـ الـبـابـ وـالـدارـ | ٣ - قـوـمـ اـذـاـ أـكـلـواـ أـخـفـواـ حـدـيـشـ |
| | ٤ - وـمـاـ أـدـرـاـكـ مـاـ هـيـ نـارـ حـامـيـةـ |
| وـإـنـاـ لـاـ نـدـرـيـ أـشـرـ أـرـادـ بـهـمـ رـشـدـاـ (٣) | ٥ - وـإـنـاـ لـاـ نـدـرـيـ أـشـرـ أـرـادـ بـهـمـ رـشـدـاـ (٣) |
| أـعـوزـ الـعـذـرـ مـنـ بـيـاضـ الـعـذـارـ (٤) | ٦ - كـلـ عـذـرـ مـنـ كـلـ ذـنـبـ وـلـكـنـ |
| بـرـيـشـاـ وـمـنـ أـجـلـ الطـوـيـ رـمـانـيـ (٥) | ٧ - رـمـانـيـ بـأـمـرـ كـنـتـ مـنـهـ وـوـالـدـيـ |
| فـأـجـبـتـ وـقـلـتـ كـذـبـتـ مـتـىـ | ٨ - قـدـ قـالـ عـزـوـلـيـ مـنـاكـ أـتـىـ |
| وـكـبـيرـ السـنـ قـلـتـ فـقـ | فـقـالـ حـبـيـكـ ذـوـ سـخـرـ |

(١) زـلتـ النـعـلـ كـنـايـةـ عنـ الفـقـرـ .

(٢) الأرقـالـ سـرـعـةـ السـيـرـ ، وـالـقـدـ جـلدـ غـيرـ مـدـبـوغـ ، وـالـلـوـيـ المـفـتـولـ ، وـالـخـصـدـ الـحـكـمـ الـفـتـلـ .

(٣) سـوـرـةـ الـجـنـ الـآـيـةـ ١٠ .

(٤) أـعـوزـ ضـاقـ .

(٥) الطـوـيـ الـبـيـثـ الـبـيـنـيـ ، وـقـدـ كـانـ خـصـمـهـ رـمـاهـ بـالـصـوـصـيـةـ .

الباب الخامس في التقديم

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول في مزايا التقديم وأقسامه

الألفاظ قوله المعاني ، فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي بحسب ترتيبها الطبيعي ، ومن بين أن رتبة المسند إليه التقديم لأنه المحكوم عليه ، ورتبة المسند التأخير ، إذ هو المحكوم به ، وما عدتها فتوابع ومتصلقات تأتي قالية لها في الرتبة .

ولكن قد يعرض بعض الكلم من المزايا ما يدعوه إلى تقديره ، وإن كان حقه التأخير ، فيكون من الحسن تغيير هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يراد ، ومتراجعاً مما يقصد منه . ومن ثم قال في «دلائل الإعجاز» : إن هذا التقديم كثير الفوائد ، جم الحasan لا يزال يفتّر للك عن بدعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شمراً يروقك سجعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب ان رافق ولطف عندك ، ان قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان . اه .

والتقدم أحوال أربع :

١ - ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ ، وذلك هو الفاية القصوى ، وإليه المرجع في فنون البلاغة ، والمعدة في هذا هو الكتاب الكريم انظر قوله تعالى : ﴿ وجوهٗ يومئذ ناضرةٌ إِلَى رِبِّهَا ناظرةٌ ﴾^(١) تجد أن تقديم الجار والمحرر في هذا قد أفاد التخصيص ، وأن النظر لا يكون إلا لله ، مع جودة الصياغة وتناسق السجع .

(١) سورة القيمة الآية ٤٢ .

٢ - ما يفيد زيادة في المعنى فحسب نحو: بل الله فاعبد وكن من الشاكرين، فتقديم المفعول في هذا التخصيص بالعبادة دون سواه ، ولو آخر لم يفده الكلام ذلك .

٣ - ما يتسكافأ فيه التقاديم والتأخير ، وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة ، نحو: وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت (بحمد إلهي) وهي منه سليب^(١) فتقديره : ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد الله .

٤ - ما يختل به المعنى ويضطرب ، وذلك هو التعقيد اللغظي ، أو المعااظلة التي تقدمت كتقاديم الصفة على الموصوف ، والصلة على الموصول ، ونحو ذلك ، كقول الفرزدق :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كلب تصاهره
إذ تقديره إلى ملك أبوه ما أمه من محارب ، أي ما أمه أبيه منهم ، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظر الأولى ، بل يحتاج إلى تأمل ورفق حتى يفهم المراد منه .

البحث الثاني في تقديم المسند إليه

يقدم المسند إليه لأغراض ، منها :

١ - أنه الأصل إذ هو الحكم عليه ولا مقتضى للعدول عنه ، نحو : العدل أساس الملك .

٢ - ليتمكن الخبر في ذهن السامع ، لأن في المبتدأ تشويقاً إليه كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانَكُم﴾^(٢) ، وقول أبي العلاء : والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جناد يريد أن الخلائق تحيرت في المعاد الجساني ، كما يرشد إلى ذلك ما قبله : بأن أمر الإله واختلف الناس' فداع إلى ضلال وهـادي فإياتـانـه بالـمسـندـ إلـيـهـ عـلـىـ تـلـكـ الشـاكـلـةـ موـصـوفـاـ بـجـيـرـةـ الـبـرـيـةـ فـيـهـ ، يستـدـعـيـ تشـوـقـ السـامـعـ إـلـىـ أـنـ يـعـرـفـ مـاـ حـكـمـ بـهـ عـلـيـهـ ، فـإـذـاـ جـاءـ خـبـرـ تـكـنـ فيـ النـفـسـ لـماـ تـقـدـمـهـ مـنـ التـوـطـنـةـ لـهـ .

(١) سليب بمعنى مسلوب ، أي متزعزع مأخوذ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

- ٣ - تعجيل المرة للتفاول ، لأن السامع إذا قرع سمه في ابتداء الكلام ما يشعر بالسرور هشّ وفرح به ، نحو: المدّى في قلوب المخلصين .
- ٤ - تعجيل المسأة ليتطيير السامع ويتبادر إلى ذهنه حصول الشر باديء ذي بدء ، نحو: السجن على جهة التأييد حكم به عليك اليوم .
- ٥ - التبرك به نحو: اسم الله اهتديت به .

٦ - إيهام أنه لا يزول عنibal لكونه مطلوباً ، نحو: رحمة الله ترجى ، نصر الله قريب .

٧ - إفاده التخصيص إذا كان الخبر فعلاً وولي المسند اليه حرف النفي ، نحو: ما أنا قلت هذا ، أي لم أقله وهو مقول لغيري . لا تقول ذلك إلا في شيء ثبت أنه مقول ، لكن يريد أن تتفى كونك قائل له . ومنه قول المتنبي :

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جَسْمِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

إذ المعنى : ما أنا الجالب لهذا السقم الموجود والضرم الثابت ، ولأجل هذا لا تقول : ما أنا قلت هذا ولا أحد غيري للتناقض بين أول الكلام وآخره ، ولا ما أنا رأيت كل أحد ، لأنه يفيد أن غيرك رأى كل أحد ، ولا ما أنا كلام إلا حمدًا ، لأنه يقتضي أن يكون إنسان غيرك قد كلام كل أحد سوى محمد^(١) .

فإإن لم يل المسند اليه حرف النفي^(٢) ، فإما أن يكون معرفة أو نكرة ، فإن كان معرفة أفاد تقاديمه أحد أمرin :

(أ) تخصيصه بالمسند ردًا على من زعم انفرد غيره به أو مشاركته فيه ، كما تقول: أنا سعيت في حاجة فلان ، وعلى الأول يتوكل بنحو: لا غيري ، وعلى الثاني بنحو: وحدني . ومن الواضح في ذلك قوله في المثل: أتعلمني بغضب أنا حرسته^(٣) .

(١) لأن المستثنى منه مقدر عام وكل ما ففيه عن المذكور على وجه الحصر يجب ثبوته لغيره تحقيقاً لمعنى الحصر سواء كان على وجه التخصوص أو على وجه العموم .

(٢) بala يكون في الكلام حرف نفي ، أو يكون حرف النفي متاخرًا عن المسند اليه .

(٣) حرش الضب صاده ، فهو حارش ، وهو أن يحرك يده على باب جحره ليظنه حية فيغرس ذنبه ليضربها وبذلك يأخذه ، يضرب مثلاً من يريد أن يعلم التعلم .

(ب) تقوية⁽³⁾ الحكم وتقريره لدى السامع بدون تحصيص، كقولك : هو يعطي الجزيل ، وهو يحب الثناء . ألا ترى أنك لا تزيد أن غيره لا يعطي الجزيل ولا يحب الثناء .

يرشد الى ذلك أن هذا الضرب يحيى، فيما سبق فيه إنكار منكر، نحو أن يقول الرجل : ليس لي علم بالذى تقول ، فتقول له : أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ولكنك تميل الى خصمي ، وعليه قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) ، والفعل المنفي كالمثبت في ذلك ، فتارة يفيد التخصيص ، كما تقول : أنت ما سمعت في حاجتي ، وتارة يفيد التقوية نحو : أنت لا تكذب ، وعليه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يَشْرِكُونَ ﴾^(٥) .

(تنبيه) مما رأى العرب تقدیمه كاللازم لفظ (مثل) : اذا استعمل كناية من غير تعريض ، نحو : مثلك لا يبخل ، ومثلك رعى الحق والحرمة ، ونحو قول ابن القعثري^(٦) بحسب الحاج ، على سبيل المغالطة ، حينما توعده ، بقوله :

(١) مرنوا واستمروا.

(٢) سورة التوبة الآية ١٠١.

(٣) علة التقوية ما ذكره عبدالقاهر من أن الاسم لا يتوتى به معرى عن العوامل إلا الحديث قد نوى إسناده الله ، فإذا جئت بالحديث دخل على القلب دخل المأнос .

(٤) سورة آل عمران الآية ٧٥ .

(٥٩) سورة المؤمنون الآية .

(٦) هو القبيبان بن القبيطري الشيباني، وكان من خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي، وأراد بالآدم الأول القيد، وباثقاني الفرس الأدمن.

لأحملنك على الأدhem ، مثل الأمير يحمل على الأدhem والأشemb . ونحو قول المتنبي
يعزي عضد الدولة بعمته :

مثلك يشئ المزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه^(١)

فلا يقصد في كل هذا وأشباهه بثل إلى إنسان سوى الذي أضيف إليه ، بل
يريدون أن كل من كان هذا شأنه وتلك حاله كان من موجب العرف والعادة أن
يفعل أو لا يفعل ، ولأجل إفادتها ذلك المعنى قال المتنبي في تلك القصيدة :

ولم أقل مثلك أعني به سواك يا فرداً بلا مشبه

وكمثل (غير) اذا سلك بها هذا المسلك تقول : غيري يفعل كذا ، على معنى
أنك لا تفعله ، لا أن تعرض بإنسان آخر ، وعليه قول أبي قاتم :

وغيري يأكل المعرف سُحْنَّا وتشحَّب عنده بيض الأيدي^(٢)

فهو لم يرد أن يعرض بشاعر سواه فيزعم أن الذي اتهم به من هجو المدوح
كان من ذلك الشاعر ، لا منه ، بل أراد أن ينفي عن نفسه كفران النعمة
وجحدها ، لا غير .

واستعمال (مثل وغير) على تلك الشاكلة مما رکز في الطياع وجرى على جميع
الألسن ، فمن نحا بها غير هذا النحو ، فقد قلب الكلام عن جهته ، وغيره عن
صورته ، وما ذاك إلا لأنه قد غفل عن سر تقديمها ، وهو إفادة تقوية الحكم
وتأكيده .

٨ - إفادة التعميم والنص على شمول النفي (عموم السلب) وذلك حين تتقى
أداة العموم ككل وجميع ونحوها على أدلة النفي ، وهي غير معمولة للفعل المنفي
فيتوجه النفي إذ ذاك إلى أصل الفعل ، ويعلم كل فرد من أفراد ما أضيف إليه
كل ، نحو : كل ظالم لا يفلاح ، فالمعنى : لا يفلح أحد من الظالمه . وعليه قول
أبي النجم :

قد أصبحت أم الحيار تدعى على ذنبـاً كله أصنع

(١) الغروب بمحاري الدموع ، والصوب القصد ، ويثنى يدفع ، يريد أنك قادر على دفع المزن
ورد الدموع إلى مغاريبها إذ لا مشبه لك .

(٢) السحت المال الحرام ، وتشحَّب تغیر .

وعلة ذلك أنك إذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه، وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه وذلك يقتضي لا يشد عنه شيء.

أما إن قدم النفي على أداة العموم لفظاً، كقول أبي الطيب :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن^(١)

أو تقديرأً بأن قدمت أداة العموم على الفعل المنفي وأعمل فيها، كقولك : كل الدرارم لم آخذ ، توجه النفي إلى الشمول خاصة دون أصل الفعل ، وأفاد الكلام نفي المجموع (سلب العموم) فيحتمل ثبوت البعض ، كما يحتمل نفي كل فرد ، يدل على ذلك الذوق والاستعمال ، وهذا الحكم أكثرى ، وليس بكلى ، بدليل قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كُفَّارٍ أَثْمَ﴾^(٢) ، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾^(٣) فخور^(٤) ، ﴿وَلَا تَطْعِمُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينَ﴾^(٥) .

إلى غير ذلك .

المبحث الثالث في تقديم المسند

يقدم المسند لأغراض ، منها :

- ١ - تخصيصه بالمسند إليه ، نحو : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ﴾^(٦) ، ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٧) ، ﴿لَا فِيهَا كَوْنٌ﴾^(٨) ،

(١) وفي رواية يشتهي بالياء ، والسفن بفتح فكسر ، أي ربان السفينة .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧٦ .

(٣) يرى أستاذنا الإمام الشیخ محمد عبده أن مثل هذا من عموم السلب لا من سلب العموم حيث قال : قد يعدل بحسب الظاهر عما يدل على عموم السلب إلى ما يفيد سلب العموم والسلب عام بحسب الحقيقة تعرضاً بأن الخطاطب شر هذا النوع فالمعنى في هذه الآية أن محبة الله لا تم المختارين الفخورين حتى تشمل هؤلاء فلو تعلقت محبته بمختار فخور لم تتعلق بأولئك لأن مختارهم فخورهم شر مختار وفخور ، وهكذا باقي الآي التي جاءت على النمط .

(٤) سورة لقمان الآية ١٨ .

(٥) سورة القلم الآية ١٠ .

(٦) دينكم مقصور على الاتصال بلكم لا يتصف بلني وديني مقصور على الاتصال بلني ، فهو من قصر الصفة على الموصوف (سورة الكافرون) .

(٧) ملك السموات مقصور على الاتصال بالله (سورة المائدة) .

(٨) أي أن عدم الفعل مقصور على الاتصال بغير خمور الجنة لا يتجاوزه إلى الاتصال بغير خمور الدنيا ، وإن اعتبر النفي في جانب المسند ، فالمعنى أن الفعل مقصور على عدم الحصول في خمور الدنيا لا يتجاوزه إلى عدم الحصول في خمور الدنيا فهو قصر غير حقيقي .

أي بخلاف خور الدنيا فإنها تفتال العقول وتوجب دوار الرأس ونقل الأعضاء ، ومن ثم لم يقدم الظرف في قوله تعالى: ﴿لَا رِيبَ فِيهِ﴾^(١) لأنه لو قدم لاقتضى ثبوت الريب في سائر كتب الله تعالى ما عدا القرآن .

٢ - التنبية ابتداء دون حاجة إلى تأمل في الكلام على أنه خبر لامع ، قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمُتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾^(٢) ، وقول أبي بكر ابن النطاح في وصف أبي دلف العجلاني :

لَهُ هُمْ لَا مُنْتَهٰى لِكَبَارِهَا	وَهُنَّ الصَّفَرِيُّ أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنْ مُعْشَارَ جُودَهَا	عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبَرُّ أَنْدَى مِنَ الْبَحْرِ

٣ - التفاؤل بسعاد ما يسرّ المخاطب ، نحو :

سَعِدْتُ بِغَرَةٍ وَجَهْكَ الْأَيَّامِ	وَتَرَيْنَتُ بِلَقَائِكَ الْأَعْوَامِ
--	---------------------------------------

٤ - التشويق^(٣) إلى ذكر المسند إليه ، وبكثر ذلك في باب المدح ، كقول محمد ابن وهيب يدح المعتصم :

ثَلَاثَةٌ تَشْرُقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا	شَمْسُ الْضَّحْئَى وَأَبُو إِسْحَاقِ الْقَمْرِ
وَفِي بَابِ الْوَعْظِ كَقُولُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمُعْرِيِّ :	

وَكَالنَّارِ الْحَيَاةِ فَمِنْ رَمَادٍ	أَوْاخِرَهَا وَأَوْلَاهَا دَخَانٌ
--	-----------------------------------

المبحث الرابع في تقديم متعلقات الفعل

الأصل في العامل أن يقدم على المعمول ، وقد يعكس ذلك فيقدم المعمول ونحوه من الجار والمبرور والظرف والحال لأغراض أهمها :

١ - رد الخطأ في التعيين كقولك : «محمدًا كلمت' » ، ردًا على من اعتقد أنك كلمت إنساناً غير محمد ، وتقول لتأكيدك : «محمدًا كلمت' لا غيره ». أو في ظن الاستئثار ، نحو : «عليًا رأيت' ، أي وحده » ، ردًا على من اعتقد أنك رأيت عليًا ومحمدًا . ومن ثم لا يقال : ما محمدًا كلامت' ولا غيره ، لتناقض دلالي الأول والثاني ،

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٤ .

(٣) إذا كان في المسند المتقدم طول يشوق النفس إلى ذكر المسند إليه ، فيكون ذكره بعدئذ أرقع وأتم .

ولا أن تعقب الفعل المنفي بإثبات ضده ، كقولك : ما محمدأ ضربت ، ولكن أكرمته^(١) ، وقولك : بمحمد مررت ، من اعتقاد أنك مررت بـإنسان وأنه غير محمد ، وكذا سائر المعمولات ، نحو : يوم الجمعة سرت ، وفي المسجد صليت ، وماشيأ جئت .

٢ - التخصيص ، وهو لازم للتقديم غالباً بشهادة الإستقراء ، وحكم الذوق ، ومن ثم قال المفسرون في قوله تعالى : **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ**^(٢) إن المعنى نخصلك بالعبادة والإستعانة ولا نعبد غيرك ولا نستعين به ، وفي قوله : **لِإِلَهٍ تَحْشِرُونَ** ، أي لا إلى غيره .

وفي التقديم فائدة أخرى ، وهي الاهتمام بشأن المقدم ، ومن ثم قدر المذوف في : باسم الله مؤخرأ ، أي باسم الله أفعل كذا ، بياناً لاهتمام الموحد بالاسم الكريم وردأ على المشركين الذين كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم ، فيقولون : باسم اللات ، أو باسم العزّى .

ولا يشكل على هذا آية : إقرأ باسم ربك ، بتقديم الفعل على اسم الله ، لأن الأمر بالقراءة في ذلك الموضع أهم ، إذ بالقراءة حفظ المفروه عادة ، وذلك هو المقصود من الإنزال أو بأن باسم الله متعلق بإقرأ الثاني ، ومعنى إقرأ الأول ، أو جد القراءة كقولك : فلان يعطي . وإنما قلنا لازم غالباً لأن التقديم قد يكون .

٣ - للاهتمام بالقدم نحو : حسنَ الخلق لزمت .

٤ - التبرك به نحو : محمدأ عليه السلام اتبعت .

٥ - الاستناد به نحو : ليلى كلمت .

٦ - موافقة كلام السامع نحو : محمدأ أكرمت ، في جواب : من أكرمت ؟

٧ - ضرورة الشمر نحو :

سريرُ أَبِي دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ
وليس أَبِي دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ

(١) لأن الكلام لم يبن على الخطأ في الفعل وهو الضرب حتى يرد إلى الصواب بأنه الأكرام وإنما بني على الخطأ في المضروب حين اعتقاد أنه محمد ، فرده إلى الصواب أن يقال : لكن علياً مثلاً .

(٢) سورة الفاتحة الآية ٢ .

٨ - رعاية السجع والفاصلة نحو: خذوه فقلوه ثم الجيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سمعون ذراعاً فاسلكوه . فاما اليتيم فلا تظهر وأما السائل فسلا تظهر ، الى غير ذلك مما لا يحسن فيه اعتبار التخصيص ، لأن المقام ينبو عنه ، كما بينه ابن الأثير في المثل السائر .

٩ - أن يكون المقدم مخط الإنكار ، كما يقول: أبعد طول عشرة فلان تخدع بمواعيده . وعليه قول أبي العلاء :

أعندى وقد مارست كل خفية يصدق وان أو يخيب سائل

ويقدم بعض معمولات الفعل على بعض لأسباب ، منها :

(أ) أن التقديم هو الأصل ولا داعي للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول ، نحو: كلم محمد علياً . وتقديم المفعول الأول على الثاني ، نحو: أعطيت محمدًا درهماً .

(ب) أن ذكره أهم والعناية به أتم ، فيقدم المفعول على الفاعل اذا كان الفرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه من وقع منه ، كما إذا اعاث لص فاتك في البلاد وكثره أذاه فأمسك وأردت أن تخبر بذلك فتقول: أمسك اللص فلان ، إذ ليس للناس كبير فائدة في أن يعرفوا المسك ، وإنما الذي يهمهم عمله هو من أمسك ليتخلصوا من شره .

ويقدم الفاعل اذا كان الفرض معرفة وقوع الفعل من وقع منه ، كما إذا كان شخص خامل الذكر لا يظن به أن يقوم بعمل جليل فاخترع شيئاً مفيدة وأردت أن تخبر بذلك فتقول: اخترع فلان كذا . لأن الذي يهم الناس من شأن هذا الفعل استبعاد صدوره من ذلك الفاعل .

(ج) ان التأخير يوم غير المعنى المراد كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ أَلْفِ فَرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾^(١) ، إذ لو أخر (من أله فرعون) بما بعده لتوجه أنه متعلق بيكم ، فلا يفيد أن ذلك الرجل منهم .

(د) أن التأخير يخل بتناسب الفواصل نحو: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خَيْفَةً ﴾ موسى ^(٢) ، بتقديم الجار والمحروم والمفعول على الفاعل إذ فواصل الآي على الألف .

(١) سورة غافر الآية ٢٨ .

(٢) سورة طه الآية ٦٧ .

(تتمة) من سنن العرب أن يبدعوا في باب المديح بالصفة الدنيا ثم يثنوا بما هو أعلى منها ، وهكذا وعلى ذلك قول البحتري يصف نحو الركاب :

يتقرقن كالسراب وقد خضن غماراً من السراب الجاري
كالقسى المطفات بل الأسماء مبريةً بل الأوتابار

فقد ترقى في تشبيه نحوها فتشبهها بالقسى ، ثم بالأسماء المبرية ، ثم بالأوتابار ، وهي أشد الثلاثة نحوأ ، كما يمكرون في باب الدم .

تدريب أول

اذكر الأسباب التي دعت الى تقديم المستند اليه ، أو المسند ، أو متعلقات الفعل ، فيما يلي :

- | | | |
|--------------------------|------------|-----------------------------------|
| و ما كلٌ ما يهوى امرؤٌ | هو نائله | ١ - فيما للك من ذي حاجة حيل دونها |
| قطعها أفضضل من تلك القبل | | ٢ - أنا لا اختار قبيل يد |
| تحت الزرى يرتجي صفوٌ | وبينما | ٣ - وبعد أن بات عبد الله مرتهناً |
| وقتجلى عنهم غاذهب الكرى | | ٤ - عند الصباح يحمد القوم الشرى |
| | | ٥ - جنات عدن يدخلونها |
| تنبو بمحاملها | عن الاذلال | ٦ - النار وعدها الله الذين كفروا |
| وبعصمتي أسموا على أترابي | | ٧ - خير الصنائع في الآلام صنيعة |
| | | ٨ - بيد العفاف أصون عز حجابي |

الاجابة

- (١) وقع المسند اليه بعد حرف النفي لإفاده سلب العموم في شطره الثاني .
- (٢) قدم المسند اليه على حرف النفي لإفاده التخصيص .
- (٣) قدم الظرف لكونه محظ الإنكار .
- (٤) قدم متعلق الفعل وهو الظرف لإفاده التخصيص .
- (٥) قدم المفعول لتعجيز المرة .
- (٦) قدم المسند اليه لتعجيز المساءة .
- (٧) قدم المسند اليه لتعجيز السرور .
- (٨) قدم الجار وال مجرور لإفاده التخصيص في شطري البيت .

تدريب ثان

اذكر أسباب تقديم المسند اليه ، أو المسند ، أو متعلقات الفعل ، فيما يلي :

- ١ - وما كلٌ هاوة للجميل بفاعل ولا كلٌ فعال له بنتم
- ٢ - ثلاثة ليس لها ايات الوقت والجهال والشباب
- ٣ - نحن في الشتاء ندعوا الجفلى لا ترى الآدب فيما ينقر^(١)
- ٤ - قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا
- ٥ - وبالآخرة هم يوفدون
- ٦ - قل أغير الله أبغي ربي وهو رب كل شيء
- ٧ - سواي بتحنان الأغاريد يطرب وغيري بالذات يلهم ويلعب
- ٨ - لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً .

الاجابة

- (١) وقع المسند اليه بعد حرف النفي ليفيد سلب العموم .
- (٢) قدم الخبر للتشويق الى ما بعده .
- (٣) قدم المسند اليه لتقوية الحكم وتوكيده .
- (٤) قدم المسند اليه للتخصيص .
- (٥) قدم الجار وال مجرور لافادة التخصيص .
- (٦) قدم المفعول لكونه محظ الإنكار .
- (٧) قدم المسند اليه لافادة تقوية الحكم وتوكيده .
- (٨) آخر الجار وال مجرور بعد شهادة في الأول لأن الغرض إثبات شهادتهم على الأمم ، وقدم في الثاني لاختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم .

تمرين (١)

بين السبب في تقديم المسند اليه ، أو المسند ، أو متعلقات الفعل ، فيما يلي :

- ١ - ﴿وَإِنْ كَذَبْتُكَ فَقُلْ لِي عَمْلِي وَلَكُمْ عَمْلُكُم﴾^(٢) .

(١) الشتاء مكان الشتاء أو زمانه ، والجفلى الدعوة العامة الى الطعام ، والتقوى الدعوة الخاصة ، والآدب من يدعو الناس للأدب يفتخر بجودهم وكرمهم .

(٢) سورة يونس الآية ٤١ .

- ٢ - ﴿ بَلْ إِنَّ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَاكِرِينَ ﴾ (١).
 ٣ - ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ (٢).
 ٤ - ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا هِيَ ﴾ (٣).
 ٥ - ﴿ إِنْ وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ ﴾ (٤).
 ٦ - جَمِيعُ الْمَصْرِيبِينَ لَا يَرْغِبُونَ فِي أَذَى الضَّيْفِ.
 ٧ - ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يَحْبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا هِيَ ﴾ (٥).

تمرين (٢)

- يَبْيَنُ السَّبَبُ فِي تَقْدِيمِ السَّنْدِ إِلَيْهِ، أَوْ السَّنْدُ، أَوْ مَتَعْلِقَاتُ الْفَعْلِ، فِيمَا يَلِي :
- | | |
|---|---|
| ١ - إِنْ فِي عَدْلِكَ وَكِرْمِكَ وَرَأْفَتِكَ رَحْمَةٌ بِالضَّعْفِاءِ | ٢ - بِكَ افْتَدَتِ الْأَيَامُ فِي حَسَنَاتِهِ |
| ٣ - وَشَيْمَتِهَا لَوْلَاكَ هُمْ وَتَخْرِيبُ | ٤ - أَكْفَرُأَ بَعْدَ رَدِ الْمَوْتِ عَنِ |
| ٥ - وَبَعْدَ عَطَانِكَ الْمَائِنَةِ الرَّمَاعِ | ٦ - إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تَجْهِي |
| ٦ - فَخَيْرٌ مِنْ إِجْبَابِهِ السَّكُوتِ | ٧ - إِذَا شَتَّتْ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةُ |
| ٧ - فِي الْحَلْمِ سَدٌ لَا بِالْتَّسْرِعِ وَالشَّتْمِ | ٨ - وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخَطْنَا |
| ٨ - وَنَحْنُ الْأَخْذُونُ لِمَا رَضِينَا | ٩ - مَا كُلُّ رَأْيٍ لِفَتْنِي يَدْعُونَ إِلَى رَشْدِ |

- (١) سورة الزمر الآية ٦٦ .
 (٢) سورة الإخلاص الآية ٣ .
 (٣) سورة الأنبياء الآية ٩٧ .
 (٤) سورة الأعراف الآية ١٩٦ .
 (٥) سورة التوبة الآية ١٠٨ .

الباب السادس في التعريف

وفي ثانية مباحث

المبحث الأول في الفرق بين النكارة والمعرفة والداعي إلى التعريف

كل من النكارة والمعرفة يدل على معين وإلا امتنع الفهم ، إلا أن النكارة تدل على معين من حيث ذاته لا من حيث هو معين ، أي ليس في لفظ النكارة ما يشير إلى أن السامع يعرفه فليس في اللفظ دلالة على ملاحظة المعين ، والمعرفة تدل على معين أي إن في لفظ المعرفة ما يشير إلى أن السامع يعرفه ، وإذا فالنكارة يفهم منها ذات المعين فحسب ولا يفهم منها كونه معلوماً للسامع ، والمعرفة يفهم منها ذات المعين وكونه معلوماً للسامع .

والمعين في المعرفة ، إما أن يكون بنفس اللفظ ، كما في الاعلام ، وإما بقرينة خارجية ، كما في غيره من بقية المآرifacts .

ويعدل عن التناكير إلى التعريف لتزداد الفائدة وقت ، فإن فائدة الخبر أو لازمها كلما ازداد متعلقها معرفة زاد غرابة ، واعتبر ذلك بما تراه من عظيم الفرق بين قولنا : ثوب نقيس اشتري في السوق ، وقولنا : ثوب حرير مطرز من صنع بلدة كذا اشتراه فلان أمس بـ ألف دينار .

المبحث الثاني في تعريف المسند إليه بالاضمار

يعرف المسند إليه بالاضمار ، لأن المقام مقام تكلم ، كقوله ^{عليه السلام} يوم بدر : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » وقول بشار :

أنا المرعث^١ لا أخفي على أحد ذرت في الشمس للقاصي وللداني^(١)

(١) الرعث القرط يعلق في شحمة الأذن ، ولقب بشار بالمرعث لرعثة كانت له في صفره ، وذرت طلعت .

أو مقام خطاب كقول الحماسية :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلومُ
أو مقام غيبة، ولا بد من تقدم ذكره إما لفظاً نحو: ﴿ واصبر حتى يحكم الله
بیننا وهو خير الحاكمين ﴾^(١)، وقول أبي قاتم :

بِيَمْنَ أَبِي إِسْحَاقِ طَالِتْ يَدُ الْعَلَا
وَقَامَتْ قَنَاهُ الدِّينِ وَاشْتَدَ كَاهْلَهُ
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ
فَلْجَهْتَهُ الْمَعْرُوفُ وَالْبَحْرُ سَاحِلُهُ
وَإِمَّا مَعْنَى لَدْلَالَةِ لَفْظِ عَلِيهِ، نَحْوُ : ﴿ وَإِنْ قَيْلَ لَكُمْ ارْجِعُوهُ فَارْجِعُوهُ
هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾^(٢) لَمَا فِي ارْجِعُوهُ مَعْنَى الرَّجْوُعِ، أَوْ لِقُرْيَنَةِ حَالِ كَوْلَهُ
تَعَالَى : ﴿ وَلَا يُوبِدُهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا السَّيْدُسُ ﴾^(٣)، أَيِّ وَلَا يُوبِي الْمَيْتُ ، وَإِمَّا
حَكِيمًا كَمَا فِي بَابِ رَبِّ نَحْوِ رَبِّهِ فِي، وَبَابِ ضَحِيرِ الشَّانِ نَحْوُ : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَقَّ
وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٤).

والأصل في الخطاب أن يكون المشاهد معين نحو: أنت استرققني بإحسانك، وقد يخاطب :

١ - غير المشاهد اذا كان مستحضرأ في القلب كأنه 'نصب العين' ، كما في:
إياك نعبد .

٢ - غير المعين ليعلم كل من يمكن خطابه على سبيل البديل لا على طريق التناول
دفعة واحدة، كما تقول: فلان لثيم إن أحسنت إليه أساء إليك ، فلا يراد في مثله
مخاطب معين ، بل يراد أن سوء معاملته ، غير مختص بواحد دون آخر . وعليه
قول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم غردا
وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذَا الْجُنُونُ نَاكِسٌ وَّوَسِمٌ عَنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^(٥)
آخر الكلام في صورة الخطاب ، مع إرادة العموم ، تنبئها إلى تقطيع حالم ،

(١) سورة يونس الآية ١٠٩ .

(٢) سورة النور الآية ٢٨

(٢) سورة النساء الآية ١١.

١٠٣ (٤)

(٤) حوره، بیوست... (٥)

من تنكيس الرؤوس والخجل، من أهواك يوم القيمة، وبياناً لأنها بلغت الفانية في الظهور، بحيث لا تخفي على أحد، ولا تختص بها رؤية راء، بل كل من يتأتى منه الرؤية يدخل في الخطاب، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم، نحو: ﴿وَإِذَا رأَيْتَ شَمْ رَأَيْتَ نَعِيْمًا وَمَلْكًا كَبِيرًا﴾^(١).

المبحث الثالث في تعريف المستند إليه بالعلمية

يُؤتى بالمستند إليه لأغراض منها:

- ١ - إحضار معناه في ذهن السامع باسمه الخاص ليمتاز عما عداه كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ﴾^(٢).
- ٢ - التعميم في الأعلام التي تشعر بدرج كسيف الدولة وصلاح الدين.
- ٣ - الإهادة في الأعلام التي تشعر بذلك نحو صفوان وصخر.
- ٤ - الاستلزام بذكره كما يذكر الحبوب أسماء من يحبون، ومن ثم يقول المتنبي مادحًا عضد الدولة :

أَسَامِيَا لَمْ تَرَدْ مَعْرِفَةَ
وَإِنَّا لَذَّةَ ذَكْرِنَا هَا
وَعَلَيْهِ قَوْلُ مَجْنُونٍ لِّيلِيْ :

بِاللَّهِ يَا ظَبَيَّاتِ الْقَاعِ قَلْنَ لَنَا لِلَّيَّا يَنْكُنْ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

- ٥ - الكنية عن معنى يصلح العلم له بحسب معناه قبل العلمية، كما يقال: أبو الفضل وأخوه الحرب، فاطلاق ذلك اطلاقاً عالياً يحوز أن يلاحظ فيه الأصل مع القرينة، فيلمح في الأول أنه ملابس للفضل فهو صاحب المكارم، وفي الثاني أنه ملاصدق للحرب، فهو شجاع فاتك.

٦ - التناول في الأعلام التي تشعر بذلك نحو: سعد وسعيد.

٧ - التطير والتshawؤ نحو: السفاح والجراح.

- ٨ - التسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الإنكار، كما يقول القاضي لشخص: هل أقر إبراهيم بكل هذا، فيقول إبراهيم: أقر بكل هذا، فلم يقل هو لتسجيل الحكم وضبطه لثلا يحيد المشهود عليه سبيلاً للإنكار.

(١) سورة الإنسان الآية . ٢٠ .

(٢) سورة البقرة الآية . ١٢٧ .

المبحث الرابع في تعريف المسند إليه باسم الاشارة

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة لأغراض كثيرة يلاحظ البلاء منها :

١ - تعين اسم الاشارة طريقةً إلى إحضار المشار إليه بعينه في ذهن السامع بأن يكون حاضرًا محسوساً ، والمتكلم والسامع لا يعرفان اسمه الخاص ولا معيناً آخر .

٢ - تميزه أكمل تميز الإحضار في ذهن السامع بواسطة الإشارة الحسية ، لأن يكون المقام للدح فيكون أعون على كماله ، وعليه قول الخطيئة :

أولئك قومٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنَوْا الْبَنِي
وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَدَوْا شَدَوْا^(١)

٣ - التعرض بفباوة السامع حتى كان الأشياء لا تميز لديه إلا بالإشارة الحسية ، كقول الفرزدق يجو جريراً ويفخر بأبائه :

أولئك آبائي فجئني بهمْ لِإِذَا جَمِعْنَا يَا جَرِيرٌ الْجَامِعُ^(٢)

٤ - قصد تحقيره بالقرب ، نحو : ﴿أهذا الذي يذكر آلهنكم﴾^(٣) ، ومنه في غير المسند إليه : ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِنَا مُثْلًا﴾^(٤) .

٥ - قصد تعظيمه بالقرب نحو : ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلّٰٓتِي هِيَ أَفْوَمُ﴾^(٥) ، وذلك كثير في التنزيل .

٦ - قصد تحقيره بالبعد نحو : ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ﴾^(٦) .

٧ - قصد تعظيمه بالبعد نحو : ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تَنْتَنِ فِيهِ﴾^(٧) من حيث لم تقل : فهذا ، وهو حاضر رفعاً ل منزلته في الحسن وتمهيداً لمدر الإفتتان به .

(١) البنى جمع بنية كروشة ورشى .

(٢) يظهر أن نكتة التسبيح باسم الاشارة التعظيم أو تميزهم .

(٣) سکایة لقول المشركين حينما كانوا يستهزرون به (وردت في سورة الأنبياء) .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٦ .

(٥) سورة الإسراء الآية ٩ .

(٦) يدع : يفهر (الماعون) .

(٧) سورة يوسف الآية ٣٢ .

٨ - قصد التنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جديرة بما يذكر بعد اسم الإشارة نحو : ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾^(١) ، فقد عقب المشار إليه وهم المنقول بأوصاف ، وهي الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وما بينها ، ثم عرف المسند إليه بالإشارة تنبيهاً على أن المشار إليهم أحقاه أجل تلك الحصول بأن يفوزوا بالهدى عاجلاً أو آجلاً ، قال في «الكتشاف» ، ونظيره قوله حاتم :

وَلَهُ صَعْلُوكٌ يَسَاورُ هـ
إِذَا مَا رَأَى يَوْمًا مَكْلَارِمٌ أَعْرَضَتْ
إِذَا الْحَرْبُ أَبْدَتْ نَاجِذِهَا وَشَمَرَتْ
فَذَلِكَ إِنْ يَهْلِكْ فَحْسَنِي ثَنَاؤه
وَيَضِي عَلَى الْأَحْدَاثِ وَالدَّهْرِ مَقْدَمًا^(٢)
تَيْمِمْ كَبِرَاهـنْ ثَمَتْ صـا
وَوَلـ هـدَانَ الْقَوْمَ أَقْبَلَ مَعْلَمـا
وَإِنْ عَاشَ لَمْ يَقْعُدْ ضَعِيفـاً مَذْمَـا

فقد قال : الله صعلوك ، ثم عدد له خصالاً فاضلة من المضاء على الأحداث مقدماً وقيم كبرى المكرمات والتأهيب للحرب ، إلى غير ذلك مما ذكره بعد ، ثم عقبه بقوله : فذلك إن يهلك .

٩ - التهكم والسخرية كقوله : من يهزأ بأعمى هذا الملال في السهام .

١٠ - الإشارة إلى فظاظته وذكائه حق كان غير المحسوس عنده كالمحسوس ، نحو : هذا ما تشير إليه عبارتك .

المبحث الخامس في تعريف المسند إليه بالموصولة

يعرف المسند إليه بالموصولة لدعاع ، منها :

١ - عدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة ، نحو : من دخل هذا الحصن استحق أكبر ألقاب الشرف .

٢ - التفحيم ، أي التهويل والتعمظ ، نحو قوله تعالى : ﴿فَفَشَّلَهُمْ مِنْ الْيَمِينَ غَشِيهِم﴾^(٣) .

(١) سورة البقرة الآية ٦ .

(٢) صالحيك العرب فقوائمهم ومتلصصوهم ، والمساورة الموائمة ، والمهم العزيمة والقصد ، وأعرضت ظهرت ، والمدان الأحمق الثقيل .

(٣) سورة طه الآية ٧٨ .

٣ - تنبئه المخاطب الى خطته ، كقول عبدة بن الطبيب ، من قصيدة يعظ فيها ابنه :

إِنَّ الَّذِينَ تُرْوَنْهُمْ إِخْوَانَكُمْ يُشْفَى غَلِيل صدورهم أَنْ تُصْرَعُوا^(١)

٤ - زيادة تقرير الفرض المسوق له الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَرَاوِدَتْهُ الْيَهُودُ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾^(٢) فالغرض الذي سيق له الكلام نزاهة يوسف عليه السلام وبعده عن مظنة الريبة ، وهذا التعبير أوضح في الدلالة على هذا الفرض مما لو قيل امرأة العزيز أو زليخا أو نحو ذلك ، لأنه اذا امتنع عن الفحشاء ولم ينخدع مع كونه غلامها وفي بيتهما مع كمال قدرتها عليه ، كان ذلك غاية النزاهة ونهاية الطهارة وعليه قول أبي العلاء المعربي :

أَعْبَادُ الْمَسِيحِ يَخَافُ صَاحِبَيِّ وَنَحْنُ عَبْدِيْدُ مَنْ خَلَقَ الْمَسِيحَ^(٣)

فقوله : عبيد من خلق المسيح أدل على تقرير غرضه وهو نفي خوف أصحابه من قوله : عبيد الله .

٥ - الإيمان والإشارة الى نوع الخبر من مدح أو ذم أو عقاب أو غير ذلك فيتتبه الفطن من فاتحة الكلام الى خاتمة ، ويدرك ما تومي اليه من المقاصد ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِيْ سَيُدْخَلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِيْنَ ﴾^(٤) ففي مضمون الصلة وهو الاستكبار عن العبادة ، تلميح الى أن الخبر المترتب عليه من جنس الإذلال والعقوبة .

قال السكاكي : ثم يتفرع على هذا اعتبارات لطيفة ، فربما جعل ذريعة الى التعریض بالتعظیم لشأن الخبر كقولك : الذي يرافقك يستحق الإجلال ، والذي يفارقك يستحق الإذلال ، وعليه قول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمِّكَ السَّمَاءَ بَنِي لَنَا بَيْتًا دَعَاهُمْ أَعْزَّ وَأَطْوَلَ^(٥)

(١) أَنْ تُصْرَعُوا أَيْ تُهْلِكُوا أَيْ فَمَنْ تَظْنُنُهُمْ إِخْوَانَكُمْ بَتَّمُونَ لَكُمُ الْهَلاَكُ وَالْدَّمَارُ فَأَنْتُمْ مُخْطَنُونَ فِي هَذَا الظَّنِّ .

(٢) سورة يوسف الآية ٢٣ .

(٣) المراد بخاف اصحاب المسلمين من عباد المسيح مع اثنا عبيد الله الذي خلق المسيح .

(٤) داخرين صاغرين (سورة المؤمن) .

(٥) سمك رفع ، والبيت بيت العز والشرف قاله يفخر بقبيلته على قبيلة جرير .

فهو مع كونه يشير إلى أن الخبر المبني عليه من جنس الرفعة والبناء، يعرض بتعظيم بناء بيته لأنّه فعل من رفع السهام، أو ذريعة إلى تحقيق الخبر نحو:

بِكُوفَةِ الْجَنْدِ غَالَتْ وَدَهَا غَوْلٌ^(١) إِنَّمَا ضَرَبَتْ بَيْتَنَا مِهَاجِرَةً

نففي ضربها البيت في مكان المهاجرة تحقيق الحكم بزوال محبتها وودها .

٦- المث على التعميم نحو: جاء الذي أديبك ، ورباك فأحسن تربيتك .

٧ - التهمك ، نحو: ﴿ قالوا يا أيها الذي نزّل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ (٢) .

٨ - الحث على الترحم ، نحو : الذي سبى أولاده ، ونبه طريفه وتلاده ، عق المعونة .

٩- تعليل الحكم ، نحو : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا لَهُمْ جَنَّاتُ الْفَرْدَوسِ﴾ (٣) .

ففي ذكر الإيمان والعمل الصالح بيان لسبب فوزهم بالجنة ورفع الدرجات، وعلى الجملة، فلطفائف هذا الباب لا تكاد تنتهي.

المبحث السادس في تعريف المسند اليه باللوم

يؤتى بالمسند اليه معرفة باللام ، لإفاده معنى من المعانى التي تفيدها اللام ، ذلك أنها تنقسم قسمين : لام العهد الخارجى ، وهي ثلاثة أنواع : صريحى ، وكتابي ، وعلمى . ولام الحقيقة ، وهي أربعة أقسام : لام الحقيقة أو لام الجنس ، ولام العهد الذهنی ، ولام الاستغراق الحقيقى ، ولام الاستغراق العرفى :

١ - لام العهد الصريح هي ما يتقدم مدخولاً لها صراحة ، كما في قوله تعالى:
﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المضيّع
في زجاجة والزجاجة كأنها كوكب دري﴾^(٤) فقد ذكر المصباح والزجاج
منكرين ثم أعيداً معرفتين .

(١) سميت الكوفة كوفة الجندي لاقامة جند العرب بها عند تصميمها ، وغالبته غول ، أي أزالت وأهلكته .

(٢) سورة الحجر الآية ٦ .

١٠٨ الآية الكهف سورة (٤)

٤٥ - الآية النور سورة (٤)

٢ - لام العهد الكثائي : هي ما يتقدم ذكرها كنائية ، أي مبهمًا ، تعينه القرآن ، كقوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الذِّكْرُ كَالْأَنْشَى﴾^(١) فالذكر ، وإن لم يتقدم صريحاً ، قد استفيد من (ما) في قوله : ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي حَرَرَأً﴾^(٢) إذ التحرير وهو العتق لخدمة بيت المقدس لم يكن إلا للذكر فهو المعنى بـ (ما) في كلامها .

٣ - لام العهد العلمي : هي ما علم مدخولها عند المخاطب سواء أكان حاضراً أم لا ، نحو : ﴿إِذْ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٣) (إذ ها في الفار) أي الشجرة والفار المعهودين لك ، وكما تشير إلى حاضر ، وتقول : هذا الخطيب تكلم فأحسن الكلام .

٤ - لام الحقيقة : هي ما يشار بها إلى الحقيقة ، بقطع النظر عن عمومها ، وخصوصها ، وتسمى لام الجنس ، كقولهم : أهلك الناس الدينار والدرهم ، وشربت الماء . وقول أبي العلاء :

والخل كلماه يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ﴾^(٤)
إذ المراد : جعلنا مبدأ كل شيء حي هذا الجنس وهو الماء .

٥ - لام الحقيقة في ضمن فرد مبهم : إذا قامت القرينة على ذلك ، وتسمى لام العهد الذهني ، كما في قوله تعالى : ﴿أَخَافُ أَنْ يَسْهُ الذِّئْبَ﴾^(٥) ومدخولها في المعنى كالنكرة فيعامل معاملتها فيوصف بالجملة ، كما توصف النكرة ، كقول عميرة بن جابر الحنفي :

ولقد أَمْرَّ عَلَى اللَّئِمِ يَسْبِيَ فَمَضِيَتْ ثُمَّ قَلَتْ لَا يَعْنِي
أَمَا فِي اللفظ فتتجزئ عليه أحكام المعرف من وقوعه مبتدأً وذا حال ووصفاً
للمعرفه ومواصفها ، وإنما تقل نكرة لما بينهما من التفاوت إذ النكرة معناها

(١) سورة آل عمران الآية ٣٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٥ .

(٣) سورة الفتح الآية ٤٨ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٠ .

(٥) سورة يوسف الآية ١٣ .

بعض غير معين من جملة أفراد الحقيقة ، وأما المعرف باللام فمعناه نفس الحقيقة ، و تستفاد البعضية من القرآن كالأكل في الآية ، وإذا فال مجرد ذكر اللام مع القرينة^(١) سواء ، وبالنظر إلى أنفسها مختلفان .

٦ - لام الحقيقة ، في ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة ، وتسمى لام الاستغراق الحقيقي ، ودليل الشمول والاستغراق ، إما :

(أ) قرينة حالية نحو : (عالم الغيب والشهادة)^(٢) ، أي كل غيب وشهادة .

(ب) قرينة مقالية نحو : (إن الإنسان لفي خسر)^(٣) ، أي كل إنسان ، بدليل الاستثناء الذي هو علامة إرادة العموم ، إذ شرطه دخول المستثنى في المستثنى منه ، لو لم يذكر .

٧ - لام الحقيقة في ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب مفهوم المعرف كما تقول : جمع الملك الوزراء وألقى عليهم نصائح ذهبية ، فإن المقصود وزراء ملكته ، لا وزراء العالم أجمع .

(تنبيه) من القضايا المشوّرة قوله (استغراق المفرد أشمل) ، ومعنى ذلك أن اسم الجنس المفرد إذا دخلت عليه أدلة الاستغراق كحرف التعريف أو النفي كان شموله للأفراد وتناوله إليها أكثر من شمول المثنى والجمع الدالة عليهما تلك الأداة .

بيان ذلك أن المفرد يتناول كل واحد من الأفراد ، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين ، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة ، ودليل ذلك صحة قوله : لا رجال في الدار ، إذا كان فيها رجل أو رجلان ، وعدم صحة قوله : لا رجل إذا كان فيما واحد أو اثنان من هذا الجنس ، وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها ، وإنما تصح في النكارة المنافية دون الجمع المعرف باللام ، لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد ، بل هو في المفرد أقوى كما دل عليه الاستقراء وصرح به أمثلة اللغة وعلماء التفسير في كل ما وقع في القرآن الكريم ،

(١) في أن كلامها يفيد بعضاً غير معين ورضاً في النكارة وبالقرينة في ذي اللام .

(٢) سورة التوبه الآية ٩٤ .

(٣) سورة المصر الآية ٢ .

نحو: ﴿أعلمُ غيب السموات والأرض﴾^(١) ، ﴿وَاللَّهُ يَحْبُبُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) ،
﴿وَعُلِمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا﴾^(٣) ، إلى غير ذلك مما لا يمحى .

المبحث السابع في تعريف المسند إليه بالإضافة

يعرف المسند إليه بالإضافة لمزيداً كثيرة ، منها :

١ - أن تكون أخضر طريق لإحضاره في ذهن المخاطب والمقام يقتضي ذلك لفريط الضجر والسامة ، كقول جعفر بن عبطة حين حبس بمكة :

هو أي مع الركب اليهانين مصعد جنبيب وجماني بمكة موقن^(٤)

فهو أي مهوى أخضر من الذي أهواه ونحوه ، مع كون الاختصار مطلوباً لضيق المقام .

٢ - أن تغفي عن تفصيل متعدد نحو : أجمع أهل الحق على كذا ، وقول حسان بن ثابت :

أولاد حفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكرمي المفضل^(٥)

أو متعرس إما باعتبار الكثرة نحو : أهل القاهرة فعلوا كذا ، أو باعتبار لزوم تقديم بعض على بعض بدون مررجم نحو : علماء البلد اتفقوا على كذا .

٣ - أن تتضمن تعظيم شأن المضاف ، أو المضاف إليه ، أو غيرها ، نحو : ﴿إِنْ عَبَدْتَ إِلَّا لِلَّهِ مَنْ لَكَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ﴾^(٦) ، ونحو : خادمي اليوم عمل كذا ، ونحو : رسول السلطان زار فلاناً ، وعليه من غير المسند إليه قوله :

لا تدعني إلَّا بِاعبُدَهَا فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَائِي

٤ - أن تتضمن تحريضاً على الإكرام نحو : صديقك عندك .

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ٣١ .

(٤) اليهانون جمع يهان ، ومصعد من أصل في الارض ، سار فيها . والجنبيب الجنوب المستتبع والمجهان الشخص ، والموقن للقييد .

(٥) أولاد حفنة من الفاسنة الذين مدحهم حسان بالشام .

(٦) سورة الحجر الآية ٤٢ .

- ٥ - أن تتضمن تحريضاً على الإذلال نحو : عدوك ببابك .
- ٦ - أن تتضمن استهزاءً وتهكمًا نحو : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسَلَ إِلَيْكُم مَّا جَنَّوْنَ﴾^(١) .

المبحث الثامن في تعريف المسند

يعرف المسند لافادة السامع حكمًا على أمر معلوم بإحدى طرق التعريف بأخر^(٢) مثله في كونه معلوماً للسامع بإحدى طرق التعريف سواء اتحد الطريقان نحو: الراكب هو المنطق ، أم اختلفا نحو: على هو المنطق .

بيان ذلك أن الشيء قد يكون له صفاتان من صفات التعريف يعلم المخاطب اتصافه بإحداهما دون الأخرى فتعبره باتصافه بها فتفيد ما كان يحمله من اتصافه بالأخرى ، كما إذا كان للمخاطب أخي يسمى علياً وهو يعرفه بعينه واسميه لكن لا يعرف أنه أخوه وأردت أن تعرّفه ذلك فتقول: على أخيوك ، وإن عرف أن له أخي وأردت أن تعينه عنده باسمه قلت: أخيوك على . ومن بين في اختلاف المعنى اذا تقدمت بإحدى المعرفتين ، أو تأخرت ، قولهم: (الحبيب أنت) (وأنت الحبيب) فمعنى الجملة الأولى أنه لا فرق بينك وبين من تحب اذا صدقت الحبة ، فما مثل المتحابين إلا مثل روح حل في جسمين ، كما قيل: الحبيب أنت إلا أنت غيرك ، ومعنى الثانية أنك أنت الذي اصطفيت من بين الناس بمحبتي واجتبيته بعودتي ، كما قال المتنبي :

أنت الحبيب ولكنني أعود به من أكون بحباً غير محظوظ
واعلم أن التعريف بلام الجنس قد يقييد قصر الخبر على المبتدأ ، وذلك على وجوه^(٣) ..

١ - أن يقصر المبتدأ على الخبر على سبيل الحقيقة نحو: محمد الرئيس في البلد اذا لم يكن هناك رئيس غيره .

(١) سورة الشوراء الآية ٢٧ .

(٢) في هذا إشارة الى وجوب تغایر المسند اليه والمسند بحسب المفهوم ليكون الكلام مفيداً أما نحو: «أنا أبو النجم ، وشاعري شعري» فمثول أي شعرى الآن مثل شعري فيما مضى .

(٣) أما التعريف بلام المهد فيقييد ما هو معهود للمخاطب كقولك: محمد هو المسافر.

٢ - أن يقصر عليه على سبيل المبالغة وعدم الاعتداد بما سواه ، كما تقول : على الشجاع ، أي الكامل في الشجاعة ، فقد أخرجت الكلام في صورة توهم أن الشجاعة لا توجد إلا فيه ، لأنك لا تعتقد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال .

٣ - أن يقصر عليه على سبيل الحقيقة ، لكن لا باعتبار ذاته ، بل باعتبار القيد بظرف أو حال ، كما تقول : هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيراً ، فالمقصود هو الوفاء في هذا الوقت لا مطلقاً ، ونحوه : هو الشجاع حين يحطم الأبطال ، قال الأعشى :

هو الواهب 'المائة المصطفاً' إما مخاضاً وإما عشاراً^(١)

فقد قصر هبة المائة من الإبل في إحدى الحالين لا بهبته مطلقاً ، ولا الهبة مطلقاً ، وفي كل هذه الأحوال ينتفع العطف بالواو ونحوها على ما حكم عليه بالمعرف فلا يقال : محمد الأمير ، وعمرو ، ولا إبراهيم الشجاع فحالد .

وربما لا يفيد قصر المعرف على ما حكم عليه به ، كقول النساء توثي أخاهما صخرأ :

إذا قُبِحَ البكاءُ على قتيلِ رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلَا
 فهي لم ترد أن ما عدا البكاء عليه ليس بحسن ولا جميل ، لكنها أرادت أن تقره في جنس ما جنسه الحسن الظاهر الذي لا ينكره أحد ، ونحوه قوله الآخر :

أسودٌ إذا ما أبدت الحربُ نابها وفي سائر الدهر الفيوث المواتر

تدريب

بيان الأغراض التي اقتضت تعريف المسند إليه ، أو المسند بإحدى طرق التعريف :

١ - أبو مالك قاصر فقره على نفسه ومشبع غناه

(١) المخاص المولى من التوق أجمع ، وال المشار جمع عشراء وهي من النون كالنفساء .

- ٢ - مفى بها ما مضى من عقل شاربها
 ٣ - إن الذي الوحشة في داره
 ٤ - ولا يقيم على ضيم يراد به
 هذا على الحسف مربوط برمته
 ٥ - **(١)** وما هذه الحياة الدنيا إلا هوى ولعب **(٢)**
 ٦ - بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل خفوان أشبل **(٣)**
 ٧ - **(٤)** أهذا الذي بعث الله رسولًا **(٥)**
 ٨ - أخوك الذي إن تدعه لممة يحبك وإن تغضبه إلى السيف يغضب

الاجابة

- (١) أتى بالمسند إليه علمًا لإحضاره باسمه المختص به .
 (٢) أتى بالمسند إليه اسم موصول للتفخيم وتعظيم شأن ذلك الذاهب من العقل .
 (٣) أتى بالمسند إليه اسم موصول للإياء إلى وجه بناء الخبر وكونه مدحًا للمحدث عنه .
 (٤) أتى بالمسند إليه اسم إشارة للتحقيق بالقرب .
 (٥) أتى بالمسند إليه اسم إشارة للتحقيق بالقرب .
 (٦) أتى بالمسند إليه مضافاً لإغناه الإضافة عن تفصيل متعدد .
 (٧) أتى بالمسند إليه مضافاً لتعظيم شأن المضاف .

قرينة

اذكر الغرض من تعريف المسند إليه أو المسند بإحدى طرق التعرير :

- ١ - ونحن النار كون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

- (١) في وصف الخمر .
 (٢) العبر الحمار ، والرمة الحبل يربط به ، والحسف الادهانة .
 (٣) سورة المنكوبات الآية ٦٣ .
 (٤) القيل الاجمة وخنان مأسدة مشهورة بضراره أسدتها ، والأشبل جمع شبل ولد الأسد .
 (٥) سورة الفرقان الآية ٤١ .

- ٢ - ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(١)
- ٣ - ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّداً أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ ﴾^(٢)
- ٤ - هو الْكَرِيمُ حِينَ يَبْخُلُ كُلُّ جَوَادٍ
- ٥ - وَإِنْ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بَنْتِ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدِ^(٣)
- ٦ - أَبُو لَهَبٍ آذِي مُحَمَّداً عليه السلام
- ٧ - إِنَّ النَّاسَ لَفِي شُغْلٍ عَنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ

(١) سورة الإخلاص الآية ١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٣) قاله حسان يهجو أبو سفيان بن الحثث بن عبد المطلب وجعل الحثث عبداً لأن أمه ليست قرشية ولم تلد لها قبيلة مشهورة .

الباب السابع في التكير

لم يتعرض لهذا الباب كثير من كتب في هذا الفن ، وأول من فتق أشكاله زهاره صاحب «الكتشاف» وتبعه من جاء بعده من علماء البيان . وقصير ما قالوه : إن المسند إليه ينكر لأغراض ، منها :

١ - ألا يعلم المتكلم جهة من جهات التعريف من علمية أو صلة أو غيرها ،
فتقول : جاء هنا رجل يسأل عنك ، إذا لم تعرف له اسمه ولا نحوه .

٢ - أن يقصد فرد غير معين مما يصدق عليه اسم الجنس نحو : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ
مِّنْ أَفْصَنِ الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾^(١) أي فرد من جنس الرجال .

٣ - أن يمنع من التعريف مانع ، كقوله :

إذا سئلتْ مهندَه يَعْنِي لطُولَ الْمُهْنَذِ بِدَلْه شِمَالًا^(٢)

لم يقل يمينه تحاشياً من نسبة السامة إلى يمين المدوح .

٤ - أن يقصد نوع مخصوص نحو :

لكل داء دواء يستطب به إلا الحافة أعيت من يداوتها

يؤيد لكل نوع من أنواع الأدواء ما يناسبه من أصناف الأدوية ، وعليه قوله تعالى : ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشاوةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) .

قال في «الكتشاف» : معنى التكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ، وله من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله .

(١) سورة ياسين الآية ٢٠ .

(٢) الهند السيف .

(٣) سورة البقرة الآية ٧ .

ويرى السكاكين أن التكثير في هذا للتعظيم أي غشاوة عظيمة تحجب أبصاره
دفعة واحدة ، وتحول بينهم وبين الإدراك ، وعذاب عظيم لا يقدر قدره .

٥ - أن يقصد التكثير نحو : *﴿قالوا أئن لنا لأجرأ﴾*^(١) ، وقولهم :
أن له الأبلق وأن له لغنم ، إذ المقام لل مدح .

٦ - أن يقصد التقليل نحو : *﴿ورضوان من الله أكبر﴾*^(٢) ، أي فشيء
ما من رضوانه أكبر من الجنة ونعمتها ، فإن العبد إذا علم رضي مولاه عنه عدد
ذلك من أعظم النعم وعاش عيشة راضية .

٧ - التعظيم والتحقير ، وقد اجتمعا في البيت الثاني من قول مروان
ابن أبي حفصة :

فق لا يبالي المدلجون بنوره إلى بابه ألا تضيء الكواكب^(٣)
له حاجب عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب^(٤)

فقام المدح بيفيد أن له مانعاً عظيماً عن كل قبيح وشين وليس له أي مانع
 ولو حقيقةً عن طلاب المعروف فهم يحصلون على مقاصدهم بلا كد ولا تعب .

والفرق بين التعظيم والتکثير أن الأول ينظر فيه لارتفاع الشأن وعلو القدر ،
والثاني يلاحظ فيه الكمية والمقادير ، وهكذا الحال في الفرق بين التحقير
والتقليل .

٨ - قصد إخفاذه عن المخاطب نحو : سمعت رجلاً يقول : إنك حدت عن
الصواب . وينكر المسند لأغراض ، منها :

١ - عدم الخصر والبعد الدال عليهما التعريف ، كما تقول : محمد كاتب ،
وعلي شاعر .

٢ - قصد التفخيم والتعظيم ، نحو : *﴿هدي للتقين﴾*^(٥) ، أي هدى
لا يكتنه كتبه .

(١) سورة الشعراء الآية ٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥ .

(٣) أدلة سار ليلاً .

(٤) حاجب أي مانع ، ويشينه أي يعيشه .

(٥) سورة البقرة الآية ٢ .

٣ - قصد التحقيقير ، نحو : ما محمد شيئاً . وينكر غير المسند اليه والمسند ، للدلالة على :

١ - الأفراد ، نحو : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَاءٍ﴾^(١) ، أي خلق كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة .

٢ - النوعية ، نحو : ﴿وَتَجَدُّنُمْ أَحْرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ﴾^(٢) ، أي نوع من الحياة المتطاولة ، فهم أححرص الناس على أن يزدادوا إلى حياتهم الماضية حياة في المستقبل .

٣ - التحقيقير ، نحو : ﴿إِنْ نَظَنْ إِلَّا ظَنًا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَقِنِينَ﴾^(٣) .

٤ - التقليل ، كقول النبي :

فيوماً بخيل قطرد الرومَ عنهم و بما يخود يطرد الفقر والجذب
يريد بعدد يسير من خيولك ونزر من فيض جودك .

٥ - عدم التعيين ، نحو : ﴿أَقْتَلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾^(٤) .

تدريب

يبين دواعي تنكير المسند اليه ، أو المسند ، أو غيرها ، فيما يلي :

(١) قال تعالى : ﴿فَادْنَا بِحَرِيقٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٥) .

(٢) ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَسَاءَ مَطْرًا الْمُنْذَرِينَ﴾^(٦) .

(٣) ﴿وَلَئِنْ مَسْتَهِمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾^(٧) .

(٤) وفي السماء نجوم لا عداد لها وليس يكشف إلا الشمس والقمر

(٥) إذا أنت لم تترعرع وأبصرت حاصدا ندمت على التغريب في زمان البذر

(١) سورة التور الآية ٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ٩٩ .

(٣) سورة الجاثية الآية ٣٢ .

(٤) سورة يوسف الآية ٩ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٧٩ .

(٦) سورة الشوراء الآية ١٧٣ .

(٧) سورة الانبياء الآية ٤٦ .

- ٦ - ومن طلب العلوم بغير كد سيدر کها منى شاب الفرات

٧ - ﴿وَإِن يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَبَتْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾ (١١).

٨ - والله مني جانب لا أضيءه وللهو مني والخلاعة جانب

الاجابة

- (١) نكر حرب للدلاله على التعظيم .
 - (٢) نكر المطر للدلاله على النوعية ، أي مطرأ عجبياً من الحجارة .
 - (٣) نكرت النفعه للدلاله على التحقيق .
 - (٤) نكرت النجوم للدلاله على التكثير .
 - (٥) نكر العاصد للدلاله على عدم التعيين أو للدلاله على الأفراد .
 - (٦) نكر كد الدلاله على التعظيم .
 - (٧) نكرت رسول للدلاله على التعظيم والتكثير ، أي رسول ذوو عدد كثير وآيات عظام .
 - (٨) نكر جانب الأول للدلاله على التعظيم ، وجانب الثاني للدلاله على التحقيق .

تاریخ

بَيْنَ دُوَاعِي تَنْكِيرِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ أَوْ الْمَسْنَدِ أَوْ غَيْرِهَا ، فَيَا يَلِي :

- ١ - ﴿ يَا أَبْتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَعْذِّبَكَ عَذَابُهُ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ (١٢).

٢ - ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ يَا أَوْلَى الْأَلْبَابِ ﴾ (١٣).

٣ - رَجُلٌ قَالَ إِنِّي أَغْتَبْتُنِي

٤ - دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَامَ حَقٍّ إِذَا أَنْتَ

٥ - آرَاؤُهُ وَعَطَاهُ يَاهُ وَنَعْمَتْ

٦ - وَلِلْفَزَالَةِ شَيْءٌ مِّنْ تَلْفَتَهُ

٧ - قَلْتُ ثَقْلَتْ كَاهْلِي بِالْأَيَادِي

٨ - لَئِنْ صَدَفْتَ عَنَا فَرِيَّتْ أَنْفَسِ

تَرِيدُكَ لَمْ نُسْطِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا
وَعْفُوهُ رَحْمَةٌ لِلنَّاسِ كَلِمُهُ
وَنُورُهَا مِنْ ضَيْبَا خَدِيهِ مَكْتَسِبُهُ
فَقَالَ ثَقْلَتْ كَاهْلِي بِالْأَيَادِي
صَوَادِي إِلَى تَلْكَ النَّفُوسِ الصَّوَادِفِ (٤)

(١) سورة فاطر الآية ٤ .

٤٥ الآية مريم سورة (٢)

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٩ .

(٤) صفت أعرضت ، وصواد جمع صادية أي عطشى .

الباب الثامن في التقيد

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول في فوائد التقيد

اعلم أن التقيد بأحد الأنواع الآتية يكون لزيادة الفائدة وقويتها لدى السامع لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ، ازداد إيضاحاً وتخصيصاً ، فتكون فائدة أتم وأكمل ، لا فرق في ذلك بين تقيد المسند إليه والمسند ، ولا بين التقيد بتباطع ومفعول ، ونحو ذلك .

وكثير من مسائل هذا الباب ذكر في كتب النحو على النحو الذي يشاكل بحثهم دون نظر إلى غامض الفروق ولطيف المزايا ، فإن تبنّك الفائدة من مقاصد علماء البيان الذين قصرروا مباحثهم على تعرّف خواص التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع وباهر الصنع .

المبحث الثاني في التقيد بالفاعيل ونحوها

التقيد بالفاعيل ونحوها من الحال والتميز لزيادة التخصيص المستلزم كثرة الفائدة ، وبالواسخ للأغراض التي تؤديها معاني ألفاظها كالاستمرار وحكمة الحال الماضية في كان^(١) ، والتوقيت بزمن معين في ظل وأخواتها ، والمقارنة في كاد وكرب ، والتأكيد في أن ، والتشبيه في كان ، إلى نحو ذلك .

المبحث الثالث في التقيد بالتتابع

سنجمل الكلام في هذا المبحث ، لأنّه قد بين في علم النحو ببساط واطناب فينعت المسند إليه لنكّات ، منها :

(١) فالقيد في كان محمد منطقاً هو منطقاً لا كان إذ هو المسند ، وكان قيد له .

- ١ - تمييزه بتخصيصه ، إن كان نكرة ، وتوضيحه إن كان معرفة .
- ٢ - الكشف عن حقيقته ، كما يقال : الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغلة ، ومنه في غير المسند إليه قول أوس بن جعفر التميمي في مرثية فضالة ابن كلدة :
- الألمي الذي يظن بك المظن كان قد رأى وقد سمعا
- فالألمي هو المتوقذ ذكاء وفطنة ، ومن لوازمه أنه اذا ظن بك ظناً طابت فواسمته الواقع ، وقد روی أن الأصمعي سئل عن الألمي فأنسد البيت .
- ٣ - النأكيد ، نحو : أمس الدابر ، وكان يوماً عظيماً ، وعليه قوله تعالى :
- ﴿ تَلِكَ عَشْرَةً كَامِلَةً ﴾^(١).
- ٤ - بيان المقصود وتفسيره نحو : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ لَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِهَا نَحْنُ ﴾^(٢) ، قال في «الكساف» : فإن قلت : هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم ، وما معنى الزيادة ؟
- قلت : معنى ذلك زيادة التعميم والاحتاطة كأنه قيل : وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع ، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير يخناصيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحواها غير مهمل أمرها .
- ٥ - المدح ، نحو : حادثي محمد الأديب .
- ٦ - الذم ، نحو : سافر إبراهيم الأحق .
- ويؤكد لاعتبارات ، منها :
- (١) تحقيق المراد ، بحيث لا يتحمل الكلام غيره ، كما تقول : جئت أنا .
- (٢) دفع توهם السامع تجوز المتكلم أو سهوه نحو : قدم صديقك نفسه .
- (٣) دفع توهם عدم الشمول نحو : جاء القوم كلهم ، إذ لو قلت : جاء القوم وسكت ، لكان يجوز أن يخطر ببال السامع أن بعضهم قد تخلف ، إلا أنك لم تعتد به أو جعلت الواقع من البعض كأنه واقع من الجميع ، كما يقال للقبيلة :

(١) سورة البقرة الآية ١٩٦ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٣٨ .

صنعت وفعلمتم ، ويراد فعل قد كان من البعض ، يرشد الى ذلك قوله تعالى :
﴿فَقُرْبُوا النَّافِذَة﴾^(١) ، والعاشر لها قدار ، لكنهم نزلوا منزلته لرضام بعملته .

وبين مزاياها منها :

١ - المدح ، نحو : ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾^(٢) ، فالبيت الحرام عطف بيان على الكعبة لغرض مدحها بأنها حرم آمن .

٢ - الإيضاح والتفسير بما يختص بالتبع ويوضح ذاته ، نحو : قال أبو الحسن علي كرم الله وجهه .

ويبدل لأغراض ، أهمها :

زيادة التقرير ، إذ البدل كالتفسir بعد الإبهام ، فيزداد به تقرير المقصود في ذهن السامع ، ومنه في غير المسند إليه : ﴿إِهْدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ أَنْنَمْتُ عَلَيْهِم﴾^(٣) .

أما في بدل الكل فللذكر مرتين ، وأما في بدل البعض ، فلأن المتكلم لما أتى بالبدل منه أو لا ثم أتى بالبدل ثانيةً كان كالتبه على التجوز والإجمال في البديل منه فيؤثر في النفس تأثيراً لا يوجد عند الإقتصار على الثاني ، وأما في بدل الأشغال فلأن البدل تشعر به النفس في الجملة قبل ذكره وتتشوف لشيء يطلب الكلام السابق فإذا ذكر صار متكرراً

ويعطى عليه لدواع ، منها :

١ - تفصيل المسند إليه باختصار ، نحو : جاء محمد وعلى ، فإنه أخصر من جاء محمد وجاء على ، مع إفاده التفصيل بالنسبة لقولك : جاءني رجلان ، ولا يعلم منه تفصيل المسند ، إذ الواو لطلق الجمع ، ولا دلالة فيه بمحض أحد هما قبل الآخر أو بعده أو معه .

٢ - تفصيل المسند ، مع الاختصار ، نحو : جاء محمد فعلي ، أو ثم على ، أو جاء القوم حتى خالد . فهذه الثلاثة الحروف ، وإن اشتربت في تفصيل المسند ،

(١) سورة الأعراف الآية ٧٧ .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٧ .

(٣) سورة الفاتحة الآية ٥ .

فالأول يدل على التقريب من غير مهلة ، والثاني مع المهلة ، والثالث يفيد ترقيب أحjawه من الأضعف الى الأقوى ، او بالعكس ، نحو :

و كنت فقى من جند إبليسَ فارتقى بي الحال حتى صار إيليسُ من جندي

٣ - الشك من المتكلم اذا كان لا يدرى الحقيقة .

٤ - التشكيك ، أي إيقاع السامع في الشك .

٥ - التجاهل، نحو: ﴿وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُ لَعْنِي هَدِي أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

٦- التخيير أو الإباحة نحو: ليدخل الدار محمد أو علي ، والفرق بينهما أنه يجوز الجم في الإباحة دون التخيير .

٧ - رد السامع عن الخطأ في الحكم الى الصواب ، نحو: جاءني علي لا خالد
لمن اعتقد أن خالداً جاءك دون علي ، أو أنها جاءاك معاً .

المبحث الرابع في التقييد بضمير الفصل

يؤتى بعد المسند إليه بضمير الفصل لأغراض، منها :

١- التخصيص ، أي قصر المسند على المسند إليه ، إذا لم يكن في الكلام ما يفيد القصر سواه نحو: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ الْعَبْدِ﴾^(٢).

٢ - تأكيد التخصيص إذا كان في التركيب مخصوص آخر، نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ﴾^(٣)، ومنه قول أبي الطيب :

٣- تميز الخير عن الصفة ، نحو: الفَصْحَمُ هُوَ حِمْدُ الْمَسَانِ طَلْقُ الْلَّسَانِ .

(١) سورة سا الآية ٤ .

١٠٤ سورة التوبة الآية (٢)

(٣) سورة الذاريات الآية ٨٠ .

المبحث الخامس في التقييد بالشرط

يقيد الفعل بالشرط للأغراض التي تستفاد من معانٍ الأدوات كالزمان في : متى ، والمكان في : أين ، والحال في : كييفها ، إلى آخر ما استوفى بيانه علم النحو ، لكن نذكر هنا مابين : إن ، وإذا ، ولو ، من الفروق الدقيقة التي تشكل مباحث هذا الفن .

بيان هذا أن المقصود من الجملة الشرطية عند علماء العربية ، إنما هو النسبة التي يدل عليها الجزء سواء أكانت خبرية أم إنسانية ، والشرط قيد لها وسبب فيها لا يغيرها عن حالها الأولى من الخبرية أو الإنسانية ، وقد خرج بدخول الأداة عليه عن كونه خبراً يحتمل صدفاً وكذباً ، فقولك : إن نجحت أكافئك ، معناه أكافئك حين نجاحك ، وقولك : إن جاء محمد فأكرمه ، أي أكرمه وقت مجئه .
(إن) و (إذا) تشتراكان في الدلالة على تعليق حصول الجزاء على حصول الشرط في المستقبل ، وتعتاز كل منهما بما يلي :

(أ) تمتاز (إن) بدلاتها بحسب الوضع اللغوي على عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط في الزمن المستقبلي ، نحو : ﴿ وَإِنْ جَاءَكُوكُ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾^(١) ، ومن ثم لا تقع في كلام الله تعالى إلا على سبيل الحكاية أو التأويل فال الأول كقوله تعالى حكاية عن يوسف : ﴿ وَإِنْ لَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبَحْ إِلَيْهِنَّ ﴾^(٢) ، والثاني نحو : ﴿ وَإِنْ تُصْبِّهُمْ سَيِّئَاتِهِنَّ يُظْهِرُوا بِوُسْعِهِنَّ ﴾^(٣) فقد جاءت في التنزيل على نُطْ أَسَالِيهِنَّ ، وعلى الطريقة التي يعبر بها المتكلم منهم حينما يكون غير جازم بوقوع الشرط .

(ب) تمتاز (إذا) باستعمالها لغة في كل ما يجزم المتكلم بوقوعه في الزمن المقبل نحو : ﴿ إِذَا زَلَّتِ الْأَرْضُ زَلَّهَا ﴾^(٤) .

ومن أجل ما بينها من الفرق كانت الأحكام النادرة الواقعة مع لفظ المضارع الواقع لإنت ، والأحوال الكثيرة الواقعة لفظ الماضي الحال على تحقيق الواقعة

(١) سورة المائدة الآية ٤٢ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٣ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٣١ .

(٤) سورة الزمر الآية ١ .

قطعاً نظراً إلى نفس لفظه (وإن كان قد نقل بعد دخول الأداة عليه إلى معنى الاستقبال) م الواقع فإذا ، وقد اجتمعنا في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسْنَةَ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تَصْبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطْبِرُوا بِهَا وَمَنْ مَعَهُ ﴾^(١) ، أي إذا جاء آل فرعون حسنة كخصب ورخاء وكثرة أولاد قالوا نحن أحقائهم ، وإن أصحابهم جدب وبلاه تشافوا من موسي ومن آمن معه ، فعمير فإذا في جانب الحسنة ، لأن المقصود منها الجنس ، وهو مقطوع بحصوله لكثرته ، وبأن في جانب السيئة لن دورها ، ولهذا أنكرت للدلالة على الفلة .

قال في «الكتشاف» : وللجهل ب الواقع إن وإذا يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون ، ألا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بها الموضع في قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شفع له فيها فقضها :

ذمتَ ولم يحمد وأدركت حاجي
أبى لك كسب الحمد رأى مقصر
ونفسه أضاق الله بالخير باعها
إذا هي حشته على الخير مرة
عصاها وإن همت بشر أطاعها
ولو عكس في استعمال الأداتين لأصاب الفرض .

(تنبيه) قد تستعمل كل من الأداتين موضع الأخرى فتستعمل (إن) في الشرط المجزوم بشروطه لأغراض ، منها :

(١) التعامل إذا اقتضاه المقام ، كما يقول المعترد : إن كنت فعلت هذا فمن غير قصد .

(٢) تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لأنه لم يجر على مقتضى علمه كما يقال للابن الذي لا يراعي حقوق الآباء : إن كان هذا أباك فراع حقوقه عليك .

(٣) التوبيخ على الفعل ، تنبيهًا على أنه لقيام البراهين المقتضية وقوع خلافه ، كأنه حال الواقع ، فيفرض كما يفرض الحال نحو : ﴿أَفَنَضَرَبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفَحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مَسْرِفِينَ ﴾^(٤) في قراءة الكسر ، إذ إسرافهم محق ،

(١) سورة الأعراف الآية ١٣١ .

(٢) المعنى : أنهملكم ونضرب عنكم القرآن بتترك القرآن بتترك إنسانكم وترك ما فيه من وعد أو وعد إعراضًا عنكم إن كنتم مسرفين (سورة الزخرف) .

لكنه عبر عنـه بـإبان توبـيـخـا لهم وإـشـارـة إـلـى أـنـهـمـ لـوـتـأـمـلـواـ الـآـيـاتـ الـظـاهـرـةـ اـصـارـ الإـسـرـافـ كـأـنـهـ مـحـالـ الـحـصـولـ إـذـ هـوـ لـاـ يـصـدـرـ عـنـ عـاقـلـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـحـالـ .

(٤) تـقـلـيـبـ غـيـرـ مـنـ اـتـصـفـ بـالـشـرـطـ عـلـىـ مـنـ اـتـصـفـ بـهـ ،ـ نـحـوـ :ـ (ـ وـإـنـ كـنـتـ فـيـ رـيـبـ مـاـ نـزـلـنـاـ عـلـىـ عـبـدـنـاـ فـأـتـوـ بـسـوـرـةـ مـنـ مـثـلـ (ـ ١١ـ)ـ ،ـ فـقـدـ غـلـبـ مـنـ لـمـ يـرـقـبـ مـنـ الـخـاطـبـيـنـ عـلـىـ مـنـ اـرـتـابـ وـكـانـ يـعـرـفـ الـحـقـ وـيـنـكـرـهـ عـنـادـاـ ،ـ كـمـ تـسـتـعـمـلـ أـيـضـاـ فـيـ الـمـسـتـحـيـلـ الـجـزـوـمـ بـنـفـيـهـ عـلـىـ سـبـيلـ الـمـسـاـهـةـ وـإـرـخـاءـ لـلـعـنـانـ لـإـلـزـامـ الـخـصـمـ وـتـبـكـيـتـهـ نـحـوـ :ـ (ـ قـلـ إـنـ كـانـ لـلـرـحـمـنـ وـلـدـ فـأـنـ أـوـلـ الـعـابـدـيـنـ (ـ ٢ـ)ـ .ـ

وـتـسـتـعـمـلـ (ـإـذـاـ)ـ فـيـ مـوـاضـعـ الشـكـ لـأـغـرـاضـ ،ـ أـهـمـهـاـ :

١ـ -ـ الإـشـارـةـ إـلـىـ أـنـ مـثـلـ ذـلـكـ الشـرـطـ لـاـ يـنـفـيـ أـنـ يـكـونـ مشـكـوـكـاـ فـيـهـ ،ـ نـحـوـ قـوـلـكـ لـمـنـ قـالـ :ـ لـاـ أـدـرـيـ أـيـتـفـضـلـ عـلـىـ الـأـمـيرـ بـالـنـوـاـلـ ،ـ إـذـاـ تـفـضـلـ عـلـيـكـ فـكـيـفـ يـكـونـ شـكـرـكـ .ـ

٢ـ -ـ عـدـمـ شـكـ الـخـاطـبـ .ـ

٣ـ -ـ تـنـزـيلـ الـخـاطـبـ مـنـزـلـةـ الـجـازـمـ الـذـيـ لـاـ شـكـ عـنـهـ .ـ

٤ـ -ـ تـقـلـيـبـ الـجـازـمـ عـلـىـ غـيـرـ الـجـازـمـ .ـ

وـلـاـ كـانـتـ الـأـدـافـانـ لـتـعـلـيقـ الـجـزـاءـ بـالـشـرـطـ فـيـ الـاستـقـبـالـ التـرـمـ فـيـ جـلـتـيـمـهاـ الـفـعـلـيـةـ وـالـاستـقـبـالـ ،ـ ذـاكـ أـنـ الشـرـطـ مـفـروـضـ الـحـصـولـ فـيـ الـمـسـتـقـبـالـ فـيـمـتـنـعـ ثـوـتـهـ وـمـضـيـهـ وـالـجـزـاءـ مـعـلـقـ عـلـيـهـ ،ـ وـلـاـ يـعـدـلـ عـنـ الـاستـقـبـالـ فـيـ الـلـفـظـ وـالـمـعـنـىـ إـلـىـ الـمـعـنـىـ فـقـطـ ،ـ إـلـاـ لـسـكـتـةـ ،ـ كـاـبـرـاـزـ غـيـرـ الـحـاـصـلـ فـيـ مـعـرـضـ مـاـ هـوـ حـاـصـلـ ،ـ وـذـلـكـ اـمـاـ :

(١) لـلـتـفـاؤـلـ نـحـوـ :ـ إـنـ عـشـتـ نـفـعـتـ أـمـيـ وـبـلـادـيـ .ـ

(٢) لـقـوـةـ الـأـسـبـابـ وـتـوـافـرـهـاـ ،ـ كـانـ تـقـوـلـ حـيـنـ انـقـادـ الشـراءـ :ـ إـنـ اـشـتـريـتـ كـانـ كـذاـ .ـ

(٣) لـإـظـهـارـ الـرـغـبةـ فـيـ وـقـوعـهـ ،ـ فـيـكـثـرـ تـصـورـ الـمـتـكـلـ إـيـاهـ ،ـ حـقـ يـخـيلـ إـلـيـهـ مـاـ لـيـسـ بـالـحـاـصـلـ حـاـصـلـاـ ،ـ كـماـ تـقـوـلـ :ـ إـنـ ظـفـرـتـ بـجـسـنـ الـعـاقـبـةـ فـذـاكـ مـاـ أـبـيـ فـيـ

(١) سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ الـآـيـةـ ٢ـ٣ـ .ـ

(٢) سـوـرـةـ الزـخـرـفـ الـآـيـةـ ٨ـ١ـ .ـ

وعليه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْرُهُوا فِتْيَاتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنَّ أَرْدَنْ تَحْصِنُهُمْ ﴾^(١)
جيء بلفظ الماضي الدلالة على توافر الرغبة في تحصينهن .

(٤) للتعريف ، نحو : ﴿ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢) ، قال في «الكتشاف» : هذا كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير ، وفيه اطرف لاسامعين وزباده تحذير واستفهام لحال من يترك الدليل بعد إثارته ويتبع الهوى .

ونظيره في التعريف : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴾^(٣)
إذ المراد : وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ، كما يدل عليه (ترجمون) .

ووجه حسن التعريف وملحته إساع الخاطبين الحق على وجهه لا يورفهم
مزيد غضب ، وذلك لأنك ترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل ، وذلك أنفذا في
أعماق القلوب ، حيث لا يريد المتكلم لهم إلا ما يريد لنفسه ، وهذا النوع كثير
جداً في القرآن الكريم ، نحو : ﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٤) .

(تنبيه) قد تستعمل إن في غير الاستقبال قياساً مطرداً في موضعين :

١ - اذا كان الشرط لفظ كان ، نحو : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رِيبٍ مَا نَزَّلْنَا عَلَى
عَبْدِنَا ﴾^(٥) الآية .

٢ - اذا جيء بها في مقام التأكيد بعد او الحال مجرد الربط دون الشرط
نحو : على وإن كثر ماله بخيل ، وقليلاً في غير ذلك ، كقول أبي العلاء :
فيا وطني إن فإنني بك سابق من الدهر فلينعم بساكنك البال^(٦)
كما إذا إما :

(١) الفتيات الأماء ، وكان من عادتهم في الجاهلية أن يكرهون على تلك الفعلة الشنعاء .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٠ .

(٣) سورة يس الآية ٢٢ .

(٤) سورة سبأ الآية ٢٥ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٦) الفرض من ذلك التحسن ، وجواب إن محرف ، أي : فلا لوم علي لأنني تركتك كرها
يدل عليه فلينعم .

١ - للماضي ، نحو : **﴿ حَقٌ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصُّدُفِينَ ﴾** ^(١).

٢ - أو للاستمرار ، نحو : **﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَا ﴾** ^(٢).

(لو) للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط ، فيلزم انتفاء الجزاء ، بمعنى أن الجزاء كان يمكن أن يقع لو وجد الشرط ، فإذا قلت : لو جئتني لأكرمتك ، فهم منه أن الجزيء شرط في الإكرام ، وأدله على تقدير وقوعه يقع الإكرام ، وهذا قيل : إن (لو) لامتناع الثاني لامتناع الأول ، وعليه قوله تعالى : **﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهُ دَكَمْ أَجْمَعِينَ ﴾** ^(٣) أي إن انتفاء الهدایة ، إنما هو بسبب انتفاء المشيئة ونحوه قول الحاسبي :

ولو طار ذو حافر قبلها لطارت ولكن لم يطر ^(٤)

فإن عدم طيران ذلك الفرس بسبب أنه لم يطر ذو حافر قبلها .

وتجيء قليلاً لامتناع الأول لامتناع الثاني ، فتفيد الدلالة على أن العلم بانتفاء الثاني علة للعلم بانتفاء الأول ضرورة انتفاء الملازم بانتفاء اللازم من غير التفات ، إلى أن انتفاء الجزاء في الخارج ما هي ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى : **﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَنَا ﴾** ^(٥) ، إذ المعنى أنه علم انتفاء تمدد الآلهة بسبب العلم بانتفاء الفساد ، وبكثير هذا في مقام الأدلة والبراهين ، لكن الاستعمال الأول هو الشائع المستفيض في القرآن والحديث وأشعار العرب .

ويجب كون جلتيهما فمليتين ماضويتين ، فإن دخلت على مضارع كان ذلك لنكتة ، إما :

١ - قصد الاستمرار في الماضي حيناً فحينما ، نحو : **﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كُثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمُوهُ ﴾** ^(٦) . قال في «الكتشاف» : إنما قيل : يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه ، وأنه كلما

(١) سورة الكهف الآية ٩٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤ .

(٣) سورة النحل الآية ٩ .

(٤) إن عدم طيران الفرس معلوم ، والمقصد بيان السبب ، وهو أنه لم يطر قبلها ذو حافر .

(٥) سورة الأنبياء الآية ٢٤ .

(٦) العنط : الملاك (سورة المجترات) .

عن " لهم رأي في أمر كان معمولاً عليه بدليل قوله في كثير من الأمر كذا تقول :
فلان يقرى الضيف ، ويحمي الحريم ، تزيد أنه مما اعتناده ووجد منه على طريق
الاستمرار .

٢ - وإنما للتذليل المضارع منزلة الماضي لصدره عمن لا خلاف في وقوع
أخباره ، نحو : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾^(١) ، ﴿ ولو ترى إذ المحرمون
ناكسوا رؤسهم ﴾^(٢) ، ونظيره ﴿ ربما يود الذين كفروا ﴾^(٣) ، قال الزمخشري :
فإن قلت : لم أدخلت ربما على المضارع ، وقد أبوا دخولها إلا على الماضي ، قلت :
لأن المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة المقطوع به في تحققه ، فكأنه قبل :
ربما ود .

(١) سورة الأنعام الآية ٤٧ .

(٢) سورة السجدة الآية ١٢ .

(٣) سورة الحجر الآية ٤ .

الباب التاسع في الخروج عن مقتضى الظاهر

ما مضى في الأبواب السالفة هي الأحوال التي يلاحظ فيها البليغ مقتضى ظاهر الحال، وقد يعدل عنها لكتة، فعلى المخاطب أن يبحث عن سبب العدول مستعيناً بالقرائن، ويسمى ذلك : الخروج عن مقتضى الظاهر.

وقد سبق ذكر شيء من أحواله نبهناك عليه في حينه، كتنزيل العالم منزلة الجاهل، والمعقول منزلة المحسوس، وقد يبقى منه أمور أهمها^(١) تجاهل العارف (مزاج الشك باليقين) وهو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيداد تأكيداً، والداعي إليه :

١ - إما المدح كقول ذي الرمة :

أبا ظبيبة الوعسae بين جلاجل

وبين النقى آمنت أم سالم^(٢)

وقول أبي هلال العسكري :

أثغر ما أرى أم أقيوان

وقد^٣ ما أرى أم خيزران

٢ - وإما الذم كقول زهير :

أفوم آل حصن أم نساء

وما أدرى وسوف إخال أدرى

٣ - وإما التعجب كقوله تعالى: ﴿أَفْسِرُ هَذَا أَمْ أَنْتُ لَا تَبْصِرُونَ﴾^(٤).

٤ - وإما التوبيخ كقول ليلي بنت طريف الخارجية في أخيها الوليد :

أيا شجر الخابور مالك مورقا

كانك لم تجزع على ابن طريف^(٥)

(١) سهاء ابن رشيق في العمدة التشكيك وفائدة الدالة على قرب الشبين حتى لا يفرق بينها ولا ينفعني ما له من حسن الروعة وجاهل الموضع.

(٢) الوعسae، وجلاجل، والنقي، مواضع.

(٣) سورة الطور الآية ١٥.

(٤) الخابور نهر بدبار يذكر يصب في الفرات.

الالتفات : وهو فن من البلاغة ، ملاكه الذوق السليم ، والوجدان الصادق ، ويلقب (بشجاعة العربية) لأن فيه ورود الموارد الصعبة واقتحام مضائق الأسلوب .

وحقيقة التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة : التكلم ، والخطاب ، والغيبة ، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، وذلك ست صور :

١ - فمن التكلم الى الخطاب نحو : ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَالَّذِي تَرَجَّعْتُ إِلَيْهِ﴾ دون (أرجع) ^(١) .

٢ - ومن التكلم الى الغيبة نحو : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثُرَ، فَصُلُّ لِرَبِّكَ وَالْخَرَ﴾ دون (لنا) ^(٢) .

٣ - ومن الخطاب الى التكلم نحو قول علقة بن عبدة العجلي :

طحا بك قلب في الحسان طروب	بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفني ليلى وقد سط ولها	وعادت عواد بينتا خطوب
وكان مقتضى الظاهر يكلفك أي القلب .	

٤ - ومن الخطاب الى الغيبة نحو : ﴿حَقٌّ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْمَلَكِ وَجَرِينْ بِهِ﴾ دون (بكم) ^(٤) .

٥ - ومن الغيبة الى التكلم نحو : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَشَبَّهُ سَحَابًا فَسَقَاهُ﴾ دون (فساقه) ^(٥) .

٦ - ومن الغيبة الى الخطاب نحو : ﴿مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ إِلَيْكَ نَعْبُدُ﴾ دون (إيه) ^(٦) .

(١) سورة يس الآية ٢٢ .

(٢) سورة الكوثر الآيات ١ و ٢ .

(٣) طحا ذهب ، وبعيد تصغير بعد ، وحان قرب ، والوليقرب ، وفاعل يكلف القلب ، أي يطالبني القلب بوصل ليلى .

(٤) سورة يومن الآية ٢ .

(٥) سورة فاطر الآية ٩ .

(٦) سورة الفاتحة الآية ٢ .

ووجه حسنة ما ذكره الزمخشري ، وهو أن الكلام إذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن قطورية وتجديداً لنشاط السامع وأكثر إيقاظاً للإصغاء إليه من اجرائه على أسلوب واحد ، ومن ثم قيل : لكل جديد لذة ، وقد تختص مواجهة بلطائف كما في سورة الفاتحة ، فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكره لما هو فيه بقوله : الحمد لله ، الدال على اختصاصه بالحمد ، وأنه حقيقة به وجد من نفسه حر كاً للإقبال عليه ، فإذا انتقل إلى قوله : رب العالمين ، الدال على أنه : مالك للعالمين ، لا يخرج منهم شيء عن ملكته ، قوى ذلك الحرك ، وهكذا كلما أجرى عليه صفة من تلك الصفات العظام قوى ذلك الحرك ، إلى أن يقول الأمر إلى خاتمتها المقيدة أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء ، حينئذ يجد من نفسه إقبالاً عليه وتحصيصاً له بالخطاب بفسيمة الخضوع والاستعاة به في المهمات .

الأسلوب الحكيم : وسمه الإمام عبد القاهر : المفالطة ، وهو نوعان :

١ - تلقي المخاطب^(١) بغير ما يتреб بحمل كلامه على غير ما يريد تنبيهها على أنه الأولى بالقصد كقول ابن حجاج البغدادي :

فقلت ثقلت إذ أتيت مرارا
قال ثقلت كاملي بالأيدي
قلت طولت قال لا بل تطول
ت وأبرمت قال حبل ودادي

فافظ ثقلت وقمع في كلام المتكلم بمعنى حملتك المؤنة فحمله المخاطب على تثقيل عاتقه بالمن والأيدي .

٢ - تلقي السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهها على أنه الأهم كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأُلُونَكَ مَاذَا ينفقونَ قلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلَلَّوْالَّدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾^(٢) ، فقد سألا عن بيان ما ينفقون فأجبوا ببيان المصروف تنبيهها على أن المهم هو السؤال عنها لأن النفقة لا يعتمد بها إلا أن تقع موقعا .

(١) التلقي المواجهة ، والمخاطب (فتح الطاء) أي تلقي المتكلم بالكلام الثاني المخاطب به ، وهو المتكلم بالكلام الأول .

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٥ .

الإضمار في مقام الإظهار ، وذلك في موضعين :

١ - باب ضمير الشأن والقصة ، ويكون مرفوعاً نحو : هي الدولة استعدت ، وهو الحق شخص ، ومنصوباً نحو : فأنها لا تعمي الأبصار ^(١) وسر هذا الأسلوب المبالغة وتنظيم تلك القصة وتفحيمها ، من قبل أن الشيء إذا كان مبهماً كانت النفوس متشوقة إلى فهمه ، متطلعة إلى علمه ، فإذا وضح وفسر حل ملأ رفيع القدر لديها ، ومن ثمة لا يكون إلا في الموضع الذي يقصد فيها التهويل .

٢ - باب نعم وبئس ، نحو : نعم رجلاً محمد ، وبئس غلاماً سعيد ، وانتساب ما بعدها من النكرات يحيى على جهة التفسير ، والداعي إليه المبالغة في المدح أو الذم ، من حيث أنه عند الاهتمام يكون للأفتنة تطلع إلى ايضاح المبهم وشفاف إلى بيانه .

الإظهار في مقام الإضمار ، فإن كان المظاهر اسم إشارة كان :

١ - أما لكمال العناية به لأجل اختصاصه بمحكم غريب ، كقول ابن الرومي ^(٢) :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً

هذا الذي ترك الأوهام حائرةَ وصیر العالم النھری زندیقاً ^(٣)

فأتى باسم الإشارة لأجل الحكم البديع الذي اختص به المشار إليه وهو تركه الأوهام حائرة وتصييره العالم النھری زندیقاً .

٢ - وإنما للتمكّن بالسامع ، كما إذا كان فاقد الصبر ، فتقول له : هذا الملال بين السحاب .

٣ - وإنما الإظهار بلاهته ، كأن غير المحسوس عنده محسوس ، نحو : فجئني بمن لهم .

(١) سورة الحج الآية ٤٦ .

(٢) هو أحمد بن يحيى الرومي الذي توفي سنة ٥٢٩ هـ ، اتهم بالزنادقة ونسب إليه أنه عارض القرآن ، وأتى بما تضحك منه الشكلي .

(٣) أعيت أعجزت ، ومذاهبه وسائل عيشه ، والزنديق من يعطي الكفر ويظهر الإسلام ، واسم الإشارة يعود إلى الحكم السابق وهو حرمان العاقل ورزق الجاهل .

٤ - وإنما لكمال فطنته حق كأن غير المحسوس عنده محسوس ، نحو :

تعاللت كأشجى وما بك علة تريدين قتلي قد ظفرت بذلك ^(١)
أي بقتلي ، وكان من حقه أن يقول به لكنه ادعى أن قتله قد ظهر ظهور
المحسوس ، وإن كان المظاهر غير اسم اشارة ، فلما :

(١) لزيادة تكينه في ذهن السامع نحو : ﴿الله الصمد﴾ ^(٢) ، ونحو :
﴿الحالة ما الحالة﴾ ^(٣) ، قوله الحماسي :

شدتنا شدة الليث غدا والليث غضبان

(٢) وإنما للاستعطاف والخضوع الموجبين للشقة ، كقوله :

إلهي عبدك العاصي أنا كما مقرأ بالذنب وقد دعاك

(٣) وإنما لادخال الروعة والهابطة في نفس السامع نحو : ﴿فإذا عزمت
فتوكل على الله﴾ ^(٤) ، لأندرج كل كمال تحت لفظ الجلالة فاجدر به أن يكون
موضع النكيلان .

(٤) وإنما للتهكم والتعجب ، نحو : ﴿ص القرآن ذي الذكر ، بل الذين
كفروا﴾ ^(٥) ، ثم قال بعد : ﴿وقال الكافرون هذا ساحر﴾ كذاب ^(٦)
فالفرض شد النكير عليهم والتعریض بأنهم حقاً أهل التمرد والعناد .

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي للدلالة على تحقيق وقته ، نحو : ونادي
 أصحاب النار ، فقد جعل المتوقع الذي لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع ، ومثله
التعبير عنه باسم الفاعل نحو : ﴿وإن الدين﴾ ^(٧) لواقع ^(٨) بدل يقع ، أو باسم
المفعول ، نحو : ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ ^(٩) بدل يجمع .

(١) تعاللت : ادعى علة ، أشجى : أحزن .

(٢) سورة الإخلاص الآية ٢ .

(٣) سورة الحاقة الآية ١ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٥ و ٦) سورة ص الآيات ١ و ٢ و ٤ .

(٧) أي الجزاء حاصل ، فوقع الجزاء استقبالي (سورة للذاريات) .

(٨) سورة هود الآية ١٠٣ .

(القلب) ، وهو جعل جزء من أجزاء الكلام مكان الآخر ، والآخر مكانه ، على وجه^(١) يثبت حكم كل منها للآخر ، وهو قسمان :

١ - ما يكون موجبه تصحيح حكم لفظي فقط والمعنى صحيح بذاته ، كقول القطامي :

ففي قبل التفرق يا ضباعا ولا يكُن موقف "منذ الوداع"^(٢) لما نكر موقفنا وهو في وضع المبتدأ وعرف الوداع وهو في موضع الخبر جعل من (باب القلب) .

٢ - ما يكون موجبه تصحيح المعنى ، كقولهم : عرضت الناقة على الحوض ، وأدخلت القلنوسة في الرأس ، مكان : عرضت الحوض على الناقة ، وأدخلت الرأس في القلنوسة ، إذ الأصل أن يحاج بالمعروض إلى المعروض إليه ، وأن ينفل المظروف إلى الطرف لا بالعكس كما هنا .

والصحيح جوازه إذا اشتمل على مغزى شريف ومعنى حسن ، كقول رؤبة :

ومهمة مخبرة أرجاؤه كان لون أرضه سماوة^(٣)

يريد كأن لون سمائه لم يغيرها لون أرضه ، فمعكس التشبيه لقصد المبالغة ، ونحوه قول أبي تمام يصف قلم المدوح :

لما ب الأنفاسي القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل^(٤)

وإن لم يشتمل على اعتبار لطيف رد ، كقول عروة بن الورد :

(فديت بنفسه نفسي ومالي)

(التقلب) ، وهو إعطاء أحد المصطحبين أو المتشاكلين حكم الآخر ، وهو باب ذو "شعب كثيرة" ، فمن ذلك :

١ - تقليل المذكر على المؤذن ، نحو : وكانت من القاتلتين ، أدرجت مريم

(١) فان لم يثبت ذلك الحكم نحو: في الدار على ، وكلم محمدًا على ، فان كلامها وإن جعل في مكان الآخر باق على حكمه ، لا يسمى بذلك قليباً .

(٢) ففي يا ضباعة ساعة حتى أوردعك قبل التفرق فلا جعل الله لنا موقف الوداع موقفاً .

(٣) المهمة المفازة ، والمخبرة الملوحة بالقيبار ، والأرجاء التواحي .

(٤) الأخرى العسل ، واشتارته جنته ، والعواسل جمع عاملة وهي جانبة العمل .

في القانتين من الرجال ، تغليباً لهم على القانتات ، وقد جروا على خلاف الفالب في ألفاظ معدودات فقلبو المؤنث على المذكر .

٢ - تغليب الكثير على القليل نحو: فمسجد الملائكة كلام أجمعون إلا إيليس، غالب الملائكة على إيليس وهو ليس منهم ، رسمي الجميع ملائكة .

٣ - تغليب المعنى على اللفظ نحو: بل أنتم قوم تجهلون ، بدل يجهلون ، الذي ضمire للقوم ولفظه غائب مراعاة للخطاب بأنتم .

٤ - تغليب المخاطب على الغائب نحو: أنت وعلى صنعتك كذا .

٥ - تغليب أحد المتناسين على الآخر كالآبوبين والقمررين للأب والأم والشمس والقمر ، وعليه قول النبي :

واستقبلت قمر السماء بوجهها فارتني القمررين في وقت معـا

٦ - تغليب العقلاء على غيرهم نحو: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ .

يوضع الخبر موضع الإنشاء لأغراض ، منها :

(١) التفاؤل في الجمل الدعائية ، نحو : وفقك الله الى ما فيه الخير ، وقول النافية :

أنا في (أبيت اللعن) أذك لمني وتلك التي أهتم منها وأنصب^(١)

(٢) التباعد عن صيغة الأمر تأدباً واحتراماً للسامع كما تقول لعظيم : ينظر مولاي في شأني ويقضي طلبي ، مكان : انظر واقض .

(٣) التنبيه على قيسر المطلوب لوفرة الأسباب واستكمال العدة ، كما يقول القائد حاثاً جنده : نفتكون بالأعداء وتنزلونهم من حصونهم وتذيبونهم الردى ، مكان : افتکروا وأنزلوهم وأذيقوهم .

(٤) إظهار الرغبة في حصول المطلوب كما تقول في الكتاب لغائب: جمع الله الشمل وقرب أيام اللقاء .

(١) أبيت اللعن أي أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به وكانت هذه تجية الملك ، وأهتم أصيرو لأجلها ذا هم ، والنصب التعب .

(٥) التنبية على سرعة الامثال ، ولو ادعاء ، نحو : ﴿وَإِذْ أَخْذَنَا مِثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾^(١) مكان : لا تسفكوا ، مبالغة في النهي بادعاء أنهم هوا فامثلوا ، ثم أخبروا .

(٦) حمل المخاطب على الفعل بالاطف أسلوب ، كقولك لرجل لا تحب أن يكذبك : تجيء غداً ، مكان قوله : جيء ، لتحمله على الجيء لأنه إن لم يأت غداً صرت كاذباً من حيث الظاهر^(٢) لكون كلامك في صورة الخبر .

يوضع الإنشاء موضع الخبر لاعتبارات ، منها :

١ - إظهار العناية بالشيء والاهتمام به ، نحو : ﴿قُلْ أَمْرَ رَبِّيْ بِالْقُسْطِ وَأَقِيمَا وَجْهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٣) لم يقل : وإقامة وجوهكم ، إشعار بالعناية بالصلة لعظيم خطرها وجليل قدرها في الدين .

٢ - التباعد عن مساواة اللاحق بالسابق ، نحو : ﴿قُلْ إِنِّي أَشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهِدُوا أَنِّي بِرِّيْءٍ مَا تَشَرَّكُونَ مِنْ دُونِهِ﴾^(٤) لم يقل : وأشهدكم ، تخاشياً عن مساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى .

٣ - الرضا بما هو حاصل كأنه مطلوب في قوله ﴿لِتَرَى مَا أَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ مُتَمَمِّدًا فَلَيَتَبُوأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ مكان يتبوأ .

الانتقال من الماضي إلى المضارع ، أو بالعكس :

(١) فال الأول نحو : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّبَاحَ فَتَشَيرَ سَحَابًا فَسَقَاهُ إِلَى بَلَدِ مِيتٍ﴾^(٥) جاء تشير ، بدل أثارت ، ل تستحضر تلك الصورة الماضية ، حق كأن الإنسان يشاهد أثارة الريح للسحاب ، فيستدل من ذلك على عجيب قدره ، وباهر حكمته .

(١) سورة البقرة الآية ٨٤ .

(٢) أما في الحقيقة فلا كذب ، لأن كلام في معنى الإنشاء .

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٩ .

(٤) سورة هود الآية ٥٥ .

(٥) سورة الروم الآية ٤٨ .

(٢) والثاني كقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١) عطف فزع على ينفع تأكيداً للثبوت ومبالفة في الحصول ولدلة على أن ذلك كائن لا محالة .

تدريب

بيان السر في خروج التراكيب الآتية عن مقتضى الظاهر :

- ١ - كل خليل كنت خالته (لا ترك الله له واضحة)^(٢)
- كلهم أروغ من ثعلب (ما أشبه الليلة بالبارحة)^(٣)
- ٢ - يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا^(٤) من رحمة الله .
- ٣ - ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّكُمْ وَدُودُهُمْ﴾^(٥) .
- ٤ - أذكُر حاجتي أَمْ قَدْ كَفَانِي حِيَاوَاتِكَ إِنْ شِعْنَكَ الْحَيَاةَ كَرِيمٌ لَا يَغْيِرُهُ صَبَاحٌ
- ٥ - أَلْمَعْ بَرْقَ سَرِّي أَمْ ضَوْءَ مَصْبَاحٍ
- ٦ - وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَا قُلُوبُ نَعَمْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِيِّ
- ٧ - يَقُولُ الْعَبْدُ لِلَّهِ إِذَا حَوْلَ وَجْهَهُ عَنْهُ : يَنْظُرُ مَوْلَاهُ إِلَيْهِ هَنْيَةً .
- ٨ - يَكُونُ مَزَاحُهَا عَسْلٌ وَمَاءً .

الاجابة

- (١) وضع الخبر موضع الانشاء للدعائية عليه في قوله : لا ترك الله له واضحة .
- (٢) فيه التفات بالانتقال من الخطاب الى الغيبة في رحمة الله .
- (٣) فيه التفات بالانتقال من الخطاب الى التكلم .

(١) سورة يس الآية ٥١ .

(٢) الخليل الصديق ، والواضحة الأسنان تبدو عند الضحك .

(٣) مثل يضرب لتشابه الأمور .

(٤) القنوط : اليأس .

(٥) سورة هود الآية ٩٠ .

(٦) الصاصي : البارز .

- (٤) فيه التفات من الخطاب الى الفيبة .

(٥) فيه تجاهل العارف .

(٦) فيه الأسلوب الحكيم ، فقد حمل صفاء القلوب على خلوها من الود .

(٧) وضع الخبر موضع الانشاء تأديباً في قوله : ينظر ، بدل : انظر .

(٨) فمه قلب ، والأصل يكون : مزاجها عسلاً وماء .

تہذیب

- ١ - تطاول ليلك بالأمس
ونام الحليل ولم ترقد^(١)

٢ - وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العاشر الأرمد

٣ - وخبرته عن أبي الأسود
وذلك من نبأ جحافن^(٢)

٤ - (٤) ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول^(٣)

٥ - (٥) يستلونك عن الأهلة قل هي مواعيit للناس والمحج^(٤)

٦ - (٦) ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم تقدر منهم أحداً^(٥)

٧ - (٧) فلما أن جرى سمن عليها كما طبنت بالفدن السياعا^(٦)

٨ - (٨) وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأنسنا بياناً^(٧)

٩ - (٩) ثم دنا فتدلى^(٨)

١٠ - إن ذاك النجاح في التبكيـر
ـ بـكـرا صـاحـبيـ قبلـ الـهـجـير

(١) قاله امروء القبس ، والأئمـة موضع ، والعـاشر مرض العـين .

(٢) سودة النساء الآلة ٤٦.

(٢) سورة التغة الآية ١٨٩.

(١) سورة الكشف الآية ٤٧

(٢) الفدين القصص، وساع الطين المخلوط بالتنز وحواب لما في البيت بعده .

(٣) الأعماق، الآفاق

(٢) صورة المعرفة الآية

الباب العاشر في القصر

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول في تعريفه لغة واصطلاحاً

القصر في اللغة : الحبس ، وفي التنزيل : (حور) مقصورات في الحبام ،
وعندم قاصرات الطرف أتراب ^(١) ، قال الفراء : قد قصرن أنفسهن على
أزواجهن فلم يطمعن إلى غيرهم .

وفي الاصطلاح إثبات الحكم المذكور في الكلام وتفيه عما عداه ، أو هو
تحصيص أمر بأمر بإحدى الطرق الآتية ، والتعريف الثاني أصبح لشمول الأول
لقولك : محمد مقصور على القيام ، وذلك لا يسمى قسراً اصطلاحاً .

فإذا قلنا : ما سافر إلا على ، استفيض من ذلك تحصيص السفر بعلي وتفيه عن
غيره من يظن فيه ذلك ، فما قبل إلا مقصور وما بعدها مقصور عليه (ما وإلا)
طريق القصر .

المبحث الثاني في طرقه

طرق القصر والاختصاص كثيرة أوصلها السيوطي في كتابه « الانقان » إلى
أربعة عشر طريقاً ^(٢) أشهرها ستة تقدم الكلام على اثنين منها وما توسط ضمير
الفصل نحو : كلِّمَ اللهُ هُوَ مُوسَى ، تعريف المسند بأـلـ نحو : خـيرـ الزـادـ التـقوـيـ ،
وستتكلـمـ هناـ عـلـىـ الأـرـبـعـةـ الـبـاقـيـةـ وـهـيـ :

(١) سورة الرحمن الآية ٧٢ .

(٢) منها التصرير بالفظ وحده أو لا غير أو فقط ، أو باءة الاختصاص ، أو باءة القصر ،
وكل هذه ليست من الطرق الاصطلاحية .

طريق القصر	المثال	المقصور	المقصور عليه
النفي والاستثناء	ماشجاع إلا على	الشجاعة	ما بعد إلا
إنما	إنما الشجاع على	الشجاعة	الأخير
العطف (ا) بلا	على شجاع لا خالد	الشجاعة	المقابل لما بعد لا
(ب) بل	ما خالد شجاع بل على	الشجاعة	ما بعد بل
(ح) بل لكن	ما خالد شجاع لكن على	الشجاعة	ما بعد لكن
تقديم ما حقه التأثير	بالشجاعة يفزو على	الشجاعة	المتقدم

١ - ووجه إفاده النفي والاستثناء القصر أنه اذا قيل : ما محمد ، توجه النفي الى صفتة لا الى ذاته ، لأن الذوات لا تنفي ، ومن حيث إنه لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك ، وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولها النفي ، فإذا قيل : إلا شاعر جاء القصر ، هذا في قصر الموصوف على الصفة ، أما في قصر الصفة على الموصوف فإنه متى قيل : ما شاعر ، فادخل النفي على الوصف المسلم ثبوته وهو الشعر لغير الشخصين الذين الكلام فيها كمحمد وعلي مثلًا ، توجه النفي اليها فإذا قيل : إلا محمد ، حصل القصر .

٢ - ووجه إفاده إنما القصر تضمنها معنى : ما وإلا ، دليل ذلك البراهين الآتية :

(أ) ما قاله النحاة من كون إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه .

(ب) ما قاله المفسرون في قوله تعالى : **إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ**^(١) بنصب الميتة من أن المعنى : ما حرم عليكم إلا الميتة ، وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميتة لانحصر التعمير فيها ، إذ ما في قراءة الرفع اسم موصول ، فتقدير الكلام حينئذ إن الحرم الميتة والخبر معرف بلام الجنس فيفيد المحصر كما تقدم .

(ج) صحة انفصال الضمير معها فتقول : إنما يسافر أنا ، كما تقول : ما يسافر إلا أنا ، كما قال الفرزدق :

أَنَا الزائد الحامي الدمار وإنما يدافع عن أحاسيمِي أنا أو مثلي^(٢)

(١) سورة التحل الآية . ١٥٥ .

(٢) التزود الطرد ، والذمار العهد ، وفي الأسانم هو الحامي الدمار اذا حمى ما لو لم يحمه لم وعنف ، والحسب ما يمده المرء من مفاخر نفسه وآبائه .

إذ لو كان المراد الإيجاب لم يستقم ، لأنك لا تقول : يدافع أنا ، وإنما تقول : أدافعي ، ولكن لما كان المعنى : ما يدافعي إلا أنا ، فصل الضمير كما يفصل مع النفي والاستثناء ليتأتى له ما قصد وهو تخصيص المدافعي لا المدافع عنه ، إذ لو قال : وإنما أدافعي عن أحاسيبهم لصار المعنى أنه يدافع عن أحاسيبهم لا عن غيرهم ، وليس ذلك بقصد وبما فيه من قصور المدح والمقام مبالغة إذ هو في معرض التفاخر وعدا المأمور .

قال السكاكي وبذكر لذلك وجه لطيف يسند إلى علي بن عيسى الربعي ، وهو أنه لما كانت كلمة إن لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو ، ناسب أن يضمن معنى القصر لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد .

٣ - يراد بالتقديم تقديم ما كان حقه أن يؤخر ، كتقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم بعض معمولات الفعل عليه ، نحو : أنا أجزت مسألتك ، أي وحدي ، من اعتقاد أنك وغيرك أنجزتماها ، أو بمعنى : لا غيري ، من اعتقاد أن غيرك أنجزها دونك .

وهذه الطرق تفتقر من وجوه :

(١) أن التقديم يدل على القصر بفهم الكلام ، فإن ذا الذوق السليم إذا تأمل في كلام فيه التقديم ، فهم منه القصر ، وإن لم يعرف اصطلاح البلاغة في ذلك ، والثلاثة الباقية بالوضع اللغوي ، لأن الواضح وضعها لتفيد ذلك .

(٢) أن الأصل أن ينص في العطف على المثبت والنفي معاً ، فلا يترك ذلك إلا خوف التطويل ، كما إذا قيل : محمد يعلم الكيمياء والطب والهندسة والجبر والفلك ، أو محمد يعلم الكيمياء ، وإبراهيم وخالد إلى آخره .. فتقول فيها : محمد يعلم الكيمياء لا غير ، أي لا الطب ولا الهندسة إلى آخره في الأول ، ولا إبراهيم ولا خالد في الثاني ، وينص في الثلاثة الباقية على المثبت فقط .

(٣) أن النفي بلا العاطفة لا يجتمع مع النفي والاستثناء ، فلا تقول : ما محمد إلا مجتهد لا كسل ، لأن شرط جواز النفي بلا ، أن يكون ما قبلها منفياً بغيرها ، ولذا عيب على صاحب «الكتشاف» حيث قال في تفسير قوله تعالى :

فإذا عزمت فتوكل على الله ، أي لأن الأصل لك لا يعلمه إلا الله ، لا أنت ،
وعلى الحريري في قوله :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلى يومه لا ابن أ منه

ويجتمع مع إنما والتقديم فتقول : إنما محمد مجتهد لا كسلان ، وهو يجتهد لا على ،
لأن النفي فيها غير مصريح به ، بل المتصريح به هو الإثبات ، فلا يصبح تأكيد
ما تضمنه والنفي بلا ، بخلاف ما وإلا فإنه قد صرحت فيها بالنفي ، والنفي الصريح
ليس كالضمير .

(تبنيه) لا يحسن المطاف بعد إنما إذا كان الوصف مختصاً بالموصوف كالذى ذكر
الذى يعلم أنه لا يكون إلا من أولى الآلباب في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُوا الْأَلْبَابُ ﴾^(١) ، فلا يحسن أن تقول : إنما يتذكرة أولى الآلباب لا الجهل ،
كما يحسن أن تقول : إنما يحيى ، محمد لا على .

(٤) أن الأصل في (النفي والاستثناء) أن يكون لأمر ينكره المخاطب أو
يشك فيه أو لما هو منزل هذه المنزلة – بيان ذلك أنك لا تقول ما هو إلا خطى
إلا لمن ينكر أن يكون الأمر على ما قلت ، وإذا رأيت شيئاً من بعد فقلت :
ما هو إلا على ، لم تقله إلا والمخاطب يتوجه أنه ليس بمعنى .

وأما ما هو منزل هذه المنزلة فكقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾^(٢)
أي مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبرير والتبعاد عن الملاك ، نزل استفظاعهم
هلاكه وشدة حرصهم على بقائه منزلة إذكارهم ذلك .

ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾^(٣) ، لأن الكفار جعلوا
الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشراً مثلهم .
وأما قوله تعالى : ﴿ إِنْ هُنَّ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكُنَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِه ﴾^(٤) ، فمن باب مجازة الخصم وتسلیم بعض مقدماته لتنقطع حججته

(١) سورة الرعد الآية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

(٣) سورة النحل الآية ٥٨ .

(٤) سورة إبراهيم الآية ١١ .

كما هي العادة فيمن ادعى على خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعبد كلامه على وجهه ، كما اذا قال لكَ من يجاجك في مسألة : أنت من دأبك كيت وكيت ، فتقول : نعم أنا من دأبِي كيت وكيت لكن لا ضير عليّ ولا يلزمني من أجل ذلك ما ظننت ، فالرسل صوات الله عليهم كأنهم قالوا : إن ما قلتم هو كما قلتم ، لكن ذلك لا يمنع الرسل وفضل الله علينا .

(٥) ان الأصل في إنما أن تجبيه لأمر من شأنه ألا يحيطه الخطاب ولا ينكره وإنما يراد تنبيهه فقط ، أو لما هو منزل هذه المزلة .

تفسير هذا أنك تقول للرجل : إنما هو صاحبك القديم ، وإنما هو أخوك ، لم يعلم ذلك ويعرف به ، لكنك ت يريد أن تنبه لما يحيط عليه من حرمة الصاحب وحق الأخوة لترفقه و تستعطف قلبه ، ألا ترى إلى أبي الطيب حين يقول :

إنما أنت والدُ والأبُ الْقَادِرُ طعُّ أحنى من واصل الأولاد

لم يرد أن يعلم كافوراً أنه لابن الأخشيد مولاه بنزلة الوالد ، ولا كافور في حاجة إلى أن يعلم بذلك ، لكنه أراد أن يذكره بالأمر المعلوم ليجعله ذريعة إلى استدعاء ما يستوجبه من العطف والحنان ، ونظير ذلك قوله : إنما يجعل من يخشى القوت ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُون﴾^(١) . وأما ما هو منزل هذه المزلة فكقوله تعالى حكاية عن اليهود : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلَحُون﴾^(٢) ، فهم قد ادعوا أن اصلاحهم أمر جلي ظاهر ، ولذا جاء الرد عليهم مؤكداً بأن واسمية الجلة وتعريف الخبر باللام وضمير الفصل وتصدير حرف التنبيه حيث قال : ﴿أَلَا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُون﴾^(٣) . ونحو ذلك قول ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلاماء

حيث ادعى أن ثبوت هذه الصفة لمدحه أمر ظاهر ، لا يخفى على أحد ، كما هو دأب الشعراء اذا مدحوا الشهرة فيما يصفون به مدحهم ، ألا ترى الى البحترى حين يقول :

لا أدعى لأبي الملاء فضيلة حرق يسلها اليه عداه

(١) سورة الأنعام الآية ٣٦ .

(٢ و ٣) سورة البقرة الآيات ١١ و ١٢ .

هذا وقد علم بالاستقراء أن أحسن موقع تستعمل فيه إنما إذا كان الغرض منها التعمير بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها نحو: إنما يتذكرا أولوا الألباب ، فإنه تعمير بذم الكافرين من حيث أنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بيدي عقل فأنتم في طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا وكمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب ، ونظيره: ﴿إنما أنت منذرٌ من يخشاها﴾^(١) إذ المراد أن من لم تكن له من هذه الخشية ، فكانه ليس له أذن تسمع ، ولا قلب يعقل ، فالإنذار وعدمه سيان . وعلى ذلك جاء قوله :

أنا لم أرزرق حبتيها إنما للعبد ما رزقا

فهذا تعمير بأنه لا مطعم له في وصلها فهو يائس منه .

(٦) لأنما مزية على المطف ، وهي أن يعقل منها إثبات الفعل للشيء ونفيه عن غيره دفعه واحدة بخلاف المطف ، فإنه يفهم منه أولاً الإثبات ثم النفي ، نحو : محمد قائم لا قاعد ، أو بالعكس نحو : ما محمد قائماً بل قاعد .

المبحث الثالث في تقسيمه باعتبار الواقع والحقيقة^(٢)

ينقسم القصر باعتبار الواقع والحقيقة إلى قسمين : حقيقي وإضافي :

إضافي	حقيقي
هو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر معين بالنسبة إلى جميع ما عداه نحو ما على إلا شجاع أي أنه مقصور على صفة الشجاعة لا يتجاوزها إلى الجنين ، ولا إلى التهور مثلاً ونحو لا صادق إلا على لمن يعتقد أن الصادق هو محمود ، أو هو محمود ، أو يتعدد فيما ، فيكون المراد نفي الصدق عن غير علي من يعتقد المخاطب ، أو يتعدد فيه لا نفيه عن جميع الناس	هو ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة . الواقع نحو لا معبود بحق إلا الله ، فإذا معبود بحق في الواقع غير الله تعالى وهو قسمان
(١) حقيقي تحقيقاً وهو ما كان التخصيص فيه بالنسبة للحقيقة بحيث لا يتجاوز المقصور المقصور عليه أصلاً نحو : إنما الله كامل إذ لا صفة له جامدة إلا الكمال في الواقع (٢) حقيقي بحسب الإدعاء والمعالجة بفرض أن ما عدا المقصور عليه في حكم المعدوم نحو : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتن إلا علي	

(١) سورة النازعات الآية ٤٥ .

(٢) لم يذكر هذا التقسيم صاحب «المفتاح» لقلة جدواه .

المبحث الرابع في تقسيمه باعتبار حال المقصور

ينقسم كل من الحقيقى والإضافى باعتبار حال المقصور الى قسمين :

١ - قصر موصوف على صفة بـألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى أصلاً (في القصر الحقيقى) نحو: ما الله إلا كاملاً ، وهذا التقسيم متعدد لا يكاد يوجد أو هو حال لتعذر^(١) الاحاطة بصفات الشيء فلا يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداه ولذا لم يقع في التنزيل ، أو بـألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى مخصوصة وإن أمكن أن يتجاوزها إلى صفات أخرى غير تلك الصفة الأخرى المخصوصة (في القصر الإضافي) نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(٢) فالملخص دلالة قصره على الرسالة بـألا يتعداها إلى التباعد عن الموت الذي استعظاموه ، وهذا لا ينافي أنه متصرف بالصحة والبقاء ونحوها .

٢ - قصر صفة على موصوف بـألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف الى موصوف آخر أصلاً (في القصر الحقيقى) نحو : لا يعلم الغيب إلا الله ، أو بـألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف الى موصوف آخر مخصوص ، وإن أمكن أن تتجاوزه الى موصوف غير ذلك الموصوف الآخر (في القصر الإضافي) نحو : لا محترم إلا الصادق فالقصد قصر الاحترام على الصادق دون الكاذب فلا يمنع هذا من احترام الأمين والخاص لوطنه ونحو ذلك .

المبحث الخامس في تقسيمه باعتبار حال المخاطب

ينقسم القصر الإضافي^(٣) باعتبار حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام:

(١) لأنك اذا قلت: ما محمد إلا كاتب وأردت القصر الحقيقى لزم إلا يتصف بالقيام والعمود مع أنه لا بد أن يتصف بواحد منها ضرورة أن التقى بين لا يعتمدان ، وأيضاً يبعد أن يكون للذات صفة واحدة ليس له غيرها .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

(٣) دون الحقيقي بنوعيه لأن العاقل لا يعتقد انتصاف أمر يجميغ الصفات ، ولا انتصاف يجميغها إلا واحدة ، أو يتردد في هذا ، وكيف يكون ذلك وفيها صفات متناسبة ، فلا يصح أن يتضرر الحكم على بعضها وينفي عن الباقي أفراداً أو قلباً أو تعيناً ، وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف .

١ - قصر أفراد اذا اعتقد المخاطب^(١) الشركة بين شيئاً فاكثر ، نحو: إنما الله إله واحد ، خطب به من يعتقد أن الله ثالث ثلاثة ، بدليل قوله قبلها: ولا تقولوا ثلاثة" انتوا خيراً لكم .

٢ - قصر قلب اذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم فتقلب عليه اعتقاده ، نحو : ما شاعر إلا شوقي ، ردأ على من زعم أن غيره أشعر منه .

٣ - قصر تعين اذا كان المخاطب متراجعاً في الحكم نحو: ما شاعر إلا شوقي ردأ على من تردد في إثبات الشعر له ولبعض الشعراء الآخرين.

المبحث السادس في موقع القصر

كما يكون القصر بين المبتدأ والخبر ، كما رأيت ، يكون أيضاً بين الفعل والفاعل ، وبين الفاعل والمفعايل بأنواعها إلا المفعول معه ، وكذا بين جميع المعمولات ، نحو: ما جاء إلا على ، وما نال على إلا التعب ، وما أعطيت محمد إلا ديناراً ، وما جاء على إلا راكباً .

فإذا كان القصر : بما إلا ، وجب تقديم المقصور وتأخير المقصور عليه ، مع إلا ونحوها من أدوات الاستثناء نحو: (١) وما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربكم^(٢) ، وهو قصر قلب لا افراد إذ المعنى أنني لم أترك ما أمرتني أن أقوله لهم إلى خلافه ، بدليل : أنت قلت للناس اخذوني وأمي إلهين من دون الله ، وليس المراد أنني لم أزد على ما أمرتني به شيئاً إذ ليس الكلام في زيادة أو نقصان في التبليغ .

ويجوز قليلاً تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء وما يحالها^(٣) على المقصور نحو: ما كلم إلا محمد خالد ، وما كلم إلا محمدآ خالد ، وعليه قوله :

فيا رب هل إلا بك النصر يرجى عليهم وهل إلا عليك المعول
ووجه إفاده النفي والاستثناء القصر في كل ما تقدم أن النفي في الاستثناء المفرغ يتوجه إلى مقدر هو مستثنى منه ، إذ إلا للخارج ، وهو يتطلب مخرجاً منه ،

(١) شرطاً في قصر الموصوف على عدم تنافي الوصفين ليصح اعتقاد المخاطب اجتنابهما .

(٢) سورة المائدة الآية ١١٧ .

(٣) فالاختصاص في الذي يلي إلا ، فالقصد عليه هو الفاعل في الأول والمفعول في الثاني .

وذلك المقدر عام مناسب للمستثنى منه في جنسه وصفته ليتحقق الالخاراج ففي نحو : ما فهم إلا محمد ، بقدر ما فهم أحد ، وفي نحو : ما كسوته إلا عباءة ، ما كسوته لباساً ، فإذا أخرج منه شيء جاء القصر ضرورة بقاء ما اعدا ذلك الشيء على جهة الانتفاء . وإذا كان القصر بياناً آخر المقصور عليه ، فيكون القيد الأخير بمنزلة الواقع بعد إلا ، فيكون هو المقصور عليه نحو : إنما محمد قائم وإنما أنتبه زجراً له . ولا يجوز تقديم المقصور عليه على غيره ، لثلا يؤدي إلى الإلباب ، إذ قوله : إنما كلّ محمد عليه يفهم عنه عكس قوله : إنما كلّ محمد على . ولا إلباب في النفي والاستثناء .

قال السكاكى : وما ذكر تعمّر على الفرق بين قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشِيُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ﴾^(١) ، قوله إنما يخشى العلامة من عباد الله فإن الأول يقتضي قصر خشية الله على العلامة ، والثانى يقتضى قصر خشية العلامة على الله .

تدريب أول

بيان نوع القصر وطريقه فيما يأتي :

- ١ - لا يألف العلم إلا ذكي ، ولا يحيوه إلا غبي .
- ٢ - قـد حلت سـلى وجـارـاتـها ما قـطـرـ الـفـارـسـ إـلاـ أـنـاـ^(٢)
- ٣ - إنـماـ الدـنـيـاـ هـبـاتـ وـعـوـارـ مـسـتـرـدـهـ وـرـخـاءـ بـعـدـ شـدـهـ
- ٤ - إنـ الجـدـيـدـينـ فـيـ طـولـ اـخـتـلـافـهـاـ
- ٥ - بـكـ اـجـتـمـعـ الـلـكـ الـمـبـدـ شـمـلـهـ وـضـمـتـ قـوـاصـيـ مـنـهـ بـعـدـ قـوـاصـيـ^(٣)
- ٦ - لـيـسـ الـيـتـيمـ الـذـيـ قـدـ مـاتـ وـالـدـهـ بـلـ الـيـتـيمـ يـتـمـ الـعـلـمـ وـالـأـدـبـ
- ٧ - مـحـاسـنـ أـوـصـافـ الـمـغـنـيـنـ جـمـةـ وـمـاـ قـصـبـاتـ السـبـقـ إـلاـ لـمـعـبـدـ^(٤)
- ٨ - عـنـ الـامـتـعـانـ يـكـرـمـ الـزـوـهـ أوـ يـهـانـ .

(١) سورة فاطر الآية ٤٨ .

(٢) قطر الفارس ألقاه على قطره أي جانبيه .

(٣) المبد المفرق ، والقواصي جمع قاصية : التاحية البعيدة .

(٤) مغن مشهور أيام بنى أمية وبني العباس .

الاجابة

طريقه	باعتبار المخاطب	باعتبار الواقع	نوعه باعتبار المقصور	الجملة
لا ولا	حقيقي	حصر صفة على موصوف	لا ي Alf العلم إلا ذكي	
ما ولا	اضافي تعين	حصر صفة على موصوف	ما نظر الفارس إلا أنا	
إنما	قلب اضافي	حصر موصوف على صفة	إنما الدنيا هبات	
العطف بل ولكن	قلب اضافي	حصر صفة على موصوف	ان الجدين الى آخره	
التقديم	أفراد اضافي	حصر صفة على موصوف	بك اجتمع الملك	
العطف ببل	قلب اضافي	حصر صفة على موصوف	ليس اليم الخ	
ما ولا	أفراد اضافي	حصر صفة على موصوف	ما قصبات السبق الخ	
التقديم	أفراد اضافي	حصر صفة على موصوف	عند الامتحان الخ	

تدريب ثان

- ١ - هات جملة تقييد نجاح محمد وعدم نجاح خالد بواسطة إنما .
- ٢ - رد بطريق القصر بيانا على من ظن أن المطر يكثر شتاء في السودان .
- ٣ - أجمل الجملة الآتية دالة على قصر الصفة على الموصوف بطريق القصر الأربع ، وهي (أكرم المؤدب) .
- ٤ - (أ) من تمخاطب بالجملة الآتية فيكون القصر قصر قلب .
- ـ (ب) من تمخاطب بالجملة الآتية فيكون القصر قصر افراد .
- ـ (ج) من تمخاطب بالجملة الآتية فيكون القصر قصر تعين ، وهي ما كتبت إلا ما طلبته مني .
- ـ غير الجملة الآتية ، بحيث تقييد للقصر بالعطف (بك اجتمع الملك المبدد شمله) .
- ـ أجمل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة النفي والاستثناء (إن الطيور على أشكالها تقع) .
- ـ أجمل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة إنما (يحمد الناس الصادق) .
- ـ أجمل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة العطف (بنال المجد المجهود) .

الاجابة

- ١ - إنما نجح محمد لا خالد .
- ٢ - إنما يكثر المطر في السودان ربما لا شفاء .
- ٣ - (أ) لا أكرم إلا المؤدب .
(ب) إنما أكرم المؤدب .
(ج) أكرم المؤدب لا سيء الحلق .
(د) المؤدب أكرم .
- ٤ - (أ) اذا كان المخاطب يعتقد أنك كتبت غير ما طلب .
(ب) اذا كان المخاطب يعتقد أنك كتبت ما طلب وغيره .
(ج) اذا كان المخاطب متربداً في كتابتك ما طلب وغيره .
- ٥ - اجتمع الملك المبدد شمله بك لا بغيرك .
- ٦ - لا تقع الطيور إلا على أشجارها .
- ٧ - إنما يحمد الناس الصادق .
- ٨ - ينال الجهد المحتمد لا الكسلان .

غرين أول

بيان طريق القصر ونوعه باعتبار المقصود عليه وباعتبار الواقع وباعتبار المخاطب:

- ١ - وما الخوف إلا ما تخوافه الفق أمنا
- ٢ - وإنما البرء حدث بعده
- ٣ - وللفرق من ماله ما قدمت
- ٤ - ما افترينا في مدحه بل وصفنا
- ٥ - ليس عار بأن يقال فقير
- ٦ - وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
- ٧ - سيدكري قومي إذا جد جدم
- ٨ - وما بلد الإنسان غير المواقف
- ٩ - عمر الفق ذكره لا طول مدة
- ١٠ - بالعلم والمثال يبني الناس ملوكهم

تمرين ثان

- ١ - رد بطريق القصر علىَّ من زعم تأخر فن الطب بمصر .
- ٢ - ضع الجملة الآتية بإحدى طرق القصر المتقدمة : يجب الناس الخلاص لوطنه .
- ٣ - من تخاطب بهذه الجملة على طريق قصر القلب : لا ينال العلا إلا مُجدّد .
- ٤ - حوال القصر في هذه الجملة إلى قصر وإنما : وما قصبات السبق إلا لمعبد .
- ٥ - حوال طريق القصر الآتي إلى نفي واستثناء: وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر.
- ٦ - رد بطريق القصر علىَّ من زعم قلة الحر في الصعيد .
- ٧ - غير الجملة التالية بحيث تفيد القصر بالمطاف : بل وثبتت .
- ٨ - ضع الجملة الآتية بحيث تفيد القصر وإنما (يُحيل^١ الناس الجواد) .

الباب الحادي عشر في الفصل والوصل

وفيه تمهيد وخمسة مباحث

تمهيد في دقة مسلكه وعظيم خطره

الفصل والوصل هو العلم بواضع العطف أو الاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف المطف في مواقعها ، أو تركها عند الحاجة إليها ، وذلك صعب المسلك لطيف المفزى كثير الفائدة غامض السر لا يوفق للصواب فيه إلا من أتقى حظاً من حسن الذوق وطبع على البلاغة ورزق بصيرة نقاده في إدراك حasanها ، ولصعوبة ذلك جعل حداً للبلاغة ، لأن ترى إلى بعض البلاء وقد سئل عن البلاغة فقال : « هي معرفة الفصل والوصل » ، فجعل ما سواه تبعاً ومتقرراً إليه وليس بالخففي أنه لم يرد بذلك إلا التنبيه على غموضه وجليل خطره وأن أحداً لا يكمل في معرفته إلا كمل فيسائر فنونها ، فإن سبك الكلام وقوته أسره وشدة تلامح أجزائه تحتاج إلى صانع صنع وحاذق ماهر يبين بين أقسام الجمل التي تفصل والتي توصل فيرى الفرق واضحاً بين جملتين متزجان حد الامتزاج حتى كان إحداهما الأخرى وجملتين لا تناسب بينهما^(١) فإذا هما مشتملة^(٢) والأخرى معرقة ، وجملتين هما وسط بين الأمرين فيحكم بوجوب الفصل في النوعين الأولين والوصل في النوع الثالث ، واعتبر ذلك بما تراهم قد أجمعوا عليه من النعي على أبي تمام وهو ما هو ، في قرض الشعر ، ورفع المنزلة ، في صياغة الكلام ، في قوله يدح أبا الحسين محمد الهيثم :

(١) المراد بذلك شدة التبليغ بينها .

(٢) أي ناحية في الشام .

زعمت هواك عفـا الغـدة كـما
عـفت مـنـها طـلـول بالـلوـى وـرسـوم
لا وـالـذـى هـو عـالـم أـنـ النـوى
صـبـر وـأـنـ أـبـا الحـسـين كـرـيم^(١)
إـذ قـد وـصـل (وـأـنـ أـبـا الحـسـين كـرـيم) بـاـقـبـلـه وـلـا مـنـاسـبـة بـيـنـ كـرـمـ أـبـيـ الحـسـين
وـمـرـارـةـ النـوى ، وـلـا تـعـلـيـقـ لـأـحـدـهـا بـالـآخـر ، إـذ لـا يـقـتـضـيـ الـحـدـيـث ،
بـهـذـاـ الـحـدـيـث ، بـذـلـك .

المبحث الأول في وصل المفردات وفصلها

البحث في وصل الجمل وفصلها لا يتضح إلا إذا سبقه الكلام على وصل المفردات وفصلها ، وبيان هذا أن عطف مفرد على آخر يستفاد منه مشاركة الثاني للأول في اعرابه من رفع ، ونصب ، وجر ، ولكن الأكثر في الصفات إلا يعطى بعضها على بعض ، نحو : جاء محمد العاقل الفاضل الكريم ، وسر هذا أن الصفة جارية مجرى موصوفها ، فهي تدل على ذات لها تلك الصفة ، ومن ثم ينتفع عطفها على موصوفها ، فلا يجوز : جاءني محمد والكرم ، على أن الكرم هو محمد ، لأنـه لا يـصـحـ عـطـفـ الشـيـءـ عـلـىـ نـفـسـهـ ، وجـاءـ قـلـيلـاـ عـطـفـ بـعـضـهـ عـلـىـ بـعـضـ باعتبار المعانـيـ الدـالـةـ عـلـيـهـاـ ، فـنـقـولـ : نـظـرـتـ إـلـىـ عـلـىـ الـفـاضـلـ ، وـالـمـؤـدـبـ وـالـكـرـمـ ، كـأـنـكـ قـلـتـ : نـظـرـتـ إـلـىـ مـنـ اـتـصـفـ بـالـفـضـلـ وـالـأـدـبـ وـالـكـرـمـ ، وـعـلـىـ ذـلـكـ جاء قوله :

إـلـىـ الـمـلـكـ الـقـرـمـ وـابـنـ الـهـامـ ولـيـثـ الـكـتـيـبـةـ فـيـ الـمـزـدـحـ

المبحث الثاني في وصل الجمل

وصل الجمل عطف بعضها على بعض بالواو ، أو إحدى أخواتها ، وفائدة تشيريك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم ، ومن حروف المطف ما يفيد المطف فحسب ، وهو الواو ، ولذا قد تخفي الحاجة إليها فلا يدركها إلا من أتي حظاً من حسن الذوق ، ومنها ما يفيد مع التشيريك معانـيـ أخرىـ كالـتـرـتـيـبـ منـ غـيرـ تـرـاخـ

(١) زعمت: أي محبوبته ، عفـا: درس وزالت معالله ، والطلول جمع طلل آثار الديار التي مـجـرـهاـ أـمـلـهاـ ، وـالـصـبـرـ ثـمـ شـجـرـ مـرـ ، وـالـخـاطـبـ فـيـ هـوـاكـ لـنـفـسـ ، وـجـوابـ القـسـمـ مـاـ ذـكـرـهـ فـيـ الـبـيـتـ بـعـدـهـ :

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت نفسـيـ عـلـىـ إـلـفـ سـوـاـكـ تـحـومـ

في الفاء ، وهو مع التراخي في ثم ، وهكذا ، ومن أجل ذلك لا يقع اشتباه في استعمال ما عدا الواو ، ولذا لا يبحث هنا إلا عنها .

والجمل المطوف بعضها على بعض ضربان :

١ - أن يكون للجملة المعطوف عليها موضع من الاعراب ، وحكم هذه حكم المفرد لأنها لا تكون كذلك حتى تكون واقمة موقعه ، وحينئذ يكون وجهاً الحاجة فيها الى الواو ظاهراً ، والإشراك بها في الحكم موجوداً ، فإذا قلت : نظرت إلى رجل خلقه حسن ، وخلفه قبيح ، كنت قد أشركت الثانية في حكم الأولى ، وهو كونها في موضع جر صفة للفكرة ، ونظائر ذلك كثيرة ، وخطبها يسر .

٢ - ألا يكون لها موضع من الاعراب ، وتحت هذه نوعان :

(أ) أن تتفق^(١) الجملتان خبراً وإنشاء ، وتكون بينهما مناسبة وجامع يصح العطف مع عدم المانع ، نحو : **إن الأبرار لفي نعم وإن الفجّار لفي جحيم**^(٢) ، ونحو : **(فليضعوا قليلًا ولبيكوا كثيراً)** ، ويسمى ذلك توسطاً بين الكبار .

(ب) أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاء ، لكن لو ترك المطاف لأولم خلاف المصود، كما تقول: لا وشفاء الله، جواباً من سالك: هل أبلٌ "محمد من مرضه؟ فترك الواو حينئذ يهم الدعاء عليه مع أن المصود الدعاء له ، وقد روى أن هارون الرشيد سأله وزيره عن شيء فقال : لا وأيد الله الخليفة . فلما بلغ ذلك الصاحب ابن عياد قال : هذه الواو أحسن من الواوات بغير خدود الملام .

وقد ذكر صاحب المغرب أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه من برجل في يده ثوب ، فقال له الصديق : أتبיע هذا ؟ فقال : لا يرحمك الله ، فقال له : لا تقل هكذا وقل ، لا يرحمك الله .

ويسمى ذلك كمال الانقطاع مع إيهام خلاف المراد .

(١) المدار في ذلك على اتفاقها خبراً وإنشاء في المعنى ، سواء كانتا خبريتين لفظاً ومعنى ، أو خبريتين معنى لا لفظاً أو الأولى خبرية معنى لا لفظاً أو بالعكس أو إنشائيتين لفظاً ومعنى أو معنى لا لفظاً أو الأولى خبرية لفظاً والثانية إنشائية أو بالعكس .

١٤) سورة الافتخار الآية ١٤ .

المبحث الثالث في الجامع

لا بد في الضرب الأول وال النوع الأول من الضرب الثاني من صور الوصل من وجود جامع بين الجملتين به تتجاذبان وعليه قتمدان .

بيان هذا أنه لا يقع العطف موقعه ولا يحمل المثلث اللائق به إلا إذا وجد بين الجملة الأولى والثانية جهة جامعة نحو : محمد يعطي ويمنع ، ويكتب ويشعر ، ويصبح أن تقول : خرجت من داري ، وأحسن ما قيل من الشعر ، كذا إذ لا صلة بين الثانية والأولى ولا تعلق لها بها .

والجامع^(١) أما عقلي أو وهي أو خيالي ، فالعقلي أن يكون بين الجملتين أما :

(١) اتحاد في المسند إليه أو في المسند ، أو في قيد من قيودها نحو : محمد يكتب ويشعر ، قوله :

يشقى الناس ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام

وخلال الكاتب أديب و محمد الكاتب فقيه .

(٢) وإما تماثل واشتراك فيها أو في قيد من قيودها ، ولا يكفي مطلق تماثل بل التمايز والمراد أن يكون في وصف له نوع اختصاص بالمسند إليه أو المسند أو القيد ، فنحو : محمد شاعر و عمر كاتب ، إنما يحسن إذا كان محمد و عمر أخوان أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة .

(٣) وإما تضایف بينها بحيث لا يتمتع أحدهما إلا بالقياس إلى الآخر كالأبواة مع النبوة والعلو مع السفل والأقل مع الأكثر ، ونحو ذلك .

والوهي أن يكون بين الجملتين أما :

١ - شبه تماثل كلوني بياض وصفرة ، فإن الوهم ابرزها في معرض المثلين ، لكن العقل يعرف أنها نوعان متبايانان داخلان تحت جنس واحد وهو اللون ، ومن أجل هذا حسن الجمع بين الثلاثة في قوله :

(١) لا بد من وجود الجامع بين المسند إليه في الجملتين ، وكذا بين المسند فيها ، فلو وجدت مناسبة بين المسند إليه فيها فقط أو بين المسند فيها ، كذلك لم يكن ذلك كافياً ولم يصح العطف ، فقد صرخ السكاكي بامتناع عطف قول القائل : خفي ضيق ، على قوله : خاتمي ضيق ، مع اتخاذ المسند فيها .

ثلاثة تشرق الدنيا بهم جهتها شمس الشخصي وأبواسحاق والقمر^(١)

٢ - أو تضاد وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف ويتناقضان على محل واحد كالسوداء والبياض والإيمان والكفر والقيام والقمود.

٣ - أو شبه تضاد كالسماء والأرض فإنها وإن كان بينهما غاية الخلاف من جهة الارتفاع والانخفاض لا ينماقان على محل واحد كما في التضاد.

والخيالي أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الأمرين في الفكر لأسباب مختلفة باختلاف المتكلمين كصناعة خاصة أو عرف عام كالسيف والرمح في خيال الفارس والقلم والقرطاس في خيال الكاتب والدرس والسبورة في خيال الطالب، وهكذا. وللقرآن الكريم في هذا الباب القدح المعلنى نحو: ﴿فَلَيُضْحِكُوا قَلِيلًا وَلَيُسْكُوَا كَثِيرًا﴾^(٢) ، فبين المسندين فيها تضاد وبين المسند إليه فيها اتحاد وبين القيدين تضاديف ، وقوله عز شأنه : ﴿أَفَلَا يَنْظَرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجَبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(٣) ، فإنه وإن لم تكن مناسبة بين الإبل والسماء وبينها وبين الجبال والأرض بحسب الظاهر لكن لما كان الخطاب مع العرب والإبل شاغلة لأخيلتهم ، تكونها أعز أموالهم ، وكانت الأرض لرعيها والسماء لسقيها والجبال لاتجائهم إليها عند إمام المحدثات ، ناسب إبراد الكلام طبق تعديلاتهم .

وهناك أمثلة تشرح لك ما مضى ، فإذا قلت : العدل نور ، الظلم ظلام ، كان هناك تقابل وتضاد بين كل من المسند إليه والمسند في الجملتين ، وإذا قلت : الأمير يصل ويقطع ، فيها اتحاد في المسند إليه فيها وتقابل بين المسند ، وإذا قلت : أقبل على وأدب أخوه ، كان فيها تماثل بين المسند إليه فيها وتقابل بين المسند ، وهم جرأ .

(١) فاللوم يتبدّل إلى أن هذه الثلاثة من نوع واحد كأن كل منها شمس ، لكنها اختلفت بالعارض الشخصية .

(٢) سورة التوبه الآية ٨٢ .

(٣) سورة الفاطحة الآيات ١٧ و ١٨ .

المبحث الرابع في محسنات الوصل

ـ ـ ـ اـ يزيد الوصل حسناً بعد وجود المصحح المجوز للعطف ، اتحاد الجملتين في الكيفية لأن تكونا اسميتين أو فعليتين أو شرطيتين أو ظرفيتين ، ثم في الاسمية اتفاقها في كون الخبر امّا أو فعلاً ماضياً أو مضارعاً ، وفي الفعليتين اتفاقها في كونها ماضويتين أو مضارعتين إلا لداع يدعوا إلى التناقض وذلك :

١ - بأن يقصد التجدد في إحداها والثبات في الأخرى كقوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم : ﴿أجئتنا بالحق ألم أنت من اللاعبين﴾^(١) ، فهم كانوا يزعمون أن اللعب حال إبراهيم المستمرة فاستفهموا عن تجدد مجده لهم بالحق .

٢ - بأن يقصد المضي في إحداها والاستقبال في الأخرى كقوله تعالى : ﴿ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾^(٢) ، فقد عبر بالمضارع في الثانية ، وإن كان القتل في الماضي لاستحضاره في النقوس وتصويره في القلوب بياناً لفظاعته .

٣ - بأن يقصد الاطلاق في إحداها والتقييد في الأخرى ، كقوله تعالى : ﴿و قالوا لو لا أنزل عليه ملكٌ ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر﴾^(٣) ، فقد أطلقت الجملة الأولى وقيدت الثانية بالإنزال ، إذ الشرط قيد في الجواب .

المبحث الخامس في الفصل

من حق الجمل إذا ترافق ووقع بعضها في إثر بعض أن تربط بالواو لتكون متسبة منتظمة ، وقد يعرض لها ما يجب ترك الواو ، ويسمى ذلك فصلاً ، ويكون في خمس أحوال :

١ - كمال الاتصال ، وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد قام وامتزاج معنوي ، حتى كأنها أفرغتا في قالب واحد ، وهذا يكون في :

(أ) باب التوكيد ، لزيادة التقرير أو لدفع توهّم تجاوز أو غلط ، سواء أكان

(١) سورة الأنبياء الآية ٥٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٨٧ .

(٣) أي : هل أنزل عليه ملك فتومن به ، ولكن لو حصل ذلك لقضى الأمر بهلاكهم لعدم إيمانهم به (سورة الأنعام) .

تأكيداً لفظياً ، نحو : ﴿فَهُلْ الْكَافِرِينَ أَمْلَهُمْ رُوِيدًا﴾^(١) أم تأكيداً معنوياً نحو : ﴿مَا هَذَا بِشَاءٌ إِنْ هَذَا إِلَّا مُلْكٌ﴾ كريم^(٢) ، فإنه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً ، فإنيات كونه ملكاً تأكيد وتحقيق لنفي كونه بشراً . وعليه قول الشاعر :

إِنَّ الدِّينَ إِنَّمَا فِنَاءٌ لِيْسَ الدِّينَ إِنَّ ثَبَوتٍ

(ب) باب البديل والمقتضى له كون الثانية أوفى بالمطلوب من الأولى والمقام يستدعي عنابة بشأن المراد سواء أكان بدل كل نحو : ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأُولُونَ قَالُوا أَنَّدَا مَتَّنَا﴾^(٣) أم بدل بعض نحو : ﴿أَمْدَكْمَ بَا تَعْلَمُونَ أَمْدَكْمَ بَانِعَمْ وَبِنِينَ وَجَنَّاتَ وَعِيْونَ﴾^(٤) أبدلت الثانية من الأولى تبيها إلى نعم الله على عباده وهي أوفى مما قبلها للدلائل على المراد مع التفصيل من غير إحالة على علم المخاطبين لمنادهم واستكبارهم ، أم بدل اشتئال نحو : ﴿أَتَبْعَدُوا الْمُرْسَلِينَ أَتَبْعَدُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٥) أبدلت الثانية من الأولى بدل اشتئال ، لأنها أبین في المراد وهو حمل المخاطبين على اتباع الرسل^(٦) ، وعليه قول الشاعر :

أَفُوْلُ لَهُ إِرْحَلُ لَا تَقِيمُنَّ عَنْدَنَا وَإِلَّا فَكَنْ فِي السُّرِّ وَالْجَهَرِ مُسْلِمًا^(٧)
فَسِيَاقُ الْحَدِيثِ فِي إِظْهَارِ كِرَاهَتِهِ إِقْامَتِهِ ، لِأَنَّهُ يَسِّرُ غَيْرَ مَا يَعْلَمُ ، وَجَلَةُ لَا تَقِيمُنَّ أَدَلُّ عَلَى هَذَا الْفَرْضِ وَلَا سِيَّما مَعَ التَّأْكِيدِ بِالْتَّوْنِ .

(ج) باب عطف البيان ، والداعي إليه خفاء الأولى ، والمقام يستدعي إزالة

(١) سورة الطارق الآية ١٧ .

(٢) سورة يوسف الآية ٢١ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٨٢ .

(٤) سورة الشورى الآيات ١٣٢ و ١٣٣ .

(٥) سورة يس الآيات ٢٠ و ٢١ .

(٦) إِذْ مَفَادِهَا أَنْكُمْ لَا تَخْسِرُونَ مَعْهُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِكُمْ وَتَرْجُونَ صَحَّةَ دِينِكُمْ وَيَنْتَظِمُ لَكُمْ خَيْرَ الدِّينِ وَالآخِرَةِ .

(٧) يطلب منه الرحالة ، لأن باطنه ليس كظاهره لأنه يتناول أعراضهم .

هذا الخفاء ، نحو : ﴿فَوَسوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدْلَكَ عَلَى شَجَرَةِ
الْخَلْدِ وَمُلْكِكَ لَا يَبْلِي﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿بِسْمِ رَبِّكُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾^(٢) . وعليه قول الشاعر :

كفى زاجراً للمرء أيام دهره تروح له بالوعاظات وتقتدى

٢ - كمال الانقطاع ، وهو أن يكون بين الجملتين تبادل قام دون إيهام خلاف
المراد ، وتحت هذا نوعان :

(أ) أن تختلفا خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى نحو قوله تعالى : ﴿وَأَفْسَطُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمَقْسُطِينَ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿إِلَيْكُمْ نَعْبُدُ وَإِلَيْكُمْ نَسْتَعِنُ، إِنَّا
الصَّرَاطَ الْمَسْتَقِيمَ﴾^(٤) ، وقول الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه في وجهه شاهد من الخبر

أو تختلفا معنى فقط ، نحو قوله : نجح فلان وفقه الله ، وقول الشاعر :

جزي الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوي من صديقي

(ب) ألا تكون بينهما مناسبة في المعنى ، ولا ارتباط بين المنسد إليه فيهما ،
ولابين المنسد ، نحو قوله :

إنما المرء بأصغر بيته كل أمري رهن بما لديه

٣ - شبه كمال الاتصال ، وهو أن تكون الجملة السابقة كالمورد للسؤال أو
المنشأ له ، فتفصل الثانية عنها كيما يفصل الجواب عن السؤال ، ويسمى الفصل
لذلك استثنافاً ، وهو على ثلاثة^(٥) أضرب ، لأن السؤال الذي تضمنته
الجملة ، إما :

(١) سورة طه الآية ١٢٠ .

(٢) سورة القراء الآية ٤٩ .

(٣) سورة الحجرات الآية ٩ .

(٤) سورة الفاتحة الآية ٣ .

(٥) لأن الساعي إما أن يحمل السبب من أصله ، فيسأل عنه ، وإما أن يتصور تقني جمیع
الأسباب إلا سبباً خاصاً يتزدد في حصوله أو تقه ، فيسأل عنه ، وأما عن غير السبب بأن ينبع
عليه شيء مما يتعلق بالجملة الأولى .

(١) عن سبب عام للحكم، نحو:

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل
كأن المخاطب لما سمع قوله عليل ، قال ما سبب علنك ، فقل : سهر دائم
وحزن طويل .

(ب) وأما عن سبب خاص كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ
لِأَمَارَةٍ بِالسَّوءِ ﴾^{١١} ، كأنه قيل : هل النفس أمارت بالسوء ؟ فقيل : نعم إن
النفس لأمارت بالسوء ، وهذا يقتضي تأكيد الحكم الذي في جملة الجواب ، كما
سبق ذلك في أضرب الخبر ، وعلمه قول الشاعر :

يُؤْمِنُ الْبَخِيلُ بِسَبِيلِ الْمَالِ وَاحِدَةٍ
كَانَهُ قَيْلٌ : فَإِذَا يَرِي الْكَرِيمُ مِنْ مَالِهِ ، فَقَيْلٌ : إِنَّ الْكَرِيمَ .. الخ.

(ج) وأما عن غيرها كقوله تعالى : ﴿قالوا سلاماً قال سلام﴾^(٢) كانه
قيل : فإذا قال إبراهيم عليه السلام ، فقيل : «قال سلام» ، وعليه قوله :
زعم العواذل أنني في غمرة صدقوا ولكن عمرت لا تنبعلي^(٣)
إذ مسامي الكلام في إظهار الشكوى من العذال ، وذلك مما يدعى السامع
لأنه سألاً : أصدقنا أم كذبنا ؟ فقلنا : صدقنا

وقد يحذف صدر الجواب، اسمًا كان أو فعلًا، نحو: ﴿يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال﴾^(٤) فيمن قرأه بالبناء للمفعول، كما قد يحذف الجواب كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول مساور بن هند يعجو بني أسد :

زعمت أن إخوتكم قريش لهم إلتف وليس لكم إلاف^(٥)

٥٣) سورة يوسف الآية ١)

(٢) سورة الذاريات الآية ٤٥ .

(٢) العواذل جمع عاذلة ، يراد هنا جماعة عاذلة بدليل قوله صدقوا ، والغمرة الشدة .

(٤) سورة النور الآية ٣٦.

(٤) إيلال في الرحلتين المعروفتين لمم في التجارة رحلة في الشتاء الى اليمن ورحلة في الصيف الى الشام ، وبعده : أولئك أومتنا بسوعاً وخرفان وقد حامت بنو أسد وخافوا

فمحذف الجواب وهو كذبتم في زعمكم وأقام مقامه قوله لهم : إله .. الخ ،
لدلالته عليه .

قال عبد القاهر : واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصولاً غير
معطوف هذا هو التقدير فيه والله أعلم ، أعني مثل قوله : ﴿ هل أراك حديث
ضييف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلامٌ قومٌ منكرون
فراغاً إلى أهل فجاء بهمجل سجين فقربه إليهم قال لا تأكلون فأوجس منهم خيفة
قالوا لا تخاف ﴾^(١) فقد جاء على ما يقع في أنفس المخاطبين اذا قيل : دخل قوم
على فلان فقالوا كذا أن يقولوا فما قال هو ويقول الحبيب قال كذا أخرج الكلام
ذلك المخرج ، لأن الناس خوطبوا بما يتعارفون .

وقال السكاكي : وتنزيل السؤال المفهوم من الكلام السابق متزلة الواقع
لا يصار إليه إلا لاعتبارات لطيفة كإغناه السامع عن أن يسأل ، أو لا يسمع
منه شيء تغييرًا له ، أو لنلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى
بتقليل اللفظ ، بترك السؤال ، وترك العاطف ، إلى غير ذلك ، مما ينخرط في هذا
السلوك . اه .

٤ - شبه^(٢) كمال الانقطاع ، وهو أن تسبق جملة يحملتين يصح عطفهما على
إحداهما ، ولا يصح عطفها على الأخرى لفساد المعنى ، فيترك المطوف دفعاً لهذا
الوهم ، ويسمى الفصل حينئذ قطماً ، كقوله :

وتظن سلى أنني أبني بها بدلأ أرها في الضلال هم
فبين الجملتين مناسبة ظاهرة لاتحاد المستندين ، لأن المعنى أرها أظنها ،
وكون المستند اليه في الأولى حبوباً والثانية حبباً ، ولكن ترك المطوف لثلا يتوجه
أنه عطف على أبني ، فيكون من مظنونات سلى ، كالمطوف عليه ، وهو
خلاف المراد^(٣) .

(١) سورة النازاريات الآيات ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ .

(٢) الفرق بينه وبين الانقطاع إن المانع هنا خارجي يمكن إزالته ، وهناك مانع ذاتي .

(٣) لأنه إنما يريد الحكم على سلى بخطتها في الفلان حين ظنت أنه يبني بها بدلأ ، بدل على ذلك قوله قبله :

زعمت هو أك عنا الفدأ كما عنا عنها طلال باللوى ورسوم

٥ - التوسط بين الكالين ، وهو أن تكون الجملتان متناسبتين ، ولكن ينبع من العطف مانع وهو عدم قصد التشريك في الحكم كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا خلوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعْكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يُسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(١) فجعلة الله يُسْتَهْزِئُ بِهِمْ لا يصح عطفها على إنما معكم لاقتضائه أنها من مقول المافقين ، وليس ذلك كذلك ، ولا على جملة قالوا لأنه يكون المعنى ، فإذا قالوا ذلك استهزأ الله بهم ، وهذا لا يستقيم ، لأن استهزاء الله بهم بآيات خذلهم وخلام وما سولت لهم أنفسهم مستدرجاً إياهم من حيث لا يشعرون إنما هو على نفس الاستهزاء وفعلهم له وإرادتهم إيه في قولهم آمنا ، لا على أنهم حدثوا عن أنفسهم بأنهم مستهزئون ، إذ المؤاخذة على اعتقاد الاستهزاء والخداع في إظهار الإعان لا في قولهم : إنما استهزأنا ، من غير أن يقتربن بذلك القول اعتقاد ونية .

(تتمة) لا كانت الجملة الحالية ثارة تحيي باللواو ، وأخرى بغيرها ، تاسب أن تذكر عقب الوصل والفصل ، وذلك أن الحال نوعان : لازمة^(٢) ومنتقلة^(٣) ، وبتقسيم في أن الأولى لا تقترب براو البتة ، وتكون وصفاً غير ثابت كاسم الفاعل والمفعول ، نحو : جاء على ضاحكاً ، ويتبين جاء على طويلاً أو أبيض ، ويشركان في شيئاً :

١ - إنما يأتيان عاريين من حرف النفي ، تقول : هو الحق بيننا ، وجاء على مستبشرأً ، ولا يجوز أن تقول : لا خفيا في الأول ، ولا عبساً في الثاني .

٢ - إنما يكونان بغير راو لأسباب ذكرها في الإيضاح ، وهي :

(أ) أن إعراب الحال أصلي ، ليس تبعاً لغيره ، ولا مجال للروا في المعرفة ، إذ الأعراب دال على التعلق المعنوي ، المعني عن الاحتياج ، إلى تعلق آخر .

(١) سورة البقرة الآية ١٤ .

(٢) سواء وردت بعد جملة فعلية نحو : خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليه ، أم اسمية نحو : هذا أبوك عطوفاً .

(٣) أي غير لازمة لصاحبها بل تقييد معنى حال نسبة العامل إلى صاحب الحال .

(ب) أن حكم الحال مع صاحبها كحكم الخبر مع الخبر عنه^(١) ، إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم يحصل به أصلًا في ضمن شيء آخر ، والحكم بها إنما يحصل ضمن غيرها ، فإن الركوب في قوله : جاء خالد راكبًا ، محكوم به على خالد ، لكن بالتباعية للمجيء ، وجعله قياداً له .

(ج) أن الحال وصف لنبي الحال ، فلا تدخل عليها الواو كالنعت^(٢) . لكن خوف هذا الأصل وجاءت الحال مقترنة بالواو إذا كانت جملة لأنها من حيث هي جملة^(٣) مستقلة بالإفادة لا بد لها من ربطها بما جعلت حالاً عنه .

والصالح للربط شيئاً : الواو ، والضمير ، والثاني هو الأصل بدليل أنه يقتصر عليه في الحال المفردة والنعت والخبر .

والجمل التي تقع حالاً ضربان :

- ١ - خالية عن ضمير ما تقع حالاً عنه ، وهذه يجب أن تقترن بالواو حق لا تقطع عما قبلها ، ويستثنى منها المضارع المثبت على ما سيجيء .
- ٢ - غير خالية عن ضمير ما تقع حالاً عنه ، وهذه ثارة تجب فيها الواو ، وطوراً تتنزع فيها ، وحينما يجوز الأمران .

(أ) فإن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع فيها الواو كقوله تعالى :
﴿ وجاءوا أيام إِعْشَاءَ يَسْكُونُ ﴾^(٤) . وقول الشاعر :

ولقد أغنتني يداعع ركفي أحوذى^(٥) ذو ميعة إِضْرِيع^(٦)

وسر هذا أن الحال المتنقلة تدل على حصول صفة غير ثابتة مع مقارنة حصولها لما جعلت قياداً له وهو عاملها .

(١) ما جاء من الأخبار بالوار كخبر باب كان في قول الحماسي :

فليس صرخ الشر ر فامسى وهو عريان

وقوفهم : ما أحد إلا وله نفس أمارة بالسوء ، فمحمول على الحال لتشبهها به .

(٢) ما جاء من الجملة الوصفية مصدرأً بالوار ونحوه : أو ك الذي من على قرية وهي خاربة على عروشها ، فمحمول ومشبه بالحال .

(٣) أما من حيث هي حال فهي متوقفة على التعليق بكلام سابق قصد تقديره بها .

(٤) سورة يوسف الآية ١٦ .

(٥) أغنتني أذهب غدرة مبكراً ، والأحوذى السريع ، والأضريع الفرس السريع .

والمضارع المثبت يفيد الأمرتين فيدل على الحصول غير الثابت من قبل كونه فعلاً يدل على التجدد ، ويidel على المقارنة من جهة كونه مضارعاً وهو حقيقة في الحال ، وقد ورد قليلاً قرناها بالواو ، كقولهم : قت وأصلك وجهه ، وقول عبد الله بن همام السلوبي :

فلمَا خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنْهم مالكـ^(١)

فاختلت الأئمة في تأويله ، فقيل : إنه على حذف المبدأ ، أي : وأنا أصلك وأنا أرهنهم ، فهي جملة اسمية .

وقال عبد القاهر : ليست الواو فيها للحال ، بل هي للعطف ، لأن أصلك وأرهن يعني صككت ورهنت ، عبر فيها بلفظ المضارع حكاية للحال الماضية^(٢) كما في قوله :

ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثُم قلت لا يعنيني
يدل لذلك أن الفاء قد تجاهل مكان الواو في مثل هذا .

(ب) وإن كانت فعلية ذات مضارع منفي بلا أو ما استوى فيها الأمران ، فمن مجئها بالواو قراءة بن ذكوان فاستقيا ولا تتبمان^(٣) بالتحريف ، وقول بعض العرب : كنت ولا أخشي الذئب^(٤) ، وقول مسكين الدرامي :

أكسنته الورق البيض أبا ولقد كان ولا يدعى لأب^(٥)
ومن ترك الواو قوله تعالى : ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللّٰهِ﴾^(٦) ، وقول خالد بن يزيد ابن معاوية :

لو أن قوماً لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب^{*}

(١) الأظافير هنا الشوكه والقوه ، والمعنى : لما خفت منهم هربت وجعلت مالكـ رهنا لديهم.

(٢) هي أن يفرض ما كان في (الاضي واقعاً الآن لغيراته أو الاعجاب به .

(٣) وإنما لم تكن للعطف لامتناع عطف الخبر على الانشاء وعلى قراءة تشديد النون ، فالواو للعطف ، ولا نافية .

(٤) أخشي : أخوف .

(٥) الورق : الفضة .

(٦) سورة المائدـ الآية ٦٤ .

وبسبب ذلك دلالته على المقارنة لكونه مضارعاً ، ويناسب ذلك ترك الواو وعدم الحصول ، ويناسبه ذكرها .

(ج) وإن كانت فعلية ذات ماض لفظاً ومعنى ، فكذلك يجوز فيها الأمران فمن مجิئها بالواو قوله تعالى : ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكَبَر﴾^(١) ، وقول أمريء القيس :

فجئت وقد نضت لنوْم ثيابها لدى الستر إِلَّا لبسَ المتنفل^(٢)
ومن ترك الواو قوله عز وجل : ﴿أَوْ جَاءَ وَكُمْ حَصْرَتْ صَدُورُهُم﴾^(٣) ،
وقول عمرو بن كلثوم :

فَآتُوا بِالرِّمَاحِ مَكْسَرَاتِ وَأَبْنَا بِالسَّيْفِ قَدْ أَخْبَنَاهُ
وشرط ذلك ألا تقع بعد إِلَّا أو (أو العاطفة) وإِلَّا امتنع الافتراض بها ، نحو :
﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِنُون﴾^(٤) ، وقوله :
كن للخليل نصيراً جار أو عدلاً ولا تشج عليه جاد أو بخلا
(د) وكذا الماضوية معنى فقط (هي المضارع المنفي بـلم أو لما) فمن مجิئها بالواو قول كعب بن زهير :

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاءِ وَلَمْ أَذْنَبْ وَإِنْ كَثُرْتْ فِي الْأَقْوَابِلِ
وقوله عز اسمه : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمْ يَأْتِكُمْ مَثِيلُ الدِّينِ خَلَوْا
مِنْ قَبْلِكُم﴾^(٥) ، ومن تركها قوله تعالى : ﴿وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ
لَمْ يَنْالُوا خَيْرًا﴾^(٦) ، وقوله :
فقالت له العينان سمعاً وطاعة وحدّرَتَا كَالدَرْ لَمَا يَنْقُبَ

وبسبب جواز الأمران أنه اذا كان الماضي مثبتاً دل على حصول صفة غير ثابتة

(١) سورة آل عمران الآية ٤٠ .

(٢) نضي الشوب وفضاء : خلمه ، ولبس التفضل؛ كفاء رقيق ، يلبس عند النوم .

(٣) سورة النساء الآية ٩٠ .

(٤) سورة الطبرى الآية ١١ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢١٤ .

(٦) سورة الأحزاب الآية ٢٥ .

لكونه فعلاً ، وهذا مما يناسبه ترك الواو لمشابهته المفرد ، ودل على عدم المقارنة لكونه ماضياً ، ولأجل هذا اشترط فيه أن يكون بقدر إما ظاهرة أو مقدرة ، حق يقرب من الحال ، وهذا مما يناسبه ذكر الواو لبعده عن تلك المشابهة .

وإن كان الماضي منفياً دل على المقارنة دون الحصول ، ذلك أن لما الاستغراف النفي من حين الانتفاء إلى زمن التكلم ، وغيرها لانتفاء متقدم والأصل فيه أن يستمر فيحصل بهذا الاستمرار الدلالة على المقارنة عند الانطلاق وترك التقييد بما يدل على انقطاع ذلك الانتفاء .

(ه) وإذا كانت جملة اسمية فالمشهور جواز الأمرين ، لكن مجيء الواو أولى فمن وجودها قوله تعالى : ﴿فَلَا تجعِلُوا اللَّهَ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) ، وقول أمرىء القيس :

أيقتلني والمرتفي مضاجعي ومسنونة "زرق" كأننياب أغوال

ومن تركها ما رواه سيبويه : كفته فوه إلى في ، وما أنسده الجوهري من قول بلال :

ألا لبيت شعري هل أبین ليلة بكرة حولي إذخر وجليل^(٢)

وإنما جاز الأمران ، لأن الجملة الاسمية تدل على المقارنة لكونها مستمرة ، وهذه يناسبها سقوط الواو ، لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام والثبات ، فهي بمعكس الماضي المثبت ، وهذا مما يستدعي وصلها بها . وإنما كان المجيء أولى ، لأنها ليس فيها دلالة على عدم ثبوت الصفة بل هي تدل على الثبوت مع ظهور الاستثناف فيها ، إذ هي مستقلة بالفائدة فيحسن زيادة رابط يؤكّد الربط ويقويه .

وقال عبد القاهر : إن^(٣) كان المبتدأ ضمير ذي الحال وجبت الواو ، نحو : جاء زيد ، وهو يسرع ، أو وهو مسرع .

(١) سورة البقرة الآية ٢٢ .

(٢) الاذخر نبات طيب الرائحة ، الواحد إذخرة ، والدليل النخلة العظيمة الكثيرة الحمل .

(٣) فهو يخالف المشهور في أنه حكم على غير المبدوة بالظرف ، وغير ما دخل عليها حرف عل المبتدأ وغير المطوفة على مفرد بوجوب الواو فيها إذا بدأ بضمير ذي الحال ويجوز الأمران فيها عدا ذلك مع أرجحية الذكر .

وعلة ذلك أن الفائدة كانت حاصلة بقوله : يسرع ، من غير ذكر الضمير ، فالاتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافي للاتصال ، فلا يكفي الضمير حينئذ في الربط ، بل لا بد من الواو .

وقال أيضاً : إن كان الخبر في الجملة الاسمية ظرفاً قد قدم على المبتدأ كقولنا جاء زيد على كتفه سيف ، وفي يده سوط ، كثُر فيها أن تجيء بغير واو ، كقول بشار :

إذا انكرتني بلدة أو نكرتها خرجت من البازار على سواد^(١)

وقول أبي وائلة في عبد الملك بن المهلب :

لقد صبرت للذل أعود منبر تقوم عليها في يديك قضيب

والوجه أن يقدر الاسم في هذه الأمثلة مرتفعاً على الفاعلية بالطرف ، فإنه جائز باتفاق صاحب «الكتاب» والأخفش لاعتقاده على ما قبله .

ويقدر متعلقه على ما اختاره عبد القاهر : اسم فاعل لا فعل ، إلا إذا قدر ماضياً مع قد .

وقال أيضاً : وما ينبغي أن يراعى في هذا الباب أنك ترى الجملة جاءت حالاً بغير واو ، ويحسن ذلك من أجل حرف دخل عليها ، كقول الفرزدق :

فقلت عسى أن تتصوري كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد^(٢)

لأنه لو لا دخول كأن عليها لم تحسن إلا بالواو ، كأن يقال : وبنى حوالى ... وشيء بهذا أنك ترى الجملة قد جاءت حالاً ، بعقب مفرد ، فلطف مكانتها ، كقول ابن الرومي :

والله يبيقيك لنـا سـاما بـرداك تـبـجـيلـ وـتـعـظـيمـ^(٣)

فبرداك تبجل في موضع حال ثانية لم يتقدمها قوله : ساما ، لم يحسن فيها ترك الواو .

(١) علي سواد أبي بقية من الليل .

(٢) الحوارد : الغضاب ، قاله يخاطب زوجته ، وقد عبرته لأنه لا يولد له .

(٣) البرداك ثنية برد ، وهو الثوب .

تدریب اول

بين سبب الفصل والوصل فما يأتي :

- ١ - اخْطَمُ الدَّهْرَ إِذَا مَا خَطَا
 واجْرَ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَحْرِي

٢ - حَكْمُ الْمُنْيَةِ فِي الْبَرِّيَّةِ جَارِي

٣ - لَا تَدْعُهُ إِنْ كُنْتَ تَنْصُفُ نَائِبًا

٤ - مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالسَّرَّى

٥ - قَالَتْ بَلِيتْ فَمَا زَرَاكَ كَعْدَنَا

٦ - وَتَرَى الْجَبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً ﴿١٢﴾
 فَقَدْتَ بِفَقْدِكَ نَيْرًا لَا يَطْلَعُ^(١)

٧ - وَإِذَا تَنْتَلَ عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلِيَسْتَكِبِرَأَ كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ فِي أَذْنِيهِ
 وَقَرَأً ﴿١٣﴾

٨ - قَالَ فَرْعَوْنٌ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنِهِما
 إِنْ كُنْتُ مُوقِنِي ﴿١٤﴾

الاجابة

- (١) وصل بين الجملتين المتوسط بين الكباريين مع عدم المانع من العطف
لاتفاقهما إنشاء مع وجوبه المناسبة.

(٢) فصل الشطر الثاني عن الأول لأن توكيده معنوي له إذ يفهم من جريان
حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء ، فأكمل ذلك بالشطر
الثاني ، فيبنيها كمال الاتصال .

(٣) فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافها خبراً وإنشاء ، فيبنيها كمال
الانقطاع .

(٤) فصل بين الشطرين لاختلافها خبراً وإنشاء فيبنيها كمال الانقطاع .

(١) المحايل الجوش ، والسرى سر عامة الليل .

^{٨٨} سورة النمل الآية ٤.

(٣) سورة لقمان الآية ٧

(٤) سورة الشعراه الآية ٢٣ .

(٥) بين الشطرين كمال الانقطاع لاختلافهما خبراً وإنشاء ، ولذا
فصل بينهما .

(٦) بين جلتي : ترى وتحسب ، كمال الاتصال ، لأن الثانية بدل اشتمال
من الأولى .

(٧) فصل الجملة الثانية والجملة الثالثة عن الأولى ، لأن كلاً منها توكيده
معنوي للأولى .

(٨) فصل جملة قال الثانية ، لوقعها جواباً عن سؤال مقدر نشأ من الأولى ،
فيينما شبه كمال الاتصال .

تدريب ثان

بين سبب الفصل والوصل ، واذكر الجمل الحالية فيما يلي :

- ١ - تفسي له نفسى الفداء لنفسه لكن بعض الماكين عفيف
- ٢ - ﴿وَمَا يُنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ ^(١)
- ٣ - ﴿يَدْبُرُ الْأَمْرَ يَفْصِلُ الْآيَاتَ لِعُلْكُمْ بِلِقَاءَ رَبِّكُمْ تَوْقُونَ﴾ ^(٢)
- ٤ - فــما الخداعة عن حلم بــافعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
- ٥ - هــوى الثناء مــبرــز ومــقصــر
- ٦ - إــذا كــنتــ ذــا رــأــي فــكــنــ ذــا عــزــيــة
- ٧ - فــا شــرــبــ هــنــيــثــأــ عــلــيــكــ التــاجــ مــرــفــقــاــ
- ٨ - مــضــوا لا يــرــيــدــونــ الرــوــاحــ وــغــاــلــهــمــ

الاجابة

(١) بين نفسى له ونفسى الفداء لنفسه كمال الاتصال ، لأن الثانية توكيده
لفظي للأولى .

(٢) بين الجملتين كمال الاتصال ، لأن الثانية توكيده معنوي للأولى ، لأن تقرير
كونه وحياناً نفي لأن يكون عن هو .

(١) سورة النجم الآية ٣ .

(٢) سورة الرعد الآية ٤ .

(٣) المرتفق التكــيــ ، وغمــدانــ حــصــنــ بــصــنــعــاءــ ، وروــضــةــ محلــلــ يــكــثــرــ حلــولــ النــاســ فيهاــ

- (٣) بين يدبر ويفصل كمال الاتصال لأن الجملة الثانية بدل بعض من كل .
- (٤) بين الشطرين شبه كمال الاتصال ، إذ الجملة الثانية جواب عن سؤال مقدر .
- (٥) بين الشطرين كمال الاتصال ، إذ الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيداً معنوياً .
- (٦) وصل الجملتين لتوسيطهما بين الكمالين لاتحادهما إنشاء مع وجود المناسبة وعدم المانع مع العطف .
- (٧) جملة (عليك التاج) في موضع الحال ، ويكثر فيها ترك الواو لتقديم الطرف .
- (٨) جملة (لا يريدون الرواح) حال ، وهي مضارع منفي ، فيجوز فيها ذكر الواو وتركها وإن كان الأكثر في التأكيد بلا ترك الواو .

تمرين أول

بين أسباب الفصل والوصل واستخرج الجمل الحالية فيما يلي :

- ١ - ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ﴾^(١)
- ٢ - يقولون إني أحمل الضيم عندهم أعود برببي أن يضام نظيري
- ٣ - لست مستسقيا لقبرك غيشا كيف يظما وقد تضمن بحرا
- ٤ - ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمنا إنك أنت العالم الحكم ﴾^(٢)
- ٥ - ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وبال يوم الآخر وما هم بهؤذنين ﴾^(٣)
- ٦ - الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها التلف وما تناكر منها اختلف
- ٧ - ولست أرى للمرء مَا لا يرى لي
- ٨ - مق أرى الصبح قد لاحت مخايله
- ٩ - لا تأمن عدواً لأن جانبه خشونة الصل عقي ذلـك اللـي

(١) سورة النحل الآية ١٢٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٨ .

تمرين ثان

- ١ - أتيناكم قد عُنِّكم حذر العدا
فنتم بناً أمناً ولم تعدمو نصراً
- ٢ - إن تلقني لا ترى غيري بنظرة
تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد
- ٣ - ولو لاجنان الليل ما آب عامر
إلى جعفر سرباله لم يُزق^(١)
- ٤ - يزعم صديقي أني أحسته على نعمته أراه خطئاً فيما زعم
- ٥ - والقدر بالغمد قبيح جداً
شر الورى من ليس يرى العمد
- ٦ - يا من يقتل من أراد بسيفه
أصبحت من قتلاك بالإحسان
- ٧ - بانت قطام ولما يحظ ذو مقة
منها يوصل ولا ينجاز بمعاد
- ٨ - كأن فتات العهن في كل منزل
نزلن به حب الفنا لم يحطم^(٢)
- ٩ - مَنْ أَغْفَلَ الشِّعْرَ لَمْ تَعْرِفْ مَنَاقِبَه
لا يختنى ثغر من غير أغصان

(١) جنان الليل ظلمته الحالكة ، والسربال السراويل .

(٢) العهن الصوف الأحمر ، والفتنا واحدته فناة عنق الثعلب ، وحبه أحمر ما لم يكسر .

الباب الثاني عشر في الإيجاز والاطنان والمساواة

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول في دقة مسلكها واختلاف الأئمة في تعريفها

هذا الباب أساس في بناء الفصاحة وركن في تكوين ملامة البلاغة ،
حق نقل صاحب « سر الفصاحة » عن بعضهم أنه قال : « البلاغة هي الإيجاز
والاطنان ». .

واعلم أن علماء البيان افتقروا فرقتين : فرقة منهم ثبت واسطة بين الإيجاز
والاطنان هي المساواة ، وعليها درج السكاكي ومن تبعه وقالوا إنها ليست محمودة
ولا مذمومة ، وفرقية منها ابن الأثير في جماعة ذهبوا إلى نفي الواسطة ، ومن ثم
قسموا إيجاز غير الحذف قسمين : إيجاز تقدير وهو ما ساوي لفظه معناه من غير
زيادة وهذه هي المساواة على الرأي الأول ، وإيجاز قصر وهو ما يزيد معناه
على لفظه . .

ومن هذا تعلم أن الخلاف بينهم في الاسم ، لا في المعنى ، والطريقة الأولى
أشهر بين أئمة الفن ، ولذا قد جرينا عليها .

المبحث الثاني في الإيجاز

الإيجاز لغة التقصير ، يقال : أوجز في كلامه ، اذا قصره ، وكلام وجيز
أي قصير .

وفي الإصطلاح اندرج المعانى المتراكمة تحت اللفظ القليل ، أو هو التعبير عن
المقصود بلفظ أقل من المتعارف^(١) واف^٢ بالمراد لفائدة^(٣) .

(١) أي متعارف أو ساط الناس على ما سيأتي في المساواة .

(٢) والفائدة كون المتأتى به هو المطابق للحال ولا مقتضى للمدول عنه .

فإذا لم يفِ كان إخلاً وحذفه رديئاً كقول الحارث بن حلزة البشكري:

والعيش خير في ظلام النوك من عاش كذلك^(١)

لا شك أنه يريد: والعيش الناعم الرغد خير في ظلال النوك والحق من العيش الشاق في ظلال العقل، لكن لحن كلامه لا يدل على هذا، إلا بعد التأمل، وإنما النظر.

وقول عروة بن الورد:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوعى كان أعدرا

فإنه يريد: إذ يقتلون نفوسهم في السلم.

وقول بعضهم ثناً:

(فإن المعرفة إذا زجا^(٢)) كان أفضل منه إذا توفر وأبطأ

لا شك أنه يريد: إذا قل زجا.

وهو ضربان: إيجاز حذف، وإيجاز قصر، لأن الكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول منه فهو الأول، وإن كان كلاماً يفيد معنى كلام آخر أطول منه فهو الثاني.

إيجاز الحذف

الحذف إما مفرداً أو حذف جملة أو حذف جمل:

١ - حذف المفرد أوسع بحذف الجملة، إذ هو أكثر استعمالاً، وذلك على صور:

- | | | | |
|--|---|---------------------|----------------|
| (أ) حذف المسند إليه | } | قد مضى الكلام عليها | (ب) حذف المسند |
| (ج) حذف المفعول | | | (د) حذف المضاف |
| وهو كثير الدوران في الكلام، كقوله تعالى: | | | |

(١) النوك بضم النون وفتحها: الحق، وقبله:

عش يجد لا يضر لك النوك ما أوليت جدا

(٢) زجا الحراج: تيسرت جبائته، فهو يريد السهولة والتيسير.

(٤) حق إذا فتحت يأجوج ومجوج ﴿١﴾ أي سدهما ، وقوله عز وجل :
 (٥) لمن كان يرجو الله ﴿٢﴾ أي رحمة ، وقوله تعالى : يخالفون ربهم ﴿٣﴾
 أي عذاب ربهم .

(٦) حذف المضاف إليه ، وهو قليل ، كقوله تعالى : الله الأمر من قبل
 ومن بعد ﴿٤﴾ أي من قبل ذلك ومن بعده .

(٧) حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه وهو فاش كثير الاستعمال نحو :
 (٨) وعندم قاصرات الطرف أتراب ﴿٥﴾ ، أي حور قاصرات الطرف ، وأكثر
 ما يكون ذلك في باب النداء ، نحو : يا إليها الظريف ، تقديره : يا إليها الرجل
 الظريف ، وفي باب المصدر ، نحو : ومن ثاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى الله
 متتاباً ﴿٦﴾ تقديره : وعمل عملاً صالحًا .

(٩) حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها ، وهو نادر ﴿٧﴾ ، ومن ذلك
 ما حكاه سيبويه ، من نحو قوله : سير عليه ليل ، يريدون : ليل طويل .

وقول الحماسي : كل امرئ سقيم منه العرس أو منها يشم ، تقديره : كل امرئ
 متزوج ، لأن المعنى لا يصح إلا به ، ومنه أن يتقدم مدح إنسان والثناء عليه ،
 فتقول : كان والله رجلاً ، فأنت تعني أنه كان رجلاً فاضلاً جواداً كريماً .

(١٠) حذف القسم ، كقولك : لأخرجن ، أي : والله لأخرجن .

(١١) حذف جواب القسم ، وهو كثير في القرآن الكريم ، نحو :

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٦ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٣) سورة النحل الآية ٥٠ .

(٤) سورة الروم الآية ٤ .

(٥) سورة ص الآية ٥٢ .

(٦) سورة الفرقان الآية ٧١ .

(٧) وإنما قل حذف الصفة وكثير حذف الموصوف لأن الصفة ما جاءت إلا للإيضاح والبيان ،
 فيكثر أن تقوم مقام الموصوف ، بخلافة هو ، فإنه يكثر إيهامه ، فلا جرم أن كان قيامه
 مقامها نادراً .

﴿وَالْفَجْرِ وَلِيَالٍ عَشْرَ وَالشَّفْعَ وَالوَتْرِ وَاللَّيلِ إِذَا يُسْرٌ هُلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ﴾
لَذِي حِجْرٍ ﴿١﴾ تَقْدِيرُهُ : لَتَعْذِنَنِي يَا كَفَارَ مَكَّةَ .

(ي) حذف الشرط ، نحو : ﴿يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضَيِ وَاسِعَةً
فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُونَ﴾ ﴿٢﴾ تَقْدِيرُهُ : فَإِنْ لَمْ يَتَسْنَ لَكُمْ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِيَ فِي أَرْضِ
فَإِيَّاهُ فَاعْبُدُونَ فِي غَيْرِهَا .

(ك) حذف جواب الشرط ، وهو نوعان :

١ - أن يحذف مجرد الاختصار ، كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
أَنْقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ ﴿٣﴾ ، أي
اعرضوا ، بدليل قوله تعالى بعده : ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤﴾ .

٢ - أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتهاب
نفس السامع كل مذهب يمكن فلا يتصور شيئاً إلا والأمر أعظم
منه ، نحو : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ أَنْقُوا رِبِّهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ زَمِرًا حَقٌّ إِذَا
جَاءَهُمْ وَفُتُحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرْزَتْهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَيْبٌ
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿٥﴾ .

(ل) حذف حروف المعاني ، وقد توسعوا في ذلك ، لكثرتها دورانها ، وفسوا
استعمالها ، وكثير ذلك في :

(لا) كقول عاصم المتنcriي :

رأيت الخمر جائحةٍ و فيها
خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياني ولا أُسقي بها أبداً نديما

(لو) نحو : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ
بِعَا خَلْقَهُ﴾ ﴿٦﴾ تَقْدِيرُهُ : إِذْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهَةٌ لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِعَا خَلْقَهُ .

(١) سورة الفجر الآيات ١ و ٢ و ٣ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٦ .

(٣ و ٤) سورة يس الآيات ٤٥ و ٤٦ .

(٥) سورة الزمر الآية ٢٣ .

(٦) سورة المؤمنون الآية ٩١ .

(الواو) ولحذفها فائدة لا توجد عند إثباتها لأن وجودها يؤذن بالتغيير بين الجملتين ، وحذفها يصير الجملتين كأنها جملة واحدة ، وهذا من بديع الإيماز وحسنـه ، كيحدثـ أنس بن مالـك : كان أـصحاب رـسول الله يـنامون ، ثم يـصلـون لا يـتوـضـون ، وفي روـاية ولا يـتوـضـون ، فالـحـذـف دلـ على اـتصـالـ الجـمـلـتـينـ حـقـ كـأـنـ الثـانـيـةـ إـحدـىـ مـتـعـلـقـاتـ الـأـوـلـىـ ، فـهـوـ فيـ حـكـمـ يـنـامـونـ ، ثم يـصلـونـ غـيرـ مـتـوـضـشـينـ ، وبـذـاـ تـمـ الـمـبـالـغـةـ الـمـرـادـةـ ، وـهـيـ أـنـهـ لـاـ يـذـوقـونـ النـوـمـ إـلاـ غـرـارـاـ .

٢ - حـذـفـ الجـمـلـةـ (١) ، وـهـذاـ يـكـونـ إـماـ :

(أ) بـحـذـفـ مـسـبـبـ ذـكـرـ سـبـبـهـ نـحـوـ : ليـحقـ الحـقـ وـيـبـطـلـ الـبـاطـلـ ، أيـ فـعـلـ ماـ فـعـلـ ، وـمـنـهـ قـوـلـ أـبـيـ الطـيـبـ :

أـتـىـ الزـمـانـ بـنـوـهـ فـيـ شـبـيـتـهـ فـسـرـهـ وـأـتـيـنـاهـ عـلـىـ الـهرـمـ
(أـيـ فـسـاءـنـاـ) .

(ب) عـكـسـهـ نـحـوـ : فـقـلـنـاـ اـضـرـبـ بـعـصـاـكـ الـجـبـرـ فـانـفـجـرـتـ (٢) ، أيـ فـضـرـبـهـ بـهـاـ فـانـفـجـرـتـ .

(ج) بـحـذـفـ الأـسـلـةـ المـقـدـرـةـ وـيـلـقـبـ بـالـإـسـتـنـافـ ، وـذـالـكـ عـلـىـ أـنـوـاعـ :

١ - استـنـافـ باـعـادـةـ اـسـمـ ماـ اـسـتـوـنـفـ عـنـهـ ، كـقـوـلـكـ : أـحـسـنـتـ (٣) إـلـىـ عـلـيـ عـلـيـ حـقـيقـ بـالـإـحـسـانـ ، فـتـقـدـيرـ الـمـذـوـفـ ، وـهـوـ السـؤـالـ المـقـدـرـ : لـمـاـذـاـ أـحـسـنـ ، أوـ نـحـوـ ذـلـكـ .

٢ - استـنـافـ باـعـادـةـ صـفـتـهـ كـقـوـلـكـ : أـكـرـمـتـ مـحـمـداـ ، صـدـيقـ الـقـدـيمـ أـهـلـ لـذـلـكـ مـنـكـ . تـقـدـيرـ السـؤـالـ الـمـذـوـفـ : هـلـ هـوـ حـقـيقـ بـالـكـرـامـ ، وـالـنـوـعـ الثـانـيـ أـبـلـغـ ، لـاـشـتـالـهـ عـلـىـ بـيـانـ السـبـبـ الـمـوـجـبـ لـلـحـكـمـ كـالـصـدـاقـةـ فـيـ هـذـاـ المـثالـ .

٣ - حـذـفـ الـجـمـلـ وـأـكـثـرـ مـاـ يـرـدـ فـيـ كـلـامـ رـبـ الـعـزـةـ ، فـهـنـاكـ تـتـجـلـيـ مـرـاتـبـ

(١) المـرـادـ بـالـجـمـلـةـ هـنـاكـ ، الـكـلـامـ الـسـتـقـلـ بـالـأـفـادـةـ ، الـذـيـ لـاـ يـكـونـ جـزـءـ مـنـ كـلـامـ آخـرـ ، إـلـاـ دـخـلـ الشـرـطـ وـالـبـزـاءـ ، وـقـدـ تـقـدـمـ عـدـ حـذـفـهـ مـنـ حـذـفـ الـمـفـرـدـ .

(٢) سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ الـآيـةـ ٦٠ .

(٣) الـمـقـصـودـ مـنـ الـأـخـبـارـ ، إـعـلـامـ الـخـاطـبـ بـأـنـهـ وـقـعـ الـإـحـسـانـ مـنـهـ إـلـىـ عـلـيـ ، لـتـقـرـيرـ الـإـحـسـانـ السـابـقـ وـاسـتـجـلـابـ الـإـحـسـانـ الـلـاسـقـ .

الإعجاز ، ويظهر مقدار التفاوت في صنعة الكلام ، وذلك كقوله تعالى : ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعِصْمَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾^(١) ، أي فضربوه بها فحيي ، فقلنا : كذلك يحيي الله الموتى ، وقوله تعالى : ﴿أَنَا أَنْبِشُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلْنَاهُ يَوْسُف﴾^(٢) ، أي فأرسلوني إلى يوسف لاستعيره الرؤيا فأرسلوه إليه فأراه وقال : يا يوسف ، وقوله (فقلنا أذهبنا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرنهم تدميراً) أي فأتيتهم فأبلغتم الرسالة فكذبوا بها فدمرنهم تدميراً .

والحذف على وجهين :

- ١ - لا يقام شيء مقام المذوق كما تقدم .
- ٢ - أن يقام مقام ما يدل عليه كقوله تعالى : ﴿فَإِنْ تُولُوا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُم﴾^(٣) ، أي فلا لوم علي لأنني قد أبلغتكم .

وأدلة الحذف كثيرة ، منها :

(أ) العقل الدال على المذوق ، والمقصود الأظاهر ، الدال على تعينه كقوله تعالى : ﴿حَرَّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾^(٤) الآية ، فالعقل يدل على أن الحرمة إنما تتعلق بالأفعال لا بالذوات ، والذي يتبارد قصده من مثل هذه الأشياء إنما هو التناول الذي يعم الأكل والشرب .

(ب) العقل الدال عليها معما ، كقوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾^(٥) أي أمره ، أو عذابه .

ويرى صاحب «الكشف» أن هذا ليس من باب الحذف وإنما هو تمثيل لظهور قدرته وتبين لسلطانه وقهره ، فثبتت حالة في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيئة والسياسة مما لا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصه على بكرة أبيهم .

(ج) العقل الدال على المذوق والعادة الدالة على تعينه ، كقوله تعالى :

(١) سورة البقرة الآية ٧٣ .

(٢) سورة يوسف الآية ٤٥ .

(٣) سورة هود الآية ٥٧ .

(٤) سورة المائدة الآية ٣ .

﴿فَذلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تُنَتِّنِ فِيهِ﴾^(١) ، فقد دل المقل على الحذف لأنَّه لا معنى لللوم على ذات الشخص ، وأما تعين المذوق فإنه يحتمل أن يقدر في حبه ، لقوله : شفها حبنا ، أو في مراودته لقوله : تراود فتاتها عن نفسه ، أو في شأنه حتى يشملها معًا ، ولكن العادة تقتضي بأنَّ الحب المفرط لا يلام عليه صاحبه ، لأنَّه ليس من كسبه و اختياره ، وإنما يلام على المراودة التي يقدر أن يدفعها عن نفسه .

(د) العقل الدال على المذوق ، والشروع في الفعل الدال على تعينه ، كما في : باسم الله ، فإذاً تقدر المتعلق ما جعلت التسمية مبدأ له من نحو : كل أو أشرب أو أسافر .

(هـ) العقل الدال على المذوق واقتران الكلام بالفعل الدال على تعينه ، كما تقول للمعرض : بالرفاه والبنين ، أي أعرست .

إيجاز القصص

هو ما تزيد فيه المعانى على الألفاظ الدالة عليها بلا حذف ، وللقرآن الكريم فيه المزلاة التي لا تسامي والغاية التي لا تدرك ، نحو : ﴿خُذِ الْعُفُو وَأْمُرْ بِالْمُعْرُفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢) ، فتلك آية جمعت مكارم الأخلاق ، وانطوى تحتها كل دقيق وجليل ، إذ في العفو الصفح عن أساء ، والرفق في سائر الأمور ، بالمساحة والأغضاء ، وفي الأمر بالمعروف صلة الأرحام ومنع اللسان عن الكذب والفيبية ، وغض الطرف عن المحارم ، وفي الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وكظم الغيظ .

ويقول عز اسمه : ﴿وَالْفُسْلُكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾^(٣) ، فقد استوعبت تلك الكلمات القليلة أنواع المتاجر وصنوف المرافق التي لا يبلغها العد ، وقوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٤) فما كان كلتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء ، ولذا روي أن ابن عمر قرأها ، فقال : مَنْ بقي لـ شيء فليطلبـه .

(١) سورة يوسف الآية ٣٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٦٤ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقَصَاصِ حِيَاةٌ ﴾^(١) ، فتلك جملة تضمنت سراً من أسرار التشريع الجليلة ، التي عليها مدار (سعادة المجتمع البشري في دنياه وأخراها) بيان ذلك أن الإنسان إذا هُبَّ بقتل آخر لشيء غاظه منه فذكر أنه إن قتله قتل ، ارقدع عن القتل ، فسلم المهموم بقتله ، وصار كأنه استفاد حياة جديدة ، فيما يستقبل بالقصاص مضافة إلى الحياة الأصلية ، وأن هذا مما أثر عن العرب من قوله : القتل أنفني للقتل ، فإن الآية تمتاز بوجوه^(٢) :

- ١ - أنها كلامتان وما أثر عنهم أربع.
 - ٢ - لا تكرار فيها وفيما قالوه تكرار.
 - ٣ - ليس كل قتل يكون نافياً للقتل ، وإنما يكون ذلك إذا كان على جهة القصاص .
 - ٤ - حسن التأليف وشدة التلاوة المدركة بالحسن فيها لا في ما قالوه .
 - ٥ - أن فيها الطباقي للجمع بين القصاص والحياة ، وما كالضدين كما سمعت ذلك في البديع .
 - ٦ - أن فيها التصرير بالمطلوب وهو الحياة بالنص عليها ، فيكون أزجر عن القتل بغير حق وأدعى إلى الاقتصاص .
 - ٧ - أن القصاص جعل فيها كالنبع للحياة والمعدن لها بادخال (في) عليه ، فكان أحد الضدين ، وهو الفناء ، صار حلاً لضده الآخر ، وهو الحياة ، وفي ذلك ما لا يخفى من المبالغة ، وقد نظم أبو تمام معنى ما ورد عن العرب في شطر بيت ، فقال :
- وأخافكم كي تقدموا أسيافكم (إن الدمَ المغبر يحرسه الدم)
- كما للسنَّة النبوية من ذلك الحظ الأوفر ، ويرشد إلى ذلك قوله عليه السلام :
- «أوتئتُ جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً» .
- فن ذلك قوله عليه السلام : المعدة بيت الداء ، والمحبة رأس الدواء ، ووعودنا كل جسم ما اعتناد .. فهو قد جمع من الأسرار الطبية الشيء الكثير.

(١) سورة البقرة الآية ١٧٩ .

(٢) فاضل بينها الصعيطي في «الاتقان» بأكثر من عشرين وجهاً ، أهمها ما ذكرنا .

وقوله تعالى : الطمع فقر واليأس غنى .

وقول علي كرم الله وجهه : ثمرة التفريط الندامة ، لكل مقبل إدبار وما أدى
كان كان لم يكن ، لا يعد من الصبور الظفر وإن طال به الزمان ، من استقبل
وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ ، من أحد سنان الغضب الله قوي على قتل
آسد الباطل .

وقول بعض الأعراب : اللهم هب لي حملك وارض عني خلقك .

فما سمعه علي كرم الله وجهه قال : هذا هو البلاغة .

وقول المسؤول بن عاديا الفساني :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

فقد اشتمل على مكارم الأخلاق من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر
وتتكلف واحتحال مكاره ، إذ كل هذه مما تضم النفس ، لما يحصل في تحملها من
المشقة والعناء .

المبحث الثالث في المساواة^(١) – إيجاز التقدير

هي التعبير عن المعنى المقصود بلفظ مساو له لفائدة^(٢) ، بحيث لا يزيد
أحدما على الآخر ، حق لو نقص اللفظ تطرق الخرم الى المعنى بقدر ذلك
النقصان ، وهي المذهب المتوسط بين الإيجاز والاطنان .

وإليها يشير القائل لأن ألفاظه قوله تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ
فَعَلِيهِ كُفْرُهُ﴾^(٣) ﴿كُلُّ امْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ وَهِينَ﴾^(٤) ومتعمون على الموسوع
قدره (وعلى المفتر قدره) .

(١) وهي لا تحمد ولا تنم ، إلا إذا لاحتاج فيها إلى اعتبار نكتة ، بل يكفي فيها عدم المقتضى
للدول عنها ، إلا إذا اقتضى المقام تأدية أصل المعنى وراعاه البليغ فإن ذلك يكون محموداً ،
ومن هذا ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف وغيرها من كلام فصحاء العرب .

(٢) وهو كون المأني به هو الأصل ، ولا داعي للدول عنه .

(٣) سورة الروم الآية ٤٤ .

(٤) سورة الطور الآية ٢١ .

وقوله عليه السلام : « الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات .. إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .. الضعيف أمير الركب » .

وقول علي كرم الله وجهه : عليكم بطاعة من لا تمذرون بجهالتهم قد بصرتم إن أبصراً وهم يدينون إن اهتدتكم .

المبحث الرابع في الاصناب

هو لغة مصدر أطيب في كلامه اذا بالغ فيه وطول ذيوله ، واصطلاحاً زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، فخرج بذلك الفائدة التطويل والخشوع ، والفرق بينها أن الزائدة إن كان غير متعين كان قطرياً، وإن كان متعيناً كان حشوأ ، وكلامها يعزل عن مراتب البلاغة ، فالأول نحو :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد
فالنأي والبعد واحد ، ولا يتعمّن أحد هما للزيادة .
والثاني ضربان :

(أ) ما يفسد به المعنى كقول أبي الطيب في رثاء غلام لسيف الدولة:
ولا فضل فيها للشجاعة والندي وصبر الفق لولا لقاء شعوب
يريد أنه لا خير في الدنيا للشجاعة الصبر لولا الموت ، وهذا حسن جليل ،
لأنها إنما عدا من الفضائل لما فيها من الاقدام على الموت واحتمال المكاره ، ولو
علم الإنسان أنه خالد في الدنيا لمان عليه اقتحام المخاطر ، كما أنه لو أيقن بزوال
المكرور صبر لوثقه بالخلاص ، أما الندى فعلى العكس من ذلك لأن الموت يجعل
البذل سهلاً إذ من علم أنه ميت فهو جدير أن يحود بالله ، كما قال طرفة :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيقي فذرني أبادرها بما ملكت يدي
 فهو حشد مفسد ، وقد اعتذر له بعض الناس بما فيه تكلف وتصف .

(ب) ما لا يفسد به كقول أبي العيايل الهذلي :
ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والواصَب^(١)
فذكر الرأس مع الصداع حشو ، لأنه لا يكون في غيره من الأعضاء .

(١) الواصَب : نحو الجسم ، من تعب ، أو مرض .

وقول أبي عدي :

نَحْنُ الرُّؤُوسُ وَمَا الرُّؤُوسُ إِذَا
فَإِنْ قَوْلَهُ : لِلأَقْوَامِ ، حَشُوا لَا فَائِدَةَ فِيهِ ، مَعَ أَنَّهُ غَيْرَ مَفْسُدٍ .

(تنبيه) قال بدر الدين بن مالك في «المصباح» : يكثر الحشو بلفظ :
أصبح وأمسى وعدا وإلا وقد واليوم ولعمري وباصحبي .
كما قال أبو تمام :

أَقْرَوْا (لعمري) بِحُكْمِ السَّيُوفِ
وَكَانَتْ أَحْقَى بِفَصْلِ الْقَضَا
وَكَمَا قَالَ الْبَعْثَرِيُّ :

مَا أَحْسَنَ الْأَيَّامَ إِلَّا أَنْهَا
وَالْدَّاعِيُ إِلَيْهِ إِمَّا إِصْلَاحٌ وَزَنُ الشِّعْرِ ، أَوْ تَنَاسُبٌ لِلْقَوْافِيِّ وَحُرُوفِ الرَّوْيِّ ،
أَوْ قَصْدُ السُّجُونِ فِي النَّشْرِ .

ويكون الاطنان بأمور شق، منها :

١ - الإيضاح بعد الإبهام ، ليرى المعنى في صورتين مختلفتين ، وليتتمكن في
النفس فضل تتمكن ، فإن الكلام إذا قرع السمع على جهة الإبهام ذهب السامع فيه
كل مذهب ، فإذا وضح تتمكن في النفس فضل تتمكن ، وكان شعورها به أتم ،
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنْ دَابَرْ هُؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ
مُصْبِحِينَ ﴾^(١) .

وقوله تعالى: أن دابر هؤلاء ، تفسير لذلك الأمر ، تفخيماً لشأنه ، ولو قيل:
وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ دَابَرْ هُؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ ، لم يكن له من الروعة مثل ما كان له
حين الإبهام - يرشد إلى ذلك أذنك لو قلت : هل أدلكم على أكرم الناس أبداً
وأفضلهم حسباً وأمضام عزيزة وأنفذتم رأياً، ثم قلت: فلان، كان أدخل في مدحه
وأنبل وأفخم مما لو قلت: فلان الأكرم الأفضل .

ومن ضربه باب : نعم وبشـ، على قولـ: من يحمل المخصوص خبر مبتدأ
محذف ، إذ لو أريد الاختصار لقلـ: نعم وبشـ أبو هـبـ ، عوضـاً من قولـكـ:
نعم الرجلـ محمدـ ، وبشـ الرجلـ أبو هـبـ .

(١) سورة الحجر الآية ٦٦ .

ووجه حسنة إبراز الكلام في معرض الاعتدال ، نظراً إلى اطنابه من وجه ،
وإيجازه من وجه آخر ، إلى إيمان الجم بين المناقين .

والتوسيع ^(١) ، وهو أن يؤتى في عجز الكلام بعنوان مفسر باسمين ، أحدهما
معطوف على الآخر ، نحو قوله عليه السلام : « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن ، البخل
وسوء الخلق » ، وقول ابن الرومي مدح عبد الله بن وهب :

اذا أبو القاسم جادت لنا يديه
لم يحمد الأجداد البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غرقه
تضاءل النيران الشمس والقمر

٢ - ذكر الخاص بعد العام تنبئها إلى ما له من المزية حق كأنه ليس من جنس
العام ، وتزييلاً للتغير في الوصف منزلة التغير في الذات كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ
عُدُواً لِّلَّهِ وَلِمَا تَكَبَّرُوا مِنْ أَنَّهُمْ يُهْرِكُونَ رَسُولَهُ وَجَبَرِيلَ وَمِيكَائِيلَ^(٢) وَزَكَرِيلَ وَمِيكَائيلَ^(٣) فَذَكَرَ جَبَرِيلَ وَمِيكَائيلَ
مَعَ دُخُولِهِمْ فِي الْمَلَائِكَةِ ، للتنبيه على زيادة فضلهم .

٣ - التكثير ، وقد جاء في القرآن الكريم ، وكلام العرب منه شيء كثير ،
ويكون إما :

(أ) للتأكيد كقوله تعالى: ﴿كَلَا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَا سَيَعْلَمُونَ﴾ ^(٤) ، وقوله:
كم نعمة كانت لكم كم كم .

(ب) لزيادة التنبيه إلى ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ، نحو :
﴿وَقَالَ الَّذِي آتَنَّا يَقُولَنَا أَتَبْغُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرِّشادِ﴾ ^(٥) ، يا قوم إنما هذه
الحياة الدنيا متاع .

(ج) لتمدد المتعلق ، كما كرر الله عز وجل في سورة الرحمن قوله تعالى :
﴿فَبَأْيَ آلَاءِ رَبِّكَا تَكَذِّبَانِ﴾ ^(٦) لأنه تعالى عدّ فيهما نعماهه وذكر عباده آلاهه .

(١) لغة لفقط المندوف .

(٢) سورة البقرة الآية ٩٨ .

(٣) سورة النبأ الآيات ٤ و ٥ .

(٤) إذ تكرار يا قوم مع إضافة إلى ياء التكلم يفيد بعد الفائق عن التهمة في النص حذف أنهم
قومه ، فلا يريد لهم إلا ما يريد له نفسه .

(٥) سورة غافر الآية ٣٨ .

(٦) سورة الرحمن الآية ١٦ .

ونبههم الى قدرها وقدرتها عليها ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف
موضع ما أسداه اليهم منها .

وقد جاء مثل ذلك كثيراً في كلام العرب ، ألا ترى الى مهليل وقد كرر قوله :
« على أن ليس عدلاً من كلب ^(١) » في أكثر من عشرين بيتاً من قصيدة ، وإلى
الحرث بن عباد وقد كرر قوله : « قربا مني مربط النعامة ^(٢) » أكثر من سابقة ،
لأنها رأيا الحاجة ماسة إلى التكرير ، والضرورة داعية إليه ، لعظم الخطب وشدة
موقع النكبة .

٤ - الإيقاف ^(٣) ، وهو ختم البيت بما يفيد النكتة ، يتم المعنى بدون التصرير
بها ، وذلك إما :

(أ) لزيادة المبالغة والتأكيد ، كقول النساء :

وإن صخرا لشائُمَ الهداءِ به كأنه عَلَمَ في رأسِ نارِ
فقولهما : في رأسه نار ، من الإيقاف الحسن ، إذ لم تكتف بأن تشبهه بالعمل
الذي هو الجبل المرتفع المشهور بالهدادية حتى جعلت في رأسه ناراً ، لما في ذلك من
زيادة الظهور والانكشاف .

(ب) لتحقيق التشبيه ، كقول أمريء القيس :

كأن عيونَ الوحشِ حولَ خبائنا وأرحنَا الجَزْعَ الذي لم يُثقب ^(٤)
فقد أكد التشبيه وأظهر رونقه بقوله : لم يُثقب ، لأن الجزء إذا كان غير
مثقوب كان بالعيون أشهى ، وقيل : لا يختص بالشعر ، بل يكون في النثر كقوله
تعالى : ﴿اتبعوا مَن لا يسألُكُمْ أجرًا وَهُمْ مُهتَدُون﴾ ^(٥) ، فإن الرسل مهتدون
لا محالة ، فالمعنى يتم بدون التصرير بقوله تعالى (وَهُمْ مُهتَدُون) إلا أن فيه زيادة
حت وترغيب على اتباع الرسل .

(١) العدل: النظير، ونكلمة البيت الأول منها : اذا طرد اليتم عن المزور.

(٢) النعامة فرسه ، ويحير ابنته وكان قد قتلها مهليل حين الأخذ بالثار .

(٣) من أوغل في البلاد اذا أبعد فيها .

(٤) الجزع (فتح الجم) خرز يمان فيه بياض وسوداد تشبه به العيون .

(٥) سورة يس الآية ٢١ .

٥- التذليل^(١) ، وهو الاتيان بجملة مستقلة عقب الجملة الأولى التي تشمل على معناها للتأكيد ، وهو ضربان :

(أ) أن يخرج خرج المثل بأن يقصد بالجملة الثانية حكم كلي منفصل عما قبله جائز بجري الأمثال في فشو الاستعمال، نحو : ﴿وقل جاء الحق وزهد الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾^(٢)، وقول الخطينة :

نَزَرُ فَقٍ يُعْطِي عَلَى الْمَدْمَالِه وَمَنْ يُعْطِ أَثْنَانَ الْمَكَارِمْ يُحَمَّد

(ب) ألا يخرج مخرج المثل بالأستقل بالإفادة دون سابقته ، نحو قول ابن نباتة السعدي :

لم يُبق وجودكَ لي شيئاً أ翁مه تركني أصحبُ الدنيا بلا أمل

وقوله تعالى : ﴿ ذلک جز نیام بنا کفروا و هل یحازی إلا الکفور ﴾^(۳).
وینقسم أيضاً الى :

(أ) ما كان تأكيداً لمنطوق الكلام كالأية : وقل جاء الحق ، الغ .

(ب) ما كان تأكيداً لمفهومه ، كقول النابفة :

ولستَ بِسْتِيقْ أخَا لَا تَلِهُ' عَلَى شَتَّ أَيْ الرَّجَالِ الْمَذَبُّ^(٤)
 فَصَدَرَ الْبَيْتُ دَلْ بِفَهْوَمَهُ عَلَى نَفِيِّ الْكَامِلِ مِنَ الرَّجَالِ ، وَقَدْ حَقَّ
 ذَلِكَ بِعَزْزَهُ : -

٦- التكيل ، ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو أن يؤتى في كلام يوم خلاف المراد بما يدفعه ، وهو ضربان :

(أ) أن يتوسط الكلام، كقوله:

لو أن عزة خاصمت شمسَ الْضُّحَى فِي الْحَسْنِ (عِنْدَ مُوْفَقٍ) لَقَضَى لَهَا
إِذْ التَّقْدِيرُ : عِنْدَ حَامِكَ مُوْفَقٌ ، فَقَوْلُهُ : مُوْفَقٌ ، تَكَبَّلَ .

(١) هو أعم من الإيقال من جهة أن يكون في الآخر وغيره وأخص من جهة أن الإيقال قد يكون يغير الجملة ولغير التوكيد.

(٢) سدة اليساء الآلة (٨).

(٢) أفاد المدعي: ذلك الخزان المخزون (٣٠٠ ق.م.)

(٤) الشعير: التقى به لاحقاً للنحوية

وقول ابن المعتز :

صبينا علیها (ظالمين) سیاطنا فطارت بها أيد سراغ وأرجل
فقوله : ظالمين ، تكميل دفع به توه أنها بلية تستحق الضرب .

(ب) أن يقع آخر الكلام ، ك قوله تعالى : ﴿فَسُوفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يَحْبِبُهُمْ وَيَحْبُبُونَهُ أَذْلَةً﴾ على المؤمنين أعزه على الكافرين (١) ، فإنه لو اقتصر على وصفهم : بالذلة على المؤمنين ، لتهن أنها ناشئة من ضعفهم ، فدفع هذا ، بقوله تعالى : (أعزه على الكافرين) .

وقول السموأل بن عاديه .

وما مات منها سيد في فراشه ولا طل منا حيث كان قتيل فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم فربما علق بالوهم أن ذلك لضعفهم وقتلهم ، فأزال هذا الوهم بالانتصار من قاتلهم .

٧ - التتميم ، وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم ، خلاف المقصود بفضله ، كمفعول أو حال أو نحو ذلك ، لقصد المبالغة (٢) ، كقول زهير يدح هرم بن سنان :

من يلق يوماً على علانه هرماً يلق السباحة منه والندي خلفاً

فقوله : على علاقه ، أي على كل حال أو على ما فيه من الأحوال والشئون ، تتميم وقع في غاية الحسن والرشاقة .

٨ - الاعتراض ، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام (٣) أو بين كلامين متصلين معنى (٤) بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب (٥) لنكتة سوى دفع الإيهام (٦) . وهو من دقائق البلاغة وسحر البيان (٧) ، وفائده إما :

(١) سورة المائدة الآية ٤٥ .

(٢) فالكلام يحارب ألا يدع شيئاً ما به يتم حسن المعنى .

(٣) خرج الإيقاع لأنه في الآخر .

(٤) بأن يكون الثاني بياناً للأول أو تأكيداً أو بدلاً منه .

(٥) خرج التتميم لوجود الاعراب فيه .

(٦) خرج التكميل .

(٧) لما فيه من حسن الافتادة مع مجيزه معيه ما لا معول عليه في الافتادة ، فهو كالمحسنة تأتي من حيث لا ترقب .

(أ) التنزية والتعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُونَ اللَّهَ الْبَنَاتِ سَبْحَانَهُ وَلَمْ يَشْتَهُنَ ﴾^(١) فسبحانه^(٢) مسوق للتنزية عن اتخاذ البنات .

(ب) أو التقرير في نفس السامع نحو : ﴿ وَإِذَا قُتِلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعِصْبَاهَا ﴾^(٣) فقوله : والله يخرج ، جاءات معتبرة للتقرير أن تدافعبني إسرائيل في قتل النفس ليس نافعاً في إخفائه وكماه ، لأن من لا تخفي عليه خافية مظاهره لا حالة .

(ج) أو التصریح بما هو المقصود ، كقول كثير عزه :
لو أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعْلَمُوا مِنْكَ الْمَطَالِا
فقوله : وأنت منهم ، تصریح بما هو المقصود من ذمة وتأکيد ، لانصراف
الدم اليه .

(د) أو الدعاء ، كقول أبي الطیب :
وَيَحْتَقِرُ الدِّنَبَا احْتِقَاراً بَجْرَبٍ يَرِى كُلُّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَإِنْي
فقوله : وحاشاك ، اعتراض حسن في موضعه ، والواو في مثله اعتراضية
ليست عاطفة ولا حالية^(٤) .

(هـ) أو تنبیه المخاطب على أمر يؤكّد الإقبال على ما أمر به بما فيه مسرته
قوله :

وَاعْلَمْ فَعْلُّ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ أَنْ سُوفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدْرَا

(وـ) أو الاستعطاف ، كقول المتنبي :

وَخَفْوَقَ قَلْبُ لَوْ رَأَيْتَ لَهِبَيْهِ يَا جَنَّتِي لَرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمَا

(زـ) أو تنبیه المخاطب على أمر غريب ، كقوله :

(١) سورة النحل الآية ٥٧ .

(٢) هو جملة لأنّه مصدر بتقدير الفعل .

(٣)

٣)

(٤) سورة البقرة الآية ٧٢ .

(٥) الفرق بين الواو الحالية والاعتراضية بالقصد ، فإن قصد كون الجملة قيادة العامل ، فهي
حالية ، وإلا فهي اعتراضية .

فلا هجره يبدو وفي اليأس راحة^(١) ولا وصله يبدو لنا فنكاره
 فإن قوله: فلا هجره يبدو، يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه، وغريب
 أن يكون هجر الحبيب مطلوباً للمحب، فقال: (وفي اليأس راحة) لينبه
 إلى السبب.

وما جاء بين كلامين متصلين معنى، وهو أكثر من جملة أيضاً، قوله تعالى:
 ﴿فَأُتُوهُنَّ مِنْ حِيثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الظَّاهِرِينَ نَسَاوْكُمْ حَرْثَ لَكُمْ فَأَتَوْا حَرْثَكُمْ﴾^(٢) ، فإن قوله: نساوكم حرث لكم،
 بيان لقوله: فأتوهن من حيث أمركم الله، لإفادته أن الفرض الأصلي من الإتيان هو
 طلب النسل لا قضاء الشهوة فقط، وما بينهما اعتراض للترغيب فيما أمروا به،
 والتنفير بما نهوا عنه.

٩ - النفي والإثبات بأن يذكر الشيء على جهة النفي، ثم يثبت أو بالعكس
 نحو: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ مُغَافِلُونَ﴾^(٣) ، نفي عنهم أولاً
 العلم بما خفى عليهم من تحقيق وعده، ثم ثبت لهم آخرًا العلم بظاهر الحياة الدنيا
 دون ما كان مؤدياً إلى الجنة.

١٠ - ما كان كقوفهم: رأيته بعيني، وقبضته بيدي، ووطئته بقدمي،
 وذقته بلسانني – يذكرون الظروف فيما يصعب حصوله، دلالة على أن نيله ليس
 بمتعدراً، وعلى هذا جاء قول البحتري :

تأمل من خلال السجف وانظر بعينك ما شربت ومن سقاني
 تمجد شمس الضحى تندو بشمس إلى من الرحىق الحسر واي^(٤)
 فحضور مثل هذا المجلس نادر، ولا سيما إذا كان الساقي فيه على ما وصف
 من الحسن، ومن ثم قال: انظر بعينك.

(تنبيه) قد يوصف الكلام بالإيجاز والاطنان باعتبار كثرة حروفه وقلتها
 بالنسبة إلى كلام آخر مساوياً له في أصل المعني كقول الشاعر مدح عربة الأوسى:

(١) سورة البقرة الآية ٤٢٣ .

(٢) سورة الروم الآية ٦ .

(٣) السجف بالكسر والفتح: الستار، والمحروقاني ضرب من الثياب منسوب لبلاد فارس.

إذا ما رأية رفعت لجد تلقاها عربة باليمين
مع قول بشر بن أبي حازم يدحه أيضاً :

إذا ما المكرمات رفمن يوماً وقصر مبتغوها عن مداها^(١)
وضاقت أذرع المثرين عنها سماً أوساً إليهم فاحتواها

المبحث الخامس - الإيجاز أفضل أم الأطناب مواضع كل منها

اختلقت آراء الأئمة في تفضيل الإيجاز على الأطناب، أو العكس، فمن مفضل للإيجاز، كشبيب بن شيبة ، إذ يقول: القليل السكاف خير من كثير غير شاف .
ويقول آخر: إذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف ، ولا خير في شيء يأتى به التكلف .

ومن مرجع للأطناب وحجته أن المنطق إنما هو البيان ، والبيان لا يكون إلا بالإشارة ، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع ، وأفضل الكلام أبینه ، وأبینه أشد إحاطة بالمعاني ، ولا يحيط بالمعانى إحاطة تامة إلا بالاستقصاء ، أضعف إلى ذلك أن الإيجاز لخصوص ، والأطناب مشترك بين الخاصة وال العامة ، والغبي والقطن .
والختار ، أن الحاجة إلى كل مادة ، وأن لكل موضع لا يسد عنه فيه سواه ،
فمن استعمل أحدهما في موضع الآخر ، فقد أخطأ .

قال جعفر بن يحيى : متى كان الإيجاز أبلغ كان الاكتثار وعيماً ، ومتى كانت الكفاية في موضع الاكتثار ، كان الإيجاز تقصيراً ، يرشد إلى ذلك قول القائل يصف خطباء إباد :

يرمون بالخطب الطوال وقارة وحي الملاحظ خشية الرقباء^(٢)

وقد استحبوا الإيجاز في الموضع الآتية :

(١) رفع المكرمات يراد به يروزها للطلابين ، ومبغوها طالبواها ، واحتواها أخذها .
(٢) الوحي الإشارة بالكلام الخفي ، والملاحظ جمع ملحوظ كمطلوب الخطب ووحي منصوب على المصدر ، أي تارة يروحون ، أي يأتون بكلام سريع خفي ، كحال من ينظر إلى حبيبه بمؤخر عينيه خوفاً من الرقباء .

- ١ - الكتب الصادرة عن الملوك الى الولاة في أوقات الحروب والأزمات .
- ٢ - الأوامر والنواهي السلطانية .
- ٣ - كتب السلطان بطلب الخراج وجباية الأموال وتدبير الأعمال .
- ٤ - كتب الوعد والوعيد .
- ٥ - الشكر على النعم التي تُسبغ ، والموارد التي تسدي .
- ٦ - الاستعطاف وشكوى الحال وسؤال حسن النظر وشمول العناية .
- ٧ - التنصل من الذنب والاعتذار من التقصير بإيراد الحجج التي تقنع المخاطب وتزيل موجده .

واستحسنوا البسط والاطناب في الموضع التالية :

- (١) ما يكتب به عن الملوك في جسيمات الأمور التي يراد تقريرها في نفوس العامة ، كأخبار الفتوح المتتجدة ، فهذا موضع يشبع فيه القول ، حق تعرف الرعية قدر النعمة ، فتزيد في الطاعة ، ولا يأس من تهويل أمر العدو ووصف جمعه ، وعظيم إقادمه ، لأن في تصغير أمره تحقيقاً للظفر به .
- (٢) ما يكتب به عن الملوك الى أهل التغور ، في أوقات التحرش بالمملكة ، وإقدام العدو على الهجوم عليها ، ليعلموا بذلك فيستعدوا للقاء .
- (٣) ما يكتب به الولاة ، ومن في حكمهم ، الى الملوك لإخبارهم بأحوال ما ينظرون فيه من الأعمال وما يجري على أيديهم من مهام الأمور .
- (٤) الموعظة والارشاد بالترغيب في الطاعة والنهي عن المعصية ، حق يرتاح قلب المطيع وينبسط أمله ، ويرتاع قلب المسيء ويأخذ الحروف منه كل مأخذ .
- (٥) الخطب في الصلح بين العشائر لصلاح ذات الbin .
- (٦) المدح والثناء والهجاء .

أسرار البلاغة في الإيجاز والاطناب

قد عرفت كلاً من الإيجاز والاطناب ومواضع كل منها ، فعليك أن تعرف الدواعي التي لأجلها استعملتها العرب في كلامها .

فن دواعي الإيجاز :

- ١ - سموة الحفظ ، فقد قيل لأبي عمرو بن العلاء : هل كانت العرب قطيل؟
 قال : نعم كانت قطيل ليسمع منها ، وتوجز ليعحفظ عنها .
- ٢ - إخفاء الأمر عن غير المخاطب .
- ٣ - ضيق المقام خوف فوات الفرصة .
- ٤ - ذكاء المخاطب ، حيث تكتفي المحة والوحى والاشارة .

ومن دواعي الاطناب :

(١) توكييد المعنى وتنبيهه في النفس ، أفلاترى الى قوله تعالى في باب الموعظة :
 ﴿أَفَامِنَ أَهْلَ الْقُرْبَى أَن يَأْتِيهِمْ بِأَسْنَانَ بَيَانًا وَهُمْ تَأْثُونَ ، أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرْبَى أَن يَأْتِيهِمْ بِأَسْنَانَ ضَحْقٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، أَفَأَمِنُوا مَكْرُ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرُ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١) .

(٢) دفع للبس الذي كان يحتمل وجوده مع الإيجاز واعتبر ذلك بما تراه في قوله تعالى : ﴿مَا جعل اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^(٢) فكلمة القلب تحتمل أحد معنيين : القطعة من اللحم ، والفهم والأدراك - لهذاأتي بكلمة في جوفه ليتعين المعنى الثاني ، ويزول للبس ، وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣) ، فأتى بكلمة في الصدور لدفع للبس بأن المراد بها العيون البصرية .

(٤) التظام والتهييل ، انظر الى قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِرتَ ، وَإِذَا النَّجْوَمُ انكَدَرَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ سَيَرَتْ ، وَإِذَا الْعِشَارُ عَطَسَلَتْ ، وَإِذَا الْوَحْشُ حَسْرَتْ ، وَإِذَا الْبَحَارُ سَجَرَتْ ، وَإِذَا النَّفَوْسُ زُوَّجَتْ ، وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُنَّلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلتْ ، وَإِذَا الصَّحْفُ نَشَرَتْ ، وَإِذَا السَّهَاءُ كَشَطَتْ ، وَإِذَا الْجَعْمُ سَعَرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزَلَفَتْ ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾^(٤) ، إذ كان يكفي في الدلالة على وقت علم النفس ما أحضرت قوله تعالى : (إذا الشمس كورت أو غيره مما يبعده من الاثنين عشر المذكورة ، لكنه عدها لتهوييل شأن هذا اليوم .

(١) سورة الأعراف الآيات ٩٨ و ٩٩ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤ .

(٣) سورة الحج الآية ٤٦ .

(٤) سورة التكوير الآيات ١ - ١٤ .

تدريب أول

بيان الإيجاز والاطناب والمساواة ، مع ذكر السبب فيما يلي :

- ١ - ﴿أَفَمِنْ أَهْلِ الْقُرْيَ أَنْ يَأْتِيهِمْ بِأَسْنَا بَيَانًاً وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ، أو من أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلمعون ، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .
- ٢ - ﴿إِنَّ الْمُتَقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَافِعَ أَنْرَابًا﴾ ^(١)
- ٣ - وقال اعرابي : إن شككت في فراسل قلبك عن قلبي .
- ٤ - واحد من على حفظ القلوب من الأذى إن الزجاجة كسرها لا يشعب
- ٥ - ﴿وَالشَّفْعُ وَالوَرْ وَاللَّلِيلُ إِذَا يَسْتَرُ هُلْ فِي ذَلِكَ فَسِيمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ ^(٢)
- ٦ - جزى الله عننا جميراً حين أزلقت بناء نعلنا في الواطئين فزلت هم خلطونا بالفوس وأجهثوا إلى حجرات أدفأْت وأظللت
- ٧ - أخرج منها ماءها ومرعاهما .
- ٨ - ﴿وَفِيهَا مَا تَشْهِي الأنْفُسُ وَتَلَدُّ الْأَعْيُنُ﴾ ^(٣)

الاجابة

السبب	التعبير ونوعه	الرقم
باتكراً للتأكيد والإذار والتهديد لهم على سوء فعلهم	اطناب	(١)
بالايضاح بعد الابهام فقد فسر ذلك الفوز بقوله حدائق وأعناباً	اطناب	(٢)
إذ مزال القلب عن القلب يشمل معاني كثيرة فالقلب موضع الحب والبغض ومستودع السر والشكوى .	إيجاز بالقصر	(٣)
باتتليل الجاري مجرى المثل	اطناب	(٤)
لحذف حواب القسم تقديره وحق هؤلاء لأعدين أولئك	إيجاز بالحذف	(٥)
بدليل قوله بعد ألم تر كيف فعل ربك بعد .	إيجاز بالحذف	(٦)
لحذف المفاعيل إذ القدير الجثينا وأظلتنا وأدفأنا	إيجاز بالقصر	(٧)
إذ دل بشبين على جميع ما أخرجه الأرض قوتها ومتاعها	إيجاز بالقصر	(٨)
للناس من العشب والشجر والخطب واللباس والنار والماء		
إذا جمعت نعم الجنة مما لا تحصره الأفهام ولا يخطر لك على بال		

(١) سورة النبأ الآية ٤٣ .

(٢) سورة الفجر الآيات ٣ و ٤ و ٥ .

(٣) سورة الزخرف الآية ٢١ .

تدریب ثان

- ١ - علمتني نبوتك سلوتك ، وأسلمني يأسى منك الى الصبر عنك .

٢ - ﴿فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يَسِّرًا﴾^(١)

٣ - والسعى في الرزق والأرزاق قد قسمت بغي ألا إن بغي المرء يصرعه

٤ - لا تروع السر وشاء به مذلا فما رعى غنا في الدو سرجان

٥ - ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢)

٦ - ألا حبذا حبذا حبذا حبيب تحملت منه الأذى

٧ - قال أبو دعبد الجُمحي مدح النبي ﷺ :

٨ - أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، فويل للقاسية قلوبهم نزر الكلام من الحياة تحاله ضئلا وليس يجسمه سقما

٩ - من ذكر الله .

الاجابة

السب	نوع التعبير	الرقم
إذ الفاظه قدر المعاني التي نحوها من البث والشكوى بالتكثير لقصد التوكيد وثبتت المعنى المراد بالاعتراض في قوله والأرزاق قد قسمت ، وبالتدليل الجاري مجرى المثل في قوله ألا إن يغى المرء يصرعه بالتدليل الجاري بمعنى المثل في الشرط الثاني لأن الفاظه أقل من معانيه فقد دخل تحت قوله فهو حبه من المعاني ما يطول شرحه من إثبات ما يرجى وكفاية ما يخشى بالتكثير للتأكيد	مساواة إطناب إطناب إطناب إيجاز بالقصر	(١) (٢) (٣) (٤) (٥)
بالتمكيل بذكر من (الحياة) دفعتاً لتوهم أن ذلك من عي إذا التقدير كمن لم يشرح صدره .	إطناب إطناب إيجاز بالحذف	(٦) (٧) (٨)

(١) سورة الانشراح الآيات ٥ و ٦ .

٢) سورة الطلاق الآية ٢

قرن أول

يَسِّنُ الْإِيمَانَ وَالْأَطْنَابَ وَالْمَسَاوَةَ وَأَسْبَابَهَا فِيهَا يُلِي :

- ١ - يَهُونُ بِالرَّأْيِ مَا يَعْجُرُ بِالْقَضَاءِ بِهِ مِنْ أَخْطَأَ الرَّأْيَ لَا يَسْتَدِنُبُ الْقَدْرَا
- ٢ - ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمَ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرُّشادِ، يَا قَوْمَ إِنَّا هَذِهِ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (١)
- ٣ - تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدُعُ أَنفَهُ (وعينيه) إِنْ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفَرَ
- ٤ - أَسْجَنَا وَقَيْدَا وَاشْتِيَافَا وَغَرْبَةً وَنَسَى حَبِيبَ إِنْ ذَا لَعْظَمْ
وَإِنْ امْرًا دَامَتْ مَوَانِيقَ عَهْدِهِ عَلَى مُثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٌ
- ٥ - ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا
عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٢)
- ٦ - وَلَوْ أَنْ قَرَآنًا سُرِّتْ بِهِ الْجَبَالُ أَوْ قَطَّعْتَ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كَلَمْ بِهِ الْمَوْتَى
بَلْ هُوَ الْأَمْرُ جَمِيعًا .
- ٧ - فَسَائِلُ هَذَاكَ اللَّهُ أَيُّ بْنِ أَبِي منَ النَّاسِ يَسْعِي سَعِينَا وَيَقْارِضُ
- ٨ - سَئَلَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ: مَا كَانَ سَبِبَ مَوْتِ أَخِيكَ؟ فَقَالَ: (كُونَهُ) فَأَحْسَنَ مَا شَاءَ.
- ٩ - ﴿إِنِّي وَضَعَتْهَا أَنْتَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأَنْثَى وَإِنِّي
سَمِيتَهَا مَرِيم﴾ (٣)

قرن ثان

- ١ - فَقُلْتَ يَسِّنَ اللَّهُ أَبْرَحْ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لِدِيْكَ وَأَوْصَالِي
- ٢ - ﴿وَمِنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعِينَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَوْلَئِكَ كَانُوا سَعِينَهُمْ
مَشْكُورًا﴾ (٤)
- ٣ - وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ : « حَبَكَ الشَّيْءُ يُعْمَلُ وَيُصْمَّ » .
- ٤ - ﴿فَلَا أَقْسُمُ بِوَاقِعِ النَّجُومِ وَإِنَّهُ لَقُسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لِقُرْآنٍ كَرِيمٍ﴾ (٥)

(١) سورة غافر الآية ٢٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٣٦ .

(٤) سورة الإسراء الآية ١٩ .

(٥) سورة الواقعة الآية ٧٥ .

- ٥ - ﴿لَن تَنالُوا الْبَرَّ حَقَّ تَنفُوقَكُمْ مَا تَخْبُون﴾^(١).
- ٦ - حَلِيمٌ إِذَا مَا حَلَمَ زِينٌ أَهْلَهُ
- ٧ - فَدَعُوا نَزَالَ فَكَنْتَ أَوَّلَ نَازِلَ
- ٨ - وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينةٍ غَصْبًاً.
- ٩ - ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبْشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخَلَقَ أَفَلَمْ يَرَ مِنْهُمْ كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةً الْمَوْتِ﴾^(٢).

نموذج عام على المعاني

تكلّم من المعاني على ما يأتي :

تهوى الثناء مبرّزٌ ومقصّرٌ حب الشاه طبيعة الإنسان

الاجابة

إن تطبيق جملة من النثر أو بيت من الشعر على فن المعاني يستدعي أن نعرض
أبوابه ، فنرى في هذا البيت :

(١) جملتان خبريتان أولاهما فعلية مضارعة تقضي الاستمرار التجددى ،
بدليل أن الفرض الموعظة ، والثانية اسمية تقيد الاستمرار والدّوام ، كما هو شأن
الأخلاق والفرائض .

(٢) كل من الجملتين ضرب ابتدائي خال من المؤكدات .

(٣) ذكر المفعول لأن القصد تعلق الفعل به .

(٤) قدم المفعول على المستند إليه في الجملة الأولى ، لأنه الأهم في الكلام .

(٥) نكر المستند إليه لقصد التعميم .

(٦) عرف المفعول بأأن لإرادة الجنس .

(٧) فصل بين الشطرين ، لأن بينهما شبه كمال الاتصال ، لأن الثانية جواب
عن سؤال مقدر .

(٨) في البيت إطناب بالتنبيه الجاري مجرى المثل .

(١) سورة آل عمران الآية ٩٢ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٤ .

نمودج ثان

أنشاً يمزق أثوابي يؤدبني **أبعدَ شيءٍ عندي يتغنى الأدباء**

الإجابة

- (١) في الشطر الأول جملتان خبريتان من الضرب الابتدائي وفي الشطر الثاني جملة إنشائية .

(٢) الفرض من إلقاء الخبر فيها التحسر على تلك المعاملة القاسية التي عامله بها أبنته .

(٣) قدم الظرف وهو بعد في الشطر الثاني لأن مخط الإنكار .

(٤) الاستفهام فيه للتوضيح .

(٥) قيد الجملة الأولى بتابع وهو عطف البيان لفرض الإيضاح والبيان ، وقيد الجملة الثانية بظرف الزمان ، لأنه هو المقصود بالإنكار .

(٦) فصل بين جملتي : أنساً ورؤديني ، لأن بينهما كمال الاتصال ، لأن الثانية بيان للأولى ، وبين جملتي : أنساً ، وأبعد شيء ، لأن بينهما كمال الانقطاع لا اختلافها خبراً وإنشاء .

(٧) في البيت اطناب بالتنبيه غير الجاري مجرى المثل .

علم البيان

البيان لغة الكشف والإيضاح ، يقال : فلان أبين من فلان ، أي أوضح منه كلاماً وأصطلاحاً – علم يستطيع بمعرفته إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، ورواكيب متفاوتة في وضوح الدلالة ، مع مطابقة كل منها لمقتضى الحال .

وتقيد الاختلاف بالوضوح لتخرج الألفاظ المترادفة كليث وأسد وغضنفر ، فإنها وإن كانت طرقاً مختلفة لإبراد المعنى الواحد ، فاختلافها إنما هو في اللفظ والعبارة ، لا في الوضوح والمعنى .

واللام في المعنى الواحد للاستغراق العربي ، أي كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته ، فلو عرف أحد إبراد معنى واحد ، كقولنا : علي جواد ، بطرق مختلفة لم يكن بذلك عارفاً بالبيان .

إيضاح هذا التعريف ، أن الصليع بهذا الفن ، إذا حاول التعبير بما يختلف في صدره من المعاني وجد السبيل مهدأً ، فيختار ما هو أليق بمقصده وأشبئ بطلبه من فنون القول وأساليب الكلام ، فإذا حث هؤلاء الشجعان على اقتحام غمار الوعي بهم بساحر بيانه وعظيم إحسانه ، فإن شاء شبههم بأسود خفاف ، فقال : كأنكم أسود لها في غيل خفاف^(١) أشبل ، وإن شاء استumar ، وقال : إني أرى هنا أسوداً تتحفز للكر والفر وتثبت لاقتناص فرائسها ولها قرم^(٢) إلى الأخذ بنواصيها وحز رؤسها ، وإن أراد كثي عن مقصده وروى عن مراده فقال : البسو المدوم جلد النمر^(٣) واقلبوا له ظهر الجن فإنه قد ورم أنفه عليكم وداشك تحت أقدامه .

(١) مأسدة مشهورة بضرارة أسدها .

(٢) شهرة الطعام .

(٣) كتابة عن إظهار المداورة ، ومثله ما بعده .

هناك تناديه القلوب وتنسابق اليه الفرسان قائلة: ليك ليك ها نحن أولاه
نحني الذمار، ونجبر الجار، ونجدد القرآن، ونصر عهم في الميدان، ونبشع النفوس
رخيصة ونشتري بها الجهد والسؤدد:

نبي كما كانت أوائلنا تبني وتفعل مثل ما فعلوا
وإن دعا النفوس لكرمه وهز المطف لمحمد أمكنه أن يقول: كأنكم البعور
يعلمُ فيضها القاصي والدايني وتطعم بذعامتها الفقير والغنى.

أو يقول: هذه البعور على سواحلها القصاد تقدّف أمواجها ما يفرج كربة
البائس ويدفع الضر عن المدّم.

أو يقول: إني أرى مجدًا مد سرادقه، وندى ضربت خيامه،
إذ ذاك تسخو كف البخيل وتحترق عطف الكريم وتصبو النفوس لاكتساب
الhammad ونبيل الجهد بالثمن الربيح.

موضوعه: اللفظ العربي، من حيث التفاوت في وضوح الدلالة بعد رعاية
مطابقتة مقتضى الحال.

فائقته: ستتعلم مما يلي أن مباحث البيان محصورة في المجاز على أخواته، أي انه
يعنى أعم يشمل الكلمات، وأن التشبيه إنما ذكر فيه لبناء الاستعارة عليه.

والمجاز ثروة كبيرة في اللغة من جهات عدة، منها:

١ - الإكثار من الألفاظ وتعدد الوضع تفنينا في التعبير كتسمية المطر بالسماء
والنبات بالفيث، على ما سيأتي.

٢ - التذرع إلى الوضع فيما لم يوضع له لفظ من المحسوسات، كقولهم: ساق
الشجرة، وإبط الوادي، وعنق الابريق، وذوبة الرجل.^(١)

٣ - التذرع إلى الوضع لتمثيل صور المعاني، كقولهم: نبض^(٢) البرق،
سمبح^(٣) الفرس.

(١) الجلة المعلقة على آخر الرجل.

(٢) لمع خفينا، أخذناه من نبض العرق.

(٣) مد يديه في الجري، كما يفعل السابغ.

٤ - الرمز الى حقائق المعاني كقوفهم: سافر ولا ظهر^(١) له، وفلان يملك رقبة أي عبداً.

وهكذا مثلاً يبين لك اتساع اللغة بالمجاز ، ذلك أن مادة كف أصلها الكف ، وهو الجارحة ، ثم تصرفوا فيها واستعملوها على آخاء شق بجازاً ، فقالوا :

كفه عن الأمر ، اذا منعه ، كأنه دفعه بكفه من استعمال اللفظ في لازمه بجازاً مرسلًا ، وكف هو عن الأمر اذا امتنع وهو من وادي سابقه ، واستكشف السائل وتكتف اذا طلب بكفه ، واستكشف بالصدقة اذا مد يده ^{بـ}لتعطيه ايها ، وكفه الميزان لشبيهها بالكف في الشكل ، والكافحة النقرة المستديرة ، يحيطون فيها بالماء ، واستكشفوا حوله اذا أحاطوا به بنظرون اليه ، الى نحو هذه المعاني التي ترجع كلها إلى معنى الكف .

فالمجاز إذاً غذاء اللغة والروح الذي لا تحيا بدونه ، ولا قوام لها إلا به ، ولو لا ما كنا نرى فيها البهجة والجمال اللذين يتذوقهما كل ناطق بالضاد .

(واضعه) أول من دون مسائل هذا العلم أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه « مجاز القرآن » ، وتبعه الجاحظ ، وابن المعزز ، وقدامة بن جعفر ، وأبو هلال المسكري ، وما زال يشدو شيئاً فشيئاً حتى جاء الإمام عبد القاهر فأحکم أساسه وشيد بناءه .

الدلالة

علمت مما سبق أن فائدة هذا العلم إبراز المعنى بطريق مختلفة في وضوح الدلالة فناسب تعريف الدلالة وبيان أقسامها ، فنقول :

الدلالة فهم أمر من أمر ، والأول المدلول ، والثاني الدال ، وهي : إما لفظية وإما غير لفظية .

والثانية لا علاقة لها بباحث هذا الفن .. والأولى أقسام ثلاثة :

١ - دلالة اللفظ على تمام مساه وتسمى دلالة المطابقة: كدلالة الإنسان والأسد على حقيقتيها .

(١) أي لا دابة له يركب ظهرها .

٢ - دلالة اللفظ على بعض مسماه ، وتسمى : دلالة التضمن ، كدلالة البيت
على السقف أو الحائط .

٣ - دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالة الإنسان على كونه متجركاً أو شاغلاً
لجهة ، أو نحو ذلك ، وشرطه الالزوم الذهني^(١) (سواء أصحابه لزوم خارجي ،
أم لا) بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهن حصول فيه إما على
الفور ، أو بعد التأمل في القرائن والamarat ، لكن لا يشترط أن يكون الالزوم
ما يثبته العقل^(٢) ، بل يكفي أن يكون لعرف عام^(٣) ، أو عرف خاص^(٤) ،
كاصطلاحات أرباب الصناعات والاصطلاحات الشرعية واللغوية .

والدلالة الأولى تسمى عند البیانين وضعیة ، ويستحيل تفاوتها وضوحاً وخفاءً
لأن السامع لشيء من الألفاظ الموضوعية ، إما أن يكون عالماً بالوضع للمعنى
أولاً ، فإن كان الأول فإنه يعرفه بتمامه بلا زيادة ولا نقصان ، وإن كان الثاني
فإنه لا يعرف منه شيئاً أصلاً .

والثانية والثالثة تسميان : عقلیتين ، لأن دلالة اللفظ على الجزء ، واللازم
 مصدرها العقل الحاكم بأن حصول الكل مستلزم حصول الجزء ، وجود الملازم
مستلزم وجود اللازم ، ويتناهى فيها الاختلاف وضوحاً وخفاءً ، إذ الموارم كثيرة
بعضها قريب الالزوم يسبق إلى الذهن فهمه بسرعة ، وبعضها بعيد ، فيصبح اختلاف
الطرق فيها ويكون بعضها أكمل من بعض في الإفادة .

وكذا يجوز أن يكون المعنى جزءاً من شيء وجزءاً من شيء آخر ، فدلالة
الشيء الذي ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى ، أوضح دلالة من الشيء الذي
ذلك المعنى جزء من جزئه على ذلك المعنى .

(١) أي أنه لا يشترط باللزوم الخارجي أيضاً ، إلا ترى أن المعنى يدل على البصر التزاماً
إذ هو عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً مع الثنائي بينها في الخارج .

(٢) وهو الالزوم بين المعتبر عند النطقين وإلا لما تناهى الاختلاف بالوضوح في دلالة الالتزام
وخرج كثير من المعاني المجازية والكتابية ، لأنه ليس بينها وبين ملزوماتها مثل هذا الالزوم .

(٣) كلام الحبيب بالنسبة لاختلاج العين ، إذ كثير من الناس يعتقد أن اختلاج العين يبشر
بلقاء الحبيب ، فإذا قلت لواحد : من هؤلاء عيني تختلاج ، فهو من ذلك أنك ستلقى حبيباً .

(٤) كما إذا قلت : هذا قدر ، على فهم السامع أنه نجارة .

فدلالة الحيوان على الجسم أوضح^(١) من دلالة الإنسان عليه ، ودلالة الجدار على التراب أوضح من دلالة البيت عليه .

وفي هذا مجال لفائق : إذ الدلالة الوضعية ربما يعرض لها الوضوح والخفاء ، إلا ترى أنا نجد في أنفسنا ألفاظاً محفوظة لدينا ، معلومة الوضع ، ومع ذلك يحضر لنا معنى بعضها بنفس الالتفات إليه ، لكثرتة الممارسة ، أو لقرب المعهد باستعماله في معناه ، أو لقرب المعهد بعلم وضعه ، وبعضها لا يحضر معناه إلا بالمراجعة مرة بعد أخرى لطول المعهد بعلم وضعه ولعدم تداوله .

أضف إلى ذلك أن التركيب الذي فيه تعقيد لنظري لا يفهم معناه إلا بعد التأمل ، مع العلم بوضع جميع ألفاظه ، فليس بعيداً إذاً أن تكون قابلة للوضوح والخفاء . وقد أجبت عين الأول بأن التوقف والمراجعة لطلب تذكر الوضع المنسي ، لا لخفاء الدلالة ، بدليل أنه عندما تذكر الوضع نعلم المعنى من غير توقف ، وعن الثاني بأن الهيئة مختلفة ، والكلام عند اتفاقها ، لأن لها دخلاً في الفهم الوضعي .

أبواب الفن

اعلم أن اللفظ إن استعمل في معناه الموضوع له فحقيقة ، وإن استعمل في غيره ، لعلاقة مع قرينة ، فإذا ما مانعه من إرادة المعنى الأصلي فمجاز ، وإنما غير مانع فكتنائية .

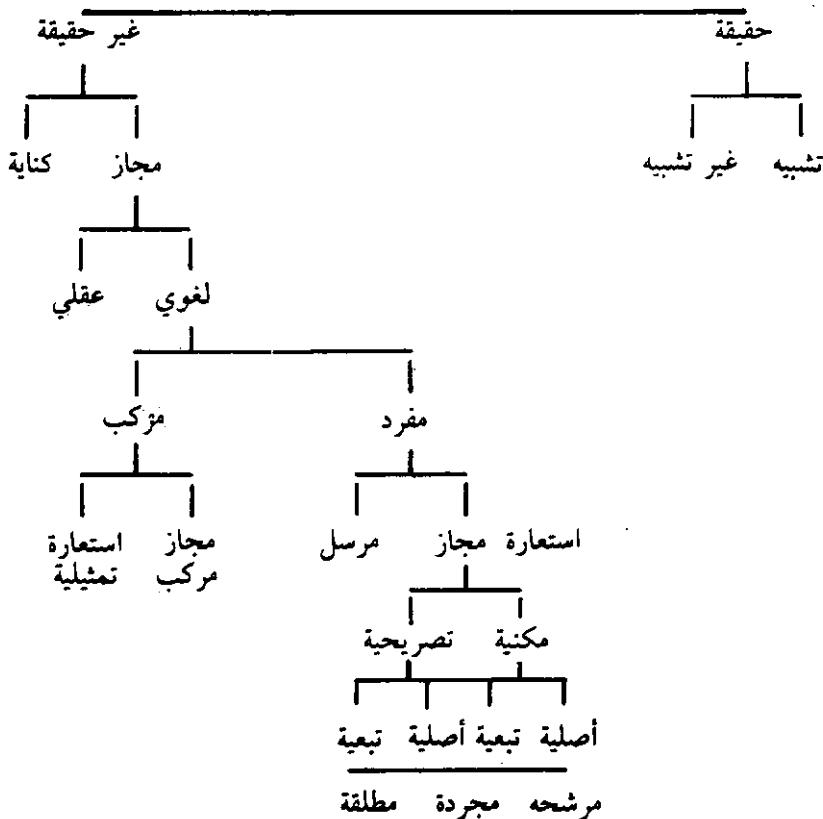
وال المجاز إن كان لعلاقة المشابهة فاستعارة مفرداً كان أو مركباً ، وإن كان لعلاقة غير المشابهة فإن كان مفرداً سمي بجازاً مرسل ، وإن كان مركباً قيل له: بجاز مركب مرسل .

والاستعارة مبنية على التشبيه ، فوجب التعرض له ، فعلم من هذا وبما تقدم من أن الدلالة الوضعية لا تتفاوت وضوحاً وخفاء على المشهور ، أن أبواب هذا الفن أربعة: التشبيه المجاز بقسيمه ، الكتانية - أما الحقيقة فلما تذكر فيه ليتضخم مقابلتها ، وهو المجاز أشد الوضوح (وبصددها تتميز الأشياء) وأيضاً فهي أصل المجاز ، وهو فرع لها تناسب ذكرها في الفن تبعاً .

(١) لأن دلالة الحيوان عليه بلا واسطة ، بخلاف الثانية .

ويكفي إيضاح ذلك بما تراه في الرسم الآتي :

الكلام العربي



الباب الاول في التشبيه

وفيه اثنا عشر مبحثا

المبحث الأول في شرح حقيقته وبيان جليل فائدته

التشبيه لغة التمثيل ، يقال : هذا شبه هذا ومثله ، وشبهت الشيء بالشيء أقته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة .

واصطلاحاً : إلحاد أمر (الشبه) بأمر (الشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف و كان وما في معناها) لفرض (فائدة) ^(١) .

(أركانه) مما سبق تعلم أن أركانه أربعة : مشبه ومشبه به ، ويسميان بالطرفين ، ووجه شبه ، وأداة .

(فائدة) إيضاح المعنى المقصود مع الإيحاز والاختصار ، ألا ترى أنك إذا قلت : علي كالأسد ، كان الفرض أن تبين حال علي ، وأنه متصل بقوة البطش وشدة المراس وعظم الشجاعة ، وما إلى ذلك من أوصاف الأسد الباردة للعيون . ولا شيء أدل على ذلك من تشبيهه بالأسد من أجل أن كانت هذه الصفات خصوصي بالأسد مقصورة عليه ، فصار هذا القول أكشن وأبين للقصد من قوله علي شجاع جريء ، إلى أشباه ذلك .
ومن أسباب ذلك ما يلي :

١ - ما يحصل للنفس من الأنس به بإخراجها من الخفي إلى الجلي الواضح ، ألا ترى أنك اذا وصفت يوماً بالقصر ، فقلت : هذا يوم من أقصر ما يتصور ، لم يجد السامع له من الأنس ما يحده نحو قوله : يوم كلوهامقطة .

(١) عرفه ابن رشيق في « العمد » بأنه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة ، لأن لو ناسبه مناسبة كلية كان إياه ، وقيل : هو إلحاد أدنى الشئين بأعلامها في صفة اشتراكاً في أحصاها واختلافاً في كييفيتها قوة وضعفها .

أو لنحو قوله :

طللنا عند باب أبي نعيم بيوم مثل سالفة الذباب^(١)

٢ - ما يحصل لها من الانس بإخراجها مما لم تألفه ، إلى ما هي به آلف ، فإذا كنت أنت وصاحب المك يسمى في أمر على شاطئ نهر وأردت أن تقرر له أنه لا يحصل من معه على فائدة ، فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له : انظر ، هل حصل في كفي شيء من الماء ، فكذلك أنت في أمرك – كان لذلك تأثير في النفس وتمكن للمعنى في القلب يزيد على القول المرسل إرسالاً .

٣ - ما يحصل لها بالانتقال مما تعلمه إلى ما هي به ، فإنك ترى الفرق بينها وبين أن تقول : الدنيا لا تدوم ، ثم تسكت ، وبين أن تذكر عقب ذلك قوله عليه السلام : « من في الدنيا ضيف ، وما في يده عارية » ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤداة ، أو تنشد قول لييد :

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوماً أن ترد الودائع

المبحث الثاني في الطرفين

ينقسم الطرفان إلى حسينين وعقولين ومخالفين ، وإلى مفردین ومرکبین ومخالفین ، فالحسين ما يدركه هما أو مادتها أي أجزاؤها بإحدى الحواس الحس الظاهر ، وبهذا التفسير دخل في الحسي شيئاً :

ما كان للطرفان فيه مشترkin ، إما : في صفة مبصرة كتشبيه الحور الحسان بالياقوت والمرجان في قوله تعالى : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾^(٢) .
وقول عنترة يصف غدرانا :

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل قراراة كالدرهم^(٣)

أو في صفة مسموعة كتشبيه الصوت الحسن بالموسيقى ، والأسلحة في وقها بالصواعق ، والأصوات غير المفهومة بأصوات الفراريج ، في قول عياش بن سلمة ينم بني دلان :

(١) السالفة صفة المتن ، وأراد هنا المتن كله .

(٢) سورة الرحمن الآية ٥٨ .

(٣) الشزة كالثرثارة النوية الماء ، والقرارة الحفرة ، والعين مطر أيام لا تقلع .

كان بني دلان إذا جاء جمهم فراريج يلقى بينهن سويق^(١)

أو في صفة مذوقة ، كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل ، والبرقوق الكرز ، والريق بالتمر ، في قول امرئ القيس :

كان المدام وصوب الغمام وربيع الخزامي ونشر القطر

يعل به بزد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر^(٢)

أو في الصفة المشومة كتشبيه رائحة الرياحين المجتمعة بالفالية^(٣) والنكهة بريح العنبر .

أو في الصفة الملوسة ، كما يشبه الجسم بالحرير في النعومة ، كقول ذي الرمة :

لها بشر مثل الحرير - ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نز

(الخيالي) وهو المدعوم الذي يفرض مجتمعاً من أمور عدة ، كل منها مدرك بالحس ، كقول أبي الغنائم الحصي :

خود كان بناما في خضرة النقش المزرد

سمك من البلور في شبك تكون من زبرجد^(٤)

فسمك على هذه الشاكلة ، وشبك بهذه الصفة لا يوجدان حتى يدركا بالحس ، لكن ما يتألفان منه وهو السمك والبلور وشبك والزبرجد ، يدركان بالحس .

والعقليان ما لم يدرك ، هما ولا مادتها بإحدى الحواس ، كتشبيههم الضلال عن الحق بالمعنى ، والعلم بالحياة ، وبهذا التفسير دخل في العقلي .

(الوهمي)^(٥) وهو ما ليس مدركاً بإحدى الحواس ، لكنه لو أدرك ،

لكان مدركاً بها ، كرؤوس الشياطين ، وأنيات الأغوال ، في قوله تعالى :

(١) الفراريج صفار الدجاج ، والسويق : الناعم من دقيق الحنطة والشعير ، وшибبهم بذلك لدقة أصواتهم وعجلة كلامهم .

(٢) الصوب المطر ، والخزامي ثبت طيب الرائحة ، ونشر الريح الطيبة ، والمستحر المفرد في السحر .

(٣) أخلاط من الطيب .

(٤) الخود الشابة الناعمة .

(٥) هو ما تفتقره المتخيلة من نفسها ، وهي قوة من قوى الادراك من شأنها اختيار أشياء لا حقيقة لها ، كما تصور الغول بصورة السبع وتختار له أنياتاً .

﴿ طَلْعُمَا كَانَه رَؤُوسٌ الشَّيَاطِينَ ﴾^(١) ، وقول امرىء القيس :

أيقتنى والمشعرى مضاجعى ومسنونة زرق كأنىاب أغوال
فهاتان لا تدركان بالحس ، لعدم وجودهما ، لكن لو أدركنا لم تدركنا
إلا بحامة البصر .

(الوجданى) كتشبىهم الجموع بالنار ، والمعطش باللهمب وتسعر النار.
وال المختلفان إما بأن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسياً ، كما يشبه العدل
بالقططان ، والرأى بسواد الليل في قوله :

الرأى كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلي إلا بإاصباح
أو بالعكس بتقدير المعمول كأنه محسوس ويحمل كالأصل لذاته المحسوس
مبالفة ، ويكون حينئذ من التشبيه المقلوب كما في تشبيه العطر بحسن الخلق في
قول الصاحب بن عباد :

أهديت عطراً مثل طيب ثناه فكأنما أهدي له أخلاقه
ومفردان إما مطلقاً ، كما في تشبيه الشعر بالليل ، والمخاطب بالحالم ،
في قوله :

تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة فأفنيتها هل أنت إلا كحالم
وأما مقيدان بوصف أو إضافة أو ظرف أو حال ، أو نحو ذلك ، مما يكون
له تعلق بوجه الشبه ، كقولهم لمن يفخر بما ليس له ، كالحادي ، وليس له بغير^(٢) ،
فهذه الجملة الحالية تحتاج إليها في تحقيق الشبه بينها ، وكتل القاضي الفاضل :
والشمس بين الأرائك قد حكت سيفاً صقلاً في يد رعناء
وأما مختلفان ، والمقيدين هو المشبه ، نحو :

كأن فجاج الأرض وهي عريضة^(٣) على الخائف المطلوب كفة حابل
ونحو قول المتنبي :

(١) سورة الصافات الآية ٦٥ .

(٢) يضرب مثلاً للرجل يفخر بما ليس له .

(٣) الفجاج جمع فج الطريق الواسع بين جبلين ، والكلفة ما يصاد به (الشبكة) .

وإذا الأرض أهملت كان وَبَلا
وإذا الأرض أظلمت كان شَمْسًا
وأما بالعكس كقول الخنساء :
أغْرِيَ أَبْلَجَ تَأْمُمَ الْهَدَايَةِ بِهِ
وقول السري الرفاه :
والفجر كالراهب قد مُزقت
واما من كان (١) كقول بشار :

فالشيه^(٣) هو مجموع الغبار والسيوف المتألقة في خلاله والمشبه به هو الليل الذي تتهافت كواكبه إذ لم يقصد تشبيه النقع بالليل والسيوف بالكواكب ، بل عمد الى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من أغهامها ، وهي تملو وترسب وتحجيء وتذهب وتضطرب اضطراباً شديداً وتحترك بسرعة الى جهات مختلفة ، وكذا الى هيئة الكواكب في تهاويها وتصادمها وتدخلها واستنطالة أشكالها عند السقوط .

وهذا القسم ضربان :

١ - ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابلة من الطرف الثاني
كقول القاضي التنوخي:

فإن المريخ في مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل : لأن المريخ منصرف
فالليل عن دعوة ، كان ضرباً من الهدىان .

(١) ليس الفرق بين القيد والمركب باعتبار التركيب اللفظي لاستوائه فيما غالباً، بل باعتبار قصد التكلم الهيئة بالذات والأجزاء بالتبسيط في المركب وباعتبار قصد جزء من الأجزاء والربط بغيره بالتبسيط في المفرد القيد.

(٢) ووجه الشبه المماثلة من سقوط أجرام مستطيلة متعددة المقدار متفرقة في
حوائط شيء مظلم.

(٤) واإ الشتري الحال ، فهو يقصد الهيئة التي تكون للريح متى كان المشتري أمامه .

٢ - ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابلها من أجزاء الطرف الآخر، غير أن الحالة تغير، كقول أبي الطيب الرقي :

وكان أحراً من النجوم لواهعاً دررٌ نثرن على بساط أزر

فلو قيل: كان النجوم درر و كان السماء بساط أزرق، كان تشبيهما صحيحاً، ولكن أين هذا من ذاك الذي يلأ نفسك عجباً، إذ يربك هيئة نجوم طالعة متألقة متفرقة في أديم سماء صافية الورقة.

واما مختلفان ، وهو ضربان :

١ - أن يكون المشبه مفرداً والمشبه به مركباً، كقول الصنوبرى :

وكان حمر للشقيق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد^(١)

فالمشبه هو الشقيق عند تصوبه^(٢) وتصعده، والمشبه به مركب، وهو الصورة الحادثة من نشر أحراً حمر مبسوطة على رؤوس سيفان خضر مستطيلة.

٢ - أن يكون المشبه مركباً، والمشبه به مفرداً، كقول أبي تمام بصف الرياح :

يا صاحبي نقاصاً نظري كما تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر^(٣)

يريد أن النبات لشدة خضرته مع كثرة وتكلافه، صار لونه يميل إلى السواد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كأنه ليل مقمر.

فهو قد شبه النهار الذي خالطه زهر الربا (وهذا مركب) بالليل المقمر (وهذا مفرد مقيد بالصفة).

(١) محمر الشقيق ورد أحمر في وسطه سواد ، يقال له : شفائق النهار .

(٢) فهو مفرد مقيد بالظرف ، لأن أوراق الشفائق إنما تكون على هيئة العلم اذا مالت الى السفل أو العلو .

(٣) تقاصت الشيء بلفت أقصاه ، وشابه خالطه ، والربا جمع ربوة وهي المكان المرتفع ، وخص زهر الربا لأنها أخضر وأشد خضرة ، وفي الكلام حذف مضاد أي لون زهر الربا .

المبحث الثالث في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى ملفوظ ومفروق

الطرفان إن تعددًا كان ذلك على ضربين :

- ١ - أن يُؤتى بالمشبهات أولاً على طريق المطف ، أو غيرها ، ثم يُؤتى بالمشبهات بها كذلك ، ويسمى حينئذ تشبيهاً ملفوظاً ، كقول أمري ، القيس يصف عقاباً بكثرة اصطياد الطيور :

كأن قلوب الطير رطباً وياساً ولدي وكرها العناب والخشف البالي^(١)
فقد شبه الرطب من قلوب الطير بالعناب ، وشبه اليابس العتيق منها
بالخشف البالي .

وفضيلة هذا الضرب من التشبيه اختصار اللفظ ، وحسن الترتيب ، إلا أن
في الجع فائدة في المقصود من التشبيه كما هو الحال في التشبيه المركب .

- ٢ - أن يُؤتى بشبهة ومشبه به ، ثم بأخر وأخر ، ويسمى تشبيهاً مفروقاً ،
كقول ابن سكره :

الخد ورد والصدغ غالبة^(٢) والريق خمر والثغر كالدر

المبحث الرابع في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى تشبيه تسوية ، وتشبيه جمع

إذا تعدد أحد الطرفين كان ذلك على ضربين :

- ١ - فإن كان المتعدد المشبه سمي تشبيه التسوية ، كقوله :

صدغ الحبيب وحالي كلاماً كاللبابي
وتفره في صفاء وأدمعي كاللألي^(٣)

(١) العناب بزنة رمان حب أحمر مائل الى الكدرة قدر قلوب الطير ينشره السدر البستاني
والخشف أرداً التسر .

(٢) الفالية أخلاق من الطيب مركبة عرقياً خاصاً .

(٣) للصدغ إطلاقان ما بين الأذن والعين ، والشعر المتلبي ، وهو المراد هنا ، والسوداء في
حاله تخيلي .

فقد شبه في البيت الأول صدغ الحبيب (وهو الشعر البدائي من الرأس فيما بين الأذن والعين) وحاله بالمتالي ، وشبه في البيت الثاني نفر الحبيب (وهو مقدم أسنانه) ودموعه بالآلية في القدر والصفاء والإشراق .

٢ - وإن كان المشبه به سمي تشبيه الجمجمة كقول البحتري :

بات نديعاً لي حتى الصباح أغيد بجدول مكان الوشاح
كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو براد أو أفاح

المبحث الخامس في وجه الشبه

وجه الشبه هو الوصف الخاص^(١) الذي قصد اشتراك الطرفين فيه ، فقولك : على كالأسد ، ووجه سعدي كالشمس – الوجه في الأول الجرأة والإقدام وشدة البطش المشهورة في الأسد ، وفي الثاني الحسن والبهاء الثابتان للشمس . فمن أراد أن يشبه حركة أو هيئة بغيرها فعليه أن يتطلب أمراً يشتراك فيه الطرفان ، كما فعل ابن المعتز حين يقول :

وكان البرق مصحف قار فانطباقاً مرة وافتتاحاً^(٢)

فهو لم ينظر إلى جميع صفات البرق ، بل نظر إلى انبساط يعقبه انقباض ، وانتشار يتلوه انضمام ، فشبهه بذلك بمصحف ، الفاريء يفتحه مرة ، ويطبقه مرة أخرى .

وما ذكر تعلم أن قوله : « النحو في الكلام كالملح في الطعام » يريدون به أن الكلام لا ينتفع به إلا برعاة أحکام النحو فيه ، كما لا ينتفع بالطعام ما لم يصلح بالملح ، إلا أن القليل من النحو مفید والكثير مفسد ، كما يفسد الملح الطعام ، إذا كثر فيه ، إذ لا تتصور زيادة ولا نقصان في جريان أحکامه في الكلام ، لأنـه إن استوفى أحکامه من رفع الفاعل ونصب المفعول وخوا ذلك ، فقد وجد النحو وانتفى الفساد وانتفع به في فهم المراد وإلا لم يوجد وكان

(١) قال ابن رشيق في « العمدة »: التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيه ، ألا ترى أن قوله : فلان كالبحر ، إنما يريدون كالبحر ساحة وعلماً ، ولا يريدون ملوحة البحر وزعقةه . انتهى .

(٢) قار أصله قاريء حذفت منه المهمزة بعد قلبها ياه ، ثم أعل إعلال قاض .

الكلام فاسداً . فقول أبي بكر الخوارزمي : « والبغض عندي كثرة الاعراب »
كلام ليس له معنى ، وينقسم الوجه إلى عدة أقسام :

١ - تحقيري وتخيلي :

(أ) فالتحقيق ما كان متقرراً في الطرفين على وجه التحقيق كقوله تعالى:
﴿وله الجواري المنشئات في البحر كالأعلام﴾^(١) ، فوجه الشبه وهو
العظم والضخامة ، موجود في كل من المراكب والجبال حقيقة .

(ب) والتخيلي ما لا يكون وجوده في أحد الطرفين إلا على ضرب من
التأويل ، فمثاله في المشبه قوله : صدغ الحبيب وحال ، كلاما كالليالي ، ومثاله
في المشبه به قول التنوخي :

وكان النجوم بين دجاجه سن لاح بينهن ابتداع

فوجه الشبه هو الهيئة الحادثة من حصول أشياء مشرقة بيضاء في جوانب
شيء مظلم أسود ، وهي غير موجودة في المشبه به ، إلا على طريقة التخييل ،
ذلك أنه لما كانت البدع والضلالات تجعل صاحبها كمن يعشى في الظلمة فلا يهتم
إلى الطريق الذي تقع له به النجاة !!

ـ شبيه بالظلمة وشاع ذلك حتى قيل : شاهدت سواد الفكر من جبين فلان ،
لتخيل أن البدعة نوع له زيادة اختصاص بسواد اللون ، وبطريق العكس شبه
المهدى ، والعلم بالنور ، واستهير ذلك كما ورد : « أتتكم بالحقيقة البيضاء ليهلا
كنهارها » من حيث تخيل أن السنن ونحوها جنس من الأجناس التي لها إشراق^(٢)
وبياض في العين .

ومن أجل هذا صار تشبيه النجوم بين الدياجي بالسنن بين الابتداع وأضحاها
جليناً كتشبيهها ببياض الشيب في سواد الشباب .

ـ واحد ومركب من متعدد منزل منزلة الواحد ، وكل منها : إما حسي ،
وإما عقلي ، ومتعدد (يقصد فيه اشتراك الطرفين في عدة أمور كل منها وجه شبه

(١) سورة الرحمن الآية ٤٢ .

(٢) ف تمام التشبيه يكون بأن يتخيّل ما ليس بمثلون مثلونا ، ثم يتخيّل كونه أصلاً للمثلونات
الحقيقة من ذلك الجنس .

على حدته، وبهذا يخالف المركب المنزلي منزلة الواحد، فإن وجه الشبه فيه الهيئة المنقولة من عدة أمور) وهو: إما حسي، وإما عقلي، وإما مختلف بعضه حسي وببعضه عقلي :

(أ) فالواحد الحسي طرفاً لا يكونان إلا حسنين، فإن الوجه أمر منزلي من الطرفين موجود فيها، وكل ما يؤخذ من العقلي وينتزع منه يجب أن يدرك بالعقل لا بالحس، لأن أوصاف العقلي يجب أن تكون عقلية، وذلك كتشبيه الخد بالورد يحاجم الحمرة والفضاضة .

(ب) والواحد العقلي طرفاً إما عقليان كما يشبه وجود ما لا ينتفع به بعدهما يحاجم العراء عن الفائدة في قوله: وجوده كالعدم، وإما حسینان كتشبيه الرجل بالأسد في الجرأة والإقدام والبطش، وإما المشبه عقلي والمشبه به حسي، كما يشبه العلم بالنور يحاجم المدایة في كل، وإما بالعكس كما يشبه العطر بخلق الكريم يحاجم ارتياح النفس وانتعاشها .

(ج) والمركب الحسي طرفاً إما مفردان كتشبيه الثريا بعنقود من الكرم لاشتراكها في الهيئة الحادثة من تقارن الصور البيضاء المستديرة الصفار في رأي العين على كيفية مخصوصة ومقدار معين في قول كستانجم محمود بن الحسين:

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحبة حين نورا^{١١}

وإما مرکبان كلهيّة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار، متفرقة في جوانب شيء مظلم في قول بشار :

كان مثار النقع فوق رؤوسهم وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

إما مختلفان كما هو من تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد، فالمتشبه مفرد، والمشبه به مركب، وإما بالعكس كتشبيه النهار الشمس الذي شابه زهر الربا بليل مقرر .

ومن يدين المركب الحسي ما يحيى، في الهيئة التي تقع عليها الحركة، وذلك على وجهين :

(١) الملاحيّة بضم الميم وتشديد اللام، والأكثر تخفيفها عنب أبيض في حبه طول وحين نور، أي تفتح نوره بفتح النون .

١ - أن تقترب هيئة الحركة بغيرها من أوصاف الجسم ، كالشكل واللون ،
كقول جبار بن جزء بن أخي الشهاب :

لما رأيتها بدت فوق الجبل .

فوجه الشبه : الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة مع الإشراق حق يرى الشعاع كأنه يوم بأن ينبعض حق يفيض من الوسط إلى جوانب الدائرة ، ثم يبدو له أن يرجع من الانبساط الذي هم به إلى الانقباض كأنه يرجع من الجوانب إلى الوسط ، فإن الإنسان إذا أحد النظر لينظر إلى الشمس ، ولا سيما أول شروقها ، ليتبين جرمها ، وجدتها تؤدي هذه الهيئة ، وكذلك المرأة في كف الأشل .

٢ - أن ت مجرد هيئة الحركة عن غيرها من الأوصاف ، فهناك لا بد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة ، كان يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفل ، فحركة الدوّلاب والرحا والسمّ ، لا تركيب فيها الاتحاد الحركة .

وحركة المصحف في قول ابن المعتز :

وكان البرق مصحف قار فانطباقاً مرة وافتتاحا

فيها تركيب لأنه يتحرك في حالتي الانطباق والافتتاح إلى جهتين في كل حال إلى جهة ، ومن لطيف ذلك قول الأعشى ، يصف السفينة في البحر ، وتقادف الأمواج بها :

تقض السفين يجانبيه كما ينزو الرياح خلاه كراع^(١)

شبه السفينة في أحجامها وارتفاعها بحركات الفصيل في نزوه ، فإنه يكون له حينئذ حركات متغيرة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة ويكون هناك تسفل وقصبة على غير قرقيب ، وبحيث تکاد تدخل إحدى الحركتين في الأخرى ، فلا يتبيّنة الطرف مرتفعاً حق يراه متسللاً ، وذلك أشبه شيء بحالة السفينة وهيئتها حركاتها حين تتدافعها الأمواج .

(١) تقض ثوب ، والنزو الوثوب والرياح كرمان ، ويختلف القراء أو الفصيل ، والكرع ماء السماء ، وخلا فعل ماض .

وكما يقع التركيب في هيئة الحركة ، قد يقع في هيئة السكون ، كقول أبي الطيب في صفة الكلب :

يقعى جلوس البدى المصطلي باربع مجدولة لم تجدى^(١)

فلم يفل التشبيه حظاً من الحسن إلا لما فيه من التفصيل من حيث كان لكل عضو من أعضاء الكلب في إقعاده موقع خاص ، وكان مجموع تلك الجهات في حم أشكال مختلفة تؤلف منها صورة خاصة ، وكذلك صورة جلوس البدوي عند الأصطلاه .

والمركب العقلي كحرمان الانتقام بأبلغ تأفع مع تحمل التعب في استصحابه في قوله تعالى : ﴿مَثُلُّ الذِّينَ حَمَلُوا التُّورَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٢) ، فالتشبيه منزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، ذلك أنه روعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول أو عينة العلوم ومستودع ثمار العقول ، وأن الحمار جاهل لما فيها ، فلا حظ له إلا أن يشق عليه الحمل أو يكدر جنبية ، وكذا في جانب المشبه ، فقد روعي أنهم فعلوا فعلاً مخصوصاً هو الحمل المعنوي ، وكون المحمول أو عينة العلوم وكونهم جاهلين لما فيها .

(تشبيه) قد تقع بعد أدلة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعًا من جميعها ، كقوله :

كما أبرقت قوماً عطاشًا غمامه فلما رأوها أقشعت وتجلت^(٣)

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه ، لا حاجة به إلى الثاني ، على أن المراد به ظهور أمر مطعم له هو شديد الحاجة إليه ،

(١) الأقعاد الجلوس على الآيتين ، والاصطلاه الاستدفاء بالنار ، ومجدولة محكمة الخلق لم يحد لها انسان ، والغرض مدح الكلب بشدة الحرص .

(٢) سورة الجمعة الآية ٥ .

(٣) أقشعت اضمحلت وذهب ، وأبرقت قوماً أى لقوم ، ففي الأساس : أبرقت لي فلانة إذا لحسست لك وتعرضت ، وعطاش جمع عطشان . رقبه : لقد أطمعتني بالوصال نبساً وبعد رجائي أعرضت وتولت

لكن، بعد التأمل، يظهر أن مقصد الشاعر أن يثبت ابتداء مطمعاً متصلة بانتهاء مؤيس، وذلك يتوقف على البيت كله.

وهذا بخلاف التشبيهات الجمجمة في نحو : محمد كالأسد ، والسيف والبحر ، فإن المقصد فيها التشبيه بكل واحد على حدته ، حق لو حذف بعضها ، لا يتغيرباقي في إفادته معناه ، بخلاف المركب ، فإن المقصود يختل باسقاط بعض الأمور ، كما أنه لو قدم بعضها وأخر بعضها الآخر لا يتغير المعنى ، إذ ليس هذه التشبيهات نسق مخصوص ، ولا ترتيب معين^(١) بخلاف المركب .

والمتعدد الحسي : كالموت والطعم والرائحة ، في تشبيه النبق الكبير بالتفاح في هذه الأمور الثلاثة .

والمتعدد العقلي : كحدة النظر وكمال الخدر وإخفاء السفاد ، عند تشبيه طائر بالغراب ، فيما ذكر .

والمتعدد المختلف ، كحسن الطلعة ونباهة الشأن عند تشبيه إنسان بالشمس ، وأعلم أنه قد ينتزع التشبيه من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه ، فينزل التضاد منزلة التناصب ، فيشبه أحد الضدين بالآخر ، للتلميح والظرفية ، أو للتمكّم والاستهزاء ، كما يشبه بخيل بحاتم ، وعي بقُسْ في الفصاحة ، كما قال الإمام المرزوقي ، وفي قول شقيق الأستاذي :

أثاني من أبي أنس وعبيد فسل لفيظه الضحاك جسمى^(٢)
إن قائل هذا البيت قصد به الاستهزاء والتلميح بما يستظرفه السامعون .

البحث السادس في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه إلى تمثيل وغيره

التمثيل تشبيه وجه متزرع من متعدد أمرین ، أو أمرور ، كقوله :
وكان النجوم والليل داج نقش عاج يلوح في سقف ساج^(٣)

(١) فقد ظهر من هذا أن التشبيهات الجمجمة تفارق التشبيه المركب في أمرین : الأول أنه لا يحب فيها ترتيب خاص ، والثاني أنه إذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقي في إفادته ما كان ي匪ده قبل الحذف .

(٢) الوعيد التعريف ، وصل ذات ، وهو بصيغة المبني للجهول ، والضحاك هو أبو أنس ، وهو بالجز بدل من الماء ، ففيه إظهار في موضع الاضمار زيادة الاستهزاء لذكره باسمه العلم .

(٣) الساج : شجر يثبت ببلاد الهند .

فوجه الشبه هيئه مأخوذة من أشياء بيضاء مستديرة لامعة في وسط شيء أسود، وكقوله تعالى: ﴿وَمِثْلَهُمْ كُثُرٌ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُوهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾^(١) فقد شبّه حال المنافقين بحال مَنْ استوقد ناراً إلى آخر هذه الآية، يحاجم الطمع في حصول شيء يبشرت أسبابه وهىئت وسائله، ثم تلا ذلك الحرمان والحقيقة لانقلاب الأسباب وتقويض أركانها رأساً إلى عقب، وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك، نحو: فلان كالسيف في الماء.

الفرق بين التشبيه والتتمثيل

التشبيه أعم من التمثيل، فكل تمثيل تشبيه دون عكس إذ التمثيل مختص بما كان وجه الشبه فيه منتزعأ من متعدد.

ولتتمثيل موقمان:

١ - أن يكون في مفتاح الكلام فيكون قياساً موضحاً وبرهاناً مصاحباً، وهو كثير جداً في القرآن الكريم نحو: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يَنْسُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُثُرٌ حَبَّةُ أَبْيَتٍ سَبْعُ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَبَلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٍ﴾^(٢).

٢ - ما يحييه بعد تمام المعاني لإيضاحها وتقريرها فيشبه البرهان الذي ثبت به الدعوى، كقول أبي العتاهية:

إن السفينة لا تجري على اليأس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

تأثير التمثيل في النفس

إذا وقع التمثيل في صدر القول بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاءً مؤيداً بالبرهان، وإذا أتى بعد استيفاء المعاني كان:

١ - إما دليلاً على إمكانها، كقول المتنبي:

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْمَيِّشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدُنَ الْذَّهَبِ الرَّغَامِ

٢ - أو تأييداً للمعنى الثابت، كقوله:

وَنَارٌ لَوْ نَفَخْتُ بِهَا أَضَاءَتْ وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفَخُ فِي رَمَادٍ

(١) سورة البقرة الآية ١٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦١ .

وهو في كلتا الحالين يكسب المعاني منقبة ، ويرفع قدرها ، ويحمل لها في القلوب هزة وارتيحاً، فإنك اذا تأملت حالك وحال المعنى قبل التمثيل وبعده توى بوناً شاسعاً ومسافة الخلاف متسمة ، ألا تراك تخس الفرق بين أن تقول : أرى قوماً لهم بهاء ومنظر وليس لهم خبر ، وأن تنشد قول الشاعر :

في شجر السرو منهم مثل . له رُواه وما له ثُر^(١)

فإن جاء في باب المدح كسا المعنى حالة من الفخامة وقضى المادح بغير المناسع
كت قوله :

فقي عيش في معروفة بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعما

وإن جاء في باب الذم كان وقعة أشد وحده ، كقوله تعالى : ﴿فِيأوْتِي الْآيَاتِ فَانسْلَخَ مِنْهَا﴾ ﴿مُثْلَهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يُلْهَثُ أَوْ تُنْتَرِكُهُ يُلْهَثُ﴾^(٢) .
وإن جاء في مقام الاحتجاج كان ساطع البرهان باهر البيان ، كقوله تعالى :
﴿مُثْلَهُ كَمِثْلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنْ أَوْهَنَ الْبَيْتَ لَبَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون﴾^(٣) .

وإن جاء في مقام الوعظ كان أبلغ في التنبيه والزجر ، كقوله تعالى في وصف
نعم الدين : ﴿كَمِثْلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نِبَاتَهُ ثُمَّ يَبْيَحُ فَتَرَاهُ مَصْفَرًا يَكُونُ حَطَامًا﴾^(٤) .

وإن جاء في موضع الاعتذار خلب القلب وسحر الاب وسل السخيمة وأزال
الموجدة والضفينة ، كقول المتنبي :

فَالظِّيرُ يَرْقُضُ مَذْبُوحًا مِنَ الْأَلْمِ لا تَحْسِبُوا أَنْ رَقْصِي بَيْنَكُمْ طَرِيَا

وهكذا حاله في كل فنون القول وضرور الكلام ، ولا سيما باب الوصف ،
كت قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا كَلْمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابَتْ وَفَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ تَوْتِي أَكْلَهَا كَلْمَةً حِينَ يَأْذِنُ رَبِّهَا﴾^(٥) .

(١) هو قبيلة الصفاصاف .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٦ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤١ .

(٤) سورة الحديد الآية ٢٠ .

(٥) سورة إبراهيم الآية ٢٢ .

وقول الشاعر :

والليل تجري الدراري في مجرته كالروض تطفو على نهر أزاهره

المبحث السابع في تقسيم التشبيه
باعتبار الوجه الى مجمل مفصل

فالمجمل هو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه ، وهو قسان :

١ - ظاهر يفهمه كل أحد لأن يشبه الشيء اذا استدار بالكرة في وجه
والحلقة في وجه آخر ، وكتلاته :

إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

٢ - خفي لا يعرف المقصود منه ببدائية السمع ، بل يحتاج الى تأويل كقول
كعب بن معدان الأشعري في وصفبني المطلب (هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين
طرفها) ، فهذا يحتاج الى فضل تأمل ورفق ، ولا يفهمه إلا من ارتفع عن طبقة
العامة ودخل في عداد الخاصة .

ومن الجمل ما ذكر معه وصف المشبه به ، كقول زياد الأعمجم :

وابنا وما تلقى لنا إن هجوتنا لکالبحر منها تلقى في البحر يفرق

أو وصفها مما ، كقول أبي تمام يدح الحسن بن رجاء :

ستصبح العيس بي والليل عند فق ^٦ كثير ذكر الرضا في ساعة الغضب

صادفت عنه ولم تصدف مواهبه عني وعاوده ظني فلم يخرب

كالغيث إن جئته وافساك ريقه وإن ترحلت عنه لرج في الطلب ^(١)

فقد وصف المشبه ، أعني المدوح ، بأن عطایاه فائضة عليه ، أعرض أو لم
يعرض ، ووصف المشبه ، أعني الغيث ، بأنه يصيبك ، جئته أو ترحلت عنه ،
والوصنان دالان على وجه الشبه ، أعني الإفاضة ، في حالي الطلب وعدمه ،
وحالتي الإقبال عليه والإعراض عنه .

(١) العيس ابل ابيض ، والليل أي سيره ، صادفت أعرضت ، والريق من كل شيء ، أفضله
وترحلت تباعدت ، ولرج تمادي . وقد تركنا ما ذكر معه وصف المشبه فقط لعدم الظفر به
بمثال عربي مسموع .

والمفصل ما ذكر^(١) فيه وجه الشبه أو ذكر فيه مكان الوجه أمر يستلزم
فالأول نحو :

يا هلاً يدعى أبوه هلاً جل باريك في الورى وتعالى
أنت بدر حسناً وشمس علواً رحسم حزماً وبحر نوالاً

والثاني كقولهم للألفاظ إذا وجدوها لا تنتقل على اللسان ولا تبعد دلالتها
على معانها ، وهي كالعسل حلاوة ، وكلام سلاسة ، وكالنسم رقة .

والمجامع في الحقيقة لازم الحلاوة ، وهو ميل الطبع ولازم السلاسة والرقة ،
وهو نشاط النفس وانتعاشها .

المبحث الثامن في تفسير التشبيه باعتبار الوجه الى قريب مبتذر وبعيد غريب

فالقريب المبتذر هو ما ينتقل فيه المشبه الى المشبه به من غير تدقير
لظهور وجه الشبه بادىء ذي بدء ، فيسهل تداوله بين العامة والخاصة ، كما اذا
نظرت الى السيف الصقيل عند سله وبريق لمعانه ، لم يتبعك عنك أن تذكر
لمعان البرق .

وسبب ظهوره أحد أمرين :

١ - كونه امراً جلياً لا تفصيل فيه ، فإن الجملة أسبق إلى النفس من التفصيل
إذ الرؤية تصل إلى الوصف أولًا على الجملة ثم يتلوها التفصيل ، لا ترى أن السمع
يدرك من تفاصيل الصوت ، والذوق يدرك من تفاصيل المذاق في المرة الثانية
ما لا يدركه في المرة الأولى .

٢ - كونه^(٢) قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن ، إما مطابقاً
لتكرره على الحسن ، كما تقدم من تشبيه الشمس بالمرآة الجلدة ، وإما عند حضور
المشبه ، لقرب المناسبة ، كما تشبه الضبة الكبيرة السوداء بالإجاصة في الشكل
والمقدار ، والجرة الصغيرة بالكوز .

(١) على جهة التمييز أو الجبر بفي .

(٢) أي ليس جلياً ، بل فيه تفصيل ، لكنه قليل .

والبعيد الغريب ما يحتاج في الانتقال من المشبه الى المشبه به الى فكر ودقة
نظر ، لففاء وجهه .

وسبب خفاء الوجه (١) أحد أمرين :

١ - كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرأة في كف الأشل ،
فإن هذه الهيئة لا تقوم في نفس الرأي المرأة الدائمة الاضطراب ، إلا أن يتمهل
في نظره ويستأنف التأمل ملياً حتى يتجلّى له وجه الشبه فيها .

٢ - ندور حضور المشبه به في الذهن ، إما عند حضور المشبه بعد المناسبة
بينهما ، كما في تشبيه البنفسج بنار الكبريت ، وإما مطلقاً لكونه وهما كما سبق
من تشبيه نصاب السهام بأنبياب الأغوال ، أو مركباً خيالياً كما مر من تشبيه
الشقيق بأعلام الياقوت المنشورة على رماح من زبرجد ، أو مركباً عقلياً كما في
تشبيه مثل أخبار اليهود بمثل الحمار يحمل أمصاراً .

نبهات

١ - يراد بالتفصيل أن ينظر في الأوصاف واحداً فواحداً ، ويفصل بعضها
من بعض بعده التأمل ، وينظر في الشيء الواحد لغير جهة ، ويقع ذلك على
ضروب ، أشهرها :

(أ) أن يؤخذ بعض ويترك بعض ، كما فعل أمرؤ القيس في قوله :

حملت رُدينياً كان سنانه سناً هب لم يتصل بدخان (٢)

فقد اعتبر في اللب والشكل واللون والمعان ، ونفى اتصاله بالدخان .

(ب) أن يعتبر الجميع ، كما فعل الآخر في قوله (وقد تقدم) :

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحيةة حين نورا

(١) خلاصة ذلك أن الوجه يكون قريباً إذا كان مفرداً أو متعددأ أو مركباً حسياً ابتذل
بكثرة الاستعمال ويكون غريباً إذا كان وهماً أو خيالياً أو مركباً حسياً يجري على ألسنة خاصة
أو نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه .

(٢) الرديني: رمح منسوب لردينه ، وهي امرأة صناع كانت تعجّد صنع الرماح ، والسنـا
الضوء والاشراق .

فإنه قد لاحظ في الأنجام الشكل والمقدار واللون واجتاعها على مسافة
خصوص في القرب ، ثم نظر إلى مثل ذلك في العنقود المنور من الملاحة .

وكما كان التركيب (خيالياً كان أو عقلياً) من أمور أكثر كان التشبيه أبعد
لكون تفاصيله أكثر .

٢ - التشبيه البليغ هو بعيد الغريب لغرابته ، ولأن الشيء إذا نيل بعده
طول الاستياق إليه كان نيله أحلى وموقعه من النفس ألطاف ، كما قال الماحظ:
يذكر ما في الفكر والنظر من الفضيلة ، وأن تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع
بلطع ^(١) الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء ، ومن افتتاح باب العلم بعد
إدمان قرعه .

٣ - ربما تصرف الفطن الحاذق بصنعة الكلام في الترثي المبتذل فجعله بدليماً
نادراً وغريباً لا ترتقي إليه أفكار العامة ، كأن يشترط في قوام التشبيه وجود
وصف لم يكن ، وانتفاء وصف قد كان ولو ادعاء ، ويسمى التشبيه المشروط ،
وذلك على ضروب ، منها :

١ - أن يكون كقول المتنبي :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء ^(٢)
فتتشبيه الحسناء بالشمس مطروق مبتذل يستوي فيه الخاصة وال العامة ، لكن
حديث الحياة وما فيه من الدقة والخفاء أخرجه من الابتذال إلى الغرابة وشبه به
قول أبي نواس :

إن السحاب لتستحي إذا نظرت إلى ندىك فقامته بما فيه
حقر تهم باقلاع فيمنعها خوف من السخط من إجلال منشها

٢ - أن يكون كقول الوطواط :

عزماته مثل النجوم ثوابقاً لو لم يكن للثاقبات أفو ^(٣)

(١) لطع : لحسن .

(٢) تلق إما بمعنى تبصر ، فالتشبيه غير مصريح به ، وإما من لقيته بمعنى قابلته وعارضته ،
 فهو فعل يدل على التشبيه ، وهو تشبيه مقلوب ، إذ المقصود تشبيه الوجه بالشمس ، لا العكس .
(٣) العزمات جمع عزمه ، وهي الرأة من العزم ، والثوابق اللوامع .

فقد شرط ل تمام المهاة بين النجوم وبذنه عدم مغيبها ، ونظيره قول البديع
المداني :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكتاً لو كان طلق المحبسا يطر الذهبا

٣ - أن يكون كقول ابن بابك :

ألا يا رياض الحزن من أبرق الحمى نسيمك مسروق ووصفك منتقل حكيمت أبا سعد فنشرك نشره ولكن له صدق الهوى والك امل

٤ - أن يجمع بين عدة تشبيهات فيزداد بذلك لطفاً وعراية ، ك قوله :
كأنما يبسم عن لولو أو فضة أو برد أو أفالح

المبحث التاسع في الكلام على أدوات التشبيه

أدوات التشبيه هي : الكاف ، وكأن ، ومثل ، ونحوها مما يفيد معنى المهاة والمشابهة ، نحو : فجعلهم كعصف ماكول ، كأنهم الياقوت والمرجان ، وإنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء .. إلى آخر الآية .

ويفرق بين الكاف وكان بوجوه :

(أ) أن الكاف يليها المشبه به ^(١) ، وكأن يليها المشبه ، نحو :

الخليم كالجليل في سكونه كانك سمحان فصاحة

(ب) أن الكاف تدل داعماً على التشبيه ، وكأن تقييد التشبيه ، إذا كان خبراً جاماً أو مولاً به ، نحو :

وكان دجلة إذ تلاظم موجهاً ملك يعظم خيفـة ويبـجل
وتفيد الشك إذا كان خبراً مشتقاً ، نحو :

كأنك قائم فيهم خطيبـاً وكلهم قيـام للصلة

(ج) التشبيه بكلأن أبلغ من التشبيه بالكاف ، لما فيه من التوكيد ، لتركها من : الكاف ، وأن .

(١) قد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركباً نحو : واصرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء .. الآية ، إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا ، ولا بمفرد آخر يتعمل تقدره بل المراد تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها وما يعقبها من الملائكة والفناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن.

وقد ينوب عن الأداة ويفني عنها فعل من أفعال اليقين^(١) أو الرجحان كعلم وظن وحسب ، ويكون مبنئاً عن حال التشبيه فيقرب أو البعاد ، ولا يعتبر أداء ، بل الأداة مخنوقة ، كقوله :

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها سجناً مزرودة على أقوسها^(٤)

المبحث العاشر في تقسيم التشبيه باعتبار الأداة

ينقسم التشيه باعتباره الأداة إلى:

١- مؤكدة ، وهو ما حذفت أداته ، نحو: وهي تقر من السحاب . وقوله :

هم البحور عطاء حين تلقاءم بهم (٣) وفي اللقاء اذا تلقاءم بهم

ومنه ما أضف المشه به إلى المشه ، كقوله :

فلا ينضم مصابيح آراء الرجال إلى مصابيح رأيك ترده ضوء مصباح

٢ - مرسل ، وهو ما ذكرت فيه الأداة ، نحو:

كان عنوان الترجح الفرض حولنا مداهن در حشو هن عقیق

التشبيه البليغ (٤)

هو ما ذكر فيه الطرفان فقط وحذف منه الوجه والأداة، وسبب تسميتها بذلك أن حذف الوجه والأداة يوم اتحاد الطرفين وعدم تقاضلها فييلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه، أما ذكر الأداة فيفيد ضعف المشبه وعدم إلحاقه بالمشبه به، كما أن ذكر الوجه يقيد تقييد التشبيه وحصره في جهة واحدة.

ومن أمثلته ما يأتى :

(١٠) إذا دعى فيه كمال المشابهة وألفاظ الرجحان أن يعد التشبيه ، لما في المسبان ونحوه من عدم التقى .

(٤) الدرع ثوب ينسج من زود الحديد يلبس في الحرب للوقاية ، والسحب : جمع سحابة ، والمرددة التسويقة .

(٣) **السم:** حجم بهمة ، وهو الشجاع الذي يستهم على أفراده مأثاره .

(٤) هذه طريقة لبعضهم ، وتقدم أن بعضهم يسمى التشبيه البعيد الغريب بالبلieve .

فالأرض ياقوته والجو لؤلؤه
طعن بدوراً وانقبنَ أهلة
فاقتوا مأربكم عجلاً إنما
والنبت فيروزج والماء يلور
ومسن غصوناً والتقطن جاذراً
أعماكم سفر من الأسفار

التشبيه الضمني^(١)

هو ما لم يصرح فيه بأركان التشبيه على الطريقة المعلومة ، بل يفهم من معنى الكلام وسياق الحديث كقوله :

علا فما يستقر المال في يده وكيف تمسك ماء قنة الجبل
فإنه قد شبه المدوح المفهوم من ضمير علا بقنة الجبل ووجه الشبه عدم
استقرار شيء والأداة مذوفة ، ونحوه قول المتنبي :

فإن تدق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الفزال
وقول الطغراطي :

مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع
والشمس رأد الضحي كالشمس في الطفل^(٢)

المبحث الحادي عشر في الفرض من التشبيه

الفرض من التشبيه وهو الإيضاح والبيان مع الإيجاز والاختصار يعود في
الأغلب (في التشبيه غير المقلوب) إلى المشبه لوجهه ، منها :
١ - بيان إمكانه ، إذا كان أمراً غريباً لا يمكن فهمه وتصوره إلا بالمثال ،
قول البغتري :

دونت قواسمها وعلوت مجداً فشأنك الخدار وارتفاع
كذلك الشمس تبعد أن تسامي ويدنو الضوء منها والشمام
فحين أثبت للدوح صفتين متناقضتين ، هما القرب والبعد ، وكان ذلك
غير ممكن في مجرى العرف والمادة ، ضرب لذلك المثل بالشمس ، ليبين إمكان
ما قال .

(١) سمي ضمنياً لأنه يفهم ضمن القول وسياق الكلام .

(٢) شرع أي سواء ، ورأد الضحي : ارتفاعه ، والطفل : أحمرار الشمس عند الغروب .

٢ - بيان حاله ، إذا كان غير معروف الصفة قبل التشبيه ، كقول النابغة
بعد النعيمان :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منها كوكب
فالوجه عظم حال النعيمان وصغر حال الملوك الآخرين إذا قيسوا به .

ويكثر استعماله على هذا النحو في العلوم والفنون الابصريات والبيان لتقرير
الحقائق إلى ذهان المتعلمين ، كما يقال لهم : الأرض كالكرة ، والذئب كالكلب
في الحجم .

٣ - بيان مقدار حاله في القوة والضعف إذا كان معروفاً الصفة قبل التشبيه
فبه يعرف مقدار نصيبيه ، كقول الأعشى :

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل^(١)

٤ - تقرير حاله في نفس السامع ، بإبرازها فيما هي فيه أظهر وأقوى ،
ويكثر في تشبيه الأمور المعنوية بأخرى تدرك بالحس كقوله للشتمل بما لا فائدة
فيه : أنت كالرافق على الماء ، إذ بالتشبيه يظهر أنه قد بلغ من الحكمة أقصى الغاية
وكون المتبني :

من بين يسلل الهوان عليه ما لجرح بيت إيلام^(٢)
وقوله :

إن القلوب إذا قنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يخبر

٥ - تزيين المشبه وتحسين حاله ليرغبه فيه ، كقول ابن المعتر يصف الملال :

أهلا بفطر قد أنوار هلاه فالآن فاغد على الشراب وبذكر
انظر اليه كزورق من فضة قد أنقلته حولة من عنبر^(٣)

٦ - تشويه المشبه وذمه ليمكره ويُرثب عنه ، نحو :
كلف في شحوب وجهك يمحكي نكتنا فوق وجنة برصاده

(١) الريث : البطء .

(٢) فيه تشبيه ضمفي إذ قد شبه حال من يقبل الهوان بحال الميت يجتمع عدم التأثير ، وذلك
مفهوم ضمناً .

(٣) الحولة : ما يحمل فيه ويوضع ، والوجه وجود شيء أسود في داخل شيء أبيض .

وقوله في ذم القصر :

وتروي أناملها دبت على أبو قارها كخناق دبت على أوتارها

٧ - استطرافه وجعله مستحدثاً بديعاً إما لبرازه في صورة ما ينتفع عادة كما يشبه الجل الموقد ببحر من المسك موجه الذهب وإما لن دور حضور المشبه به في النفس عند حضور المشبه كقولي ابن الرومي في تشبيه بنفسجة :

واللazorدية تزهو و بزرقتها بين الرياض على حمر الواقعية
كأنها بين قامات ضعفنا بها أوائل النار في أطراف كبريت^(١)

قال الإمام عبد القاهر: فقد أراك شبهاً لنبات غض يرف^(٢) وأوراق وطنية من هب نار في جسم مستول عليه ليس ، ومبني الطباع وموضع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يழد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بعدهن له كانت صيانة النقوس به أكثر وكان الشفف به أجدر .

ونحوه قول عدي ابن الرفاعي يصف قرن غنان :

ترجي أغنى إبرة رَوْقَه قلم أصاب من الدواة مداها

وقد يعكس التشبيه (فيجعل المشبه مشبهاً به وبالعكس) ، وعندئذ يجعل الأصل فرعاً ، والفرع أصلاً ، ويشبه الزائد بالناقص للبالغة ، وإيمان أن المشبه أقوى وأتم من المشبه به في وجه الشبه ، فتعمد الفائدة حينئذ إلى المشبه به لا إلى المشبه ، كقول محمد ابن وَهَبِيب يدح المأمون :

وبدا الصباح كان غرقه وجه الخليفة حين يتدرج^(٣)

فقد جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأتم من غرة الصباح في الإشراق وللضياء ، وقوله :

وأرض كأخلاق الكريم قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصرها

(١) الراو واد رب ، واللazorدية أزهار من البنفسج ، وحمر الواقعية الأزهار ، والقامات السican ، وضعن بها : أي ضعن عن حملها .

(٢) يرف : يبتر .

(٣) في قوله يتدرج : دلالة على اتساع المدرج بمعرفة حق الماد وتعظيم شأنه لدى الحاضرين بالاصفاء اليه حيث يرتاح لساع المدائح وتظهر عليه علامات البشر والسرور .

وذلك أنه لما رأى استمرار وصف الأخلاق بالضيق وبالسعة ، تعمد تشبيه الأرض الواسعة بخلق الكرم بادعاء أنه في السعة أكمل من الأرض المتباudeة الأطراف ، وقوله تعالى حكاية عن مستحلي الربا: إنما البيع ' مثل الربا' ، إذ مقتضي الظاهر أن يقال : إنما الربا مثل البيع ، لكنهم خالفوا ذلك ذهاباً منهم إلى جعل الربا في الحال أقوى حالاً من البيع .

ومنه قول البحتري :

في طلعة البدر شيء من حasanها
والقضيب نصيب من ثنيها
وقوله في وصف بركة الموكل:
كأنها حين لجت في تدفقها
يد الخليفة لما سال وادها

وكل هذا إذا أريد إلهاق الناقص في وجه الشبهحقيقة ، أو ادعاء بالزائد فيه فإن أريد مجرد الجمع بين شيئاً في أمر جاز التشبيه ، ولكن الأحسن تركه والعدول إلى التشابه ليكون كل من الطرفين مشبهًا ومشبهًا به احترازاً من ترجيح أحد المتساوين على الآخر ، كما فعل أبو إسحاق الصابي في قوله :

تشابه دمعي إذ جرى ومداعتي فن مثل ما في الكاس عيني تسكب
فواش ما أدرى أبا الخمر أسلبت جفوني أم من عبرني كنت أشرب^(١)
ويجوز التشبيه أيضاً كتشبيهم غرة الفرس بالصبح وعكسه متى أريد ظهور
منير في مظلم أكثر منه ، من غير قصد ، إلى المبالغة في وصف الفرة بالضياء
وفرط التلاؤ ، ونحو ذلك ، وتشبيه الشمن بالمرأة الجلوة ، أو الدينار الخارج
من السكّة ، كما قال ابن المعتر :

وكان الشمس المنيرة دينا رجلته حدائق الضراب
وعكسه متى أريد استدارة متلائمه تتضمن لخصوص في اللون ، وإن عزم
التفاوت بين نور الشمس ونور المرأة ، والدينار وبين الجرمين ، إذ ليس شيء من
ذلك بمنظور إليه في التشبيه .

(١) سكب الدمع : إرساله ، وأسبل الدمع والمطر إذا هطل .

المبحث الثاني عشر في أقسام التشبيه باعتبار الفرض

ينقسم التشبيه باعتبار الفرض الى : حسن وقبيح ، أو : مقبول ومردود :

١ - فالحسن هو الباقي^(١) بإفاده الفرض المطلوب منه ، وذلك هو النمط الذي تسمى فيه نفوس البلغاء ، كقول امرئ القيس يصف فرساً :

على الذبل جياش^{*} كان اهتزامه إذا جاش فيه حمية على مرجل^(٢)

وقول ابن نباتة في وصف فرس آخر أبلق :

وكانا لطم الصباح^{*} جيبيـه فاقتصر منه فخاض في أحشائه
وقول الآخر :

نشرت إلى غداة من شعرها حذر الكواش والعد والموبق

فكأنـي وـكأنـها وـكأنـه صبحان بـأنا تـحت لـيل مـطبق^(٣)

٢ - والقبيح هو مـا لم يـف بالـفرض لـعدم وجود وجـه شبـه بينـ الشـبهـ والمـشبـهـ ، أو مع وجـودـهـ ، لكنـ علىـ بـعـدـ ، وما أـحقـ مـثـلـ هـذـاـ بالـاستـكـراـهـ والـذـمـ ، وأـيـ شـيـ أولـيـ بنـفـورـ الطـبـعـ السـلـيمـ مـنـهـ ، وذلكـ كـقولـ أبيـ نـواسـ يـصـفـ الخـمـرـ :

وإذا ما المـاءـ وـاقـعـهـ أـظـهـرـتـ شـكـلاـ منـ الفـزـلـ
لـؤـلـؤـاتـ يـنـحدـرـنـ بـهـاـ كـأـخـدـارـ الذـرـ منـ جـبـلـ

فـهـذـاـ تـشـبـيهـ بـعـيدـ رـكـيـكـ ، غـثـ اللـفـظـ بـشـعـهـ ، فـهـوـ قـدـ شبـهـ الحـبـ بـنـملـ صـغارـ
يـنـحدـرـ مـنـ جـبـلـ ، وـشـبـيهـ بـهـ قولـ الفـرـزـدقـ :

يـشـونـ فيـ حلـقـ الـحـدـيدـ كـماـ مـشـتـ جـربـ الجـالـ بـهـ الـكـعـيلـ المـشـعلـ^(٤)

(١) وذلكـ بـأنـ يـكونـ الشـبـهـ بـهـ أـعـرـفـ يـوجـهـ الشـبـهـ إـذـاـ كـانـ الفـرـضـ بـيـانـ حـالـ الشـبـهـ أـوـ
مـقـدـارـ الـحـالـ ، أوـ أـقـمـ شـيـ فيهـ إـذـاـ قـصـدـ إـلـاـقـ النـاقـصـ بـالـكـاملـ ، أوـ مـسـلـ الـحـكـمـ مـعـرـفـاـ عندـ
الـمـخـاطـبـ إـذـاـ كـانـ التـرـضـ بـيـانـ إـمـكـانـ الـوـجـودـ .

(٢) الذـبـلـ وـالـذـبـولـ : الضـمـورـ وـقـلـةـ الـلـعـمـ ، وـالـاهـتزـامـ : التـكـرـ ، وـالـحـمـىـ : حرـارةـ الـقـبـيطـ ،
وـالـرـجـلـ : الـقـدرـ .

(٣) الكـاشـحـ الـذـيـ يـضـمـرـ العـدـادـ ، وـالـمـوـبـقـ الـمـلـكـ .

(٤) الـكـعـيلـ : الـقـطـرانـ ، تـطـلـ بـهـ الـأـبـلـ ، وـالـمـشـعلـ : الـكـثـيرـ .

فقد شبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب ، وذلك من بعد بعكان لأنه إن أراد السواد فلا مقاربة بينها فيه ، فإن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئاً آخر فليس بواضح مع ما فيه من السخيف ، ونحوه قول المتنبي :
وجري على الورق النجيع القافني فكأنه النارنج في الأغصان⁽¹¹⁾
إذ لا مشاكلة بين لون الدم ولون النارنج .

تذییل

وفہ امران :

١- التشبيه ، باعتبار المبالغة أقسام ثلاثة :

(أ) أعلاها ما حذف فيه الوجه والأداة ، نحو : محمد أسد .

(ب) المتوسط في المبالغة ، وهو ما حذف فيه الوجه ، أو الأداة ، نحو:
علي كالبدر ، أو : علي بدر في الحسن والبهاء .

(ج) أدناها ما ذكر فيه الوجه والأداة ، نحو: على كالأسد في الشجاعة .

ذلك أن القوة إما بعموم وجه الشبه ظاهراً^(٢)، أو بحمل المشبه به على المشبه وإيمان أنه هو، فما استعمل على الوجهين معاً فهو في غاية القوة، وهو القسم الأول، وما خلا منها معاً، فلا قوّة له، وهو القسم الثالث، وما استعمل على أحد هما فقط فهو متوسط ، وهو القسم الثاني .

٢- اختلف القوم في التشبيه ، أبعد من المجاز أم لا ؟ فأهل التحقيق قالوا :
الطرفان مستعمل في موضوعه .

وذهب ابن الأثير إلى أنه بمحاذ وحجته أن مضمراً الأداة من التشبيه معدود في الاستعارة فيجب أن يكون مظاهرها كذلك إذا لا فرق بينها إلا بظهور الأداة وظهورها إن لم يزده قوة ودخولها في المجاز لم يكن مخرجاً له عن سنته ، كذا في «الطراز» يتصرف .

(١) التبييم : الدم الطري ، يريد أنه جرث دماء القتلى على ورق الشجر .

(٢) إنما قلنا ظاهراً لأن الوسيلة بد أن يكون صفة خاصة قصد اشتراك الطرفين فيها كالشجاعة ونحوها ، لكن قوله : كالأسد ، يفيد أن وجه الشبه عام في أوصاف كثيرة ، كالشجاعة والمهابة والقوة وكثرة الميراث ، إلى غير ذلك من أوصاف الأسد .

أثر التشبيه في النفس

قال المبرد في «التكامل» : التشبيه جار كثيراً في كلام العرب حتى لو قال
فائل هو أكثر كلامهم لم يبعد ، قال الله عز وجل وله المثل الأعلى في الزجاجة:
﴿كأنها كوبٌ دري﴾ (١) .

وقال أبو هلال في «الصناعتين»: التشبيه يزيد المعنى وضوحاً، ويكتسبه تأكيداً، وهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والمujam عليه، ولم يستفني أحد عنه.

وسر هذا أن للخيال نصيباً كبيراً فيه ، فهو يفتن حتى لا يقف عند غاية ، وأنه يعمل عمل السحر في إضاح المعاني وجلائها ، فهو ينتقل بالنفس من الشيء الذي تجده ، إلى شيء قد يمتص الصحبة ، طويل المعرفة ، وغير خاف ما لهذا من كثير الخطر ، وعظيم الأثر .

انظر قوله **مَلِكُ الْجَنَّةِ** في ذم مَنْ يعلم الخير ولا يعمل به: «مثُلُّ الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ مثُلُّ السَّرَاجِ يَضِيءُ لِلنَّاسِ وَهُوَ يَحْتَرِقُ».

وإنك لترى فيه تشنيع حال من اتصف به ، و كأنك تشاهد النار وهي تعلق به وتأخذ منه بالنواصي والأقدام .

وتأمل قول أبي العلاء المعرى :

أَمْرًا فِي أَدْرَهُ إِنَّ الدَّهْرَ مَطْفَلًا إِنَّ الشَّبَابَةَ تَارٍ إِنْ أَرْدَتْ بَهَا

تجده جعل عزية الشباب الوتابة المتحفزة للعمل كالنار ، يمتد طيبها ، ويشتد
أوارها ، لكنها لا تثبت حتى تخمد جذوها ، وينطفئ ذلك اللهب المتقد ،
ومن ثم طلب الى الشباب البدار الى نيل المأرب ، وعدم التوانى في درك المقاصد .
وإلى قول مهيار الديلمي :

وبعض مودات الرجال عقارب لما تحت ظلماء العقوق دبيب
تره صور بعض المودات بصورة عقارب ، تسير في الظلام على غير هدى ،
وتنفذ سعومها ما استطاعت إلى ذلك سللا .

(١) سورة النور الآية ٣٥ .

وكلما كان عمل الحيوان أكثر ، كانت صورته أعجوبة ، والنفس به أطرب ،
ولن نجد ذلك الروعة وذاك الجمال في تشبيه المحسوسات ببعضها البعض ، فتشبيه
ابن المعز للشمس بالدرهم المضروب في قوله :

وكان الشمس المنيرة دينا رجلته حدائق الضرائب

واللهال بالزورق من الفضة التي حولته من عنبر في قوله :

فانظر اليه كزورق من فضة قد أنقلته حولة من عنبر

أقل جمالاً من ذاك الذي تقدم ، وليس له في النفس أريحية ، ولا تأخذها منه
هزة ، والتشبيهات المستعملة ، في العلوم والفنون ، ما هي إلا وسيلة من وسائل
الإيضاح لكشف ما يخفي من الحقائق .

قال صاحب « الصناعتين » : والطريق المسلوك والمنهج القاصد في التمثيل
عند القدماء والحديثين - تشبيه الجواد بالبحر والمطر ، والشجاع بالأسد ،
والحسن بالشمس والقمر ، والسمم الماضي بالسيف ، والعالي الرقة بالنجم ،
والحليم الرزين بالجبل ، والقاسي بالحديد والصخر ، والبليد بالجماد ،
والشيم بالكلب .

وشهر قوة بخصال محمودة ، فصاروا فيها أعلاماً ، فجروا بمجرى ما قدمناه
كالسموء^(١) في الوفاء ، وحاتم في السخاء ، والأحنف^(٢) في الحلم ، وسجان
في البلاغة ، وقس^(٣) في الخطابة ، ولقمان^(٤) في الحكم .

وآخرون بأضدادها فشبه بهم في حال الندم ، كباقي^(٥) في العي ، وهنقة^(٦)
في الحق ، والكسعي^(٧) في الندم ، ومادر^(٨) في البخل .

(١) هو ابن حبان اليهودي .

(٢) من سادات التابعين .

(٣) هو قيس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب .

(٤) هو حكيم اشتهر باصالة الرأي في القول والعمل .

(٥) اشتهر بالعي وعدم الإبانته عن مواجهه .

(٦) هو يزيد بن ثروان من قيس .

(٧) هو غامد بن الحوش .

(٨) مخارق الهلالي سقى إبله فبقي في المuros قليل فسلح فيه ومدر المuros به .

الرقم	الاسم	المراد	أقسامه باعتباره	المتباه به	أقسامه باعتباره	المتباه	أقسامه باعتبارها	الآلة	الرقم
١	كان حاله بيان مقدار حاله	جعل غير ثليل	سرعة الكسر الجهة والحسن	مفرد محسوس مفرد محسوس	زجاج اللال	محسوس مفرد محسوس مفرد	ضيرونا هالة	مرسل بيانه	كان
٢	بيان حاله	جعل غير ثليل	فقد الاحسن تقى واحد	مركب محسوس	نجوم	قيقد محسوس	بنو نبهان	مرسل	بيان
٣	بيان حاله	جعل ثليل	تقى من بين الابناء	مركب محسوس	صفوف	مركب مفرد مغير	سهلا الخ	مرسل	كان
٤	بيان حاله	جعل غير ثليل	المدابة	مفرد عمس	الشمس	مفرد مغير	علم	مثل	مثل
٥	بيان مقدار حاله بيان مقدار حاله	جعل غير ثليل	لهم الماء	مفرد مغير مفرد محسوس	الليل	مفرد مغير مفرد مغير	الناس	الكاف	عذنة
٦	بيان مقدار حاله بيان مقدار حاله	جعل غير ثليل	سرعة	مفرد محسوس	الليل	مفرد مغير	الباب	مزك	عذنة
٧									

تدريب أول

بين أركان التشبيه وأقسامه باعتبار كل منها فيما يلي :

زجاج ولكن لا يعاد لأسبك
يشابهه حسنها إلا الهلالا
نجوم سماء خر من بينها البدر
صفوف صلاة قام فيها إمامها
والعقل للمرء مثل التاج للملك
حب الرضاع وإن تقطعه ينفطم
أن تسترد فإنهن عوار

- ١ - تحطمنا الأيام حتى كأننا
- ٢ - ولم أر مثل هالة في معد
- ٣ - كأن بني نبهان يوم وفاته
- ٤ - كأن سهلا والنجم وراءه
- ٥ - العلم في الصدر مثل الشمس في الفلك
- ٦ - والنفس كالطفل إن تهمه شب على
- ٧ - وتر أكبوا خيل الشباب وبادروا

تدريب ثان

في باخل ضاعت به الأحساب
يئتك من أنواره الخندسا^(١)
يمحصد من زهر الدجا نرجسا
وإنما صفة بين الورى لمع'

- ١ - وقصائد مثل الرياض أضعتها
- ٢ - انظر الى حسن هلال بدا
كمنجل قد صبغ من فضة
- ٣ - والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر
- ٤ - فإذا ركبت فإني زيد الفوارس في الجلاء
وإذا نطقت فإني قس بن ساعدة الإيادي^(٢)

(١) الخندس : الليل الشديد الظلمة ،

(٢) زيد الفوارس : زيد الحيل ، أحد الصحابة ، كان له خمس أقواس ، سهاد رسول الله :
زيد الحيل ، وقس أحد خطباء العرب .

- ٥ - والبدر في أفق السماء كعادة بيضاء لاحت في ثياب حداد^(١)
- ٦ - والليل في لون الغراب كأنه هو في حلوكته وإن لم ينبع^(٢)
- ٧ - قال عليٌّ كرم الله وجهه : مثل الذي يعلم الخير ، ولا يعمل به ، مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه .
- ٨ - قال صاحب « كلية ودمنة » : الدنيا كلام الملاع ، كلما ازدلت منه شرباً ، ازدلت عطشاً .

الاجابة

- (١) المشبه القصائد ، مفرد محسوس ، المشبه به الرياض مفرد محسوس الأداة مثل ، وهو تشبيه مرسل ، الوجه الحسن والجمال ، مجمل غير تمثيل الفرض تزيين المشبه .
- (٢) المشبه الهلال مفرد محسوس مقيد ، المشبه به المنجل مفرد محسوس مقيد ، الأداة الكاف ، تشبيه مرسل ، الوجه إزالة شيء مظلم ، مجمل غير تمثيل تزيين المشبه .
- (٣) المشبه الدهر مفرد معقول ، المشبه به البحر مفرد محسوس ، الأداة الكاف تشبيه مرسل ، الوجه الكدر غالباً مجمل غير تمثيل ، الفرض بيان حاله .
- (٤) المشبه ضمير المتكلم مفرد محسوس ، المشبه به زيد الفوارس مفرد محسوس والأداة مخدوفة مؤكدة ، الوجه الجlad مفصل غير تمثيل ، الفرض بيان حال المشبه ومثله البيت الثاني .
- (٥) المشبه البدر مفرد مقيد محسوس ، المشبه به حسناء في ثياب حداد مفرد محسوس مقيد ، الأداة الكاف مرسل ، الوجه بياض يعلوه سواد مجمل غير تمثيل والفرض بيان مقدار حال المشبه به ، وهو تشبيه مقلوب .
- (٦) المشبه ضمير الليل مفرد محسوس ، المشبه به الغراب مفرد محسوس ، الأداة كأن ، مرسل ، الوجه الحلوكة والسواد مفصل غير تمثيل ، الفرض بيان مقدار حاله .

(١) الحداد : الحزن .

(٢) التعب : صوت الغراب ، والحلوكة : السوداء .

٧ - المشبه الذي يعلم الخير ولا يعمل به مفرد مقيد محسوس ، المشبه بـ السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه مفرد مقيد محسوس ، الأداة مثل تشبيه مرسل ، الوجه نفع غيره وحرمان نفسه ، مجمل غير تمثيل الفرض تقبیح حال المشبه .

٨ - المشبه الدنيا مفرد محسوس ، المشبه به الماء المالح مفرد مقيد محسوس ، والأداة الكاف وهو تشبيه مرسل ، الوجه عدم الفائدة مجمل غير تمثيل ، الفرض تقبیح حال المشبه .

قرن أول

بين أركان التشبيه وأقسامه باعتبار كل فيما يلي :

- ١ - ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الماء جذوة نار
مشرقـة ليس لها حاجـب
يمـول فيها ذهـب ذاتـب
خلـال نجومـها عنـد الصـباح
ريـاض بنـفسـج خـضـل نـدـاه
تفـتح فـيه أنـوار الأـقـاحـي^(١)
٤ - قال على كرم الله وجهه : إنه لم يبق من الدنيا إلا كثـاخـة راكـب
أو صـرـ حـالـبـ .

٥ - قال صاحب «كليلة ودمنة» : من صنع المعروف لما جـاءـ فهو كـملـقيـ
الـحبـ للـطـيرـ لاـ لـيـنـفـعـهاـ بلـ لـيـصـيـدـهاـ .

- ٦ - فـأنـهـضـ بنـارـ إـلـيـ فـحـمـ كـانـهـاـ
فيـ العـينـ ظـلـمـ وـ إـنـصـافـ قـدـ اـتـقـاـ
فـكـالـلـوـحـوشـ يـدـنـيـهاـ منـ الـأـنـسـ الـحـلـ^(٢)
حدـقـ الـكـلـابـ وـ أـظـهـرـتـ سـيـاهـاـ^(٣)
كـلـيلـ وـ بـدرـ وـ غـصـنـ وـ حـفـ

(١) هـاـ لـابـنـ المـعـزـ فيـ وـصـفـ سـحـابـةـ ، وـقـبـلـهاـ :

وـمـوـقـرـةـ بـثـقـلـ المـاءـ جـامـتـ تـهـادـيـ فـوـقـ أـعـنـاقـ الـرـياـحـ

(٢) الـأـنـسـ مـحـرـ كـاـ منـ تـائـسـ بـهـ جـمـعـهـ آـنـاسـ وـلـفـةـ فيـ الـأـنـسـ ، وـ الـحـلـ : الـجـدـبـ .

(٣) السـيـاهـ وـ السـيـاهـ : الـعـلـامـةـ وـ الـبـيـةـ .

تمرين ثان

- ١ - قال عزبيه : «أمي كالمطر لا يدرى أوله أم آخره» .
- ٢ - ولقد ذكرناك والزمان كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق من كف جمارية مشوقة القدر
- ٣ - فالمطر ياقونة والكأس لؤلؤة
- ٤ - كان أثيراً في عرانيين وبذلك
- ٥ - إني وتزييني بسدحي معشراً
- ٦ - قال صاحب «كليلة ودمنة» : صحبة الأشرار تورث النثر كالريح اذا مرت على النثر حملت نتناً ، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً .
- ٧ - وما منع الصفاينَ مثل ضرب
- ٨ - إذا قامت حاجتها تثبت
- ٩ - ثغر وخد ونهد واحرار يد
- ١٠ ترى منه السواعد كالقلينا^(١)
- ١١ كان عظامها من خيزران كالطلع والورد والرمان والبلح

(١) أثير : جبل ، وعرانيين السحاب أولئك مطره ، والبعاد : كماء مخطط .

(٢) القلة : مضرب الكرة .

الباب الثاني في الحقيقة والمجاز

وفيه عشرون مبحثاً وتنمية

المبحث الأول في أقسام الحقيقة

الحقيقة التي نبحث عنها هنا^(١) ضربان: حقيقة من طريق اللغة، وحقيقة من ناحية المعنى والمقول - بيان هذا أنا إذا وصفنا كلمة مفردة بكونها حقيقة، كما إذا أطلقنا السبع على الحيوان المعروف، واليد على الجارحة المخصوصة، كان ذلك الاطلاق حكماً آتياً من ناحية اللغة، إلا ترى أنا تقول: إن المتكلم استعمل الكلمة فيما وضعت له ابتداء في اللغة، وإذا وصفنا بالحقيقة الجملة من الكلام كان ذلك الوصف آتياً من جانب المقرر دون اللغة، لأن الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث إنها جمل لا يصح ردها إلى اللغة، ولا وجه لنسبتها إلى واضعها، لأن التأليف هو إسناد فعل إلى اسم، أو اسم إلى اسم، وذاك شيء يحصل بقصد المتكلم، فثلاً كتب لا يصير خبراً عن محمد في قوله محمد كتب بوضع اللغة، بل عن قصد إثبات الكتابة فعلاً له، كذا في «أسرار البلاغة» بتصرف.

المبحث الثاني في تعريف الحقيقة

الحقيقة في اللغة فاعل بمعنى فاعل من حق الشيء إذا ثبت، أو بمعنى مفعول من حققت الشيء إذا أثبتته، ثم نقل إلى الكلمة الثابتة أو المثبتة في مكانها الأصلي والثناء فيها للنقل من الوصفية إلى الاسمية.

وقد علمت مما سبق أن الحقيقة التي نبحث عنها ضربان: حقيقة لغوية، وحقيقة عقلية.

(١) أما بقية أنواع المفائق فلا يهم علماء الفصاحة البحث عنها.

١ - فاللغوية هي الكلمة المستعملة فيها وضعت^(١) له في إصلاح التخاطب ، فخرج بقولنا المستعملة الكلمة قبل الاستعمال ، فلا تسمى حقيقة ولا مجازاً ، وبقولنا فيها وضعت له الفلط ، نحو : خذ هذا الكتاب ، مشيراً إلى مسطرة ، والمجاز الذي لم يستعمل فيها وضع له ، لا في اصطلاح التخاطب ، ولا في غيره ، كالأسد المستعمل في الرجل الشجاع ، لأن الاستعارة وإن كانت موضوعة فوضاحتها تأويلي ، أي يحتاج إلى قرينة لاتحقيقي ، والمفهوم من إطلاق الوضع التحقيقي وهو ما كانت الدلالة فيه بنفسه لا بقرينته ، وبقولنا في اصطلاح التخاطب المجاز المستعمل فيها وضع له في اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذي وقع به التخاطب كالزكاة اذا استعملها الشرعي في النماء ، فإنها تكون مجازاً لأنها لفظ استعمل في غير ما وضع له في اصطلاح الشرع ، وهو الجزء المخصوص الذي يؤخذ من المال ، ويعطى للسائل والمحروم ، وإن كان مستعملاً فيها وضع له في اصطلاح اللغة ، فلولا هذا القيد لتناول تعريف الحقيقة والمجاز .

٢ - والعقلية هي إسناد الفعل ، أو ما في معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر ، أي إسناد الفعل ، أو ما في معناه ، وهو المصدر واسم الفاعل ، واسم المفعول والصفة المشبهة ، واسم التفضيل والظرف ، إلى ما هو له عند المتكلم فيما يفهم من ظاهر^(٢) حاله بحال ينصلب قرينة على أنه غير ما هو له في اعتقاده ، ومعنى كونه له أن حقه أن يسند إليه لأنه وصف له وذلك كإسناد الفعل المبني للفاعل إلى الفاعل ، وإسناد الفعل المبني للمفعول ، وستأتي الأمثلة عند ذكر أقسامها ، وهي أربعة :

١ - ما يطابق الواقع والاعتقاد معاً كقول الموحد : خلق الله العالم .

٢ - ما يطابق الواقع دون الاعتقاد ولا يكاد يوجد له مثال ومثلاً له يقول المعتزل من لا يعرفحقيقة حاله وهو يخفيها عنه (خلق الله الأفعال كلها)

(١) الوضع تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه ، فخرج بقولنا بنفسه المجاز ، لأن دلالته بالقرينة ، ودخل المشترك ، لأن قد عين للدلالة على كل من المعنيين بنفسه وعدم فهم أحدهما بالمعنىين لعارض لا ينافي ذلك ، فالقرار ، مثلاً عين مرة للدلالة على الطهير بنفسه وأخرى للدلالة على الحيض بنفسه ، فهو موضوع لكل منها على وجه الاستقلال .

(٢) سيأتي إيضاح ذلك في المجاز .

إذ هو لا يعتقد ذلك ، وإنما يعتقد أن الأفعال الاختيارية مخلوقة بحسب المبد و اختياره .

٣ - ما يطابق الاعتقاد دون الواقع كقول الطبعي ، المنكر لوجود الإله : شفي الطبيب المريض ، وعليه قوله تعالى ، حكاية عن بعض الكفار : ﴿ وَمَا يُلْكِنَا إِلَّا الْدَّهْرُ ﴾^(١) .

٤ - ما لا يطابق شيئاً منها كالأقوال الكاذبة التي يكون المتكلم عالماً بها دون المخاطب ، كها تقول : سافر محمد ، وأنت تعلم أنه لم يسافر ، فلو علم المخاطب كما علمه المتكلم لما تعين كونه حقيقة لجواز^(٢) أن يجعل المتكلم علم السامع بأنه لم يسافر قرينة على عدم إرادة ظاهرة ، فلا يكون إسناداً إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر .

المبحث الثالث في تعريف المجاز وأقسامه

المجاز مفعل واستئنافه من الجواز وهو التعدي من قولهم : جزت موضع كذا ، إذا تعديته ، سبي به المجاز الذي بيانه لأنهم جازوا به موضعه الأصلي ، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً .

وفي الاصطلاح قسمان : مجاز عقلي ، ولغوی ، والأول سنتكلم عنه بعد ، والثاني ضربان : مفرد ومركب ، فالمركب سيفاني بيانه .

والفرد هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب للالحظة علاقة^(٣) بين الثاني والأول مع قرينة^(٤) تمنع إرادة المعنى الأصلي ، كالأسد المستعمل في الشجاع ، والغيث المستعمل في النبات ، فخرج بقولنا : الكلمة المستعملة الكلمة قبل الاستعمال ، فلا هي حقيقة ولا مجاز ، وبقولنا :

(١) سورة الجاثية الآية ٤٤ .

(٢) فيكون مجازاً عقلياً إن كان الاستناد إلى محمد للابسة كان كان محمد سيفانياً في سفر المسافر حقيقة ، أو يكون حقيقة كاذبة إذا كان المتكلم لم يجعل علم السامع قرينة على أنه لم يرد ظاهره .

(٣) هي بفتح العين على الأقصى ، وسميت كذلك لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالمعنى الأول .

(٤) هي ما يفصح عن المراد من اللفظ وسيأتي أنها نارة تكون لفظاً وتارة تكون غيره .

في غير ما وضعت له الحقيقة ، وبقولنا : في اصطلاح التخاطب الحقيقة التي لها معنى آخر في اصطلاح التخاطب كالزكاة إذا استعملها المتكلم باصطلاح اللغة في الناء ، فإنها يصدق عليها أنها كلمة مستعملة في غير ما وضعت له لكن باصطلاح آخر ، وهو اصطلاح الشرع لا اصطلاح المتكلم ، وهو اللغة ، فلولا هذا القيد لأمكن دخول هذه الحقيقة في تعريف المجاز ، وبقولنا الملاحظة : علاقة ، وهي المناسبة الخاصة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه ، الغلط كالكتاب إذا استعمل في المسطورة غلطًا في نحو قوله : خذ الكتاب ، مثيرة إلى مسطرة ، فإنه ليس فيه علاقة ملحوظة ، وبقولنا : مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي الكتابية فإن قرينتها لا تمنع من إرادة الموضوع له .

وينقسم إلى : مجاز مرسل واستعارة ، لأن العلاقة الصحيحة للتجاوز إن كانت غير المشابهة فمجاز مرسل ، وإلا فاستعارة .

المبحث الرابع في المجاز المرسل^(١)

هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة و المناسبة غير المشابهة كالميل إذا استعملت في النعمة ، لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة ، وبواسطتها تصل إلى المقصود بها .

ويمضي أن يكون في الكلام دلالة على رب تلك النعمة ومصدرها بحسبيتها إليه ومن ثم لا تقول : أقتنيت يدأ ، ولا اتسعت اليدي في المد ، كما تقول : أقتنيت نعمة ، وكثرت النعمة في البلد ، وإنما تقول : جلست يده عندي ، وكثرت أيامه لدى ، أو ما شابه ذلك .

ومن هذا قوله عليه السلام لأزواجه : « أسرعكن لحوقاً في أطولكن يداً ، إذ المراد بسط اليدين بالبطء والبذل .

ونظير ذلك اليدين إذا استعملت في القدرة ، لأن أجلى مظاهرها وأحكامها في اليدين ، ألا ترى أن بها البطش والتنكيل والأخذ والقطع والرفع والوضع ، إلى غير ذلك من أفاعيلها التي ترشدك إلى وجوه القدرة ومكانتها .

(١) سمي بذلك لإرساله وإطلاقه عن التقييد بعلامة خاصة .

ومن هذا النمط الأصعب في قولهم لراعي الإبل إن له عليها إصبعاً، أي أثراً حسناً، كما قال الراعي يصف راعياً:

ضعيف العصا بادي العروق ترى له
عليها إذا ما أجدب الناس إصبعاً
دلوا على أثر المهارة والخذق بالأصبع من قبل أنهم لا يظهران في عمل اليد
إلا في حسن التصريف الأصبع وخفة رفمه ووضعه كما يظهر ذلك في الخط
والنقش وغيرها من دقائق الصناعات.

وعلاقات هذا المجاز كثيرة، أشهرها:

١ - السببية، وهي كون الشيء المنقول عنه سبباً ومؤثراً في شيء آخر، نحو: رعى جوادي المطر، أي الكلأ، الحادث بالغيث.

٢ - المسبيبة، وهي كون المنقول عنه مسبباً ومتأثراً من شيء آخر، نحو: أمطرت السماء نباتاً، أي ماء، به يوجد النبات، وتناولت كأس الشفاء، أي الدواء، وعليه قوله تعالى: ﴿وَيَنْزَلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾^(١)، أي مطرأً يسبب الرزق، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْدَوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعُمْ مِّنْ قُوَّةٍ﴾^(٢)، أي سلاح يحدث القوة والمنع.

٣ - الكلبية، وهي كون الشيء متضمناً لشيء آخر ولغيره، كالأصابع المستعملة في الأنامل في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾^(٣)، أي روؤس أناملهم، نحو: شربت ماء النيل، أي بعضه، والقرينة: شربت، وسكنبت مصر، أي منزلة من منازلها، والقرينة: سكتت.

٤ - الجزئية، بمعنى أن الشيء يتضمنه وغيره شيء آخر كإطلاق العين على الربيعة^(٤) لكونها هي المقصودة في كون الرجل ربعة، لأن ما عداها لا يعني شيئاً مع فقدتها، فصارت كأنما الشخص كلها، ومن هذا قوله تعالى: ﴿قُمْ اللَّيلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥) أي صل، وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْمِ فِيهِ أَبْدًا﴾ أي لا تصل.

(١) سورة غافر الآية ١٣.

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠.

(٣) سورة البقرة الآية ١٩.

(٤) هو الشخص يطلع على عورات العدو في مكان عال، وهو أيضاً المجوس.

(٥) سورة الزمر الآية ٢.

وقولهم : قال فلان اليوم كلمة ثالث استحسان الجميع ، أي كلاماً مفيداً .

وشروط هذه العلاقة أمران :

(أ) أن يكون الكل مركباً تركيباً حقيقياً .

(ب) أن يستلزم انتفاء الجزء انتفاء الكل عرفاً كما في إطلاق الرقبة ، أو الرأس ، على الإنسان دون إطلاق الظفر أو الأذن مثلاً ، أو أن يكون زائد الاختصاص بالمعنى المطلوب من الكل كما في إطلاق اليد على المطعي والعين على الريبة ، أو أن يكون أشرف أجزائه ، كما في إطلاق القافية على القصيدة في قول معن بن أوس :

أعلم الرمائية كل يوم

وكم علمته نظم القوافي

فما اشتد ساعده رماني

فما قال قافية هجاني^(١)

٥ - المزومية ، وهي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر ، كما في إطلاق الشمس على الضوء في قوله : دخلت الشمس من الكوة ، والقرينة على ذلك : دخلت .

٦ - اللازمية^(٢) ، وهي كون الشيء يلزم وجوده عند وجود شيء آخر ، كما في إطلاق الحرارة على النار ، وإطلاق الضوء على الشمس في قوله : انظر الحرارة ، أي النار ، وطلع الضوء ، أي الشمس ، والقرينة على ذلك : نظر وطلع .

٧ - اعتبار ما كان ، وهو النظر إلى الشيء بما كان عليه في الزمن الماضي ، نحو : شربت بناً جيداً ، تربى قهوة بن ، ونحو : مشيت اليوم في شارع بلاط ، تربى شارع ٢٦ يوليو قبل تغيير الاسم ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَآتُوا اليتامى أموالهم ﴾^(٣) ، سمي الذين أمروا باليتمهم أموالهم حال البلوغ : يتامى ، لما كانوا عليه من اليم ، ونحوه : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَاتِ رَبِّهِ بِحَرَمَةٍ ﴾^(٤) ، سمه مجرماً باعتبار الدنيا ، والقرينة على ذلك : شربت ، واليوم ، وآتوا ، وباءات .

(١) استد من السداد في الرأي أي استقام .

(٢) المعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الانفكاك .

(٣) سورة النساء الآية ٢ .

(٤) سورة طه الآية ٤ .

٨ - اعتبار ما سيكون ، وهو النظر إلى الشيء بما سيكون عليه في الزمن المستقبل ، نحو : غرست اليوم شجراً ، وأنت تعني بذوراً ، وطحنت خبزاً ، أي قمحاً ، وعليه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فاجِراً كُفَّارًا﴾^(١) أي صائراً إلى الكفر والمجور ، وقوله تعالى : ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصَرُ خَرَأً﴾^(٢) أي عنباً يؤول عصيراً إلى الخمرية ، والقرينة على ذلك حالية في الأول ومقالية في الباقي ، وهي طعن وبك وأعصر .

٩ - الحالية ، وهي كون الشيء حالاً في غيره نحو : نزلت بالقوم فأكرموني أي بدارهم ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾^(٣) أي في الجنة التي هي محل الرحمة ، والقرينة : نزل و (هم فيها خالدون) .

١٠ - الخلية ، وهي كون الشيء يخل فيه غيره ، نحو : انصرف الديوان ، أي عماله ، وحكمت الحكمة أي قضاتها ، وأقرت المدرسة توزيع الجوائز على النابغين أي ناظريها ، والقرينة على ذلك : انصرف ، وحكمت ، وأقرت .
وقوله تعالى : ﴿فَلِيَدْعُ نَادِيهِ﴾^(٤) ، أي أهل النادي ، وقوله تعالى : ﴿بِيَدِهِ الْمُلْك﴾^(٥) أي القدرة ، وقوله تعالى : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^(٦) أي عقول ، وقوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(٧) أي ألسنتهم ، والقرينة : انصرف وحكمت ويدعوا وبيده ويفقرون ويقولون .

١١ - الآلية ، وهي كون الشيء آلة لإيصال أثر شيء إلى آخر ، نحو : يتكلم فلان خمس ألسن ، أي خمس لغات ، ونحو : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمَهُ﴾^(٨) ، أي بلغة قومه .

(١) سورة فوج الآية ٢٧ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٦ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٧ .

(٤) سورة العلق الآية ١٧ .

(٥) سورة الملك الآية ١ .

(٦) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .

(٧) سورة آل عمران الآية ١٦٧ .

(٨) سورة إبراهيم الآية ٤ .

وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانًا صَدِقًا فِي الْآخِرِينَ﴾^(١) أي ذكرًا جميلاً ، والقرينة : يتكلّم ، وأرسلنا ، واجعل .

١٢ - العموم ، وهو كون الشيء شاملاً لكثيرين ، كقوله تعالى : ﴿أُمٌّ يَحْسَدُونَ النَّاسَ﴾^(٢) أي حمداً على سعادته ، قوله عز من قائل : ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ﴾^(٣) يعني نعيم بن مسعود الأشعري ، والقرينة على ذلك أن الحسد ما كان إلا له ، وأن القائل ما كان إلا نعيمـاً .

١٣ - الخصوص ، كاطلاق اسم الشخص على القبيلة ، نحو: ربعة ، ومضر ، وقريش ، وتميم .

١٤ - المبدالية ، وهي كون الشيء بدلًا وعوضاً من شيء آخر ، نحو: قضيت الدين في موعده ، أي أدتيه ، وفي ملك فلان ألف دينار ، أي متاع يساوي ألفاً ونحو : ﴿إِذَا قَضَيْتَ الصَّلَاةَ﴾^(٤) أي أدتيـم ، والقرينة : في موعده في الأول وحالـية في الثاني والثالث .

١٥ - المبدالية ، أي كون الشيء بدلـاً من شيء آخر نحو: أكلـت دم القـتيلـ أي دـيـته ، كما قال عروة الرـحالـ ، يخاطـب امرـأـته متـوعـداً :

أـكـلـتـ دـمـاـ إـنـ لـمـ أـرـعـكـ بـضـورـةـ بـعـيـدةـ مـهـوـيـ الـقـرـطـ طـبـيـةـ النـشـرـ^(٥)

١٦ - المـجاـورةـ ، وهي كـونـ الشـيـءـ يـجاـورـ غـيرـهـ ، فيـطـلـقـ عـلـيـهـ اـسـمـهـ كـاطـلـاقـ الـراـوـيـةـ عـلـىـ الـقـرـبةـ ، وـالـثـيـابـ عـلـىـ النـفـسـ فـيـ قـوـلـ عـنـتـرـةـ :

فـشـكـكـتـ بـالـرـمـجـ الأـصـمـ ثـيـابـهـ لـيـسـ الـكـرـمـ عـلـىـ الـقـنـاـ بـعـرـمـ
وـقـدـ تـكـوـنـ الـمـجاـورةـ فـيـ الذـكـرـ فـقـطـ ، وـتـسـمـيـ الـمـاشـاكـلـةـ ، نـحـوـ اـطـبـخـواـلـيـ
جـبـةـ وـقـيـصـاـ .

(١) سورة الشـرـاءـ الآيةـ ٨٤ـ .

(٢) سورة النـسـاءـ الآيةـ ٥٤ـ .

(٣) سورة آل عمرـانـ الآيةـ ١٧٣ـ .

(٤) سورة النـسـاءـ الآيةـ ١٠٣ـ .

(٥) مـهـوـيـ الـقـرـطـ : طـوـلـ الـعـنـقـ ، قـالـهـ يـتوـعـدـ زـوـجـهـ بـالـزـوـاجـ بـأـخـرـ حـسـنـةـ جـمـيـلـةـ ، وـقـبـلـهـ :
أـمـاـ لـكـ عـمـرـ إـنـاـ أـنـتـ حـيـةـ إـذـاـ هـيـ لـمـ تـقـتـلـ تـعـشـ أـخـرـ الـعـمـرـ
ثـلـاثـينـ حـوـلـاـ لـأـرـىـ مـنـكـ رـاحـةـ هـنـكـ فـيـ الـدـنـيـاـ لـبـاقـيـةـ الـعـمـرـ

١٧ - الدالية ، وهي كون الشيء يدل على شيء آخر ، نحو : فهمت الكتاب
أي معناه ، كما قال المتنبي :

فهمت الكتاب أثر الكتب فسمعت لأمر أمير العرب

١٨ - المدلولية ، وهي كون الشيء مدلولاً لغيره ، نحو : قرأت معناه
مشفوفاً بتقبيل ، تزيد لفظه .

١٩ - إقامة صيغة مقام أخرى ، وتسمى هذه العلاقة بالتعلق الاستئنافي ،
ويندرج تحت هذا أنواع :

(أ) إطلاق المصدر على اسم المفعول نحو : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾^(١) ،
أي معلومه .

(ب) إطلاق اسم المفعول على المصدر ، نحو : ﴿ بآياتكم المفتون ﴾^(٢) ،
أي الفتنة .

(ج) إطلاق اسم الفاعل على المصدر ، نحو : ﴿ ليس لوقتها كاذبة ﴾^(٣) ،
أي تكذيب ، أو على اسم المفعول نحو : ﴿ من ماء دافق ﴾^(٤) ، أي مدفق ،
﴿ ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رَحِمَ ﴾^(٥) ، أي لا معصوم .

(د) إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل نحو : ﴿ إنَّهُ كَانَ وَعْدَهُ مَأْتِيًّا ﴾^(٦) ،
أي آتيا ، ﴿ وَحِجَابًا مَسْتَورًا ﴾^(٧) ، أي سارأ .

تنبيهات

(١) ليس المقصود من العلاقة إلا بيان الارتباط ، فالفطن للبيب يعرف
ما يناسب كل مقام فيصح أن يعتبر في إطلاق الدال على المدلول علاقة المجاورة
بأن يتخيّل أن الدال مجاور المدلول ، أو علاقة الحالية نظراً إلى أن الدال محل

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٤ .

(٢) سورة القلم الآية ٦ .

(٣) سورة الواقعة الآية ٢ .

(٤) سورة الطارق الآية ٦ .

(٥) سورة هود الآية ٤٣ .

(٦) سورة مريم الآية ٦١ .

(٧) سورة الإسراء الآية ٤ .

للدلول ، كما يقولون : الألفاظ قوله المعاني ، أو علاقة السببية والمبني ، أو نحو ذلك ، بحسب ما يهدي إليه الذوق ، ويرشد إليه الوجدان الصادق .

(٢) قد يكون اللفظ الواحد صالحًا لأن يكون بالنظر إلى معنى واحد مجازاً مرسلًا واستعارة باعتبارين ، فإذا جاز مراعاة علاقتين أو أكثر فالمقول عليه هو ما لا يلاحظه المتكلم ، فإن لم يعرف مقصدته ، صح للمخاطب أن يعتبر ما يشاء ، ولكن بعد أن ينعم النظر ويرجح أكثرها قوتها وأشدتها ملائمة للفرض ، ومن ثم يرجح علاقة المشابهة على غيرها ، والمشابهة الحقيقة على الصورية ، فمثلاً المشرف إذا أطلق على شفة الإنسان ، فإن لوحظ في إطلاقه عليها المشابهة في الغلظ ، فهي استعارة ، وإن لوحظ أنه من إطلاق اسم المقيد على المطلق كان مجازاً مرسلًا .

(٣) قسم الإمام عبد القاهر هذا المجاز إلى قسمين : خال من الفائدة ومفيده ، فالخالي منها ما استعمل في شيء بقيده كونه موضوعاً في أصل اللغة لذلك الشيء بقيده آخر من غير قصد التشبيه كالمدرس الذي أصله للحيوان والشقة التي أصلها للإنسان ، والجحفلة التي أصل وضعها للفرس ، إذا استعمل شيء منها في غير الجنس الذي وضعت له ، كقول العجاج : وفاحماً ومرسنا مسرجاً ، يريد أنفا كالسراج ، وقول الآخر :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا ﴿ نزاع من شفتيه الصفار (١) ﴾

أما المفيد فما عدا هذا الضرب والاستعارة كما إذا قصد التشبيه في الأمثلة الماضية ، كقولهم في الندم إنه لغليظ الجحافل ولغليظ المشافر ، فإنه بنزولة أن يقال كأن شفتيه في الغلظ مشفر البعير ، وعليه قول الفرزدق :

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتي ولكن زنجي غليظ المشافر
يريد : ولكنك زنجي ، كأنه لا يسمو فكره إلى معرفة شرفي .

(٤) يلاحظ مما سبق أن اسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة ، فإن كانت الجزء جعلت العلاقة الجزئية ، وإن كانت الكل جعلت الكلية ، وهكذا .

(١) شفتيه : اسم لإحدى شفتين البعير ، الصفار : يطلق على ما يبقى في أصول أسنان الدابة من تبن ونحوه .

أسرار البلاغة في المجاز المرسل

المجاز المرسل ضرب من التوسم أساليب اللغة وفن من فنون الإيحاز في القول

انظر قوله :

كفى بالمرء عيماً أن تراه له وجه وليس له لسان

تراث قد سلك طريقاً أرشد بها السامعين إلى أنَّ مَنْ فقد الفصاحة والبيان، فكانه فقد اللسان جملة، وفي هذا من كمال المبالغة ما أنت تشعر به وتتذوقه.

وهكذا تشاهد مثل هذا الحال دائمًا إذا أنت تأملت قوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعناء وإن كانوا غضايا

فإنك لست بغيرك مني أذن رعي الفت ، و كان النبات كله ماء .

وفي هذا كبير دلالة على أن النبات لا يحيا بدون الماء ، وعلى أن عليه حياة الحيوان على وجه الأرض ، وأنه بدونه لا يعيش .

تدریب اول

بيان المجاز المرسل، وعلاقته فيما يلي:

- ١ - إن العدو وإن تقاصد عمدته فالحمد بـاق في الصدور مغيب

٢ - فـسـوف يـاتـيـهم أـنـبـاءـ ماـ كـانـواـ بهـ يـسـتـهـزـونـ (١)

٣ - وإن حـلـفـتـ لـاـ يـنـقـضـ النـأـيـ عـهـدـهاـ

٤ - وـلـمـ يـبـسـقـ سـوـىـ العـدـواـ نـ دـنـامـ كـاـ دـانـواـ

٥ - مـكـثـنـاـ فـيـ (ـالـنـعـيمـ الـقـيمـ)

٦ - وـالـسـعـوـاتـ مـطـوـيـاتـ بـيـعـيـنـهـ (٢)

٧ - كـتـبـ عـلـيـكـمـ الـقـصـاصـ فـيـ القـتـلـ (٣)

٨ - إـنـماـ يـأـكـلـونـ فـيـ بـطـوـنـهـ نـارـاـ (٤)

(١) سورة الأنعام الآية ٥ .

٦٧) سورة الزمر الآية (٢)

(٣) سورة المقرة الآية ١٧٨.

١٠) سورة النساء الآية

الاجابة

- (١) في الصدور مجاز مرسل مفرد ، علاقته المحلية : لأن الصدور محل القلوب التي تتأثر بالحقد وغيره .
- (٢) في الأناء مجاز مرسل ، علاقته : التعلق الاستيفي ، إذ الوعيد ليس بالنبأ بل بالمنبأ به ، أي الخبر به .
- (٣) في كلمة البناء مجاز علاقته الجزئية ، إذ المراد الكف ، وكذا في يمين مجاز علاقته السببية ، إذ المراد : ليس لها وفاء بالمحظى عليه .
- (٤) في دنائم مجاز مرسل علاقته المسببة ، إذ المراد : جاز بنام كها في المثل كما قدين تدان ، أي كما تفعل تجاري .
- (٥) في كلمة يمينه ، مجاز مرسل علاقته المحلية ، إذ المعنى : بقوته وقدرته .
- (٦) في كلمة القتلى ، مجاز مرسل علاقته ما سيكون ، إذ المراد : فمن سيقتلون .
- (٧) في كلمة ناراً ، مجاز مرسل علاقته المسببة ، لأن أكل هذه الأموال يوصل إلى النار .

تدريب ثان

- ١ - « ذلك بما قدمت أيديهم »
- ٢ - « فظلت أعناقهم لها خاضعين »
- ٣ - « تأولني الطبيب جرعة الشفاء »
- ٤ - « وجعلنا الأنوار تجري من تحتهم »
- ٥ - « بلادي وإن جارت عليّ عزيمة وأهلي وإن ضروا عليّ كرام يصاب من الأمر الكلي والمفاسد^(١) »
- ٦ - « لك القسم الأعلى الذي بشباهه »
- ٧ - « وكم من قرية أهلنكاها^(٢) »
- ٨ - « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم^(٣) »

(١) الشباة : حد السيف ونحوه ، والمراد هنا : حد القلم ، وإصابة الكلب كنية عن إصابة الصواب .

الملقة	المراد	الكلمة	الملقة	المراد	الكلمة
الجزئية	ظلوا هم	اعتقهم	الجزئية	قدروا هم	أيديهم
المحلية	مياها	الأنهار	المسيبية	جرعة الدواء	رعة الشفاء
الأالية	ما تكتب	بسنانه	المحلية	أهلها	بلاادي
البيئة	حاوزه	فاعدوا عليه	المسيبة	أردا إهلاكها	أهلكتها

تمرين أول

بيان المجاز المرسل ، وعلاقته ، فيما يلي :

(١) تنبت أرض مصر ذهباً .

(٢) هذا خلق الله .

(٣) ﴿ لَا مِبْدُلٌ لِّكَلْمَاتِ اللَّهِ﴾

(٤) حفرنا الماء (البشر)

(٥) قرأت شعر أبي العلاء

(٦) ركبت القطار

(٧) ﴿ وَمِنَ الظَّلَلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾

(٨) يتخرج في المدرسة رجال نافعون

تمرين ثان

١ - أصدق كلمة قالها لميد : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » .

٢ - اذا الكهوة تنحووا أن يصلبهم حدّ الظباء وصلناها بأيدينا (١)

٣ - كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه وليس له لسان

٤ - أحسن الى الناس تستبعد قلوبهم فطالما استبعد الانسان إحسان

٥ - ألا لا يعلمون أحد علينا فنجمل فوق جهل الجاهلينا

٦ - وليس أيدي الناس عندى غنية ورب يمد عندي أشد من الأسر

٧ - تسيل على حد الظباء نقوسنا وليس على غير الظباء تسيل

(١) الظباء : جمع ظبة ، حد السيف ، والمراد هنا : السيف جميعه .

٨ - أَلْمَا عَلَى مَعْنَى وَقْوَلَا لِقَبْرِهِ
سَقْتُكَ الْغَوَادِي مَرْبِعاً بَعْدَ مَرْبِعٍ^(١)

٩ - قَالَ الْحَطِيَّةُ :

فَلَيْتَ بِأَنِّي فِي جَوْفِ عَكْمٍ
نَدَمْتُ عَلَى لِسَانِ كَانَ مِنِي

المبحث الخامس في الاستعارة ومنزها في البلاغة

قال الإمام في «أسرار البلاغة»: أعلم أن الاستعارة أشد ميداناً وأشد افتناناً وأوسع سعة وأبعد غوراً وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً^(٢) من أن تجمع شعبها وشعوبها وتحصر فنونها وضروبها، ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعاني حق تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الفصن الواحد أنواعاً من التمر، وتتجدد التشبيهات على الجملة غير معيبة ما لم تكتنها، إن شئت أرت لك المعاني التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حق تعود روحانية لا تناها الظنوون، انتهى.

وللاستعارة إطلاقان:

١ - المعنى المصدري ، وهو فعل المتكلم ، أعني استعمال لفظ المشبه به في المشبه بقرينة صارفة عن الحقيقة .

وأركانها بهذا المعنى ثلاثة: مستمار وهو اللفظ، ومستعار منه وهو المشبه به ومستعار له وهو المشبه .

٢ - المعنى الاسمي ، وهو اللفظ المستعمل في غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة تصرف عن إرادة المعنى الأصلي ، كقولك : رأيت أَسْدًا ، تعني رجلاً شجاعاً ، وبحرأً تزيد جواداً ، وشمساً تزيد إنساناً مضيًّا الوجه متھلاً ، وسلطت سيفاً على العدو تقصد رجلاً ماضياً في نصرتك .

فأنست بهذا قد استمرت اسم الأسد الرجل الشجاع ، فأفقدت بهذه الاستعارة المبالغة في وصفه بالشجاعة وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وشدة ، إلى غير ذلك من المعاني المركوزة في طبيعته الدالة على الجرأة ،

(١) الغوادي جمع غادية ، السحابة تنشأ غدرة ، والربع : المطر في الربع .

(٢) الغور الأول: القعر ، والثاني: الوادي .

وأفت باستعارة البحر له سنته في الجود وفيض الكف ، وباستعارة السيف له إعطائه ما لها من البهاء الحسن الذي يبهر العيون ويملأ المؤاظر ، وباستعارة السيف له إعطائه ما لها من الحدة والمضاء .

وهي تشبيه حذف أحد طرفيه وأداته وجه الشبه ، لكنها أبلغ منه لأننا منها بالغنا في التشبيه فلا بد من ذكر الطرفين وهذا اعتراف بتبنيتها وأن العلاقة بينها ليست إلا التشابه والتداين فلا تصل حد الاتخاد ، إذ جعلك لكل منها اسم يمتاز به دليل على عدم امتزاجها واتحادها ، بخلاف الاستعارة فإن فيها دعوى الاتحاد والامتزاج ، وأن المشبه والمشبه به صار شيئاً واحداً يصدق عليهما لفظ واحد ، فإن قلت : رأيت بحراً يعطي البنائين والحتاج ، كنت قد جعلت الجواب والبحر شيئاً واحداً حقاً صح أن تسمى أحدهما باسم الآخر ، ولو لا ما أقتنى من الدليل (القرينة) على ما تريده ، لما خطر ببال الخطاطب غير البحر الذي تهور ف بهذا الاسم .

ومن قبل هذا اشترط فيها تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، فلا يذكر وجه الشبه ، ولا أداته ، لا لفظاً ولا تقديرأ ، كما لا يجمع فيها بين الطرفين على وجه ينتهي عن التشبيه بأن يكون المشبه به خبراً^(١) عن المشبه أو في حكم الخبر^(٢) كما في بابي كان ، وإن المفعول الثاني^(٣) في باب ظن ، أو حالاً^(٤) ، أو صفة^(٥) ، أو مضافاً كالمجين^(٦) الماء ، أو مصدرأ مبيناً لنوعه^(٧)

(١) كقوله عليه السلام للأنصار : « أنتم الشعار والناس الدثار » .

(٢) نحو : ان محمدأ قدنى في عين إبراهيم ، قوله البحري :

بنت بالفضل والعلو فأصبحت سباء وأصبح لذان أرض

(٣) كقوله عليه السلام : « لا تخذلها كراسى لأحاديثكم في الطرق والأسوق » .

(٤) كقوله :

بدت قمراً ومالت حوط بان وفاحت عنيراً ورفت غزالاً

(٥) كقولك : هذه امرأة قمر .

(٦) في قوله :

والريح تبث بالغضون وقد جرى ذهب الأصيل على جبين الماء

(٧) نحو : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب » .

أو مبيناً بالمشبه صريحاً، أو ضمناً كقوله ^(١) تعالى : ﴿ حَقٌّ يَتَبَيَّنُ لَكُمُ الْحِيطَانُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحِيطَانِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ ^(٢) ، فقد بين الحيط الأبيض بالفجر صريحاً، وفي ضمنه تبيين الحيط الأسود بالليل ، فكل هذا تشبيه مذوف الأداة .

قال الإمام عبدالقاهر في بيان هذا : اذا دلت القرينة على تشبيه شيء ، فهذا على ضربين :

١ - أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من بين حق لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته ، كقولك : عنت لنا ظبية ، وأنت قرید امرأة ، ووردنا بحراً ، وأنت قرید المدوح ، وهذا تقول : إنه استعارة ولا تتحاشى البة .

٢ - أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدراً ، وحينئذ فالمشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر ، فالوجه أن يسمى تشبيهاً ولا يسمى استعارة ، لأن الاسم اذا وقع هذه الموضع كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد عليه ، أو نفيه عنه فإذا قلت : زيد أسد ، فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له ، فيكون اجتنابه لإثبات التشبيه ، فيكون خليقاً بأن يسمى تشبيهاً إذا كان إنما جاء ليقيده ، بمخلاف الحالة الأولى ، فإن الاسم فيما لم يحصل لإثبات معناه للشيء ، كما إذا قلت : جاءني أسد ، ورأيت أسدًا ، فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤبة واقعاً منك عليه لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه وصار قصد التشبيه مكتوناً في الضمير لا يعلم إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر والتأمل .

(إذا افترقت الصورتان هذا الافتراق ناسب أن يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة بأن نسمي أحدهما تشبيهاً ، والأخرى استعارة) .

(١) وقول بعضهم :

فَيَا ذَلِكَ فِي لَيْلَتِنِ شَعْرٍ وَظَلَّةٍ
وَشَمْسِينِ مِنْ خَمْرٍ وَرِجْهٍ حَبِيبٍ
وقول شوقي :

وَدَخَلْتُ فِي لَيْلَتِنِ فَرِعُوكَ وَالْدَجِي
وَلَثَمْتُ كَالصَّبْعِ النَّورَ فَسَاكَ
(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

ثم قال : فإن أبىت إلا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك لأن يكون المشبه به معرفة كقولك : زيد الأسد ، فإنه يحسن أن يقال : زيد كأسد ، وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطيب في إطلاقه ، وذلك لأن يكون نكرة غير موصوفة كقولك : زيد أسد ، فإنه لا يحسن أن يقال : زيد كأسد ، ويحسن أن يقال : لأن زيد أساً ، ووجده أساً ، وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير صورة الكلام كان إطلاقه أقرب لمعنى تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به كقولك : هو بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تقىب ، وكقوله :

شمس ثالثي والفرقان غروها عنا وبدر والصدود كسوفه

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة إلا بتغيير صورته كقولك : هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنه لا تقىب ، وكالشمس المتألهة إلا أن الفرقان غروها ، وبالبدر إلا أن الصدود كسوفه . انتهى بتصرف واختصار كثير .

والتشبيه الذي يجب تناصيه هو الذي من أجله وقعت الاستعارة لا كل تشبيه فليس بمحظور أن تقول : رأيت أساً في الماء مثل الفيل في الصخامة ، ولا : جاورت ليثاً كأنه بحر متلاطم الأمواج .

ومن اشتراط ادعاء دخول المشبه في المشبه به يتضح لك أنه لا بد أن يكون المشبه به كلياً كاسم الجنس وعلم الجنس ، فلا تتأتي الاستعارة في الأعلام الشخصية لعدم تصور الشركة فيها حتى يمكن ادعاء دخول شيء في حقائقها إلا إذا تضمنت أوصافاً بها يصح أن تعتبر كأنها أحجnas كتضمن حاتم الجود ، ومادر البخل ، وقسّ الفصاحة ، وباقل المعنى والفكاهة ، فتقول : رأيت اليوم حاتماً أو قساً ، وتدعى كلية حاتم ، أو قسّ ، ودخول المشبه في جنس الجود والفصاحة ، حتى كان حاتماً موضوعاً منتصف بالجود سواء أكان هو ذلك الطائي المشهور أم غيره ، وإن كان إطلاقه على الطائي حقيقة وعلى غيره ادعاء ، وكذا القول في قسّ ، وكل ما كان من هذا الضرب فسيله هذه السبيل .

المبحث السادس في الاستعارة أمجاز لفوي هي أم مجاز عقلي

يرى الجمهور أن الاستعارة مجاز لغوي وأيده الإمام في «أسرار البلاغة»، وحيثتهم على ذلك أنا إذا أجرينا اسم الأسد على الرجل الشجاع، فإننا لا ندعى فله صورة الأسد وشكله وعباله عنقه ومخالبه، ونحو ذلك من الأوصاف الظاهرة التي تبدو للعيون وتشاهد بالحواس، وإنما ندعى له ذلك من أجل اختصاصه بالشجاعة التي هي من أخص أوصاف الأسد وأمكنتها.

ومن الجلي الواضح أن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها ، بل لها في مثل تلك الجهة وهاتيك الصورة والهيئة ، ولو كانت وضعته للشجاعة وحدها لكان صفة لا اسم ، ولكان كل شيء يبلغ في شجاعته إلى هذا الحد جديراً بهذا الاسم على جهة الحقيقة ، لا على طريق التشبيه والتأويل .

ويرى آخرون أنها مجاز عقلي بمعنى أن التصرف⁽¹⁾ فيها في أمر عقلي لا لغوي واختياره الإمام في «دلائل الإعجاز» ودليلهم على ذلك أنه لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكان الأعلام المنشورة كثيرة ويشكر تستحق هذا الاسم ، ولما كانت الاستعارة أبلع من الحقيقة ، لأنها لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه .

وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان مستعملاً فيها وضع له، ومن ثم صح التحجب في قول ابن العميد^(٢) بصف غلاماً له جملة :

قامت تظلاني من الشمس
نفس أعز عليَّ من نفسي
شمس تظلاني من الشمس
قامت تظلاني ومن عجب

كما صرَّح النَّبِيُّ عَنْهُ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ بْنِ طَبَاطِبَا :

(١) في هذا إشارة إلى أنه لا يراد بالعقل هنا المجاز المقلبي الآتي، إذ هنا المجاز في الكلمة، وفيها سيأتي المجاز في الاستناد، بل المراد بالعقل التصرف فيه هو المعانى الحقيقية والتصرف فيها حسماً، بعضاً نفس، البعض الآخر، وإن لم يكن كذلك في المقصدة.

(٢) هو أبو الفضل محمد بن الحسين كاتب «ديوان الرسائل» للملك ذوق بن نصر من الدولة البربرية.

يا من حكى الماء فرط رقته
 يا ليت حظي كحظ ثوبك
 لا تهربوا من بلى غلاته
 قد زر أزراره على القمر^(١)

فلولا أن ابن العميد ادعى لفلامه معنى الشمس الحقيقي لما كان لهذا التعجب وجه، إذ ليس بداع ولا منكر أن يظلل إنسان حسن الوجه إنساناً وينيه وهج الشمس بشخصه، ولو لا أن أبو الحسن جعل صاحبه قرأً حقيقياً لما كان للنبي عن التعجب معنى لأن الكتان إنما يسرع إليه البلى حين يلبس القمر الحقيقي لا إنساناً بلغ الفانية في الحسن.

وأنت إذا إنعمت النظر رأيت حجة الجمود دامدة وأنما أخرى بالقبول، بيان هذا أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرجه عن كونه مستعملًا في غير ما وضع له، وأما صحة التعجب والنفي عنه فلبناء الاستعارة على تناصي التشبيه وادعاء أن المشبه به عين المشبه حتى تتم المبالغة، إذ من الواضح أنأسدًا في قوله: رأيتأسدًا، مستعمل في الشجاع، والمعنى الموضوع له الأسد الحقيقي لا الادعائي، فكأنك ادعية أن للأسد صورتين، إحداهما متعارفة وهي التي لها الإقدام والبطش في الهيئة المعروفة للحيوان المعروف، وثانيتها غير متعارفة وهي التي لها الجرأة والقوة، لكن لا مع تلك الصورة، بل مع صورة أخرى على النحو الذي ادعاه المتتبّي في عد نفسه وجماعته من جنس الجن، وعد جماله من جنس الطير حين يقول:

نحن ركب ماجن في زي ناس فوق طير لها شخص الجمال
 مستشهدًا لدعواه بما يتخيّل عرفاً من نحو حكمهم إذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد، إنه ليس بانسان، وإنما هوأسد، أو هوأسد في صورة إنسان.

والقرينة التي تتصبّب في الكلام تنفي المتعارف الذي يسبق إلى الفهم، وهو المعنى الأول، وتعين ما أنت تستعمل له الأسد، وهو ثاني المعنيين.

(١) البلي من بلى الثوب وقدم، والغلالة ثوب صغير صبغ الكعرين بالقميص، وزررت القميص عليه شدت أزراره، وقد قيل: إن هذا تشبيه لا استعارة، لأن المشبه مذكور، وهو الضمير في: غلاته، وأزراره.

(تنبيه) الفرق بين الاستعارة والكذب من وجهين :

(أ) بناء الدعوى فيها على التأويل ، أي تأويل دخول المشبه في جنس المشبه به .

(ب) نصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها ، أما الكاذب فيعتبر أمن التأويل ، ويركب كل صعب وذلول لترويج ما يدعوه وإيهام أن ليس الحق إلا ما يقول ولا ينصلح دليلاً على خلاف ما يزعم ، وعلى هذا فليس ببدع أن تقع في كلام الله تعالى وكلام رسوله .

المبحث السابع في قرينة الاستعارة

الاستعارة نوع من المجاز ، فلا بد لها من قرينة تفصح عن الغرض ، وترشد الى المقصود ، ويكتنف معها إجراء الكلام على حقيقته ، وهي قسمان :

١ - حالية ، تفهم من سياق الحديث ، نحو : رأيت قسماً يخطب .

٢ - مقالية ، سواء أكانت معنى^(١) واحداً ، نحو : يرمي بالسهام ، من قوله : لرأيت أسدآ يرمي بالسهام ، أو أكثر ، نحو : فإن تعافوا العدل والإعانا فإن في إيماننا نيراها^(٢)

فكل من العدل والإيمان باعتبار تعلق الإعاعة به قرينة على أن الغرض من النيران السيف ، إذ هو دليل على أن جواب الشرط مخدوف ، يقدر بنحو : تحاربون أو تلجنون إلى الطاعة .

أو معاني ملتبسة ، مردوباً بعضها ببعض ، بحيث تكون كلها قرينة ، لا كل واحد منها ، كما في قول البحتري :

وصاعقة من نصله تنكفي بها على أرووس القرآن خمس سحائب فإذا نظرت الى ما صنع رأيته قد استعار السحائب الخنس لأنامل عين المدوح

(١) سواء أكانت من ملائمات المشبه كما في التصريحية ، أم من ملائمات المشبه به ، كما في المكتبة .

(٢) المعنى أنكم إن كررتم العدل والإنصاف وملتم إلى الجور والخلاف فأن في أيدينا سيرنا تلمع كشم النيران فلجنكم بها إلى الطاعة .

كما هي عادتهم في تشبيه الجواد بالبحر الخضم طوراً ، وبالسحاب المطاط طوراً آخر ، وتخيل لما أراد ، فذكر أن هناك صاعقة وبين أنها من نصل سيفه ، ثم قال إنها على رؤوس الأقران تفتت بهم ، ثم قال : حس ، وهي عدد أنامل اليد ، فاستبان للسامع من كل هذا غرضه ، واتضح له مقصده .

المبحث الثامن في انقسام الاستعارة إلى عنادية ووفاقية

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين إلى قسمين :

١ - وفاقية ، وهي التي يمكن اجتماع طرفيها المستعار منه والمستعار له في شيء واحد ، وسميت بذلك لما بين طرفيها من الوفاق .

٢ - عنادية ، وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ، وسميت بذلك لعناد الطرفين ، وقد اجتمعت في قوله تعالى : ﴿أَوْ مَنْ كَانْ مِنْ أَهْلَ فَاحِينَاهُ﴾^(١) أي من كان ضالاً فهديناه ، استعير الإحياء من معناه الحقيقي وهو جعل الشيء حيّاً للهداية التي هي الدلالة على الطريق المؤصل إلى المطلوب ، والإحياء والهداية مما يمكن اجتماعها إذ لا يوصف الميت بالضلالة .

ومن العنادية الاستعارة التهمكية والتلميحية^(٢) ، وما نزل فيها التضاد منزلة التناسب لأجل التحكم والاستهزاء ، أو لأجل الملاحة والظرافة ، نحو : ﴿فَبَشِّرُهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣) استعير للبشرة ، وهي الخبر بما يسر للإذار الذي هو ضدتها بإدخاله في جنس البشرة هزوً وسخرية بهم ، ونظيره كلمة نعاتبه في قول بشار :

إذ الملك الجبار صرخ ده أتينا اليه بالسيوف نعاته^(٤)

والتحية في قول عمرو بن معد يكرب (تحية بينهم ضرب وجيع) والثواب في قوله ما ثوابه إلا السيف .

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٢ .

(٢) الفارق بينها أنه إن كان الفرض الحامل على استعمال اللفظ في ضد معناه المزدوج والسخرية بالقول فيه كانت تهمكية وإن كان الفرض بسط السامعين وإزالة السامة عنهم بواسطة الآيات بشيء مستملح مستظرف كانت تلميحية .

(٣) سورة الانشقاق الآية ٤ .

(٤) صرخ ده : أماله عن الناس كبيرة .

ومنها أيضاً استعارة اسم الموجود للمعدوم الذي بقيت آثاره الجميلة أو المعدوم أو لا شيء للموجود، اذا لم تنتفع منه فائدة، ولم يحصل منه بطائل من قبل أنه شارك المعدوم في عدم غناه ونفعه كما قال أبو تمام :

هُبْ مِنْ لَهْ يُرِيدُ حِجَابَهُ مَا بَالْ لَا شَيْءٌ عَلَيْهِ حِجَابٌ

المبحث التاسع في انقسامها باعتبار الجامع الى داخل وخارج

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع وهو الوجه الذي يقصد اشتراك الطرفين فيه الى قسمين :

١ - ما يكون الجامع فيها داخلاً في مفهوم الطرفين كاستعارة النثر لاسقاط المنزمين وتقريرهم في قول أبي الطيب :

نَثَرُهُمْ فَوْقَ الْأَحِيدِبِ نَسْرَةٍ كَانَثَرَتْ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدِّرَاهِمَ^(١)

إذ النثر أن تجمع أشياء في كف أو وعاء ، ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتيب ولا نظام ، وقد استعارة لما يتضمنه ذلك التفرق على الوجه المخصوص وهو ما اتفق من تساقط المنزمين في الحرب دفعة بلا ترتيب ولا نظام ، ونسبة إلى المدوح لأنه سببه .

٢ - ما لا يكون داخلاً في مفهومها ، كقولك : وردت بحراً يتهلل وجهه ، وأنت تري إنساناً جواداً ، فالجامع ، وهو الجود ، غير داخل في مفهومها .

المبحث العاشر في انقسامها باعتبار الجامع أيضاً الى عامية وخاصية

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع الى :

١ - عامية مبتدلة لاكتها الألسن لظهور الجامع فيها ، كقولك : رأيت شمساً ووردت بحراً ، وأنت تمني إنساناً جميلاً الحياً وجواداً كريماً .

٢ - خاصية غريبة وهي التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة ، كقول طفيلي الفنوبي :

وَجَعَلَتْ كُورِيَ فَوْقَ نَاجِيَةٍ يَقْتَاتْ شَحْمَ سَنَامَهَا الرَّحْلَ^(٢)

(١) الأحيدب : جبل .

(٢) الكور : الرحل ، والناجية : الناقة السريعة ، تنجو برأسها .

انظر تر عجباً ، ألا تراه قد استعار الاقتباس لإذهاب الرحل شحم السنام ،
و ساعده التوفيق فيما عناه من قبل أن كان الشحم مما يصلح للقوت ، وأن الرحل
أبداً ينتقص منه وينديبه .

والفراءة على ضروب ، منها :

١ - أن تكون في الشبه نفسه ، كما في قول يزيد بن مسلمة عبد الملك يصف
فرسًا له بالأدب :

عودته فـ ^{ما} أزور حبائي إهـاله وكذا كل مخاطر
وإذا احتبى قربوسه بعناده عـلـكـ الشـكـيمـ إلىـ اـنـصـارـ الزـائـرـ ^(١)

فقد شبه ^(٢) هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج متداً إلى جانبي
فم الفرس بهيئة وقوع الثوب في موقعه من ركبتي المحتبى متداً إلى جانبي ظهره ،
ثم استumar الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بشوب أو غيره لوقوع العنان
في قربوس السرج ، فجاءت الاستumarة غريبة كما ترى لفراءة الشبه .

٢ - أن تحصل بتصرف الاستumarة العاممية ، كقول ابن المعتر :

سألت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره بوجوه كالدناير ^(٣)

فهذا تشبيه معروف ، لكنه تصرف فيه بأن أسند الفعل إلى الشعب دون
ووجوههم ، وعدى الفعل إلى ضمير المدوح بعلى ، فأفاد اللطف والفراءة من حيث
أبان أن الشعب امتلأت من الرجال وغصت بها من كل ناحية وجانب .

٣ - أن تحصل بالجمع بين عدة استumarات لإلحاق الشكل بالشكل ، كقول
امرئ القيس :

فقلت له لما قطع بصلبه وأردف اعجازاً وناء بكلكل

فقد أراد وصف الليل بالطول ، فاستumar له اسم الصلب وجعله متمطياً لما هو
مشاهد من أن كل ذي صلب يزيد طوله شيئاً ما عند التمطى ، ثم ثنى واستumar

(١) للقربوس مقدم السرج ، والملك المضغ ، والشكيم الشكيمة الحديدية المترضة في فم
الفرس ، وعني بالزائر نفسه ، دلالة على تأدب فرسه ، حيث يقف مكانه وإن طال مكثه .

(٢) ووجه الشبه إحاطة شيء بشيء ، خاماً أحدهما إلى الآخر ، على أن أحدهما أعلى والآخر
أسفل ، والتشبيه بين مفردتين ياعتباً ما تضمنته كل منهما من الهيئة لا أنه واقع بين هيتين .

(٣) يريد أن المدوح مطاع في حبه إذا دعاه زرافات ووحدانا .

الإعجاز لثقله وبطء سيره، وبالغ في ذلك حق جعل بعضها يردف ببعضها، ثم ثلث فاستعارة الكلكل لمعظم الليل ووسطه آخرًا له من كلكل البعير وهو ما يعتمد عليه إذا برك ، وزاده مبالغة بأن جعله ينوء ويثقل ، لما في الليل من التعب والنصب على كل قلب ساهر ، وبذا تم له ما أراد من تصوير الليل بصورة البعير على أبلغ وجه وأدقه .

المبحث الحادي عشر في انقسامها باعتبار الطرفين والجامع

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة^(١) أقسام :

١ - استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي ، نحو : (وتركتنا بعضهم^(٢) يومئذ يوج في بعض) استغير الموجان وهو حركة الماء للاضطراب والاختلاط الناشئ عن الحيرة والجامع بينهما الحركة الشديدة والاضطراب .

٢ - استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي ، نحو : ﴿وَآيَةٌ لِّلَّيْلِ نُسْلَحْ مِنْهُ النَّهَارُ﴾^(٣) فالمستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها، والمستعار له إزالة الضوء عن ظلمة الليل وملقى ظله وما حسيان ، والجامع بينهما ما يعقل من ترتيب أمر على آخر كترتيب ظهور اللحم على كشط الجلد وإزالته وترتيب ظهور الظلمة على كشف الضوء^(٤) عن مكان الليل ، وهذا الترتيب أمر عقلي .

٣ - استعارة محسوس لمحسوس والجامع مختلف ببعضه حسي وببعضه عقلي ، كأنما تقول : رأيت شمًّا ، وأنت ترى إنساناً كالشمس في حسن الطلعة ، وهو حسي ، ونباهة الشأن ورفعة القدر ، وهي عقلية .

٤ - استعارة معقول لمعقول ، نحو : ﴿مَنْ بَعْثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^(٥) .

(١) لأن المستعار منه والمستعار له إنما حسيان أو عقليان أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالمعنى فصيর أربعة ، والجامع في الثلاثة عقلي لا غير لما نقدم في التشبيه وفي القسم الأول، إنما حسي أو عقلي أو مختلف؛ فهذه أقسام ستة .

(٢) الضمير يعود للأنس والجن .

(٣) سورة يس الآية ٣٧ .

(٤) لأن الظلمة هي الأصل والتور طاريء عليها يسترها، فعند غروب الشمس يسلخ النهار من الليل وكأنه يكشط ويزال كما يكشط عن الشيء الشيء الطاريء عليه الساتر له .

(٥) سورة يس الآية ٤٠ .

استعير الرقاد وهو النوم الموت ، والجامع عدم ظهور الفعل ، والجميل عقل ، ونظيره : **تكاد تميّز من الفيظ**^(١) ، فقد استعير الفيظ للحالة الموثمة للنار ، لإرادة الانتقام من العصاة .

٥ - استعارة محسوس لمحض ، نحو : **فاصدعاً بما تؤمر**^(٢) فقد استعير صد الزجاجة ، وهو كسرها ، وهذا حسي لتبلیغ الرسالة يحاجم التأثير^(٣) ، وما عقليان .

ونحوه : **فنبذوه وراء ظهورهم**^(٤) ، فقد استعير النبذ ، وهو إلقاء الشيء باليد للأمر المتناسي حالة ، والجامع عدم العناية فيها .

٦ - استعارة معقول لمحض ، نحو : **إذا لما طفى الماء**^(٥) فقد استعير الطفيان ، وهو التكبير والعلو لظهور الماء وكثرة ، والجامع الخروج عن حد الاعتدال والاستعلاء المفرط ، فما استعار منه والجامع عقليان .

المبحث الثاني عشر في تقسيم الاستعارة إلى مصراحة ومكينة

تقسم الاستعارة باعتبار ذكر المشبه به أو ذكر ما ينخذه إلى قسمين :

١ - مصراحة أو مصريح بها أو تصريحية ، وهي ما صرحت فيها بلفظ المشبه به كقول شوقى :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وفوان

شبّه الدلالة بالقول يحاجم إيضاح المراد وإفهام الفرض في كل منها واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتقت من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية ، والقرينة نسبة القول إلى الدقات ، ونظيره قول الأوّاء الدمشقي :

فأمطرت لوازاً من نرجس وسقت ورداً وعضّت على العتاب بالبرد

(١) سورة الملك الآية ٨ .

(٢) سورة الحجر الآية ٩٤ .

(٣) التأثير المراد هنا نوع مخصوص لا يمود معه المؤثر فيه إلى حالة الأولى ، وهو في كسر الزجاجة أقوى وأدين ، فكأنه قبل وضوح الأمر ووضحاً لا يزول أثره كما لا يتثنّى صد الزجاجة .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

(٥) سورة الحاقة الآية ١١ .

شَبَهَ الدَّمْوَعُ بِالْلَّوْأَوْ، وَالْعَيْنُ بِالنَّرْجِسِ، وَالْحَدْوَدُ بِالْوَرْدِ، وَالْأَنَمْلُ بِالْعَنَابِ،
وَالْأَسْنَانُ بِالْبَرْدِ، وَقَوْلُ الْحَرِيرِي :

فَزَحَزَتْ شَفَقًا غَشَّى سَنَا قَرَرْ
وَتَسَاقَطَتْ لَوْلَوْاً مِنْ خَاتَمٍ عَطَرٍ^(١)
فَقَدْ شَبَهَ الْخَارُ بِالشَّفَقِ لَمَرْقَهُ وَالْوَجْهُ بِالْقَمَرِ وَالْكَلَامُ بِالْلَّوْأَوْ وَالْفَمُ بِالْخَاتَمِ .

٢ - مَكْنِيَّةٌ ، وَهِيَ مَا حُذِفَ فِيهَا الشَّبَهُ بِهِ وَرَمَزَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ ،
نَحْوُهُ وَأَخْفَضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ^(٢) ، شَبَهَ الذَّلِّ بِطَائِرٍ يُجَامِعُ الْخَضُوعَ
وَاسْتِعْبَرَ الطَّائِرُ لِذَلِّ ، ثُمَّ حُذِفَ وَرَمَزَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ ، وَهُوَ الْجَنَاحُ ، عَلَى
طَرِيقِ الْإِسْتِعْمَارَةِ بِالْمَكْنِيَّةِ ، وَإِثْبَاتِ الْجَنَاحِ لِذَلِّ إِسْتِعْمَارَةِ تَحْيَيْلِيَّةٍ ، وَهِيَ قَرِينَةُ
الْمَكْنِيَّةِ ، وَيَحْمِلُ الطَّائِرُ مَسْتِعْمَارًا لِلْمَخَاطِبِ (أَيِّ الْوَلَدِ فِي مَعَامَةِ وَالْدِيَهِ) وَالْأَصْلُ
وَأَخْفَضَ لَهُمَا جَنَاحَكَ ذَلِّاً ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : هُوَ أَخْفَضَ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) ، وَقَوْلُ الْكَمِيَّتِ :

خَفَضْتَ لَهُمْ مِنِيْ جَنَاحِيَ الْكَنْفَ عَطْفَاهُ أَهْلُ وَمَرْحَبٍ
وَنَحْوُهُ يَنْقَضُونَ عَدْدَ اللَّهِ^(٤) قَالَ فِي «الْكَشَافِ» : سَاغَ اسْتِعْمَالُ النَّقْضِ
فِي إِبْطَالِ الْعَهْدِ مِنْ حِيثِ تَسْمِيَتِهِ الْعَهْدُ بِالْحِيلَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعْمَارَةِ لِمَا فِيهِ مِنْ
إِثْبَاتِ الْوَصْلَةِ بَيْنَ الْمُتَاهِدِينَ ، وَهَذَا مِنْ أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ وَلِطَائِفَهَا أَنْ يَسْكُنُوا عَنْ
ذَكْرِ الشَّيْءِ الْمَسْتِعْمَارُ ثُمَّ يَرْمُوزُ إِلَيْهِ بِذَكْرِ شَيْءٍ مِنْ رَوَادِهِ فَيَنْبَهُوا بِتِلْكَ الرَّمْزَةِ
عَلَى مَكَانِهِ ، وَنَحْوُهُ قَوْلُكَ : شَجَاعٌ يَفْتَرُسُ أَفْرَانَهُ ، وَعَالَمٌ يَفْتَرُ مِنْهُ النَّاسُ ،
فَقَدْ نَبَهْتَ عَلَى الشَّجَاعِ وَالْعَالَمِ بِأَنَّهَا أَسْدٌ وَبَحْرٌ ، اتَّهَى .

(تَنبِيَّهٍ) عَلِمْتُ أَنَّ إِثْبَاتَ الْلَّازِمِ كَالْجَنَاحِ لِذَلِّ أَوْ لِلْمَخَاطِبِ بَلِّيْنِ الْجَانِبِ
لِلْوَالِدِينَ ، وَالْأَمْرُ أَنْ يَذْلِلَ لَهُمَا ، وَإِثْبَاتُ النَّقْضِ لِلْعَهْدِ يُسَمِّيُّ إِسْتِعْمَارَةَ تَحْيَيْلِيَّةً ،
وَهِيَ قَرِينَةُ الْإِسْتِعْمَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ ، وَسَمِيَّ ذَلِّكَ الْإِثْبَاتَ إِسْتِعْمَارَةً لِأَجْلِ أَنْ مَتَّعْلِقَةٌ
وَهُوَ الْأَمْرُ الْمُخْتَصُّ بِالْمَشْبَهِ بِهِ قَدْ اسْتِعْبَرَ وَنَقْلَ عَمَّا يَنْسَبُهُ ، وَاسْتَعْمَلَ مَعَ مَا شَبَهَ

(١) وَقَبْلَهُ : سَأَلَتْهَا حِينَ زَارَتْ نَفْوَ بِرْقَمَهَا الْفَانِي وَإِنْدَاعُ سَعْيِ أَطْبَبِ الْخَبَزِ وَمَسَاقَتِهِ
الْمَحْبِثُ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَاحِدًا وَيَسْكُنَ الْآخِرَ ، ثُمَّ يَتَكَلَّمُ السَّاكِتُ ، وَهَكُذا دُوَالِيَّكُ .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ الآيَةُ ٢٤ .

(٣) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ الآيَةُ ٢١٥ .

(٤) سُورَةُ الْبَقْرَةِ الآيَةُ ٢٧ .

بأصله، وتخيلية لأن متعلقة وهو الأمر المختص بالمشبه به لما نقل عن ملاعنة وأثبتت للمشبه، صار يخيلي إلى السامع أن المشبه من جنس المشبه به .

وهو حقيقة لاستعماله فيها وضعاً له ، ألا ترى أن الجناح استعمل في حقيقته وإنما النجور في إثباته المذل فهو بجاز عقلي في الأثبتات ، كما سيأتي ، لا بجاز لغوي وهكذا يقال في نظائره .

ومن حيث إنها قرينة المكتبة، فهي لازمة لها، لا تفارقها، إذ لا استعارة بدون قرينة، هذا إذا كان لازم المشبه به واحداً، فإن تعدد الملازم يجعل أفواهاً وأبيضتها لزوماً قرينة لها، وما عداه ترشيحًا وتفوية لها، كما سترى في ذلك بعد.

المبحث الثالث عشر
في منصب السكاكي والخطيب الفزويوني في المكينة

مذهب السكاكي أن المكينة لفظ المشبه المستعمل في المشبه به بادعاء أن المشبه عين المشبه به وإنكار أن يكون غيره بقرينة ذكر اللازم ، فالذل عنده في المثال السابق مراد به الطائر بادعاء أنه عينه بقرينة إضافة الجناح الذي هو من خواص الطائر ولوازمه إليه ، وليس المراد من الذل عنده مجرد الخضوع حق يكون مستعملاً في معناه الحقيقي ، بل الذل المفروض أنه عين الطائر ، وهو غير الموضوع له .

والجناح استعارة تخيلية بمعنى أن لفظ الجناح استعير عنده لأمر تخيلي وهي لأنه لما استعمل الذل في الخضوع المتعدد مع الطائر ادعاء ، أخذ الوهم يخترع له صورة مثل صورة الجناح ، واستعار لفظ الجناح لذلك ، ولا يخفى ما في هذا من التنسف .

وذهب الخطيب الى أنها التشبيه المضرور في النفس والإثبات تخيل ، فأخرجهما من المجاز ، أعني الكلمة المستعملة ، الخ .. إذ التشبيه فعل من أفعال النفس ، فكل من العجناح والذل مستعمل في معناه الحقيقي، عنده .

وقال سعد الدين التفتازاني : وتفسیر الاستعارة بذلك لا مستند له في كلام السلف ولا هو مني على مناسة لغوية .

المبحث الرابع عشر في تقسيم الاستعارة التصريحية لدى السكاكى إلى تحقيقية وتخيلية ومحتملة لها

تنقسم الاستعارة المصرحة عند السكاكى إلى ثلاثة أقسام :

١ - تحقيقية ، وهي ما كان المستعار له فيها محققاً حسناً أو عقلاً بأن كان اللفظ منقولاً إلى أمر معلوم يمكن الإشارة إليه إشارة حسية ، أو عقلية ، فال الأول قول زهير في معلقته يمدح حبيب بن ضمصن :

لدى أشد شاكي السلاح مقدّف له بيد أظافره لم تقلّم
والثاني نحو : (إهدنا الصراط المستقيم)^(١) ، فقد استعير في الأول الأسد
للرجل الشجاع ، وهو حرق حسناً ، وفي الثاني الصراط لملة الإسلام ، وهي
حقيقة عقلاً .

٢ - تخيلية ، وهي ما كان المستعار له فيها غير محقق لا حسناً ولا عقلاً بل
هو صورة وهمة محسنة لا يشبهها شيء من التحقيق نحو قول الهندي :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل قيمه لا تنفع

فإنه لـا شبه المنية بالسبع في الاغتيال أخذ الوهم بصور المنية بصورة السبع
ويختروع لوازمه لها فاختروع لها مثل صورة الأظفار ، ثم أطلق على هذه الصورة
لفظ الأظفار ، فتكون الأظفار عنده تصريحية تخيلية لأن المستعار له الأظفار
صورة وهمة شبيهة بصورة الأظفار الحقيقة ، وقربيتها إضافتها إلى المنية ،
والتخيلية عنده قد تكون بدون استعارة بالكتابية كقولك : أظفار المنية الشبيهة
بالسبعين قتلت فلاناً ، فقد صرخ بالتشبيه فلا مكتبة في المنية مع كون الاستعارة
في الاستعارة تخيلية .

٣ - محتملة للتحقيقية والتخيلية كقول زهير :

صحا القلب عن سلى وأقصر باطلة وعرى أفراس الصبا ورواحله^(٢)
الصحو خلاف السكر استعارة للسلو استعارة تصريحية تعبية ، وأقصر باطلة

(١) سورة الفاتحة الآية ٥ .

(٢) أقصر عن الشيء امتنع عنه مع القدرة عليه ، وقصر عنه اذا تركه مع القدرة ، والمراد
بالقصور هنا مطلق الامتناع ، وباطل القلب ميله الى الهوى .

أي أفلح عنه وامتنع والمراد انتهى ميله ، والتعرية الإزالة يريد أنه ترك ما كان يرتكبه زمن الحب من الجهل والغبي وأعرض عن معاودة ما كان منصرف إليه من اللهو وبطلت الآلات التي كان يستعملها .

فقد شبه الصبا بجهة من جهات المسير كالحجج والتجارة ، قضى منها حاجاته ، فبطلت آلات تشبيها مضمراً في النفس واستعمار الجهة للصبا وحذفها ورمز إليها بشيء من لوازمه وهي الأفراس والرواحل ، فالجهة هي المكينة عند الجمود ، وإنبات الأفراس والرواحل لها تخيلية ، والأفراس والرواحل مستعملان في حقيقتها عندم أيضاً ، أما عند السكاكى فيجوز أن تكون الأفراس والرواحل استعارة تخييلية إن أراد بها دواعي النفس وشمواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات ، أو أريد بها أسباب اتباع الغي من المال والأعونان لتحقيق معناها عقولاً إن أريد منها الدواعي ، أو حسناً إن أريد منها الأسباب ، وعلى هذا فالمراد بالصبا زمان الشباب ، ويجوز أن تكون تخيلية إن جعلت الأفراس والرواحل مستعارة لأمر وهي تخيل للصبا من الصبوة وهو الميل الى الجهل والفتوة .

المبحث الخامس عشر في انقسامها الى أصلية وتبعة

تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار قسمين :

١ - أصلية ، وهي ما يكون اللفظ المستعار فيها اسم جنس ، وهو الذات الصالحة لأن تصدق على كثرين ولو تأويلاً نحو أسد ، وقتل اذا استعمل للشجاع والضرب الشديد ، ونحو : حاتم وقس من قوله : رأيت اليوم حاتماً ، وسمعت اليوم قسماً يخطب ، ومثلهما كل ما شاكلهما من الأعلام التي اشتهرت مسمياتها بوصفية . وإجراء الاستعارة في مثل هذا أن يقال شبه الرجل الشجاع بالأسد يجامع الشجاعة في كل ، واستعير لفظ الأسد الشجاع على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، وشبه الرجل الكريم بحاتم يجامع الكرم في كل ، واستعير لفظ حاتم للكرم استعارة تصريحية أصلية .

٢ - تبعة ، وهي ما يكون المستعار فيها :

(١) فعل . (٢) اسم مشتق . (٣) حرفاً .

فال الأول ، نحو : عضنا الدهر بنابه ، فقد وقع المصائب بالبعض يجامع الآيلام

في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من المض بمعنى الإيلام عض بمعنى آلم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

هذا اذا كان النجوز في الفعل باعتبار حدثه ، فإن كان باعتبار زمانه كان التفاير بين المصدرین باعتبار القيدین نحو : ﴿ ونادى أصحابَ الجنة﴾^(١)، أي ينادي فيقال شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي بحاجم تحقق وقوعها ، ثم استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في المستقبل واشتق منه نادى بمعنى ينادي على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

والثاني ، نحو : جليل عملك ناطق بفضلك ، شبهت الدلالة بالنطق بحاجم إفهام الغرض في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتق من النطق بمعنى الدلالة ناطق بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ، ونحو : ﴿ من بعثنا من مرقدنا﴾^(٢) فالمفرد مكان الرقاد استعير للقبر بحاجم خفاء الأثر في كل ، ثم اشتق من الرقاد بمعنى الموت مرقد بمعنى مكان الموت وهو القبر استعارة تصريحية تبعية .

والثالث ، نحو : ﴿ فال نقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾^(٣) ، فقد شبه ترتيب المعاواة والحزن على الالتقاط بترتيب العلة الفائنة عليه بحاجم مطلق ترتيب شيء على شيء فسرى التشبيه من الكلين للجزئيات التي هي معانى الحروف فاستعيرت اللام الموضوعة لكل جزئي من جزئيات العلة الفائنة كالحبة والتبنى لللام التي تدل على المعاواة والحزن استعارة تصريحية تبعية ، وإلى هذا يشير قول الزمخشري بمعنى التعليل في اللام وارد على طريق المجاز ، لأنه لم يكن داعيهم الى الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً ولكن الحبة والتبنى ، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم وثارته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله .

ثم قال : وهذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل ، كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد ، انتهى .

(١) سورة الأعراف الآية ٤٤ .

(٢) سورة يس الآية ٥٢ .

(٣) سورة القصص الآية ٨ .

ونحوه قوله عز اسمه : ﴿ ولأصلبئكم في جذوع النخل ﴾^(١) ، شيء مطلق استعلاء بطلق ظرفية يجامع التمكّن في كلّ ، فسرى التشبيه من الكلين للجزئيات التي هي معانٍ الحروف فاستعير لفظ (في) الموضوع لجزئي من جزئيات الظرفية لهنى على الموضوع للاستعلاء على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ومدار قرينة الاستعارة التبعية في الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل نحو : نطقت الحال بكلّها ، أو إلى المفعول الأول كقول ابن المعتز :

جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السماحة

فالذى دل على استعارة قتل وأحيا ، إنما إسنادها إلى البخل والسماحة ، إذ لو قال : قتل الأعداء وأحيا الأحياء ، لم يكن هناك سبيل للاستعارة فيها ، أو إلى المفعول الثاني ، كقولقطامي :

منا عشية يحرى بالدم الوادي	لم تلق قوما هم شر لاخوتهم
ما كان خاط عليهم كل زراد ^(٢)	نقر لهم لهذميات نقد بها

فإسناد القرى إلى اللهمات قرينة على أن نقر لهم استعارة ، أو إلى المفهولين الأول والثاني ، كقول الحريري :

وأقرى المسامع إما نطقت	بيانا يقود الحرون الشموسا ^(٣)
------------------------	--

فإن تعلق أقوى بكل من يلمسامع والبيان دليل على أنه استعارة ، أو إلى المحرر ، نحو : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾^(٤) ، فذكر العذاب دليل على أن بشر استعارة تبعية تهكمية .

(تبنيات) أو لها كيما تكون المصرحة أصلية وتبعية تكون المكتبة كذلك^(٥).

(١) سورة طه الآية ٧١.

(٢) نقر لهم من قربت الضيف ، واللهم من الأسنة القاطع واللهمات منسوبة إليها ، والقد: القطع ، وضمن خاط معنى قد ، فعداه بعلى ، وزرد الدرع وسردها نسجها .

(٣) الحرون من المثيل ما لا يسهل قياده والشموس منها ما يمنع ظهره من الركوب .

(٤) سورة الانشقاق الآية ٢٤ .

(٥) لكن لا تجري التبعية يحميّ أقسامها في المكتبة إذ أنها لا بد فيها من إثبات لازم المشبه به للمشبه ووضع الفعل راسمه ، والحرف يقتضي ألا بثلت لعناما شيء لوجه ما لا بالإسناد اليه ، ولا بالابيقاع عليه ولا الإضافة اليه .

ثانية - إنما سميت الاستعارة في القسم الثاني تبعية لأنها تابعة لاستعارة أخرى إذ هي في المشتقات تابعة لجريانها في المصدر أولاً ، كما أن معانى الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة فيها إلا بواسطة كلي مستقل بالفهومية ليتأتى كونها مشبهاً ومشبهًا بها فلا بد من إجراء التشبيه أولاً في متعلق معانى الحروف ، ثم تتبعها الاستعارة في المعانى الجزئية .

ثالثاً - قال السكاكى : لو لم يحملوا في الفعل والحرف استعارة تبعية بل جعلوا في مدخلها استعارة مكنية يقررتها كما فعلوا في : أنشبت المنية أظفارها ، لكان أقرب للضبط .

المبحث السادس عشر في تقسيمها إلى مرشحة ومجردة ومطلقة

تنقسم الاستعارة باعتبار اقتراها بما يلائم المستعار منه أو المستعار له أو عدم اقتراها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام ، مرشحة ومجردة ومطلقة :

١ - فالمرشحة هي التي تقتربن بما يلائم المستعار منه ، كما تقول : رأيت في الميدان أسدًا دامي الأنياب طويل البرائين ، وكما قال كثير عزة :

رمتي بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو اللقب جارح^(١)
فقد استعار السهم للنظر يحاجم التأثير في كل ثم رفع الاستعارة بذكر الريش الملائم للسمم ، وكما قال ابن هانىء المغربي :

وجنitem ثر الواقع يانعاً بالنصر من ورق الحديد الأخضر

٢ - والمجردة هي التي تقتربن بما يلائم المستعار له كما تقول : رأيت أسدًا في حومة الوغى يحندل الأبطال بنصله ويشك الفرسان برمحه ، وكما قال كثير يمدح عمر ابن عبد العزيز :

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكته رقاب الملل^(٢)

(١) المعنى : أنها رمت بسهم نظرها الفاتك الذي ريشه الكحل ، فجرحت قلبه ، ولم تضر ظواهر جلده .

(٢) يريد أنه كثير العطاء سخي ، والمعنى أنه اذا ضحك وسر وهب ماله وفقره وعنى برقاب الأموال أنفسها ، وغير عنها بالرقاب كقوفهم : أعنق رقبة ، أي عبداً .

فقد استعار الزداء المعروف ، لأنه يصون عرضه كما يصون الرداء ما يلقى عليه من مكرره والقرينة تتمة البيت ، ثم وصفه بالغمد الذي هو وصف المعروف لا للرداء على سبيل التجريد .

٣ - والمطلقة هي التي لم تقتربن بصفة معنوية ولا تفريح يلائم أحد الطرفين ، والفرق بينها أن الملازم إن كان من تتمة الكلام الذي فيه الاستعارة فهو الصفة ، كما في قوله : تبسم ضاحكا ، وإن كان كلاماً مستقلأ جيء به بعد تمام الاستعارة ويني عليها فهو التفريح ، نحو : ﴿فَمَا رجحتْ تجارتُه﴾^(١) ، بعد قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾^(٢) .

(تبنيهات) أو لها أنه إذا اجتمع الترشيح والتجريد كانت الاستعارة في حكم المطلقة كقول زهير :

لَهُ لِبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلِمْ
فَشَاكِي السَّلَاحِ مَقْدُفٌ

لدى أسد شاكى السلاح مقدف إن أريد به في الواقع والمحروب كان تجريداً أيضاً ، وإن أريد به المرمى باللحم كناية عن عظم الجثة والضخامة ، لم يكن لا تجريداً ولا ترشيشاً لأنه يلائم كلامهما ، وله لبد وهي الشعر المترافق بين كتفي الأسد ترشيح ، وكذلك أظفاره لم تقل لأن الأسد الحقيقي هو الذي ليس من شأنه تقليم الأظفار ، والقرينة كلمة لدى ، أو القرينة حالية ، ولدى تجرييد إذ التجريد أو الترشيح إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها ، ولذا لا تسمى قرينة الاستعارة التصريحية تجريداً ولا قرينة المكنية ترشيشاً .

(ثانيها) : الترشيح أبلغ^(٣) وأقوى من الإطلاق والتجريد ، لاستهالة على تقوية المبالغة وكما لها ، فإن المhor الذي يدور عليه الترشيح إنما هو تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه ، وكان الاستعارة غير موجودة ، ألا ترى أن النافر أو الشاعر يحدّ في إنكارها ، ويخيل إلى السامع أن الأمر على ما يقوله حقيقة ، ومن ثم وضع أبو تمام كلامه في علو المنزلة والرقى في خلال الشرف وضعه في علو المكان حين يقول :

(١ و ٢) سورة البقرة الآية ١٦ .

(٣) الأبلغ في الحقيقة هو الكلام المشتمل على الترشيح لا الترشيح نفسه .

ويقصد حتى يظن المجهول بـأأن له حاجة في السـاء
فـلولا أـنـه قـصد تـناسـي التـشـيـيـه وـعـقـدـ المـزـيـة عـلـى جـحـده وـلـمـ يـالـجـهـدـ فيـ إـنـكـارـه
فـجـمـلـهـ صـاعـدـاـ فيـ السـاءـ حـيـثـ المـسـافـةـ الـمـكـانـيـةـ ،ـ لـماـ كـانـ هـذـاـ الـكـلـامـ وـجـهـ .
وـنـخـوـهـ قـولـ بـشارـ :

أـتـتـنـيـ الشـمـسـ زـائـرـةـ
وـلـمـ تـكـ تـبـرـحـ الـفـلـكـاـ

وـقـولـ المـتنـيـ :

كـبـرـتـ حـولـ دـيـارـهـ لـمـ بـدـتـ
مـنـهـ الشـمـوسـ وـلـيـسـ فـيـهاـ الـشـرـقـ
وـلـمـ أـرـ قـبـلـيـ مـنـ مـشـيـ الـبـدـرـ نـخـوـهـ
وـمـنـ هـذـاـ مـاـ سـبـقـ مـنـ التـمـجـبـ وـالـنـهـيـ عـنـهـ ،ـ إـذـاـ جـازـ الـبـنـاءـ عـلـىـ الـمـشـبـهـ بـهـ مـعـ
الـاعـتـرـافـ بـالـمـشـبـهـ (١)ـ فـيـ نـخـوـهـ قـولـ الـمـبـاسـ بـنـ الـأـحـنـفـ :

هـيـ الشـمـسـ مـسـكـنـهـ فـيـ السـاءـ
فـعـزـ الـفـؤـادـ عـزـاءـ جـيـلاـ
فـلـانـ تـسـطـيـعـ الـيـهـ الـصـعـودـ
وـلـنـ تـسـطـيـعـ الـيـكـ النـزـوـلـ
فـلـأـنـ يـحـوزـ مـعـ جـحـدهـ وـإـنـكـارـهـ فـيـ الـاسـتـعـارـةـ أـوـلـىـ .

(ـثـالـثـاـ)ـ :ـ الـمـطـلـقـةـ أـبـلـغـ مـنـ الـمـحـرـدـةـ ،ـ لـأـنـ الـتـجـرـيدـ يـذـكـرـ بـالـتـشـيـيـهـ ،ـ فـيـضـعـفـ
دـعـوـيـ الـاتـحـادـ .

المبحث السابع عشر في حسن الاستعارة وقبحها

لا تحسن الاستعارة ولا تقع الموقف الملائم إلا إذا حازت الشروط الآتية :

١ـ رـعـاـيـةـ حـسـنـ التـشـيـيـهـ (٢)ـ ،ـ إـذـ هـوـ أـسـاسـهـ الـذـيـ تـبـنيـ عـلـيـهـ ،ـ خـلـأـهـ مـاـ
يـسـتـملـحـ هـنـاـ قـوـةـ الـشـبـهـ بـيـنـ الـطـرـقـيـنـ بـعـكـسـ بـابـ التـشـيـيـهـ ،ـ وـمـنـ ثـمـ تـحـسـنـ الـاستـعـارـةـ
فـيـاـ يـقـويـ فـيـهـ الـشـبـهـ بـيـنـهـماـ بـحـيثـ يـصـيرـ الـفـرعـ كـأـنـ الـأـصـلـ ،ـ وـلـاـ يـحـسـنـ التـشـيـيـهـ ،ـ
أـلـأـقـرـىـ أـنـ الـرـجـلـ يـقـولـ إـذـاـ فـهـمـ مـسـنـةـ :ـ حـصـلـ فـيـ قـلـيـ نـورـ ،ـ وـلـاـ يـقـولـ :ـ كـأـنـ
الـعـلـمـ الـذـيـ حـصـلـ فـيـ قـلـيـ نـورـ ،ـ وـيـقـولـ لـمـ أـوـقـعـهـ فـيـ شـبـهـ :ـ أـوـقـعـتـيـ فـيـ ظـلـمـةـ ،ـ
وـلـاـ يـقـولـ :ـ كـأـنـ الشـبـهـ الـتـيـ أـوـقـعـتـيـ فـيـهاـ ظـلـمـةـ .

(١)ـ فـانـ قـولـهـ هـيـ الشـمـسـ تـشـيـيـهـ ،ـ وـفـيـهـ اـعـتـرـافـ بـالـشـبـهـ ،ـ وـمـعـ ذـلـكـ بـنـيـ الـكـلـامـ عـلـىـ الـشـبـهـ بـهـ
أـعـنـيـ الشـمـسـ .

(٢)ـ قـالـ الـجـرجـانـيـ :ـ مـلـاـكـ الـاسـتـعـارـةـ قـرـبـ التـشـيـيـهـ وـمـنـاسـيـهـ الـمـسـتـعـارـ لـهـ وـامـتـازـ
الـقـطـعـ بـالـمعـنـىـ حـتـىـ لـاـ يـوـجـدـ بـيـنـهـاـ مـنـافـرـةـ ،ـ وـلـاـ يـتـبـيـنـ فـيـ أـحـدـهـمـ إـعـرـاضـ عـنـ الـآخـرـ .

٢ - غرابة وجه الشبه ولطفه وكثرة التفصيل فيه وبعده من الابتدال وعدم خفائه الى الفانية حق لا يكون تعمية وألفاظاً ، ومن ثم لا يحسن استعارة الأسد لإنسان أبخر لخفاء وجه الشبه في مجرى العادة في مثل هذا .

٣ - ألا يشم منها رائحة التشبيه لفظاً ، ومن ثم ضعفت الاستعارة في قوله : قد زر أزراره على القمر^(١) .

٤ - بعدها عن الحقيقة بترسيحها تقوية لدعوى الاتحاد فيها ، ومن أجل هذا قدمت المرشحة على المطلقة والجبردة في اعتبار البلاء ، فإن خلت الاستعارة مما سبق ذكره انحطت رتبتها واستجمعت كقول أبي نواس :

بع صوت المال مما منك يشكوا ويصبح

يريد أن المال تظلم من إهانته إيه بتميزقه بالعطايا ، وهذا معنى حسن ، لكن العبارة عنه قبيحة لا تروق في نظر البلاء ويا بها ذوو الفطر السليمة^(٢) .
وقوله أيضاً وهو أسفف من الأول :

ما لرجل المال أضحت تشتكى منك الكللا

فأين هذا من قول مسلم بن الوليد في هذا المعنى :

تظلم المال والأعداء من يده لا زال للمال والأعداء ظلاماً

وقول أبي تمام :

بلوناك أما كعب عرضك في العلا فعال وأمـا خـد مـالـكـ أـسـفلـ

مراده أن عزضك مصون وممالك مبتذل ، لكنه قد ساقه مستكرها ، وأخرجها مخرجاً مستجيناً ، وكقول بشار :

ووجدت رقاب الوصل أسياف هجرنا وقدت لرجل البين نعلين من خدي

قال في «العمدة» : فـا أـمـجـنـ رـجـلـ الـبـيـنـ وـأـقـبـحـ اـسـتـعـارـتـهـاـ وـلـوـ كـانـتـ الـفـصـاحـةـ
بـأـسـرـهـاـ فـيـهاـ ، وـكـذـلـكـ رـقـابـ الـوـصلـ .

(١) إذ الضمير في أزراره لمحبوه ولم يكن هذا من التشبيه لما تقدم من أن المشبه لم يذكر على وجه ينبي عن التشبيه بأن يكون المشبه به خبراً عنه أو حالاً أو صفة ، بل فيه رائحة الأشمار فقط .

(٢) إذ أي شيء أبعد استعارة من صوت المال ، فكيف به اذا بع من الشكوى والصياغ ، مع أنه ليس له صوت حين يعطي .

أسرار البلاغة في الاستعارة

الاستعارة يجمع ضروبها وتمدد مذاهبها وشعوبها ، أعلى مرتبة من التشبيه ، وأقوى في المبالغة منه ، لما فيها من تناسق التشبيه ، وادعاء الاتحاد بين المشبه والمشبه به ، كأنها شيء واحد ، يطلق عليها لفظ واحد ، انظر إلى قول المنبي :

ترنو إلى^(١) بعين الظبي مجسمة وتسخن الطل فوق الورد بالعمر^(١)

تره وقد ت مثلت له حبوبته ظبيةة تنظر إليه وهي حيرى تسخن طلاً فوق خدتها بأصابعها وهي كالعمر ليناً وحررة ، واختباً عن عينيه مظهر التشبيه ، وظهر له ذلك بظهور الحقيقة ، ورأيته وقد سما به الخيال فرأى الطل يسقط على الورد ، فهل يؤدي التشبيه مثل هذا؟ وهل تصل فيه المبالغة إلى ما تصل إليه الاستعارة؟ فهيه قال : تسخن الدموع التي تشبه الطل وتحمود التي هي كالورد والأصابع التي تشبه العمر ، أتراه يصل إلى مثل ما قال؟ إنك لتعس بأن هذا أدنى من المعنى الجازى وأقل منه مبالغة ، فإن في التشبيه جمماً بين المشبه والمشبه به ، وهذا إقرار بأنما متقابلان ، وتأمل قول أبي الحسن التهامي :

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الأسحار
يتبن لك فيه صورة النجوم وقد أفلت بعد طلوعها ، وكواكب الأسحار
وقد غادرت بعد ظهورها .

وقد استعمل العرب الاستعارة في كلامهم تقريباً للمعنى إلى ذهن السامع ، واستشارة خياله واحتلايله ، ليقنع بما يقال له ويلقى في روعه .

تدريب أول

اجمل التشبيهات الآتية استعارة مصراحة أو مكنية مع بيان القرينة :

- ١ - استذكرت كتاباً كالصديق في المؤانسة .
- ٢ - اللسان كالسيف في الإيذاء .
- ٣ - انتشرت في السماء نجوم كالدرر .
- ٤ - في البحر سفن كالجبال في العلو .

(١) العن : شجر لين الأغصان ، تشبه به الأصابع .

- ٥ - على الأشجار بلا بلبل كالقيان في حسن الصوت .
- ٦ - في الغرفة ثريات كهربائية كالشمس في الإضاءة .
- ٧ - الكتاب صديق .
- ٨ - لفلانة أسنان كالبرد في البريق واللمعان .
- ٩ - على كالفيت في المطاء .
- ١٠ - هند كالبدر في الحسن والبهاء .

الاجابة

القرينة	استعارة تصريحية
استذكرت بين فكيك في السماء تمخر في البحار على الأشجار في الغرفة في القمطر في فم يعطي الدرام بين أترابه	١ - استذكرت صديقاً مطبوعاً ٢ - أحذر سيفاً بين فكيك ٣ - انتشرت درر في السماء ٤ - رأيت جبالاً تمخر في البحار ٥ - صدحت قيان على الأشجار ٦ - في الغرفة شموس مقلقة بالزجاج ٧ - عندي صديق في القمطر ٨ - في فم فلانة برد منضد ٩ - رأيت غيشاً يعطي الدرام والمدناير ١٠ - طلع علينا بدر بين أترابه
القرينة	استعارة مكنية
مؤنساً الغضب مثقوبات تسوّجها الثلوج تعزف بالحان تشرق وتغرب	١ - استذكرت كتاباً مؤنساً ٢ - أحذر اللسان الغضب ٣ - نثرت نجوم مثقوبات في السماء ٤ - رأيت سفناً تتوّجها الثلوج ٥ - صدحت بلا بلل تعزف بالحان مطربة ٦ - في الغرفة ثريات تشرق وتغرب

- ٧ - عندي كتاب حمم
- ٨ - لفلان أسنان يقدر قيمتها الجوهرى
- ٩ - رأيت هنداً تتلاؤ بين أترابها
- تتلاؤ
- يقدر قيمتها الجوهرى
- أسنان
- عندى

تدريب ثان

اجر الاستعارة فيما يلي وبين نوعها وقرينتها :

- | | |
|---|---|
| ١ - ففي كلما فاضت عيون قبيلة | دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر |
| ٢ - ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾ ^(١) | |
| ٣ - اذا التضل القوم الأحاديث لم يكن | عيّنا ولا ربا على من يقادع |
| ٤ - فسمـونا والفحـر يضـحك | في الشرق الـيـنا مـبـشـراً بالـصـباح |
| ٥ - لـسـنا وـإـنـ أحـسـابـنا كـرـمـتـ | يـومـاً عـلـى الـاحـسـابـ نـكـلـ |
| ٦ - سـأـبـكـيكـ لـلـدـنـيـا وـلـلـدـنـيـ إـنـيـ | رأـيـتـ يـدـ المـعـرـوفـ بـعـدـكـ شـلتـ |

الاجابة

- ١ - في فاضت العيون وضحكت الأحاديث استعارة، إما تصريحية أو مكتنونة، فعلى الأول يقال : شبه تزول الماء متذبذباً بفيضان النهر يحاجم الكثرة في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للشبه ، واشتق من الفيضان بمعنى صب الماء الكثير فاض بمعنى صب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، ودما تحريد لأنها تناسب العيون ، وشبهت المسرة والابتهاج بالضحكة يحاجم أريحية النفس في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للشبه ، واشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة حالية ، وعلى الثاني يقال : شبهت العيون بالأنهار يحاجم جريان الماء الكثير من كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به للشبه وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو فاض على طريق الاستعارة المكتننة الأصلية ، والقرينة نسبة الفيضان الى العيون وهي الاستعارة التخييلية ودما تحريد أيضاً ، وشبهت الأحاديث بناس فرحين يحاجم الأريحية والسرور لكل عند حصول ما يسر ، واستعير اللفظ

(١) سورة الأعراف الآية ٦٠ .

الدال على المشبه به للمشبه ، وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو ضحك على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة .

٢ - شبه مطلق ارتباط بين متلبس بالضلالة ومتلبس به بطلاق ارتباط بين ظرف ومظروف يحاجم التمكّن في كل ، فسرى التشبيه من الكلين (مطلق الارتباط) الى الجزئيات (معانى الحروف) فاستعيرت (في) من الظرفية الحقيقة للظرفية المعنوية على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة على ذلك كلمة الضلال .

٣ - شبّهت الأحاديث بالسمام يحاجم التأثير ومبارة المتحادثين كما يتبارى الرماة في كل منها ، ثم استعير لفظ السمam للأحاديث وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو انتضل على سبيل الاستعارة المكنية ، وكلمة عيّا تجريد ، لأنها تناسب الأحاديث .

٤ - شبّه الفجر بإنسان يتسلّم ، فتظهر أنسانه مضيئة لامعة يحاجم البريق واللumen ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذفه وأشار اليه بشيء من لوازمه ، وهو يضحك على طريق الاستعارة بالكتابية ، وإثبات الضحك للفجر استعارة تخيلية .

٥ - في كلمة على استعارة تصريحية تبعية ، فقد شبّه مطلق ارتباط بين متلبس ومتلبس به بطلاق ارتباط بين مستعمل ومستعمل عليه يحاجم التمكّن والاستقرار في كل ، ثم استعيرت على من جزئي من جزئيات الأولى الجزئي من جزئيات الثاني على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

٦ - شبّه المعروف بإنسان له يد تعطى ، والجامع البذر والمعطاء في كل منها استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو اليدي على سبيل المكنية الأصلية المرشحة بكلمة مثلت وإثبات اليدي للمعروف استعارة تخيلية .

تمرين أول

اجر الاستعارة وبيّن نوعها وقرينتها فيما يلي :

- ١ - سقاوه الردى سيف اذا سل أو مضت إلى ثنيا الموت من كل مرقب
- ٢ - عوى الشعراء بعضهم لبعض على فقد أصحابهم انتقام

- ٣ - هم صلبو العبد في جذع نخلة فـلا عطست شيئاً إلا بأجدعه^(١)
- ٤ - فـمحونا آية الليل وجعلنا النهار مبصرة^(٢)
- ٥ - فأشرنا به بدأ ميتاً^(٣)
- ٦ - ألا إِنَّهُمْ فِي مَوْرِيَةٍ مِّنْ لَقَاءِ رَبِّهِمْ^(٤)
- ٧ - والشمس لا تشرب خمر الندى في الروض إلا بكؤوس الشقيق

تمرين ثان

- ١ - هـإِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ^(٥)
- ٢ - هـولـنـدـيـقـنـهـمـ من العـذـابـ الأـدـنـىـ دون العـذـابـ الأـكـبـرـ^(٦)
- ٣ - مـنـ يـزـرـعـ الشـرـ يـحـصـدـ فـيـ عـوـاقـبـهـ
- ٤ - لـاـ يـتـطـيـ الجـهـدـ مـنـ لـمـ يـرـ كـبـ الحـطـراـ
- ٥ - وـمـاـ هـيـ إـلـاـ خـطـرـةـ ثـمـ أـفـلـمـتـ
- ٦ - قـوـمـ اـذـاـ الشـرـ أـبـدـيـ تـاجـذـيـهـ لـهـ
- ٧ - قـالـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ : « الدـنـيـاـ مـنـ أـمـسـ فـيـهاـ عـلـىـ جـنـاحـ أـمـنـ ، أـصـبـحـ فـيـهاـ عـلـىـ قـوـادـمـ خـوفـ » .

تمرين ثالث

- ١ - شـمـسـ وـبـسـدـرـ وـلـدـاـ كـوـكـباـ
- ٢ - جـاءـ النـسـمـ إـلـىـ الفـصـونـ رـسـوـلـاـ
- ٣ - وـذـيـ رـحـمـ قـلـمـتـ أـظـفـارـ ضـفـنـهـ
- ٤ - اـذـاـ اـمـتـحـنـ الدـنـيـاـ بـيـبـ تـكـشـفـتـ
- أـقـسـمـتـ بـالـهـ لـقـدـ أـنـجـبـنـاـ
- وـمـشـىـ يـحـرـ عـلـىـ الـرـيـاضـ ذـيـلاـ
- بـحـلـمـيـ عـنـهـ وـهـوـ لـيـسـ لـهـ حـلـمـ
- لـهـ عـنـ عـدـوـ فـيـ ثـيـابـ صـدـيقـ

(١) الأجدع : المقطوع الأنف ، دعا عليهم بالذل والصفار لصلبهم العبد.

(٢) الاضافة في آية الليل والنهار للتبين ، أي آية هي الليل وآية هي النهار (سورة الإسراء).

(٣) أـنـشـرـناـ : أـحـيـنـاـ (سـورـةـ الزـخـرـقـ) .

(٤) سـورـةـ فـصـلـتـ الآـيـةـ ٤ـ٤ـ .

(٥) سـورـةـ النـذـارـيـاتـ الآـيـةـ ٤ـ١ـ .

(٦) سـورـةـ السـجـدـةـ الآـيـةـ ٢ـ١ـ .

٥ - أنتَ الخلافة منقادة
 ٦ - اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
 ٧ - ولبلطة بت أسي في غياها
 ما زلت أشربها حتى نظرت الى

المبحث الثامن عشر في المجاز المركب

الجائز المركب هو اللفظ المركب المستعمل قصداً وبالذات في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، فخرج بقولنا قصداً ، وبالذات ما إذا تجاوز يجزء من أجزاء المركب ، فإنه قد استعمل بمجموعة في غير ما وضد له ، وليس ذلك مجازاً مركباً .

وَهُذَا الْجَازِ قَسْمَانْ :

(أ) ما كانت علاقته غير المشابهة وهو المجاز المرسل المركب ، وهو أنواع :
١ - المركبات الخبرية المستعملة في المعانى الإنشائية ، إما للتحسر وإظهار
الحزن ، نحو :

ذهب الشباب فما له من عودة وأتى المشيب فأين منه المهرب
وإما للدعاء، نحو: وفقك الله - نجح الله مقاصدنا.. إلى غير ذلك من المقاصد
التي يستعمل فيها الخبر ويكون غير مراد به الفائدة ولا لازمها، والعلاقة في مثل
هذا اللازمية إذ يلزم من الأخبار بذهاب الشيء المحبوب كالشباب مثلاً التحسن
علمه، وهكذا يقال في نظائره والقرينة حالة .

٢ - المركبات الإنسانية المستعملة في المعايير الخبرية ، نحو قوله عليه السلام : « مَنْ كَذَبَ عَلَىٰ مَتَعَمِّدًا فَلَيُبَوِّأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ » بمعنى يتبأوا ، والصلة في نحو هذا السبيبية لأن إنشاء المتكلم هذه الجملة سبب لأخباره بما تتضمنه ، قال العيني في شرح البخاري : فليتبأوا أمر من النبوه وهو التخاذ المباء والمزل ، وظاهره أمر ومعناه خبر .

٣- الجل الإنسانية، فعلية كانت أو ابجية المأوى بها، لما يتولد منها من إشكال ونحوه، والعلاقة في نحو هذا الجماعة، نحو : **ألم تربك فينا وليدا** ^(١).

(١) سورة الشعرا الآية ١٨ .

(ب) ما كانت علاقته المشابهة بين الهيئة المستعار منها والهيئة المستعار لها
بأن تشبه إحدى صورتين متزعنين من أمرین وأمور بالآخری ، ثم يدعى أن
الصورة المشبهة من جنس الصورة المشبهة بها فيطلق على الصورة المشبهة اللفظ
الدال بالمطابقة على الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه ، كما كتب الوليد بن يزيد
لما بويع بالخلافة إلى مروان بن محمد حينما بلغه توقفه في البيعة له .. أما بعد :
فإن أراك تقدم رجلاً وتؤخر ^(١) أخرى ، فإذا أراك كتابي هذا فاعتمد على أنها
شتت والسلام ، فقد شبهت صورة ترددك في المباغة بصورة تردد من قام ليذهب
في أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخرها مرة أخرى ،
وكما يقال لمن يعمل فيها لا يحدي : أراك تنفس في غير فحم ، وأراك تخط على الماء
يراد أنه في عمله كمن يفعل ذلك .

وهذا القسم يسمى استعارة تمثيلية ^(٢) واستعارة على سبيل التمثيل وتشيلاً
على سبيل الاستعارة أو تشيلاً فقط ، ويتنازع عنها التشبيه المركب بأن يقال له :
تشبيه تشيل أو تشبيه تشيلي .

وإذا اشتهرت الاستعارة التمثيلية وكثير استعمالها سميت مثلاً ولا يغير مطلقاً
محافظة على الاستعارة فيخاطب به المفرد والمذكر وفروعها بطريقة واحدة ^(٣)
كقولهم : أحشفاء وسوء كيلة ^(٤) ، يضرب مثلاً لمن يظلم من جهتين ، وبيان
الاستعارة في مثل هذا أن يقال : شبهت هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل
اشترى من آخر تمراً رديئاً وطفف له المكيال يجتمع الظلم من جهتين ، واستعير
التركيب الموضوع للشبيه به للمشبيه استعارة تمثيلية ، وهكذا يقال في سائر الأمثل

(١) مفعول تؤخر محذوف أي وتشيرها أي تلك الرجل المقدمة ، قوله أخرى فتحت لمرة
أي مرة أخرى ، وإنما لم تجعل أخرى نعتاً للرجل لثلا يفيد الكلام أن الرجل المؤخرة غير
المقدمة وليس ذلك صورة التردد كذا في ابن يعقوب .

(٢) وكل استعارة وإن كانت تشيلاً أي تشبيهاً فقد خص اسم التمثيل بهذه الاستعارة لأنها
مثار فرسان البلاغة .

(٣) وذلك معنى قوله الأمثال لا تغير .

(٤) الحشف : الرديء ، والكيلة : هيئة الكيل .

النثانية والنظمية نحو : إن البغاث بأرضنا يستنصر^(١) ، ما يوم حليمة بسر^(٢) .

وقوفهم :

إذا قالت حذام فصدقواها فإن القول ما قالت حذام

(تنبيه) هذه الاستعارة أبلغ أنواع المجاز مفرداً ومركباً ، إذ مبناتها تشبيه التمثيل ، وقد عرفت دقة مسلكه من قبل أن وجه الشبه فيه يكون هيئه متزعة من أشياء متعددة ، فالاستعارة المبنية عليه تكون أدق أنواع الاستعارات إذ من الصعوبة يمكن أن تعمد إلى صورتين مركتين من أجزاء عدة فتحاول الربط بينهما وتحصر جهات اتحادها وتشبه إحداها بالأخرى فلا يخفى ما أنت تحتاج إليه في الممارسة حينئذ ، كما لا ينكر الأقر الذي تراه في مخاطبتك اذا أدليت إليه في معرض كلامك بهشل ، فكم تجد لديه من الأرجحية ، وكيف يغنى إيجاز المثل عن الشرح والإسهاب ؟ ..

تدريب

بيان أنواع المجاز المركب فيما يلي :

- ١ - افعل ما بدا لك ، تقوله تهديدأً لخاطبك .
- ٢ - أنت تصرخ في واد ، تقول ذلك لمن يعمل ما لا فائدة فيه .
- ٣ - لك الحمد والشكر ، تقول ذلك بعد الأكل مثلاً .
- ٤ - وهذا الذي أطربت في مدحه ، تقول ذلك متهكمًا .
- ٥ - سلام على الدنيا اذا لم يكن بها صديق صدق الوعد منصفاً .
- ٦ - أخذت من شبابي الأيام وتولي الصبا عليه السلام .

الاجابة

- ١ - في هذا المركب مجاز مرسل مركب علاقته المعاورة ، فقد استعمل الأمر في التهديد لا في الطلب .
- ٢ - في هذا المركب استعارة تمثيلية ، فقد شبّهت صورة من يعمل ما لا فائدة

(١) يضرب للضعف يصير قويًا .

(٢) يضرب لكل أمر متعارف مشهور .

فيه بصورة مَن يصرخ في وادٍ يحاجع عدم الفائدة في كلِّ، واستعير المركب الدال على هيئة المشبه به هيئة المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

٣ - في هذا المركب مجاز مرسل ، علاقته السببية ، لأنَّه استعمل الخبر في إنشاء لإرادة الدعاء .

٤ - في هذا المركب مجاز ، علاقته المجاورة ، لأنَّه استعمل الاستفهام في التحكم .

٥ - استعمل هذا المركب في إنشاء التحسن والأسف على فقدان الصديق ، مجازاً مرسلاً ، علاقته السببية .

٦ - هذا المركب كسابقه .

تمرين

بيان نوع المجاز المركب ، واذكر علاقته فيما يلي :

١ - ومنْ قصد البحر استقل السواعيَا ، يقال لمن يطمح الى العظيم ولا يرضى .

٢ - تلذغ العقرب وتصيء^(١) ، يقال للظالم يشكوا كأنه مظلوم .

٣ - قد كنت عَدْتَيْ التي أسطوْبَهَا ويدِي اذا اشتد الزمان وساعدني

٤ - ليس التكحل في العينين كالكحل ، يقال لمن يتكلف ما ليس من طبعه .

٥ - وليس يصح في الأذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

٦ - أين الذي اهرمان من بنيانه ما يومه ما المشرع ؟

المبحث التاسع عشر في المجاز بالحذف^(٢) أو الزيادة

كما توصف الكلمة بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي ، كما تقدم ، كذلك توصف بالمجاز بطريق الاشتراك اللغطي اذا تغير حكم اعرابها الأصلي بواسطة حذف لفظ او زيارته .

(١) صَأَيْ الفرخ والمُقرَب صاح وصَاه مقلوب منه .

(٢) اطلاق المجاز على هذا النوع من طريق الاشتراك اللغطي فلفظ مجاز وضع وضعي أحدهما الكلمة المستعملة في غير ما وضعت لعلقة وقرنية ، وثانية للكلمة التي تغير حكم اعرابها الأصلي بحذف لفظ او زيارته ، وهذا النوع من المجاز يمكن رده الى المجاز المقللي او المجاز المرسل .

فالحذف كقوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾^(١) ، إذ الأصل أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل هو الجر فحذف المضاف وأعطي المضاف إليه إعرابه ، ونظيره (وجاء ربك) أي أمر ربك .

والحكم بالحذف يكون لأحد أمرين :

١ - لأمر يرجع إلى غرض^(٢) المتكلم ، نحو : سل القرية ، ألا ترى أنك لو قرأتها أو سمعتها في غير التنزيل لم تقطع بأنها هنا مخدوفاً ، إذ من المحتمل أن يكون كلام رجل مر على قرية خربت وباد أهلها ، فأراد أن يقول مذكرة نفسه أو صاحبه على سبيل العلة والاعتبار : سل القرية عن أهلها وقل لها ماذا صنعوا ، كما قال الرقاشى : سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً .

٢ - لأن الكلام لا يصح بدون المخدوف ، كما إذا حذف أحد جزأى الجملة ، نحو : (فصبر جيل) .

والزيادة كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٣) ، أي ليس مثله شيء ، فإعراب مثله في الأصل النصب ، فلما زيدت الكاف سار جراً .

ونحوه : ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾^(٤) . وقول لييد :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن بيتك حولاً كاماً فقد اعتذر
يريد : ثم السلام عليكما .

وما تقدم قعلم أن الحذف والزيادة إذا لم يوجبا تغير الإعراب لا توصف الكلمة من أجلها بالمجاز ، نحو : ﴿ أَوْ كَصِيبٍ مِّنِ السَّمَاءِ ﴾^(٥) ، إذ الأصل : أو كمثل ذوي صليب ، فحذف ذوي لدلالة يحملون أصابعهم على هذا المخدوف ،

(١) سورة يوسف الآية ٨٢ .

(٢) للجزم بأن المقصود من الآية سؤال أهل القرية للاستشهاد بهم فيجيرون بما يصدق أو يكذب لسؤالها هي لأن الشاهد لا يكون جماداً ، ويحتمل أن تكون القرية مجازاً عن أهلها من اطلاق اسم المحل على الحال فلا يكون مما نحن فيه .

(٣) سورة الشورى الآية ١١ .

(٤) سورة الأنفال الآية ١٢ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٩ .

وتحذف لفظ مثل لدلالة قوله تعالى : ﴿ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتُوْدَنَ تَارًا ﴾ ^(١) عَلَيْهِ ،
ونحوه : ﴿ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾ ^(٢) .

المبحث العشرون في المجاز العقلي أو المجاز الحكمي ^(٣)

هذا ضرب آخر من الاتساع والنجدوز ، غير ما قدمنا لك الكلام عليه ، فإن
ما مضى كانت تذكر فيه الكلمة ولا يراد معناها ولكن ما هو ردف للمعنى أو
شيء به ، فالتجوز كان يكون في اللفظ نفسه .

أما ما هنا فإن الكلمة متروكة على ظاهرها ومعناها مقصود في نفسه ، وإنما
التجوز في حكم يجري عليها ، كقولهم : نام ليلى ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَا رَبَحْتُ
مَجَارِيَهُمْ ﴾ ، ففي هذا مجاز لكنه ليس في ذوات الألفاظ ، فإن الدليل والتجارة
مستعملان في حقيقتهما ، بل في أن جعلتها فاعلين لنام وربح .

ومن هذا تفهم ما قالوه في تعريف هذا المجاز بأنه إسناد الفعل أو ما في معناه
إلى غير ما هو له في الظاهر من حال المتكلم لللاملاسة مع قرينة صارفة عن أن
يكون الإسناد إلى ما هو له ، وما في معنى الفعل هو المصدر واسم الفاعل واسم
المفعول والصفة المشبهة ، ومعنى كونه غير ما هو له أنه ليس من حقه أن يسند
إليه لأنه ليس يوصف له ، ومعنى الملاسة العلاقة .

وهذا التعريف يشمل إسناد الفعل المبني للفاعل وما في حكمه كاسم الفاعل
إلى غير فاعله كالفعول والمصدر والزمان والمكان والسبب مما له علاقة بالفاعل ،
وإسناد الفعل المبني للفعول وما في حكمه كاسم المفعول إلى غير ثائب الفاعل مما
له علاقة به ، كالفاعل والمصدر ونحوهما ، وإيضاح هذه العلاقات مما يلي :

١ - إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول نحو : عيشة راضية ^(٤) وماء دافق .

(١) سورة البقرة الآية ١٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٩ .

(٣) البحث عن هذا المجاز من حيث كيفية الدلالة من البيان ومن حيث تحصل به الطابقة
للتضليل الحال من المعاني ، والحق أن ذكره في المعاني كما فعل الفزوري في الإيضاح كان استطراداً .

(٤) أصل الكلام رضي الرء عيشة فأسناد الفعل للمفعول من غير أن يعني له فصار : رضي
العيشة ، ثم أخذ من الفعل المبني للفاعل اسم فاعل وأسناد إلى ضمير العيشة فـآل الأمر إلى أن
صار المفعول فاعلاً ومكذا يقال في نظائره .

وقول الخطبۃ :

دع المکارم لا ترحل لبغیتما

فقد أسندا راضية وداقق وطاعم وكاس وهي مبنية للفاعل إلى صير لعيشة مع أن الراضي صاحبها وكذلك الماء مدفوق والشخص مطعم مكسو .

٢ - إسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل نحو : **﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيَا﴾**^(١) وسیل مفعم^(٢) ، لأن الوعد آت و السیل مفعم أي ماليء .

٣ - إسناد الفعل إلى المصدر ، نحو قول أبي فراس :

سيذ كربني قومي اذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

فقد أسندا الجد إلى الجد ، أي الاجتهاد ، وهو ليس بفاعل له بل فاعله الجاد وفاصله جد الجاد جداً ، أي اجتهاد اجتهاداً ، فمحذف الفاعل الأصلي وهو الجاد وأسندا الفعل إلى الجد .

٤ - الإسناد إلى الزمان ، نحو: نهاره صائم ، وليله قائم ، قوله :

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساته أزمان

فقد أسندا الصوم إلى النهار والقيام إلى الليل والإساءة والسرور إلى الزمان ، وكل هذه أزمان للأفعال لا واقعة منها .

٥ - الإسناد إلى المكان ، نحو : **﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾**^(٣) ،

فقد أسندا الجري إلى الأنهر ، وهي أمكنته للمياه وليس هي الجارية بل الجاري ماوها ، ونحوه بيت ساكن .

٦ - الإسناد إلى السبب ، نحو:

إِنِّي لَمْ مُعْشَرْ أَفْنِي أَوْ أَثْلَمْ قيل الكمة ألا أين الحامونا ؟

فقد نسب الإفقاء إلى قول الشجعان: هل من مدافع ، وليس ذلك القول بفاعل ولا بمؤثر وإنما هو سبب فقط .

(١) سورة مرع العنكبة الآية ٦١ .

(٢) أفعى الأناء : ملأه .

(٣) سورة الأنعام الآية ٦ .

وقد يحيى^(١) هذا المجاز في النسبة الإضافية بأن يضاف إلى ملابس ما هو له نحو : جري الأنهار ، ومكر الليل ، وغراب البين ، فنسبة الجري إلى الأنهار مجاز علاقته المكانية ، والمكر إلى الليل مجاز علاقته الزمنية ، والبين إلى الغراب مجاز علاقته السببية على النحو الذي يزعمون .

قال الشاعر :

مشائين ليسوا مصلحين عشرة ولا ناعب إلا بين غرايمها
كما قد يحيى في النسبة الإيقاعية بأن يوقع الفعل على ملابس ما هو له كقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾^(٢) ، وكما جاء في جميع ما مضى في الإثبات ، فقد جاء أيضاً في النفي ، كقوله عز وعلا : ﴿ فَارجِعْتُ تجَارِبَهُم ﴾^(٣) ، أي خسرت^(٤) ، ونحو : ما نام ليلي ، أي سهر ، ونحو : تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، أي بما تكره .

أقسامه ، باعتبار الطرفين طرفاً لهذا المجاز ، وما المسند إليه والمسند ، إما :

١ - حقيقة ، نحو : وشيب أيام الفراق مفارق .

٢ - وإنما مجازان نحو : أحيا الأرض شباب الزمان ، إذ المراد بإحياء الأرض إحداث النضارة والحضرمة فيها مما ينتج عن تهيج القوى المنوية فيها ، كما أن المراد من شباب^(٥) الزمان ابتداء حرارته وازدياد قواه .

٣ - وإنما مختلفان ، نحو : أهلك الناس الدينار والدرهم ، فقد جعلت الفتنة إهلاكاً ، ثم أثبتت الإهلاك فعلاً للدينار والدرهم .

ونحو قول أبي الطيب :

وتحبّي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحبّي التبس والجدا

(١) أي فالتعريف المتقدم غير جامع لكل أنواع المجاز إلا أن مراد بالاستاد مطلق النسبة ، سواء كانت كالاستادية أو غير قامة كالإضافية والإيقاعية .

(٢) سورة طه الآية ٩٠ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٦ .

(٤) أي إذا قصد إثبات النفي لا تبني الإثبات .

(٥) أصل الشباب كون الحيوان في ذره قوته .

فقد جعل الزيادة والوفور حياة للهال وتفريقه في العطاء قتلا له ، ثم أثبت الإحياء فعلاً للصوارم والقتل فعلاً للتقبسم ، مع أن كلاً منها لا يصح منه الفعل .

وقد وقع هذا المجاز في التنزيل نحو : ﴿وَإِذَا تُلْيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ زَادُوهُمْ إِيمَانًا﴾^(١) ، فقد نسبت الزيادة إلى الآيات لكونها سبباً ، ونحو : (يدفع أبناءهم) نسب الذبح إلى فرعون لأنه الأمر به والسبب فيه ، ونحو : ﴿يَوْمًا يُحَمِّلُ الْوَلَدَانَ شَيْئًا﴾^(٢) ، فقد أنسد الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه .

(قرinetه) قرينة هذا المجاز إما لفظية ، كقول أبي النجم العجلي :

مِيزَ عَنْهُ قَنْزِعًا عَنْ قَنْزِعٍ جَذْبُ الْلَّيَالِيْ أَبْطَىْءُ أَوْ أَسْرَعِيْ^(٣)

فقد استدللنا على أن إسناد ميز إلى جذب الليلي مجاز بقوله بعده :

أَفَنَاهُ قِيلَ اللَّهُ لِلشَّمْسِ اطْلَمْيٌ حَقُّ اذَا وَارَاكَ أَفْقَ فَارْجِعِي

فإنه يدل على أن ذلك فعل الله ، وأنه هو المفق ، فيكون إسناده إلى جذب الليلي من الأسناد إلى الزمان .

وإما غير لفظية ، كاستحالة صدور المسند من المسند إليه ، أو قيامه به عقلاً ، نحو : محبتك جاءت بي إليك ، أو عادة نحو : بنى الوزير القصر ، وكصدور الكلام من الموحد ، كما في إسناد الاشادة والأفباء إلى كفر الغدة في قوله الصلتان للعبدي :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَفَرَ الْفَدَاهَ وَمِنْ الشَّيْءِ
اَذَا لَيْلَةَ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ فَقِي

(تنبيهات) الأول قال عبد القاهر : هذا الضرب من المجاز ، على حدته ، كثر من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان ، ولا يفترنك من أمره أنك ترى الرجل يقول : أتني بي الشوق إلى لقائكم ، وسار بي الحنين إلى رؤيتك ، وأقدمني بذلك حق لي على إنسان ،

(١) سورة الأنفال الآية ٢ .

(٢) سورة المزمل الآية ١٧ .

(٣) ميز : فصل ، وعنه أي عن رأسه ، والقنزح : الشعر المجتمع في فواهي الرأس ، وجذب الليلي : مضيها وتعاقبها ، وابطئ ، أو أسرعي حال من الليلي على تقدير القول .

وأشبه ذلك، مما تجده لشهرته يحرى بجري الحقيقة، فليس هو كذلك، بل يدق
ويلطف حق يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأنت لها.

(الثاني) قال الإمام أيضاً : واعلم أنه ليس يواجب في هذا المجاز أن يكون
للعمل فاعل في التقدير إذا أنت نقلت الفعل إليه عدت به إلى الحقيقة ، مثل أن
تقول في رجحت تجارتكم: ربحوا في تجارتكم، فإن ذلك لا يأتي في كل شيء، ألا ترى
أنه لا يمكنك أن تثبت لل فعل في قوله : أقدمني بذلك حق لي على إنسان ، فاعلا
سوى الحق ، وكذلك لا تستطيع في قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

وقول ابن البواب :

وصيرفي هواك وببي لحيي يضرب المثل

أن تزعم أن ليزيد قائلاً قد نقل عنه الفعل فجعل الوجه ، ولا لصيرفي فاعلاً
غير الموى ، فالاعتبار إذاً بأن يكون المعنى الذي يرجع إليه الفعل موجوداً في
الكلام على حقيقته ، معنى ذلك أن القدوم في المثال المتقدم موجود على الحقيقة ،
وذلك الزيادة والصيروحة موجودتان على الحقيقة ، وإذا كان معنى اللفظ
موجوداً على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه بل لا حالة في الحكم .

(الثالث) هذا المجاز كما يحرى في الخبر كما سلف يحرى في الإنشاء ، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنَ لِي صَرْحًا﴾^(١) ، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْقَدَ لِي
هَامَانَ عَلَى الطِّينَ فَاجْعَلَ لِي صَرْحًا﴾^(٢) ، وقوله عز وجل: ﴿فَلَا يَخْرُجُنَّ كَمَا
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّى﴾^(٣) ، وقوله عز وجل: ﴿أَصْلَاثُكُ تَأْمَرُك﴾^(٤) ، فإن البناء
والابقاء فعل العملة وهامان سبب أمر ، وهكذا يقال فيما بعده .

(الرابع) أنكر السكاكي هذا المجاز وقال : الذي عندي نظمه في سلك
الاستعارة بالكتنائية يجعل الريبع مثلاً في قوله : أنبت الريبع البقل ، استعارة
بالكتنائية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه ، وجعل نسبة الإثبات إليه

(١) سورة غافر الآية ٣٦ .

(٢) سورة القصص الآية ٣٨ .

(٣) سورة طه الآية ١١٧ .

(٤) سورة هود الآية ٨٧ .

قرينة الاستعارة على ما سبق للك في بيان مذهبه في الاستعارة بالكتابية، وقد رد هذا بأنه يستلزم ألا تصح الإضافة نحو: فاربخت تجارتكم، ببطلان إضافة الشيء إلى نفسه، وألا يكون الأمر بالبناء ظامناً في قوله: يا هامان ابن لي صرحاً، لأن المراد به حينئذ العمدة أنفسهم، وأن يتوقف جواز التركيب في نحو: أنت الربع البقل، على السمع، لأن أسماء الله تعالى توقيفية، وكل هذه اللوازم منتفية فتنتفي ملزوماتها.

تنمية وفيها مهاب

١ - المجازات^(١) اللغوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت ولا يجوز تعديها إلا بإذن وتوقيف من اللغة، فإذا استعير لفظ الأسد للشجاع لما يربطها من معنى الشجاعة يجب إقراره، ولا يجوز تعديته واستعاراته للرجل الأبخر لعلاقة المشابهة بينهما، ولفظ نخلة إذا استعير للرجل الطويل يحاجم الطول في كل، لا يصح أن تعديه، ونطلقه على الحبل من أجل طوله.

أما المجازات العقلية فيجوز تعديها إلى غير حالها التي وردت فيها، فكما ورد قوله تعالى: *(أخذت الأرض زخرفها)*^(٢)، قيل: تكاثرت أشواقي وأسقمي فقدك وأحييني مشاهدتك، إلى غير ذلك مما لا يكاد يضبط في الرسائل والمواعظ والخطب كما قال ابن نباتة الخطيب: إنه الموت حسام أزهى النقوس ذبابه^(٣)، كذا في الطراز.

٢ - المجاز خلاف الأصل، فلا يصار إليه إلا لباعث يرجع إما إلى اللفظ، وإما إلى المعنى، وإنما إليها جميعاً:

(أ) فيما يرجع إلى اللفظ أن يكون المجاز أخف على اللسان من الحقيقة كما نشعر بذلك في مثل لفظ *الحقيقة* (*الداهية*)، أو يكون صالحًا للقافية أو السجع وهي لا تصلح لذلك، أو يكون مألوف الاستعمال والحقيقة غريبة ووحشية.

(ب) وإنما يرجع إلى المعنى، قصد التعظيم، كما تقول: سلام على المجلس،

(١) وهي كون مثل هذا استعارة بالكتابية.

(٢) سورة يونس الآية ٤٢.

(٣) الذباب: طرف السيف الذي يضرب به.

الكرم عادلاً ، الى المجاز ، تعظيماً للمخاطب وتشريفاً له عن أن يخاطب بلقبه ، أو المبالغة مع الإيجاز ، كما تبين لك ذلك فيما سلف .

(ج) وما يرجع اليها تحسين اللفظ ودقة المعنى من أجل أن الشيء اذا عرف من بعض الوجوه دون بعض ثاقت النفس الى تحصيل ما ليس بعلوم لها ، وذلك لا يتضمن إلا عند التعبير بالمجاز ، أما عند التعبير بالحقيقة فيحصل العلم به من جميع الوجوه ، لا جرم كان التعبير بالمجاز أقرب الى تحسين الكلام وتجميده .

أسرار البلاغة في المجاز العقلي

المجاز العقلي ضرب من التوسيع في أساليب اللغة وفن من فنون الإيجاز في القول ألا ترى أن إسناد الفعل الى سببه وجعله الفاعل المؤثر دليل على ما كان لهذا الأثر من شديدة الصلة في صدور الفعل ، وكأنه هو الذي صدر منه .

انظر الى قول ابن الرومي :

أرى الشعري يحيي الناس والحمد بالذي
تبقيه أرواح لـه عطرات
فـما المجد لو لا الشعر إلا معاهد
ومـا الناس إلا أعظم نخرات

تره قد جمل حياة الناس وـما هـم رهينةـ الشـعر بما ينشرـ من فـضـائلـهمـ وـبـذـكرـهـ
من جـلـيلـ إـحـسانـهـ وـعـظـيمـ إـنـعـامـهـ فـيـقـىـ عـلـىـ كـرـفـادـةـ وـمـرـعشـيـ .

وكذلك تجده ما في نسبة الحادث ، إلى زمانه أو مكانه ، من دلالة على التعميم والشمول ، فإن الفعل اذا أريد بيان شموله وأنه يعم كل من يكتبه المكان أو يحيط به الزمان نسب الى المكان أو الزمان ، تأمل قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام : ﴿إِنَّ وَهُنَّ الْعَظِيمُ مِنِي وَاشتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا﴾^(١) ، تره أراد أن يجعل الشيب قد عم رأسه حق صار كأنه نار ، أضاف الاشتغال الى الرأس لا الى الشعر مع أن المقصود هو بيان ابياض الشعر .

وانظر الى طرفة بن العبد تره قد نسب إبداء المجهول الى الأيام وهي لا تظهر بل يظهر فيها ، ويستبين من أمره ما كان خفيّا ، في قوله :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا وياتيك بالأخبار من لم تزود

(١) سورة مرثية الآية ٤ .

وقد جعل ذلك شيمة الزمان وطبيعة المحدثان، في كل عصر وأوان، ولا تجد ذلك المعنى مستعيناً إذا أنت قد قلت: سيدوا على صفحات الزمان ما كان أمره خفياً، ومالم تجده من الشؤون جلماً.

تدریب اول

بین المجاز العقلی و اذکر علاقته فیما يلى :

- ١ - أهللتنا الليل ، والنهر معنا

٢ - سبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

٣ - ولما رأيت الحيل ترى أثائجا

٤ - وكل امرئه يولي الجيل محبب

٥ - معاً بيننا ما أبقيت عيون المها مني

٦ - سل الجنة الفيحا عن هرمي مصر

٧ - والدهر يفتدا مصمماً جذعا
ويأتيك بالأخبار ثُمَّ لم تزود

٨ - علمت بأُنَّ اليوم أحمس فاجر

٩ - وكل مكان ينبت العز طيب

١٠ - فشتلت ولم أفض للبلائة من سني

١١ - لملك تدرى بعض ما لم تكن تدرى

الاجماعية

- ١ - إسناد الإهلاك إلى الليل والنهار مجاز عقلي علاقته الزمانية، لأن الفاعل هو الله ، وهذا زمان له .
 - ٢ - الأيام لا تظهر مجهولاً ، بل يظهر ذلك فيما ، فهو مجاز عقلي ، علاقته الزمانية .
 - ٣ - وصف اليوم بالفجور مجاز ، علاقته الزمانية ، لأن الفجور صفة لما يقع فيه .
 - ٤ - العز ينبع في المكان ، ولا ينبع المكان ، فهو مجاز عقلي ، علاقته المكانية .
 - ٥ - إسناد المحو إلى البين مجاز عقلي ، علاقته السببية ، لأن البين لا يمحو شيئاً بل هو سبب فيه .

(١) المضمون الإبل الصابر على السر أو الماضي فيه، والمعنى الثاني، المذهب:

(٢) تترى : تتتابع ، والأثنائج: الصالعات ، والأحسن: الصاب الشديد ، والقاجر: النبض في العاصي .

٦ - الجيزة لا تسأل ، بل يسأل أهلها ، فوّق وجع السؤال على الجيزة مجاز عقلي في النسبة الایقاعية والملاقة المكانية ، ويصح أن يكون في هذا مجاز بالحذف ، أو مجاز مرسل .

تلريب ثان

بيان المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

- ١ - الدهر يفترس الرجال فلا تكن من تعطيشهم المناصب والرتب
- ٢ - إن البلية من عمل كلامه فاذفع فؤادك من حديث الوامق^(١)
- ٣ - نعم المعن على المرءة للفق مال يصون عن التبدل نفسه
- ٤ - ملكتنا فكان العفو منا سجية فلما ملكت سال بالدم أبطح
- ٥ - هـ أو لم نتمكن لهم حرماً آمناً يحيى إليه ثرات كل شيء^(٢)
- ٦ - هـ وجعلنا بينك وبين الدين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً^(٣)

الاجابة

- ١ - في اسناد يفترس إلى ضمير الدهر مجاز عقلي علاقته الزمانية ، وفي اسناد تعطيش إلى المناصب والرتب مجاز عقلي علاقته السببية .
- ٢ - في اسناد الوامق إلى المفعول مجاز علاقته المأولة إذ المراد سر نفسك بمحادثة المؤموق أي الحبيب .
- ٣ - في اسناد الاعانة والصيانة إلى المال مجاز عقلي علاقته السببية .
- ٤ - في اسناد سال إلى الأبطح مجاز عقلي علاقته المكانية إذ الدم سال فيه لا منه .
- ٥ - في اسناد الفاعل وهو آمن إلى المفعول وهو الحرم مجاز عقلي علاقته المفوعلة .
- ٦ - في اسناد المفعول وهو مستور إلى الفاعل وهو الحجاب مجاز عقلي علاقته الفاعلة .

(١) نقح بالشراب استشفى منه وكذا بالخبر .

(٢) سورة القصص الآية ٥٧ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٤٥ .

غمرين أول

بين المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

- ١ - لقد لمنا يا أم غيلان في السرى
ونمت وما ليل المطي بنائم
وكذاك فرق بيننا الدهر
نشرت ألسنة تزيد وتكتنف
عدواً له ما من صداقته بد
وبشيب ناصبة الصبي ويهرم
ويوم سير الى الأعداء تأويب
- ٢ - الدهر لازم بين فرقتنا
٣ - وكذاك سر المرأة ان لم يطوه
٤ - ومن نكك الدنيا على الحر أن يرى
٥ - والمهم يختتم الجسيم نحافة
٦ - يومات يوم مقامات وأندية

غمرين ثان

بين المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

- ١ - (لا عاصم اليوم من أمر الله) .
٢ - هذا يوم عصيّب .
٣ - منزل عامر بنعم الله .
٤ - ذاك مشرب عذب .
٥ - هذا مركب فاره .
٦ - (أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباءنا) .
٧ - سار بي الحنين الى لقائك .
٨ - هذا منزل ساكن .
٩ - قال تعالى : (من ماء دافق) .
١٠ - تنام وما ليل المصيم بنائم .

الباب الثالث في الكناية

و فيه أربعة مباحث وخاتمة

المبحث الأول في تعريفها

الكناية لغة أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وقد كنوت بكلدا عن كذا ، أو
كنت اذا تركت التصريح به ، أنشد الجوهرى :
وإني لأكنو عن قنور بغيرها وأعرب أحياناً بها وأصارح
وفي الاصطلاح تطلق على معنيين :

١ - المعنى المصدرى الذى هو فعل المتكلم ، أعني ذكر اللفظ الذى يراد به
لازم معناه مع جواز إرادته ^(١) منه .

٢ - اللفظ المستعمل فيها وضع له ، لكن لا ليكون مقصوداً بالذات ، بل
لينتقل منه الى لازمه المقصود لما بينها من العلاقة واللزوم العرفي ، وعلى هذا التعريف
فهي حقيقة لاستعمال اللفظ فيها وضع له ، لكن لا للذاته ، بل لينتقل منه الى لازمه
فعناه مراد لغيره مع استعمال اللفظ فيها وضع له ، واللازم مراد لذاته ، لا مع
استعمال اللفظ فيه ، فهو مناط الإثبات والنفي والصدق والكذب ^(٢) .

تفسير هذا أن العرب تلفظ أحياناً بلفظ لا تريده منه معناه الذي يدل عليه
بالوضع ، بل تريده منه ما هو لازم له في الوجود بحيث اذا تحقق الأول تتحقق الثاني
عرفاً وعادة ، فنقول : فلان رحب الصدر ، ونقصد أنه حليم من قبل أن الحليم
يكون ذا أناة وتؤدة ولا يجد القضب اليه سبيلاً ، لما في صدره من السعة لاحتلال

(١) أي مع جواز إرادة المعنى الحقيقي مع اللازم كما ستعلم بعد .

(٢) فقولك : فلان طريل التجاد ترى طول القامة يكون الكلام صحيحاً وإن لم يكن له
تجاد قط بل قد يتعذر المعنى الحقيقي كما سيأتي .

كثير من الحفاظ والأصفان كا يتحمل الصندوق الواسع كثيراً من المتعة والماعنة، وتقول : فلانة تؤوم الضحى ، وتقصد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها من الخدم والخدم ، فهم يقومون بتسيير شؤون المنزل ، وقضاء الحاجات البيتية ، فلا تحتاج إلى القيام مبكرة من النوم فأولئك قد كفواها مؤونة التعب والنصب .

(الفرق بينها وبين المجاز) مما سلف تعلم الفرق بين الكناية والمجاز هو أن الأولى لا يقتنع بها إرادة المعنى الأصلي ، فيسوغ في المثالين المتقدمين أن تزيد أنه واسع القدر حقيقة وأنها تنام حقاً إلى وقت الضحى ، وقد تقنع إرادة المعنى الأصلي فيها أحياناً لخصوص الموضوع ، نحو : الرحمن على العرش استوى ^(١) كناية عن الاستيلاء والملك ، ^(٢) والسموات مطويات بيمنيه ^(٣) كناية عن قوة التمكّن و تمام القدرة ، إلى غير ذلك ^(٤) .

أما قرينة المجاز فتمنع من إرادة المعنى الأصلي ، فلا يسوغ إرادة الأسد المفترس في قوله : رأيتأسداً في الميدان يضرب يميناً وشمالاً .

المبحث الثاني في أقسامها من حيث المكنى عنه

تنقسم الكناية من حيث المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام :

١ - كناية بطلب بها صفة من الصفات كالجود والكرم ودماثة الأخلاق ، إلى غير ذلك ، وهي ضربان :

(أ) قرينة ، وهي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بلا واسطة سواء أكانت واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل التجاد ^(٤) ، وقول الحاسي : أبى الروادف والشدي لقمصها مس البطنون وأن نس ظهوراً كفى عن كبر الإعجاز ونحوه الشدي بارتفاع القميص عن أن يمس بطنه أو ظهراً .

(١) سورة طه الآية ٩ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٧ .

(٣) فهذان ونحوهما كنایات من غير لزوم كذب لأن استعمال اللفظ في معناه الحقيقي وطلب دلالته عليه إنما هو لقصد الانتقال منه إلى لازمه المراد .

(٤) التجاد : حائل السيف ، وقد اشتهر استعمال طويل التجاد في طول القامة .

وهذا من بديع الكنية، ألم خفية يتوقف الانتقال منها إلى اللازم على التأمل وإعمال الرؤية، كقولهم كنـيـة عن الأـبـلـه هو عـرـيـض القـفـا ، إذ يـعـمـون أن عـرـض القـفـا وعـظـم الرـأـس اذا أـفـرـطـا دـلاـ على الغـبـاوـة ، أو ما تـرى ، إلى قول طـرـفة :

أـنـاـ الرـجـلـ الضـرـبـ الـذـيـ تـعـرـفـونـهـ خـشـاشـ كـرـأـسـ الـحـيـةـ المـتـوـقـدـ

(ب) بعيدة، وهي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة كقولهم في الكنية عن المضيف : هو كـثـيرـ الرـمـادـ ، فإـنـهـ يـنـتـقـلـ الـذـهـنـ مـنـ كـثـرـةـ الرـمـادـ إـلـىـ كـثـرـةـ الـطـبـائـخـ ، وـمـنـهاـ إـلـىـ كـثـرـةـ الرـمـادـ ، وـمـنـهاـ إـلـىـ كـثـرـةـ الـضـيـفـانـ ، ثـمـ إـلـىـ الـمـضـيـافـ ، وهي المقصودة ، ونظيره قوله الآخر :

وـمـاـ يـكـيـنـ فـيـ مـنـ عـيـبـ فـإـنـيـ جـبـانـ الـكـلـبـ مـهـزـولـ الفـصـيـلـ

فـإـنـ الـذـهـنـ يـنـتـقـلـ مـنـ جـبـنـ الـكـلـبـ عـنـ الـهـرـيرـ فـيـ وـجـهـ مـنـ يـقـصـدـ دـارـأـ هوـ مـقـيمـ عـلـىـ حـرـاسـتـهـ وـالـعـسـ دـوـنـهـ ، مـعـ أـنـ ذـلـكـ لـيـسـ مـنـ طـبـعـهـ ، إـلـىـ أـنـهـ قـدـ دـامـ زـجـرهـ وـتـأـديـبـهـ حـقـ تـقـيـرـ عـنـ بـحـرـىـ عـادـتـهـ ، ثـمـ إـلـىـ اـسـتـمـارـ مـوـجـبـ نـبـاحـهـ وـهـوـ اـتـصالـ مشـاهـدـتـهـ وـجـوـهـاـ إـثـرـ وـجـوـهـ ، وـمـنـ ذـاـ إـلـىـ كـوـنـهـ مـلـجـأـ لـلـقـاضـيـ وـلـلـدـانـيـ ، وـمـنـ ذـاـ إـلـىـ أـنـهـ مـشـهـورـ بـجـسـنـ قـرـىـ الـأـضـيـافـ .

وكـذـاـ يـنـتـقـلـ مـنـ هـزـالـ الفـصـيـلـ إـلـىـ فـقـدـ الـأـمـ ، وـمـنـ ذـاـ إـلـىـ قـوـةـ الدـاعـيـ إـلـىـ نـخـرـهـ مـعـ كـهـاـلـ عـنـايـتـهـ بـالـنـوـقـ ، خـصـوصـاـ الـتـالـيـ^(١) مـنـهاـ ، وـمـنـ هـذـاـ إـلـىـ صـرـفـهـ إـلـىـ الـطـبـائـخـ ، وـمـنـ ذـاـ إـلـىـ أـنـهـ مـضـيـافـ .

٢ - كـنـيـةـ ، يـطـلـبـ بـهـاـ مـوـصـوفـ ، نـحـوـ قـولـكـ كـنـيـةـ عنـ الـأـسـدـ: قـتـلتـ مـلـكـ الـوـحـوشـ ، وـشـرـطـهـ الـاـخـتـصـاصـ بـالـمـكـنـىـ عـنـهـ لـيـعـصـلـ الـاـنـتـقـالـ مـنـهاـ إـلـيـهـ ، وـهـيـ ضـرـبـانـ :

(أ) ما هي معنى واحد بأن يتفق في صفة اختصاصها بموصوف معين فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها إلى ذلك الموصوف كمجامع الأضغان كنـيـةـ عنـ الـقـلـوبـ فيـ قـولـهـ :

الـضـارـبـيـنـ بـكـلـ أـبـيـضـ مـخـذـمـ وـالـطـاعـنـيـنـ مـجـامـعـ الـأـضـغـانـ^(٢)

(١) التـالـيـ مـنـ أـتـلـتـ النـاقـةـ إـذـ تـلـاـهـ وـلـهـاـ .

(٢) الضـارـبـيـنـ مـنـصـوبـ عـلـىـ الـمـدـحـ وـكـذـاـ الطـاعـنـيـنـ ، وـالـأـبـيـضـ الـسـيفـ ، وـالـمـخـذـمـ: الـقـاطـعـ .

ونحوه قول البحتري في قصيده التي وصف فيها قتلة المذوب :

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها بحث يكون اللب والرعب والخذل^(١)

ففي الشطر الثاني ثلات كنایات ، كل منها مستقل بإفاده الفرض ، لا كنایة واحدة ، فقوله : بحث يكون اللب ، الرعب ، الحقد ، ثلاتها عن كنایة القلب ، إذ هو محل العقل والخوف والضيقنة .

(ب) ما هي مجموع معان بأن تؤخذ صفة فتضم إلى صفة ثانية ، ثم ثالثة ، فتكون جملتها مما يختص بالموصوف ، فمع ذكرت توصل بها إليه كفولهم كنایة عن الإنسان : إنه حي مستوى القامة عريض الأظفار ، فمجموع هذه الأوصاف هو الثلاثة الختص بالإنسان لا كل واحد^(٢) منها .

٣ - كنایة ، يطلب بها نسبة^(٣) ، أي ثبوت أمر لأمر ، أو نفيه عنه ، كما يقولون : الجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه^(٤) ، فهم لم يصرحوا بثبتوت الجد والكرم له ، بل كانوا عن ذلك بكونهما بين بُرْدِيه وبين ثوبيه ، وكقول زياد الأعجم في مدح عبد الله بن الحشرج وكان أمير نيسابور :

أنت الساحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإنه أراد أن يثبت هذا الصفات خلاً للمدوح لكنه لم يصرح بذلك فيقول : إنها مجموعة فيه ، أو مقصورة عليه ، أو نحو ذلك ، بل عدل إلى ما أنت تراه فجعلها في قبة مضروبة عليه انتكشه أن يثبتها للمدوح بطريق الكنایة ، لأنـه اذا ثبـتـتـ الـأـمـرـ فيـ مـكـانـ الرـجـلـ وـحـيـزـهـ فـقـدـ ثـبـتـتـ لـهـ ، وـمـثـلـ هـذـاـ وـإـنـ كـانـ فيـ حـلـةـ أـبـدـعـ وـوـشـىـ أـغـرـبـ قول حسان :

بني الجد بينا فاستقرت عماده علينا فأعيا الناس أن يتحوالا
وقول أبي نواس :

فـاـجـازـهـ جـودـ وـلـاـ حلـ دـونـهـ ولكن بصـيرـ الجـودـ حيثـ بصـيرـ

(١) ضمير أتبعتها يعود إلى الطمنة ، والنصر حديدة السيف .

(٢) ويسمى هذا خاصة مركبة .

(٣) ضابطها أن يصرح بالصفة ويقصد بثباتها لشيء له صلة بالموصوف وارتباط به الكنایة عن إثباتها للمراد وهو الموصوف بها بخلاف كنایة الصفة فإنه لا يصرح فيها بالصفة المراد .
(٤) هما الأزار والرداء وهما الثوبان .

وقول الآخر : « وحيثما يك أمر صالح تكون » .

ففي كل هذا توصل إلى إثبات للمدح بآياتها في المكان الذي يحل فيه ، ولزومها بلزومه حيثما كان ، وعلى هذا المسلك يحمل قوله : مثلك لا يدخل .

قال في «الكتشاف» : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، فصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية ، لأنهم اذا نفوه عن يسد مسده وعنهم هو على أخص وأصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي : العرب لا تحفر الذمم ، فإنه أبلغ من قولك : أنت لا تحفر ، انتهي .

المبحث الثالث في أقسامها من حيث الوسائط

تنقسم الكناية باعتبار الوسائط إلى أقسام أربعة :

١ - تعریض^(١) وهو خلاف التصريح واصطلاحاً ما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق ، كما تقول : المسلم من سلم المسلمين من لسانه ، فالمعنى الأصلي انحصر الإسلام فيمن سلم الناس من يده ولسانه ، والمعنى الكناياني اللازم للمعنى الأصلي انتفاء الإسلام عن المؤذى مطلقاً ، وهو المعنى المقصود من اللفظ ، ويشير بسيافة إلى نفي الإسلام عن المؤذى الذي تكلمت عنده .

ومن لطيف ذلك ما كتبه عمر بن مسدة وزير المؤمنين إلى المؤمنين يوصيه على بعض أصحابه : أما بعد ، فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ليتطول^(٢) في الحساقه بنظرائه ، فأعلمه بأن أمير المؤمنين لم يحملني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك بعد عن طاعته ، فوقع المؤمنون في كتابه : قد عرفنا نصيحتك له وتعریضك لنفسك وأجبناك إليها .

٢ - تلويح ، وهو لغة أن تشير إلى غيرك من بعد واصطلاحاً كناية كثرت فيها الوسائط بين اللازم والملازم ، نحو : (أولئك قوم يقدون نارهم في الوادي) كناية عن بخلهم ، فقد انتقل من الإيقاد في الوادي المنخفض ، إلى إخفاء النيران ، ومن هذا إلى عدم رغبتهم في اهتمام ضيوفهم اليما ، ومن ذا إلى بخلهم ، ونحوه ما تقدم من قوله : هو جبان الكلب ، ومهزول الفصيل .

(١) قد يكون التعریض كناية كما في هذا المثال ، وقد يكون مجازاً .

(٢) يتطول : أي يتكرم من الطول ، وهو الفضل والزيادة .

٣ - رمز وهو لغة أن تشير إلى قريب منك خفية بشفة ، أو حاچب ،
كما قال :

رمزت إلى مخافة من بعلها من غير أن تبدي هناك كلامها

وأصطلاحاً هو كناية قلت وسانطها مع خفاء اللزوم نحو: هو غليظ الكبد،
كناية عن القسوة، إذ ذلك تتوقف على معرفة ما كان يعتقد العرب من أن الكبد
موضع الاحساس والتآثر فيلزم من رقته اللين ومن علظه القسوة، ونحوه ما سبق.

٤ - إيماء وإشارة ، وهي كناية قلت وسانطها ، مع وضوح الدلالة ، كقول
أبي قام يصف إبله مادحًا أبا سعيد (١) :

أين فا يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد .

وقول البحترى يمدح آل طلحة :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتتحول

ومن لطيف ذلك وعجب فيه قول بعضهم في رثاء البرامكة :

سألت الندى والجود ما لي أراكها تبدلتها ذلاً بعزم مؤبد

وما بال ركن المجد أمسى مهدماً فقاً أصبتنا بابن يحيى محمد

فقد كننا عبديه في كل مشهد فقلت : فهلا متـا عند موته

فقـالـا : أقـمنـا كـي نـعـزـي بـفـقـدـه مـسـافـة يـوـم ثـم تـلـوـه في غـدـ

المبحث الرابع في حسن الكناية وقيمعها

الكناية تكون حسنة إن جمعت بين الفائدة وألفاظ الإشارة كما تقدم لك من
الأمثلة ، وقيمعة إذا خلت مما ذكر ، كقول الشريف الرضي يروي امرأة :
(إن لم تكن نصراً فحمد نصال) ، فهذا من ردِّي ، الكتايات ، إذ هذا لا يفيد
ما قصدته من المعنى ، بل ربما جر إلى ما يقع من تهمتها بالريبة .

ونحوه قول أبي الطيب :

إني على شفهي بما في خـتـرـهـا لأعـفـ عـمـاـ فيـ سـرـاوـيلـاتـهاـ

قال ابن الأثير: فهذه كناية عن التزاهة والغفوة ، إلا أن الفجور أحسن منها ،

(١) هو أبو سعيد بن يوسف الشفري .

وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ سُوءِ تَأْلِيفِهَا وَقَبْعِ تَرْكِيهَا، وَقَدْ أَجَادَ الشَّرِيفُ فِيمَا زَلَّ فِيهِ قَدْمٍ
أَبِي الطَّبِيبِ فَجَاءَ بِهِ عَلَى وَصْفِ حَسْنٍ وَقَالَ عَجِيبٌ حِيثُ قَالَ :
أَحَنِ إِلَى مَا يَضْمُنُ الْخَطْرَ وَالْحَلْيِ وَأَصْدَفُ عَمَّا فِي خَمَانِ الْمَازِرِ
وَقَرِيبٌ مِنْ بَيْتِ الْمَنْبِيِّ قَوْلُ الْآخِرِ :
وَمَا نَلَّتْ مِنْهَا بَحْرًا غَيْرَ أَنْتِي إِذَا هِيَ بِالْتِبْلِغِ حِيثُ تَبُولُ

خاتمة

اتفقت كلمة البلاء على :

- ١ - أن المجاز والكتنائية أبلغ من الحقيقة والتصریح ، لأن الانتقال فيها من الملزم الى اللازم فهو كدعوى الشيء بيته .
- ٢ - وعلى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، ومن المجاز المرسل ، لما فيها من دعوى الاتحاد ، وأن أبلغ أنواعها الاستعارة التمثيلية ، ثم المكنية ، لاشتمالها على المجاز العقلي الذي هو قرينه .
- ٣ - وعلى أن الاستعارة سواء أكانت تمثيلية أم مكنية أم غيرها ، أبلغ من الكتнائية ، لأنها كالجامعة بين كتنيّة واستعارة .

وليس معنى الأبلغية في كلّا من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيدها خلافه ، بل المراد زيادة التأكيد في الإثبات .

قال الإمام عبد القاهر : فليس فضيلة قولنا رأيت أسدًا على قولنا رأيت رجلاً لا يتميز عن الأسد في جرأته وشجاعته ، أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة له لم يفدها الثاني ، وسر هذه المزية والفاخامة أنك اذا قلت : رأيت أسدًا كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي يحب له الشبوت والحصول ، وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده ، وذلك أنه اذا كان أسدًا فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة ، وكالمستحبيل والممتنع أن يعرى عنها و اذا صرحت بالتشبيه فقلت : رأيت رجلاً كالأسد ، كنت قد أثبتتها إثبات الشيء يترجع بين أن يكون وألا يكون ، ولم يكن من حديث الوجوب في شيء .

وليس فضيلة قولنا: جم الرماد على قولنا كثير القرى أن الأول أفاد زيادة لقراه لم يفدها الثاني بل هي أن الأول أفاد تأكيد الإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني ، وذلك أن كل عاقل يعلم أن إثبات الصفة بإثبات دليلاً آكد وأبلغ في الدعوة من أن تجيء إليها فتشتبها هكذا ساذجاً عقلاً، وذلك أنك لا تدعى دليل الصفة إلا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالخبر التجوز والغلط ، كذا في «دلائل الإعجاز» مع اختصار.

أسرار البلاغة في الكنية

الكنية فن من التعبير توخاه العرب استثنائاً للألفاظ التي تؤدي ما يقصد من المعاني ، وبها يتغوفون في الأساليب ، ويزينون ضروب التعبير ، ويكترون من وجوه الدلالة ، انظر الى امريء القيس تجده كنى عن المرأة ببيضة الحدر في قوله :

وببيضة خدر لا يرام خباؤها تعمت من هو بها غير محجل

وإلى حميد بن ثور نراه كنى عنها بالسُّرْحَة في قوله :

أبى الله إلا أن سرحة مالك	على كل أفنان المضاه ^(١) تروق
فيما طيب رياها وبرد خلالها	اذا حان من حامي النهار وديق ^(٢)

وإلى النبي عليه السلام وقد كنى عنها بالفارورة في قوله لأنجشه وهو يحدو بنسائه: «رفقا بالقوارير» ، وبها ينصبوا الدليل على كل قضية ويقيمون البرهان على كل مدعى ، انظر الى المتبنّي وهو يذكر وقعة سيف الدولة بأعدائه:

فساهم وبسطهم حرير وصيّحهم وبسطهم قراب

تجده قد أراد أن يبين أنه قهرهم وأذلهم بعد أن كانوا أعزّة ، لكنه تلطف في التعبير ونصب الدليل على صحة دعواه ، فأشار الى عزتهم أولاً بافتراضهم بسط الحرير ، ثم الى ذلكم بعد بافتراضهم بسط التراب.

وتأسل قول أبي تمام يمدح أبا سعيد بن يوسف الشعري ويدرك كرمه :

أبین فیما یزرن سوی کریم وحسبك أن یزرن أبا سعيد

(١) شجر عظيم شائق.

(٢) شدة الحر في الماجرة .

تره قد أبان كرم أبي سعيد بغاية الوضوح من حيث أبان أن إبله أبى إلا أن تزور الكرماء ، ويكتفى بهما أن تزور من بينهم أبا سعيد .

وليس بالخفى ما للكنایة من فضيلة في إلباس المعقول ثوب المحسوس ، أتراءك تشاهد لطف التعبير ودقة التصوير اذا تأملت الكنایة بمحالة الخطب عن النامة التي تفسد ذات البين وتهيج الشر في قوله تعالى يصف امرأة أبي هب : ﴿ وامرأته حالة الخطب ﴾^(١) فإنك وأنت تقرؤها يخيل اليك أنها مسكة خطبها بيدها ، ومشعلة ناراً لتوقد العداوة والبغضاء بين قوم ، وتؤلب بعضهم على بعض .

إلى ما فيها من حيلة يترك بعض ألفاظ إلى ما هو أجمل في القول وآنس للنفس ، ألا ترى إليهم وهم يكثرون عن الموت بقولهم : «فلان قد استوفى أكله» أو بقولهم : «الحق باللطيف الخير» وعن الصحراء بالمفازة وهي مهلكة .

إلى ما فيها من حسن التلطف في إطراح الألفاظ المستحبنة كما جاء في القرآن الكريم من الكنایات التي تتعلق بالنساء كالنهي عنأخذ المهر مع ذكر السبب في قوله تعالى : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾^(٣) .

إلى أنها قد تكون طريقة من طرق الإيحاء والاختصار كقوله تعالى كنایة عن كثير من الأفعال : ﴿ ولبس ما كانوا يفعلون ﴾^(٤) وقولهم كنایة عن الجامع لكل شيء (هو سفينة نوح) .

وأنك لترى فيها من العجب العجاب ومن غريب الصنعة ومن بديع السحر إذا كانت في باب الصناعات الحسية والأشياء الحقيرة بذكر منها ، كما قيل لحائك : ما صنعتك ؟ قال : زينة الأحياء ، وجهاز الموتى .

وقال ابن باقلاني (بائع فول) :

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر - قدْرُه	وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أقواجاً إلى ضوء ناره	فمنهم قياماً حوله وقاعد

(١) سورة المسد الآية ٤ .

(٢) سورة النساء الآية ٢١ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٤) سورة المائدة الآية ٧٩ .

نموذج أول

بين الكنية وأنواعها باعتبار المكتنى عنه وباعتبار الوسائل فيما يلي :

- ١ - وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها فليس مخصوص البنان يعني
- ٢ - قال الحجاج: إن أمير المؤمنين نثر كناته وعداً وعداً فوجدني أمرها ضرب عوداً وأصاها مكسرأ فرمأكم بي، والله لأحرز منكم حزم السلمة ولأضربكم غرائب الإبل.
- ٣ - ولا زال بيت الملك فوقك عاليًا
- ٤ - تقول التي من بينها خف محظى
- ٥ - أفال الناس أغراض لذا الزمان
- ٦ - ببيت بمنجاة من اللوم بيتها

الاجابة

- ١ - في مخصوص البنان كنياة عن موصوف، وهي المرأة، إذ هذه من صفاتها الخاصة بها، من نوع الإيماء لأن الذهن ينتقل إلى ذلك بلا واسطة.
- ٢ - في هذه العبارة كنيات ثلاثة :

(أ) ففي قوله : نثر كناته إلى قوله فرمأكم بي كنياة عن صفة هي البحث والتقيش عن الأصلاح حتى شعر عليه وهي من نوع التلويح لأن الذهن ينتقل من نثر الكنابة إلى البحث والتقيش عن أصلح سهامها ومن ذا إلى العثور على ذلك الأصلاح ومن ذا إلى اختياره من بينها ثم إرساله إليهم لتدبير شؤونهم.

(ب) وفي قوله : لأحرز منكم حزم السلمة كنياة عن صفة هي الضغط عليهم والبطش بهم من نوع الإيماء.

(ج) وفي قوله : للأضرابكم الخ كنياة عن صفة هي القسوة في معاملتهم والتنكيل بهم ، وهي من نوع الإيماء .

٣ - في هذا البيت كنياة عن نسبة هي اتصافه بالملك ، لأن الذهن ينتقل من ملازمته بيت الملك وحلوله في ذلك المكان إلى كونه ملكاً ، وهي من نوع الإيماء .

٤ - كفى أبو نواس بقوله من بيته خف الخ عن موصوف ، وهي امرأته ، لأن الراحلة إنما تخف من بيت صاحبها في العادة ، فهي كنایة عن موصوف ، وهي امرأته لأن الراحلة إنما تخف من بيت صاحبها في العادة فهي كنایة عن موصوف من نوع الإيماء لعدم الوسائل .

٥ - في قوله : أخلاهم من الفطن كنایة عن موصوف وهم الجمال ، وهي من نوع الإيماء .

٦ - في هذا البيت كنایة عن نسبة هي إثبات النزاهة لها ونفي الفجور عنها ذلك أنه نبه بمنفي اللوم عن بيتهما على انتفاء أنواع الفجور عنها ، ومن ذا إلى براءتها من كل ما يشينها ، وهي من نوع الإيماء .

نموذج ثان

بيان أنواع الكنایة من حيث المكى عنه ومن حيث الوسائل :

١ - قال زيد بن أبيه : وإن لأقسم بالله لاخذن الولي بالولي ، والقيم بالطاعن ، والمطیع بالماضي ، حق يلقي الرجل قاتل أبيه فيقول : « انج سعد فقد هلك سعيد »^(١) ، أو تستقيم لي قناتكم^(٢) .

٢ - ~~ف~~ وحملناه على ذات ألواح ودُسُر تجري بأعيننا جزاء من كان ~~ف~~ كفر ~~ف~~^(٣) .

٣ - وأقبلت يوم جد البن في حلل
سود بعض بنات النادم الحصر^(٤)
٤ - أريد بسطة كف أستعين بها
على قضاء حقوق الغ فلا قبل^(٥)
٥ - لا أمنع العود بالقصال ولا
أبتاع إلا قريبة الأجل^(٦)
٦ - فصبّهم وبسطهم حرير
ومستام وبسطهم تراب

(١) مثل أصله أسد أم سعيد يضرب للقتل أو الظفر بالبيه .

(٢) القناة الرمح ، والمعصا المستوية .

(٣) المسار جمع دسار وأصله خيط من ليف تشد به ألواح السقينة (سورة القمر) .

(٤) الحصر : البخل .

(٥) العوذ جمع عائذ الحديثة النتاج من الظلام والابل ، والقصال جمع فصيل ولد الناقة .

الاجابة

١ - في هذه المقالة كتابات عدة ، فقد كنى بقوله : انج سعد الخ ، عن الفرار والهرب ، وهي نوع من التلويح لكثره الوسائل فيها إذ ينتقل الذهن من قوله هذا الى السبب الباعث على ذلك ، وهو الخوف من الفتوك بهم ، ومن ذا الى أخذ عدتهم للهرب ، تباعداً عن التشكيل بهم ، الى الهرب وهو المراد ، وكتى باستقامة القناة عن حسن سيرهم واعتدالهم في أمورهم ، وهي كتابة عن صفة من نوع الرمز .

٢ - كنى الله تعالى بذات الألواح والدرس عن السفينة ، إذ ذاك وصف خاص بها ، فهي كتابة عن موصوف من نوع الإيماء ، وكتى بقوله : تجري بأعيننا عن شمول لطفه وعنتيه بها ، وهي كتابة عن صفة من نوع التلويح لوجود الوسائل إذ ينتقل الذهن من النظر اليها ، الى مراقبتها ، ومن ذا الى الاهتمام بها ، ومنه الى العناية بها .

٣ - كنى بعض بنان الندم عن الأسف على فوات المرغوب فيه ، فهو كتابة عن صفة من نوع الإيماء .

٤ - كنى ببسطة الكف عن الغنى ، فهو كتابة عن صفة من نوع الإيماء ، إذ ينتقل الذهن من بسطة الكف ، الى مثلثا بالمال ، الى الغنى .

٥ - في هذا البيت كتاباتان عن صفتين من نوع التلويح ، الأولى كتابة عن نحو الفصال ، والثانية كتابة عن أنه مضياف ، ذاك أن الذهن ينتقل من عدم امتعها الى أنه لا يبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر اليها ، ومن ذا الى نحرها ، وكذا ينتقل من قرب أجلها الى نحرها ، ومن ذا الى أنه مضياف .

٦ - في هذا البيت كتاباتان عن صفتين ، وهما العز والذل ، من نوع التلويح إذ كنى بكون بسطهم حريراً عن عزتهم إذ ينتقل الذهن من إحرازهم الرياش والأثاث الفاخر الى غناهم ومن ذا الى كونهم أعزاء ، وكتى بكون بسطهم قرابة عن ذلهم ، إذ ينتقل الذهن من افتراش التراب الى ضياع ما يملكون ، ومن ذا الى كونهم أذلاء .

تمرين أول

بين الكلمة باعتبار المكنى عنده وباعتبار الوسائط فيما يلي :

- ١ - ببعض صنائعنا سود وقافعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا^(١)
- ٢ - أبيني أبي يميني يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك^(٢)
- ٣ - هـ أو من ينشأ في الخلية وهو في الخصم غير مبين^(٣)
- ٤ - هـ ولا يكلهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم^(٤)
- ٥ - روي أن امرأة وقفت على قيس بن سعد فقالت: أشكوك إليك قلة الفار في بيتي فقال: ما أحسن ما روت عن حاجتها، املئوا بيتها خبزاً ولها وسناً.
- ٦ - ومن دعا الناس إلى ذمه ذمته بالحق وبالباطل
- ٧ - تشتكى ما اشتكتك من ألم الشو ق اليمـا حيث التحـول

تمرين ثان

- ١ - قوم توى أرحامهم يوم الوعى مشغوفة بمواطن الكهتان
- ٢ - وإن ذكر الجـد ألفيتها تـازر بالجـد ثم ارتدى
- ٣ - ولست بـخالع درعي وسيفي الـأن يخلع اللـيل النـمار
- ٤ - هـ سنـشـد عـضـدـك بـأخـيك^(٥)
- ٥ - تعرضت عجوز لسلیمان بن عبد الملك فقالت: يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيـتـي على العـصـيـ، فقال لها: أـلـطفـتـ فيـ السـؤـالـ، لا جـرمـ لأـرـدـنـهاـ تـثـبـ وـثـبـ الفـهـودـ، وـمـلـأـ بيـتهاـ حـبـاـ.
- ٦ - الـلاـبسـ الجـدـ لمـ تـنسـجـ غـلـائـهـ إـلـاـ يـدـ الصـانـعـينـ السـيفـ وـالـقـلمـ
- ٧ - وـلـماـ سـقطـ فـيـ أـيـدـيـهـ

(١) الصنائع: جمع صناعة وهي الاحسان ، والرابع: جمع مربع الموضع يتبعون فيه زمن الريـسـعـ ، والـواـضـيـ العـيـفـ .

(٢) فـانـ الشـيءـ النـفـيسـ يـحـفـظـ بـهـ فـيـ الـيدـ الـيـمـنـيـ عـادـةـ ، وـالـذـيـ لـاـ يـوـبـهـ لـهـ يـوـضـعـ فـيـ الـيـسـرـ .

(٣) يـنـشـأـ يـرـبـيـ ، وـالـخـاصـمـ الجـدـ (ـسـورـةـ الزـخـرـفـ) .

(٤) سـورـةـ الـبـقـرـةـ الآـيـةـ ١٧٤ـ .

(٥) سـورـةـ الـقـصـصـ الآـيـةـ ٣٥ـ .

نموذج عام في البيان

- ١ - جاء في بعض الجرائد أن ظفر الزعيم سعد زغول في الانتخابات يسأله لباب سامة الغربيين ، فجميع الروابي التي نشهدها في جميع الأقطار لا تبلغ سفح هذا الجبل .
- ٢ - وإن حلفت لا ينقض النأي ^{عهدها} فليس شخصوب البنان يمين

الاجابة

- ١ - في جملة يسأله الخ ، كذابة عن صفة هي الشوق إليه من نوع التلويح ، إذ ينتقل الذهن من سيل اللامب إلى الشيء ، إلى شهوته وميل النفس إليه ومحبتها له ، وفي الروابي استعارة تصريحية أصلية مجردة فقد شبه الزعاء بالروابي يجتمع العظم وجلالة القدر في كل والقرينة حالية ، وفي قوله : تبلغ سفح هذا الجبل ، استعارة تصريحية مرشحة بكلمة سفح والقرينة حالية .
- ٢ - في نقض النأي مجاز عقلي علاقته السببية لأن البعد سبب النقض وخلف العهد ، وفي العهد استعارة بالكتابية حيث شبه العهد بالجبل يجتمع أن كلاً يفيد الربط ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، ثم حذف لفظ المشبه ورمز فيه بشيء من لوازمه ، وهو النقض ، على سبيل الاستعارة المكتبة الأصلية ، وإثبات النقض للعهد استعارة تخيلية وهي قرينة المكتبة ، وفي البنان مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن الذي تمحض هي الكف كلها ، وفي يمين مجاز مرسل علاقته السببية إذ المراد وفاء باليمين وإنفاذ لما حلفت عليه ، وفي شخصوب البنان كتابة عن موضوع وهي المرأة من نوع الإيماء والإشارة ، والشطر الثاني كله استعارة تجيزية ، لأنه جار مجرى المثل .

مزایا دراسة البيان في صوغ مختلف الأساليب

رأيت فيما سلف ألواناً مختلفة من التعبير وضرورياً متنوعة من البيان، يستطيع المتكلم أن يحملها قبلة أنظاره إذا أراد صياغة المعاني في القوالب التي يراها أليق بعرضه وأبلغ لمقصده، ويحوك بها ما شاء أن يحوكه من شريف المعاني التي تميّز بخاطره وتتعلق بصدره فإذا طرق باب المديح وأراد وصف مدوّنه بالكرم والجود، أمكن أن ينحو نحو مسلم بن الوليد حين مدح زيد بن مسلم الحنفي من وائل فقال:

ولو أن في كبد النساء فضيلة
يا زيد آل يزيد ذكرك سؤدد
نفحات كذلك يا ذؤابة وائل
فيؤدي المعنى على حقيقته دون م
بحسي البرمكي فيقول :

تداعت خطوب الدهر عن جابر جعفر
هو البحر يغشى سرة الأرض سيبة
فلو لم يكن في كفه غير روحه
 فهو قد شبه بالبحر البحي ، يعم فيه أطراف الآفاق ، و تدرك سواحله أطراف
البلاد ، أو نحو أبي نواس وهو عدو الخطيب :

أنت الطيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكم بحر
ويحق لي اذا صرت بينكم لا يحمل بساحق فقر
فجعله كالبحر المتذوق الذي اذا حل ببلدة عمها الخصب وفارقهما الجدب ، او
نحو قول البحتري يدح يوسف بن محمد :

أدرام الأولى بداره جلجل
سقاك الحيا روحاته وبوا كره
وجاءك يحيى يوسف بن محمد
فروتك رباء وجادك ماطره
إذ لم يشا إلا أن يحمل الغيث يشبهه في قيده ، وبالغ في التشبيه ، وافتني في
الأسلوب ، وعكس ما ألفه الناس من تشبيه الجواد بالغيث والبحر ، ثم انظر إلى
قول الآخر :

إذ ما رأيت رأيت البحر يبسط كفه فلا تخش إقلالاً من الدهر أو عدما
 فقد لجأ في وصف مدوحه بالكرم الى الاستعارة المتصحة وهي كما قيل أبلغ
 من التشبيه وأعلى كعباً لما فيها من دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به ، وقول
 أبي العتاهية :

للحجود باب في الأنام ولم تزل ينالك مفتاحاً لذاك الباب
فقد جعل للحجود باباً مفتاحه في يد المدوح البمعنى على سبيل الاستعارة المكنية
وقول التثنى في مدح كافور :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
قصور المك ما يلقاء قاصدو مدوحه من الفتن والثروة ، وأن من لا يغري
سواء ، كما أن من قصد البحر تأبى هته أن ينظر إلى الجداول والقدران .
وهذه استعارة تمثيلية لها أثراها من البهجة والجمال الذي تحس به وتندرقه ،
وقول أبي نواس في الفضل بن الربيع :
وكلت بالدهر عيناً غير غافلة من جود كفك تأسو كل ما جرحا
فأضاف الجود إلى الكف ، والجود يناسب عادة إلى المدوح من قبيل إضافة
ما للكل إلى الجزء على سبيل المجاز المرسل ، وقول مسلم :
ظلم المال والأعداء في يده لازال المال والأعداء ظلاماً
إذ كنى عن كثرة عطياته وقتاله للأعداء وإفناه إياهم بالظلم من يده .

وللكلنائية أثرها البعيد في ثبيت المعنى في النفس وحسن تصويرها ، فهي
تهش له وترتاح .
فها أنت ذا قد رأيت في وصف الجود ضرورياً وألواناً مختلفة من التعبير وفنوناً
شقاً من القول ، وهكذا ينفسح مجال الكلام أمام البلبلين ، وتتشعب طرقه في
أي معنى من المعاني التي يقصد القول فيها ، ولكن بعضها كما رأيت أبلغ من بعض
بالنظر إلى مقتضيات الأحوال ، فما يصلح لمقام لا يصلح مثله الآخر ، وهذا هو سر
البلاغة ، فقد يكون المقام داعياً إلى التشبيه لا الاستعارة ، وقد يكون الأنسب
العكس ، فقد يكون المقام يدعو إلى الكلنائية .

فتلك الصور المختلفة والأساليب المتنوعة هي موضوع علم البيان الذي درست
مسائله ، فإذا أنت جعلتها رائداً في صوغ المعاني ، هدىك الصراط المستقيم ،
وبلقت بك الفانية التي تسعى إليها .

ولكن دراسة العلم وحدها ، والوقوف على شواهد يسيرة من كلام الفصحاء
والبلباء لا يبلغان بك إلى المقصود ، كما لو درست قواعد الحساب مثلاً وحللت
مسائل قليلة لكل قاعدة ، فإن هذا لا يكسبك الملكة التي بها تستطيع أن تحل
كثيراً من المسائل ، بل لا بد للملكة من التعرير ومارسة حل كثير من المسائل
الختلفة ، حق تكون لديك .

فبلغة القول ورشاقة التعبير ورصانته وإصابة المرمى من نفس السامع تحتاج إلى إدمان القراءة في كتب الأدب ، والوقوف على متنوع الأساليب ، من أقوال الكتاب والشعراء والخطباء ، وحفظ ما يكفي حفظه من منثورهم ومنظومهم .

ولا نرى كاتباً بليناً ولا شاعراً مجيداً إلا جال في مختلف الأساليب الشعرية والنثرية جولة صادقة ، وروى عن عذبها ، وغاص في بحارها ، واستخرج من دررها .

فعليك أيها القارئ من الإكثار من القراءة فيما خلفه لنا العرب من تراث أدبي من النظم والشعر في مختلف العصور ، فإنك إن فعلت ذلك ظفرت بكلمة مواية وحظ من الأدب عظيم .

علم البديع

البديع لفـة : الجديد المخترع لا على مثال سابق ولا احتذاء متقدم ، تقول :
بدع الشيء وأبدعه ، فهو مبدع ، وفي التنزيل : ﴿ قل ما كـنتَ بـدـعاً
من الرسـل ﴾ (١) .

وأصطلاحاً : علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسناً وقبولاً
بعد رعاية المطابقة لاقتضى الحال التي يورد فيها ووضوح الدلالة على ما عرفت في
العلمـين السـالـفـين (٢) .

(واضـعـه) أول من دوـن قوـاعـده ووضـع أصـولـه عبد الله بن المـعـتـز العـبـاسي
المـتـوفـى سـنة ٥٢٧٤ ، فقد استـقـصـى ما فـي الشـعـر من المـحـسـنـات وأـلـف كتاباً تـرـجـمـه
بـاسـمـ « الـبـدـيعـ » ذـكـرـ فـيـه سـبـعـة عـشـر نـوـعاً وـقـالـ : « ما جـعـقـبـلـي فـنـونـ الـبـدـيعـ أـحـدـ
وـلـاـ سـبـقـنـي إـلـىـ تـأـلـيفـهـ مـؤـلـفـ وـمـبـنـيـ رـأـيـ إـضـافـةـ شـيـءـ مـنـ الـحـاسـنـ إـلـيـهـ فـلـهـ اـخـتـيـارـهـ ».
ثـمـ أـلـفـ مـعـاصـرـهـ جـعـفـرـ بـنـ قـدـامـهـ كـتـابـاً سـمـاهـ « نـقـدـ قـدـامـهـ » ذـكـرـ فـيـهـ ثـلـاثـةـ عـشـرـ
نوـعاً زـيـادـةـ عـلـىـ مـاـ أـمـلاـهـ إـلـىـ الـمـعـتـزـ .

ثـمـ جـاءـتـ النـاـلـفـ قـتـرـىـ ، فـأـلـفـ فـيـهـ أـبـوـ هـلـالـ الـعـسـكـرـيـ وـجـعـ سـبـعـةـ وـثـلـاثـينـ
نوـعاً ، ثـمـ أـبـنـ رـشـيقـ الـقـيـرـ وـأـبـيـ فـيـحـيـيـ فـجـعـ مـثـلـهـ فـيـ كـتـابـ « الـعـمـدةـ » ، ثـمـ جـاءـ شـرـفـ الـدـينـ
الـنـيـفـاشـيـ فـبـلـغـ بـهـ السـبـعينـ .

ثـمـ أـلـفـ الـبـدـيعـيـاتـ ، فـأـلـفـ زـكـيـ الـدـينـ بـنـ أـبـيـ الـأـصـبـعـ بـدـيعـيـهـ ، وـأـوـصـلـ
الـأـنـوـاعـ إـلـىـ التـسـعـينـ ، ثـمـ جـاءـ بـعـدـهـ صـفـيـ الـدـينـ الـحـلـيـ فـأـوـصـلـهـ إـلـىـ مـائـةـ وـأـرـبعـينـ ،
وـنـظـمـ قـصـيـدـةـ مـيـمـيـةـ فـيـ مـدـبـعـ الـنـبـيـ عـلـيـهـ السـلـطـةـ ، وـذـكـرـ اـسـمـ كـلـ نـوـعـ فـيـ بـيـتـ .

(١) سورة الاحقاف الآية ٩ .

(٢) أي فالمستفاد من علم البديع الحسن العرض ، والمستفاد من العلمـين السـالـفـينـ الحـسـنـ الذـاـئـيـ .

ومن بعده جاء عز الدين الموصلي فذكر مثل ما ذكره سالفه، مع زيادة يسيرة من ابتكاره، وهكذا ارتفت التأليف صعداً وزيدت الأنواع وكبرت البدائع في هذا العلم كبديعة ابن حجة الحموي وقد شرحها في كتاب سماه «خزانة الأدب» وبديعة عبد الغني النابلسي وقد جاوز بها المائة والستين نوعاً.

أقسام المحسنات

تنقسم المحسنات الى قسمين :

- ١ - محسنات معنوية ، وهي التي يكون التحسين بها راجعاً الى المعنى أو لا وبالذات ، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين^(١) (اللفظ أيضاً) كالطبقان بين يسر ويلعنة في قوله تعالى: ﴿يعلم ما يسرّون وما يعلّمون﴾^(٢) ، وعلامة أنها لو غير اللفظ بما يرادفه فقيل مثله: يعلم ما يخفون وما يظهرون ، لم يتغير المحسن المذكور .
- ٢ - محسنات لفظية ، وهي التي يكون التحسين بها راجعاً الى اللفظ أصله وإن حسنت المعنى أحياناً تبعاً كالجنسان في قوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يُقسم الجرّمُون ما لبثوا غيرَ ساعة﴾^(٣) ، فالساعة الأولى يوم القيمة والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية ، وعلامة أنها لو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك المحسن ، فلو قيل: ويوم تقوم الساعة يقسم الجرّمُون ما لبثوا إلا قليلاً لضاع ذلك المحسن .

المحسنات المعنوية

المحسنات المعنوية كثيرة ، لكننا رأينا لا نذكر منها إلا ما اشتهر أمره ، وأهم الناثر والشاعر عليه :

(١) كما سألني في المكسن في قوله عادات السادات سادات العادات فان في اللفظ شبه الجنسان اللظفي لاختلاف المعنى ، فيه التحسين اللظفي والغرض الأصلي الاخبار بمكسن الاضافة مع وجود الصحة .

(٢) سورة البقرة الآية ٧٧ .

(٣) سورة الروم الآية ٥٥ .

الطباق – المطابقة – التكافؤ – التضاد

هو لغة الجمجمة بين الشيئين، واصطلاحاً الجمجمة بين معنيين متقابلين، سواء أكان ذلك التقابل تقابل التضاد أو الإيجاب والسلب أو المدح والملامة أو التضاد، أو ما شابه ذلك، سواء كان ذلك المعنى حقيقياً أو مجازياً^(١).

وهي تنقسم أولاً إلى :

(أ) مطابقة بلفظين من نوع واحد، سواء أكانتا اسمين، نحو : **﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾** وهم **رُقوْدٌ**^(٢) ، أم فعلين نحو : **﴿تُؤْتِيَ الْمَلَكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزَعُ الْمَلَكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَعْزِيزُ مَنْ تَشَاءُ وَتَذَلُّلُ مَنْ تَشَاءُ**^(٣) ، وقد **وله عزيزه للأنصار** : **﴿إِنَّمَا تُكثِرُونَ عِنْدَ الْفَزْعِ وَتَلَوْنُونَ عِنْدَ الْطَّعْمِ﴾** ، أم حرفين نحو : **﴿هُلْ هَا مَا كَسَبْتَ وَعَلَيْهَا مَا اكتَسَبْتَ**^(٤) ، وقول القائل :

رَكِبْنَا فِي الْهَوَى خَطْرَا فَإِمَا لَنَا مَا قَدْرَ رَكِبْنَا أَوْ عَلَيْنَا

(ب) مطابقة بلفظين من نوعين نحو : وأحياناً الموقى بإذن الله، وقوله : قد كان يدعى لابس الصبر حازماً فأصبح يدعى حازماً حين يجتمع والتقابل إما ظاهر كما سبق وإما خفي نحو : أشداء على الكفار رحاء بينهم فإن الرحمة تستلزم اللامين المقابل للشدة، وقول أبي تمام :

ما الوحش إلا أن هاتا أو إنس فتنى الخط إلا أن تلك ذوابل لما في هاتان من القرب وتلك من البعد .

ثانياً إلى :

(أ) طباق الإيجاب كما سلف لك من الأمثلة.

(ب) طباق السلب، وهو أن يجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي ،

(١) مثله أو من كان مينا فاحسينا .

(٢) سورة الكهف الآية ١٨ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٤) لأن في اللام معنى التفهم وفي على معنى المقدرة ، لأن اللام تشعر بالملامة المؤذنة بالانتفاع وعلى تشعر بالعلو الدال على التحمل المؤذن بالتضارر (سورة البقرة) .

أو أمر ونهي ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَاخْشُونِي ﴾^(٢) .

ومن الطباقي ما سماه بعضهم التدبيج مِنْ دِبَجَ الْأَرْضِ زِينَهَا ، واصطلاحاً أنْ يذكر في معنى كالمدح وغيره ألوان لقصد الكناية أو التوربة .

فتدبيج الكناية كقول أبي قاتل يرمي أبو نهشل محمد بن حميد :

تَرَدِي ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سَنَدِسٍ خَضْرٍ
فَقَدْ كَنَى عَنِ الْقَتْلِ بِلَبِسِ الثِّيَابِ الْحُمْرِ وَعَنِ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِخَضْرِ السَّنَدِسِ ،
إِذْ هُوَ مِنْ شَعَارِ أَهْلِهَا ، وَجَمْعُ بَيْنِ الْمَهْرَةِ وَالْخَضْرَةِ عَلَى سَبِيلِ الطَّبَاقِ .

وتدبيج التورية كقول الحريري : فَذَازُورٌ الْمَحْبُوبُ الْأَصْفَرُ وَالْأَغْبَرُ الْعِيشُ
الْأَخْضَرُ ، اسْوَدٌ يَوْمَيْ الْأَبْيَضِ وَالْأَيْضِ فَوْدِي الْأَسْوَدُ ، حَقْ رَئِي لِي الْعَدُوُ الْأَزْرَقُ
فِيَا حَبِّذَا الْمَوْتُ الْأَحْرَرُ ، فَالْمَعْنَى الْقَرِيبُ الْمَحْبُوبُ الْأَصْفَرُ إِنْسَانٌ ذُو صَفْرَةٍ ،
وَالْبَعِيدُ الْذَّهَبُ ، وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا ، فَيُكَوِّنُ تُورِيَّةً ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْعِبَارَةِ فَكَنَّاِيَّةً^(٣)
وَيَلْعُقُ بِالْطَّبَاقِ شَيْثَانٌ أَحَدُهَا مَا يُسَمِّي : إِبْرَاهِيمَ التَّضَادُ ، وَهُوَ الْجَمْعُ بَيْنِ مَعْنَيَيْنِ
غَيْرِ مُتَقَابِلَيْنِ ، مَعْبُرًا عَنْهَا بِلَفْظِيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ ، كَقُولُ دَعْبُلِ الْخَزَاعِيِّ :

لَا تَعْجِيْيَ يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحْكُ الْمَشِيبِ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
فَإِنْ ضَحْكُكَ بِمَعْنَى ظَهَرٍ ، وَبَكَى بِمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ .

وَثَانِيَهَا : الْجَمْعُ بَيْنِ مَعْنَيَيْنِ يَتَعْلَقُ أَحَدُهَا بِاِيْقَابِ الْآخَرِ نَوْعٌ تَعْلُقُ كَالْسَّيْبِيَّةِ
وَالْلَّزَوْمِ ، كَقُولِهِ تَعْلِيَّةً : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الْلَّيلَ وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ
وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٤) فَإِنْ اِبْتِغَاءُ الْفَضْلِ يَسْتَلِمُ الْحَرْكَةَ الْمَضَادَةَ لِلْسَّكُونِ^(٥) .

(١) سورة الكهف الآية ٢٢ .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٣) اخضرار العيش كناية عن طبيه ونعومته ، والاغبرار عن ضيقه ، والفودان شعر جانبي
الرأس مما يلي الأذنين .

(٤) سورة القصص الآية ٧٣ .

(٥) وإنما اعدل عن الحركة الى ابتقاء الفضل من قبل أن الحركة ضربان : حركة لمصلحة
وحركة لفسدة ، والمراد الأولى لا الثانية .

المقابلة

ومن الطباقي نوع يختص باسم المقابلة، وهي أن يؤتي بمعنىين متوافقين أو أكثر ثم يؤتي بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب.

فمقابلة اثنين باثنين كقوله لَا مُؤْمِنٌ لَّمْ يُكَفِّرْ لأم المؤمنين عائشة: «**عَلَيْكِ** بالرفق يا عائشة فإنه ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه».

وقول النابغة الجعدي:

فَتَقَمَّ فِيهِ مَا يَسِّرَ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءَ الْأَعْدَادِ
ومقابلة ثلاثة بثلاثة كقوله تعالى: **فَبِحَلِّ** لهم الطبيات وبกรรม عليهم
الجنايات ^(١).

وقول المنبي :

فَلَا جُودٌ يَفْنِي الْمَالَ وَالْجَدَّ مُقْبِلٌ وَلَا بَخْلٌ يَبْقِي الْمَالَ وَالْجَدَّ مُدْبِرٌ
ومقابلة أربعة بأربعة، نحو: **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى** واتقى وصدق بالحسنى
فَسَنِيسِرُهُ لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى **فَسَنِيسِرُهُ** للعسرى ^(٢)
وتتضاعف لك مقابلة اتفى باستغنى اذا علمت أن المراد بالاستغنى الزهد فيما عند الله
كانه استغنى عنه، فلم يتق، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعم الجنة،
فلم يتق.

ومقابلة خمسة بخمسة ^(٣) كقول أبي الطيب :

أَزُورُهُمْ وَسُوادُ اللَّيلِ يُشْفَعُ لِي وَأَثْنَى وَبِيَاضِ الصَّبْحِ يَغْرِي بِي
ومقابلة ستة بستة كقول الآخر ^(٤):

عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ قَاجَ عَزِيزِهِ وَفِي رَجُلٍ حَرْ قَيْدَ ذَلِيشِهِ

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧.

(٢) سورة الليل الآيات ٥ و ٦ و ٧.

(٣) كذا ذكر الواحدى فى شرحه لدبوان أبي الطيب ، قال فى الإيضاح : وفيه نظر لأن
لي وبي صلتان ليشفع وينغري ، فهها من تمامها بخلاف اللام وعل فى قوله تعالى : «**لَمَا** ما كسبت
وعليها ما أكتسبت» .

(٤) نسبة بعض المحواشي لعنترة .

الافتاد - التناصب - اعنة النظر

هي أن يجمع في الكلام بين أمرتين ، أو أمور متناسبة ، لا بالتضاد ، وبالقيد الأخير بخراج الطلاق .

فالجُمُعُ بينَ أَمْرِيْنَ كَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحَسْبَانٍ﴾^(١١).

وَبَيْنَ ثَلَاثَةِ كَقْوَلِ الْمُحَتَرِي يَصْفُ إِبْلًا بِالْإِنْضَاءِ وَالْهَزَالِ :

« كالقسى المطّفات بل الأسماء مهربة بل الأوّلار»

فقد اختار تشبيهها بالقسى دون العراجين والأطناب^(٢) مثلاً من أجل أنه أراد تشبيهها بالأسمم والأوتار، فيحصل بذلك لها ملامحة لا تحصل بدونها.

وَبَيْنَ أَرْبَعَةِ كَفَوْلٍ بَعْضُهُمْ لِلوزِيرِ الْمَهْلِيِّ : أَنْتَ أَهْبَأُ الْوَزِيرِ إِسْمَاعِيلِيُّ الْوَعْدَ ،
شَعْوَّ التَّوْفِرِ ، يُوسُفِيُّ الْعَفْوِ ، مُحَمَّدِيُّ الْخَلْقِ .

وَبِئْنَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ كَقُولٍ أَنْ رَشِيقٌ :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى
أحاديث ترويها السول عن الحما
من الخبر المأثر منذ قديم
عن البحر عن جُودِ الْأَمِيرِ ثَمِيم

فقد لائم بين الصحة والقوة والسماع والخبر والأحاديث والرواية، ثم بين السيل والحياة، أي المطر والبحر، وكف تم، وبندا صار الكلام ملائم النسج، حكم التأليف والمحوك، مع ما أدخله في البيت الثاني من حسن الصنعة، إذ أتى بصحة الترتيب في المعنة، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر، كما يقع في سند الأحاديث، لأن المطر أصلها المطر، وهو أصله البحر، وهو أصله كف المدوح على حسب ما ادعاه مبالغة في المدح.

تشابه الأطرواف

من مراعاة النظير ما يسمى: **تشابه الأطراف**, وهو أن يختتم الكلام بما يناسب أوله في المعنى كقوله تعالى: ﴿لَا تدركُهُ الأَبْصَارُ﴾ وهو يدركُهُ الأَبْصَارُ وهو اللطيف الخير ﴿٣﴾.

(١) سورة الرحمن الآية ٥ .

(٤) المراجعين جمع عرجون ، الكياسة والاطناب جمع طنب حبل الخبعة ونحوها .

١٠٢ الآية الأنعام سورة

فإن اللطف يناسب مالا يدرك بالبصر ، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً ، لأن الخبر من له علم بالحقائق ، ومن جملة الحقائق بل الظواهر الأدصارات فيدر كها . وبلتحق بها ما يسمى إيجام التناسب ، وهو الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظ يكون لها معنيان متناسبان ، وإن لم يكونا مقصودين هنا ، كقوله تعالى : ﴿والشمس والقمر بمحسان والنجم والشجر يسجدان﴾^(١) فالنجم هنا النبات الذي لا ساق له كالبقول وهو أن لم يكن مناسباً للشمس والقمر يوم نجم السماء وهو مناسب لها .

الارصاد - التسييم

الارصاد لغة نصب الرقيب في الطريق والتسييم جعل البرد ذا خطوط كأنها فيه سماء واصطلاحاً أن يجعل قبل آخر الفقرة أو البيت ما يفهمها عند معرفة الروي ، كقوله تعالى : ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يحيازى إلا الكافر﴾^(٢) ، وقول البحتري :

أحلت دمي غير مجرم وحرمت
بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حللت به حلل
وليس الذي حرمت به حرام

فالسامع اذا وقف على قوله تعالى : وهل يحيازى ، بعد الاحداثة بما تقدم علم أنه ليس (إلا الكافر) ، والحادي بمعانٍي الشعر وتاليه يعلم بعد أن عرف البيت الأول وصدر الثاني في بيته البحتري أن ليس عجزه إلا ما قاله .

المشكلة

هي لغة المائنة واصطلاحاً ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرأ ، فالأول كقوله عز وعلا : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَاتِهِ مُثْلِهَا﴾^(٣) ، إذ الجزاء على السيئة ليس بسيئة في الحقيقة لكنه سبيلاً ل المشكلة اللغوية ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَمْلِكُ حَقَّ تَمَلَّوْا﴾^(٤) ، فقد وضع : لا يمل ، موضع : لا يقطع عنكم ثوابه .

(١) سورة الرحمن الآيتان ٦ و ٧ .

(٢) سورة سبأ الآية ١٧ .

(٣) سورة الشورى الآية ٤٠ .

(٤) المعنى إن الله لا يقطع عنكم نعمه وفضله حتى تملوا عن مائته .

وقول أبي الرقمع ، وقد تطرف ما شاء :

قالوا اقترح شيئاً تجد لك طبعه قلت اطبعوا لي جبة وقيضا

فقد عبر عن خيطة الجبة بالطبع لوعده في صحبة طبع الطعام .

والثاني كقوله تعالى : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾^(١) ، وهو مصدر مؤكداً ممنا بالله ،

والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس .

وأصل ذلك أن النصارى كانوا يفسرون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ، ويقولون إن تطهير لهم ، فغير عن الإيمان بالله بصفة الله المشاكلة بهذه القرينة الحالية^(٢) .

المزاوجة

هي لغة مصدر زاوج بين الشيئين قرن بينها ، وأصطلاحاً أن يجمع بين الشرط والجزاء في ترتب لازم من اللوازم عليهما معاً نحو :

إذا ما بدت فازداد منها جماها نظرت لها فازداد مني غرامها

فقد زاوج بين معنيين مما بدوها وظهورها ونظره لها في الشرط والجزاء في أن رتب عليها لزوم شيء ، وهو ازدياد الجمال وازدياد الغرام .

ونحوه قول البحتري :

إذا ما نهى الناهي فلجلج بي الهوى أصاخ إلى الواشي فلجلج به المجر

فقد جمع بين الشرط والجزاء في لزوم شيء ، وهو لجاج الهوى ولجاج المجر ، ولا يخفى ما في ترتب لجاج الهوى على النهي من المبالغة في الحب لاقتضائه أن ذكرها ولو على وجه المت McBridج بها ويشيره كما قال :

أجد الملامة في هواك لذنبة^{*} حبـاً لذكرك فليلني اللوم

(١) سورة البقرة الآية ١٣٨ .

(٢) فإن الصبغ ليس بمذكور في كلام الله ، ولا في كلام النصارى لكن لما كان غسلهم أولادهم في الماء الأصفر يستحق أن يسمى صبغة وإن لم يتتكلوا بذلك سين القسم وكانت الآية نازلة في سياق ذلك الفعل كان لفظ الصبغة مذكور، إذ أن السلين أمروا أن يقولوا : صبغنا الله تعالى بالإيمان صبغة ولم تصبغ صبغتكم .

وما في ترتيب لزوم المجران على وشي الواشي من المبالغة في كون حبه على
شفا بحرُف ، إذ يزيده مطلق الوشائية ، فكيف يكون لو سمع أو رأى عيناً ،
كما قال الآخر :

ولا خير في ود ضعيفٍ تُزيهه هوانفٍ وهم كما عرضت جفنا

العكس - التبديل

هو أن تقدم في الكلام جزءاً ، ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت
وهو على وجهه ، منها :

١ - أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ذلك الطرف نحو قوله :
عادات السادات سادات العادات ^(١) ، فالعادات أحد طرفي الكلام ، والسداد
مضاد إلى ذلك الطرف ، وقد وقع المكس بينها بأن قدم أولاً العادات على
السادات ثم السادات على العادات .

ونحوه قول بعضهم الآخر : لم لا تفهم ما يقال ؟ فأجاب : لأنك لم تقل
ما يفهم .

وقول متصدق : لا سرف في الخير ، ردأ على من اتهمه بالتبذير ، وقال له :
لا خير في السرف .

وقول المتنبي :

أرى كل ذي ملك اليك مصريره
إذا أمطرت منهم ومنك سحابة
كأنك بحر والمراكب جداول
فوابلهم طل ^٢ وطلتك وابل

٢ - أن يقع بين متعلقي فعلن في جملتين نحو : يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي .

وقول الحماسي :

رمي الحدثان نسوة آل حرب
فرد شورهن السود بيضـا
بأمر قد سمدـن له سمودـا ^(٣)
ورد وجوهـن البيض سودـا

(١) أي أن العادة التي تصدر من سيد الناس هي العادة الحسنة التي تستحق أن تسمى
سيدة العادات .

(٢) الحدثان نوائب الدهر ومصائبـه ، وسمـدـها : غفلـ .

٣ - أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين نحو : ما عليك من حسابهم من شيء يوماً من حسابك عليهم من شيء ، وقول الحسن البصري : إن من خوفك حق تلقى الامن خير من آمنك حق تلقى الخوف ، وقول المتبنبي :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

الرجوع

هو رجوع المتكلم إلى الكلام السابق بنقضه وإبطاله لكتمة التحسن والتحزن في قول زهير :

قف بالديار التي لم يعها القدم بل وغيرها الأرواح والدم^١
 فإنه حين وقف على الديار دهش^(١) وذهل ، فأخبر بما هو غير حاصل فقال :
 لم يعها القدم ثم ثاب اليه رشده فتدارك كلامه وقال : يلي وغيرها الأرواح والدم .
 ونحو قول الحماسي :
 أليس قليلاً نظرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل

التورية^(٢) - الإيهام - التخيير

هي لفقة مصدر ورى الخبر اذا ستره وأظهر غيره ، واصطلاحاً أنت يذكر المتكلم لفظاً له معنيان ، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ، ودلالة اللفظ عليه خفية ويريد المعنى البعيد ، ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريد ، وهو ليس بمراد ، ومن ثم سميت إيهاماً ، كقول لصلاح الصفدي :

صاحب لما أتاه الفتى تأه ونفس المرء طباه
 وقيل هل أبصرت منه يداً تشكرها قلت ولا راحه
 فللراحة معنيان : قريب ، وهو الكف ، وهو المتبار بقرينة ذكر اليد ،
 وبعيد مراد وهو ضد التعب .

(١) أي فظن الشيء واقعاً وليس هو كذلك ثم عاد إلى إبطاله بعد أن أفاق فأخبر بالحقيقة مع التأسف على فوات ما رغب فيه والتحسر على مارأى .

(٢) الفرق بينها وبين المجاز والكتابية أنه لا يعتبر بين معنى التورية لزوم وانتقال من أحدهما إلى الآخر ولا علاقة بينها كذلك بخلافها .

ونحوه قول الآخر:

أيـا المعرض عـنا حـسبـك الله تـعـالـى

وقول الباحرزي صاحب دمية القصر:

يا خـالق حـملـت الـورـى لما طـغـى الـمـاء عـلـى جـارـيـه

وـعـدـك الـآن طـغـى مـاؤـه فـاحـلـه عـلـى جـارـيـه

وهي ثلاثة أضرب :

١ - مجردة ، وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب ، نحو قوله تعالى : ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) ، للارتفاع معنيان : أحدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لأن الحق تعالى متزه عن ذلك ، والثاني : الاستيلاء والملك ، وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى عنه بالقريب المذكور .

وقول أبي بكر ، وقد سئل عن النبي ﷺ حين الهجرة ، فقيل له : من هذا ؟ فقال : « هـاد يـهـدـيـنـي » ، أراد أبو بكر : هـادـيـا يـهـدـيـنـي إـلـى إـلـاسـلـام ، لكنه ورى عنه بهادي الطريق ، وهو الدليل في السفر .

٢ - مرشحة ، وهي التي يذكر فيها لازم المورى به ، وهو المعنى القريب ، وهي قسمان :

(أ) قسم يذكر فيه الترشيح قبلها كقوله تعالى : ﴿وَالسَّاءُ بَنِينَاهَا﴾^(٢) بأيد ، فاليد هنا القدرة ، وهي المعنى البعيد ، وقد قرنت بالبناء الذي يناسب المعنى القريب ، وهو الجارحة ، ونحو قوله :

حملناه طرأ على الدائم بعدها خلمنا عليهم بالطعام ملابسا

فالمعنـى القـرـيب لـلـدـمـ الـخـيـولـ السـوـدـ ، وـهـوـ لـيـسـ بـمـرـادـ ، وـهـيـ الـبـعـيدـ الـقـيـودـ منـ الـحـدـيدـ وـهـوـ الـمـرـادـ ، وـرـشـحـ التـورـيـةـ بـذـكـرـ حـلـنـاهـ الـمـنـاسـبـ لـلـمـعـنىـ الـقـرـيبـ .

(ب) قسم يذكر بعدها ، كقوله :

(١) قال الزمخشري : ولا ترى ببابا في البيان أدق وألطف من هذا الباب ولا أعن على تعاطي تأويل المشبهات من كلام الله وكلام رسوله وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين (سورة طه) .

(٢) سورة الذاريات الآية ٤٧ .

أقلعت عن رشف الطلا
والثالم في خند الحبيب
وقلت هندي راحة
تسوق للقلب التعب (١١)
فالمعنى القريب للراحة ضد التعب وليس ببراد ، والآخر بمعنى المفر ، وهو
المBrad ، ورشحه بذكر التعب بعده .

٣ - مبينة ، وهي ما قرنت بها يلائم المعنى البعيد ، كقول ابن سناه الملك :
أما والله لو لا خوف سخطك هان علي ما ألقى بر هطتك
ملكت الخافقين فتحت عجبا وليس لها سوى قلي وقرطك
فالمعنى القريب للخافقين: المشرق والمغرب ، وذا ليس ببراد ، والمعنى البعيد
المراد القلب ، والقرط ، وقد بينه الشاعر بالنص عليه .

الاستخدام

هو ذكر اللفظ بمعنى وإعادة ضمير أو إشارة عليه بمعنى آخر ، أو إعادة ضميرين عليه تزيد بثنائيها غير ما تزيد بأولهما ، فالأول كقوله تعالى : فَنَّ شَهْدُكُمْ
الثَّرِيقَةُ فَلَمْ يَمْلِأْنَاهُمْ بِالْمُعْلَمَاتِ ، فالمراد بالشهر الهلال وبضميره الزمان المعلوم .

وقول ابن معنون الموسوي المتوفى سنة ٥١٠٢٥ :
قال الله ما ذكر العقيق وأهله إلا وأجراء الفرام بمحجرى
إذ المراد بالعقيق الوادي الذي يظاهر المدينة ببلاد الحجاز وبالضمير الذي
يعود إليه الدم الأحمر الشبيه بالعقيق .
والثاني ، كقوله :

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متم لج في الأسواق خاله فقد أراد بالعقيق أول المكان ، ثم أعاد اسم الإشارة اليه بمعنى الدم . والثالث ، كقول شوقي يخاطب الإله جل وعلا :

العقل أنت عقلته وسرّ حنته
آتنيكَ الحجر الأصم ونحنته
وأحرّتَ فيك دليله وأرحته
والنجم يُبعد فوقه أو تمحّته (٢)

(١) الطلا ما طبخ من عصير العنب ، والحبب الفقاديع التي تعلو في الكأس .

(٤) أحرته أي بالشك وأرسته أي بالقين ، ومفعول يعبد محذوف أي يعبدك .

فالنجم يطلق على ما لا ساق له من النبات وعلى الكواكب وقد أعاد اليه الضمير الأول في فوقه بمعناه الأول ، وفي تحته بمعناه الثاني .

ونحوه قول البحتري :

ف斯基 الفضا والساكنية وإن هم شبوه بين جوانح وقلوب^(١)

فقد أراد بضمير الفضا في قوله : والساكنية المكان ، وفي قوله : شبوه ، أي أوقدوه الشجر .

اللف والنشر

هو ذكر متعدد مفصل أو بجمل ، ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعين ، اتكالاً على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به لوضوح الحال^(٢) .

فالملخص قسمان :

١ - إما مرتب ، كقوله تعالى : ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبغوا من فضله ، فقد جمع بين الليل والنهار بـأو المطف ، ثم أضيف إلى كل ما يليق به ، فأضيف السكون إلى الليل ، لأن فيه النوم والراحة ، وابتغاء الرزق إلى النهار لما فيه من الكد والعمل .

وقول ابن حنيوس :

فهل المدام ولوتها وماذاها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

٢ - وإما يعكس ترتيب اللقب ، كقول ابن حيوس أيضاً :

كيف أسلو وأنت حقف وغضن وغزال لحظا وقادا وردفا

فاللحظ للغزال والقد للغضن والردف للحقف وهو الرمل المترافق .

والجمل ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾^(٣) .

(١) الفضا : شجر شديد الاشتمال ، يريد الدعاء له وبطلب لأحبابه النازلين به السقيا ، وإن أسرقوا قلبه بنار الجوى .

(٢) أما لفرينة لفظية أو معنوية فالأولى كما تقول رأيت شخصين ضاحكـاً وعايبة ، فتأتيت عابسة دل على أن الشخص العايس هي المرأة والضاحك هو الرجل والثانية كما تقول : لقيت الصاحب والمدرو فأكرمت واهنت .

(٣) سورة البقرة الآية ١١١ .

فضمير قالوا لليهود والنصارى على سبيل الالف ^(١) ، ثم أضيف ما لكل اليهود، إذ التقدير وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصراً .

ونحوه قوله عليه السلام : « فإن المرء بين يومين قد مضى أحصى فيه عمله فحتم عليه ، ويوم قد بقي لا يدرى لعله لا يصل إليه » .

الجمع

هو أن يجمع بين شيئين مختلفين ، أو أكثر ، في حكم واحد ، كقوله تعالى : « إنما الخير والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ^(٢) .

وقول أبي العתاهية :

إِنَّ الشَّابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجَدَةَ مُفْسِدَةٌ ^(٣)

وقول ابن الرومي :

أَرَاوْكُمْ وَوْجُوهُكُمْ وَسِيْوَفُكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجُونَ نَجُومَ

التفریق

هو أن يعمد المتكلم إلى نوعين من درجتين تحت جنس واحد فيوقع بينهما تباعينا في المدح أو الذم أو غيرها كقول الوطواط في المدح :

كَنْوَالُ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءٍ مَا كَنْوَالُ الْفَهَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ
وَنَوَالُ الْأَمِيرِ بَدْرَةٌ عَيْنٌ فَنَوَالُ الْفَهَامِ قَطْرَةٌ مَاءٌ ^(٤)

وقول صفي الدين الحلبي :

عَنِ الْعِبَادِ وَجُودُ السُّلْطَنِ لَمْ يَدْمُ ^(٥) فَجُودُ كَفِيْهِ لَمْ تَقْلُعْ سَحَابَيْهِ

(١) لف بين قولي الفريقين، فلم يبين مقول كل فريق، ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله لما علم من تعادي الفريقين.

(٢) سورة المائدة الآية ٩٠ .

(٣) الجدة الاستثناء ، يقال : وجد في المال وجداً بتثليث الواو وجدة أيضاً .

(٤) البدرة : كيس فيه عشرة ٢٦٨ درهم .

(٥) أفلعت السحابة : ذابت .

التقسيم

هو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل اليه على التعيين، وبقيد التعيين بخرج اللف فانه لا تعيين فيه ، بل الأمر موكول الى السامع ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ كذبت ثُود وعاد بالقارعة ، فَأَمَا ثُود فَأَهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ ، وَأَمَا عَاد فَأَهْلَكُوا بِرِيعِ صَرْصَرِ عَاتِيَةٍ ﴾^(١).

وقول أبي تمام :

فَإِلَّا الْوَحْيُ أَوْ حَدَّ مَرْهُفٌ
وَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ^(٢)

ولتتقسيم إطلاقان آخران :

١ - ذكر أحوال الشيء مضافاً الى كل حال ما يليق بها ، كقول علي كرم الله وجهه : « أحسن الى من شئت تكون أميره ، واستعن عنمن شئت تكون نظيره ، واحتاج الى من شئت تكون أسيره » .

وقول أبي الطيب :

سأطلب حقي بالقنا ومشابخ
ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا

وقوله أيضاً :

بدت قرآ وأمالت خوطاً بار

٢ - استيفاء أقسام الشيء كقوله عليه السلام : « هل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » .

وقول أبي تمام :

إِنْ يَعْلَمُوا الْحَيْثُ يَخْفُوهُ وَإِنْ عَلِمُوا كَذَبُوا

وقول نصيئب :

فَقَالَ فَرِيقُ الْقَوْمِ: لَا وَفَرِيقُهُمْ

(١) سورة القارعة الآيات ٣ و ٤ و ٥ .

(٢) الوحي الاشارة والمرهف السيف والطبأ حد السيف والاخدعان عرقان في صفحتي المتنق.

(٣) الخوط الغصن الناعم لسته ، والبان شجر سبط القوم لين ، ورونا نظر .

الجمع مع التفريق

هو أن يجمع بين شيئين في معنى ويفرق بين جهتي الدخال ، كقوله تعالى :
﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيلَ وَالنَّهَارَ آيَةً لِلَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةً النَّهَارَ مِبْرَرَةً ﴾^(١) .
وقول رشيد الدين الوطواط :

فوجبك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرها

فقد شبه وجه الحبيب وقلبه هو بالنار ، ثم فرق بين وجهي المشابهة بأن جعله
في الوجه الضوء والمعمان وفي القلب الحرارة والاحتراق .

وقول البحتري :

وما التقينا والنقا موعد لنا
تمجب رأني البدر منا ولا قطه
 فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها

الجمع مع التقسيم

هو جمع أمور متعددة تحت حكم واحد ، ثم تقسيمها أو تقسيمها ثم جمعها ،
فال الأول كقول النبي يدح سيف الدولة حين غزا خرشنة بأرض الروم ولم يفتحها :

حق أقام على أراض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبيس
للسبي مانكعوا والقتل ما ولدوا والنهم ماجعوا والنار مازرعا^(٢) .

فقد جمع البيت الأول شقاء المقيمين بنواحي تلك البلدة بما يلحقهم من الإهانة
ثم فصله في البيت الثاني .

والثاني كقول حسان :

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم
او حاولوا النفع في اشيائهم نفعوا
إن الخلائق فاعلم شرها البدع سجية^{*} ذلك منهم غير محدثة

(١) سورة الإسراء الآية ١٢ .

(٢) خرشنة بلد بدويار بكر ، وأراضي البلد ما حولها (الضواحي) وحتى متصلة بما قبلها ،
وهو قوله :

قاد القانب أقصى شربها نهل مع الشكم وأدنى سيرها سرع وبعدهما :
الدهر متذر والسبف منتظر وأرضهم لك مصطف ومرتبع

قسم في البيت الأول صفات المدحدين قسمين ضر الأعداء، ونفع الأولياء، ثم جمعها في البيت الثاني بقوله : سجية تلك ، ثم أشار إلى شر الأخلاق ما كان مستحدثاً مبتدعاً لا ما كان غريزة وجبلة .

الجمع مع التفريق والتقسيم

هذا النوع جامع للأنواع الثلاثة المتقدمة ، وقد مثلوا له بقوله تعالى : **(٤) يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فنهم شقي وسعيد ، فأما الذين شقوا ففي النار لهم زفير وشقيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجدوذ **(١)**** فالجمل في قوله تعالى : يوم يأتي لا تكلم نفس ، لأن النفس متعددة في المعنى إذ هي نكرة في سياق النفي تعم ، والتفريق في قوله عز وجل : فنهم شقي وسعيد ، والتقسيم في قوله عز وعلا : فأما الذين شدوا وأما الذين سعدوا .

ومن هذا النوع أيضاً قول ابن شرف القبرواني :

**لختافي الحاجات جمع ببابه فمذا له فن وهذا له فن
فلا يخالمل المليا وللمعدم الفنى ولالمذنب العتبي وللخائف الآمن**

التجرييد

هولفة : إزالة الشيء عن غيره ، واصطلاحاً هو أن ينزع من أمر ذي صفة أو أكثر ، أمر آخر أو أكثر منه فيها ، لإفاده المبالغة بادعاء كمال الصفة في ذلك الأمر حق كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة مبلغاً يصبح أن ينزع منه موصوف آخر متصرف بتلك الصفة ، فهي فيه كأنها تقضى بثباتها لقوتها كا يفيض الماء عن ماء البحر .

وهو أقسام :

١ - ما يكون بن التجريدية كقولهم : لي من فلان صديق حميم ، بلغ فلان من الصداقة حداً صحيحاً أن يستخلص منه صديق آخر مثله فيها .

(١) سورة هود الآياتان ١٠٧ و ١٠٨ .

٢ - ما يكون بالباء التجريدية الدالة على المتردع منه ، نحو : لئن سأت
فلاناً لتسألن به البحر ، فقد بالغ في اتصافه بالسماحة حق انتزع منه بحراً فيها .

٣ - ما يكون بدخول باه المعية على المتردع كقوله :

وشهاء تعدو بي إلى صارخ الوعي بستلهم مثل الفنيد المرحل^(١)
يريد أنها تعدو بي ومعي من نفسي لكيال استعدادها للحرب .

٤ - ما يكون بدخول (في) على المتردع منه ، نحو قوله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا
دارُ الْخَلَدِ﴾^(٢) ، فإن جهنم هي دار الخلد ، لكنه انتزع منها داراً أخرى وجعلها
معدة في جهنم لأجل الكفار تهويلاً لأمرها ومبالقة في اتصافها بالشدة .

٥ - ما يكون بدون توسط حرف ، نحو قول قتادة بن مسلمة الحنفي :
فلئن بقيت لأرحاسن بفروة تحوى الفنائم أو يموت كريم
يعني بالكرم نفسه وقد انتزع من نفسه كريماً للبالفة في كرمه .

٦ - ما يكون بطريق الكناية ، نحو قول الأعشى :
يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأساً بكف من بخلا
يريد أنه يشرب الكأس بكف الجوارد ، فقد انتزع من المخاطب وهو المدوح
جواداً يشرب هو أي المدوح بكفه على سبيل الكناية^(٣) لأنه إذا نفي عنه الشرب
بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف الكريم ، ومن بين أنه يشرب غالباً
بكف نفسه ، فهو حينئذ ذلك الكريم .

٧ - ما يكون بمخاطبة الإنسان نفسه فينتزع الإنسان من نفسه شخصاً آخر
مثله في الصفة التي سبق لها الكلام ويختابه كقول الأعشى :

وداع هريرة أن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً إليها الرجل

(١) وشهاء أي فرس قبيحة المنظر أسلع أشداقها ، والمستلهم : اللابس الدرع ، والفنيد : الفحل المكرم .

(٢) سورة فصلت الآية ٢٨ .

(٣) حيث أطلق اسم المزوم الذي هو نفي الشرب بكف البخيل على اللازم ، وهو الشرب
بكف الكرم يعني نفسه .

(تنبيهان) الأول – قال أبو علي الفارسي في سر تسمية هذا النوع بهذا الاسم أن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله ، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها بعراضاً عن الإنسان كأنه غيره وهو هو بعينه ، كقولهم : لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد ولئن سأله لتسأله منه البحر ، وهو عينه الأسد والبحر إلا أن هناك شيئاً منفصل عنه أو متيناً منه .

ثم قال : وعلى هذا النمط كون الإنسان يخاطب نفسه حق كأنه يقاول غيره ، كما فعل الأعشى في قوله :

وَدَعْ هَرِيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ

الثاني – لهذا الضرب من الكلام فائدتان :

إحداهما: التمكّن من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره لأنّه موجه خطابه إلى غيره فيكون أعزّر وأبراً من العهدة فيما يقول .

ثانيتها: طلب التوسيع في الكلام ، وذا من مزايا اللغة العربية .

المبالغة – آراء العلماء فيها – أقسامها

هي ادعاء^(١) بلوغ وصف في الشدة أو في الضعف جداً مستحيلاً أو بعيداً آراء العلماء فيها : للعلماء في المبالغة ثلاثة آراء :

١ – الرفض مطلقاً، وبحجتهم أن خير الكلام ما خرج بخرج الحق وجاء على منهاج الصدق من غير إفراط ولا تفريط ، كما قال حسان :

وإنَّ الشِّعْرَ لِبٌ الْمَرْءِ يَعْرُضُهُ عَلَى الْجَالِسِ إِنْ كَيْنَاسَا وَإِنْ حُنْقَا
فَإِنْ أَشْعَرَ بَيْتَ أَنْتَ قَائِلٌ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدَتْهُ صَدْقَا

٢ – القبول مطلقاً ، وحجّة أولئك أن خير الشعر أكذبه ، وأفضل الكلام ما يبلغ فيه .

٣ – التوسط بين الأمرين ، فتقبل مع الحسن إذا جرت على منهج الاعتدال ، وهذا رأي جمهرة العلماء ، ودليل ذلك وقوعها في التنزيل على ضروب مختلفة ،

(١) إنما يدعى ذلك خوفاً من أن يظن أن ذلك الوصف غير متناه في الشدة أو الضعف ، بل هو متوسط أو دون المتوسط .

وترد إذا جاءت على جهة الإغراق والفلو، ويندم مستعملها ، كها درج على ذلك أبو نواس وابن هانى، الأندلسى والمتنى وأبو العلاء ، وغيرهم .

(أقسامها) – أقسام المبالغة ثلاثة^(١) : تبليغ وإغراق وعلو ، لأن المدعى للوصف من الشدة أو الضعف إما أن يكون ممكناً في نفسه أو لا الثاني الغلو ، والأولى إما أن يكون ممكناً في العادة أو لا ، الأول: التبليغ ، والثانى: الإغراق: ١ – فالتبليغ^(٢) ما يكون المدعى فيه ممكناً عقلاً ، وعادة ، كقول امرىء القيس:

فعادى عداء بين ثور ونوجة دراكا فلم ينضح باء فيفسل^(٣)

فقد وصف هنا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشتين في مضمار واحد ولم يعرق ، وذلك مما لا يتنع عقلاً ولا عادة .
ونظيره قول المتنى:

وأصرع أيَّ الوحش قفيته به وأنزل عنه مثله حين أركب

فقد مدحه أولاً بأنه يلحق كل وحش ولم يستثن شيئاً ، ثم عقبه بمح أعظم وبمبالغة أكثر في الشطر الثاني من أجل أنه أفاد به وفرة جريه وشدة صلابته .

٢ – والإغراق ما يكون المدعى فيه ممكناً عقلاً لا عادة ، وهذا على ضربين:

(أ) وهو أجلبهما إلى حسن الاصفاء أن يقتربن به ما يقرب به من نحو لو ولو لا وكاد وكان ، وإذا ذاك يظهر حسته ويبيه شكله ، كقول امرىء القيس في وصف عبوبته :

من القاصرات الطرف لو دبْ ^{محول} من النعل فوق الاتب منها لأوا^(٤)
فقد وصفها بالرقه ونعومة الجسم ، وقرب الدعوى بلفظ لو حق جعل السامع يصنفي إلى ما يقول .

(١) انحصرها في هذه الأقسام بالاستقراء وبالعقل .

(٢) التبليغ والإغراق مقبولان في صنعة البديع لعدم ظهور الكذب فيها الوجب لردها ، وكذلك بعض أنواع الفلو .

(٣) عادى عداء والي موالة بين الصيدين يصرع أحدهما إثر الآخر ، ودراكا متتابعاً ، والنضج للرشح .

(٤) الم Howell ما أتى عليه الحول ، والاتب ما قصر من الثياب وقميص بلا كمين .

ونحوه قول النبي :

كفى يحسمي خولاً أني رجل لولا مخاطبتي إيساك لم رفي

(ب) أن يحيي مجردًا عما ذكر، كقول عمرو بن الأheim التغلبي:

ونكرم جارنا ما دام فيما وتبعد الكرامة حيث مالا

فقد ادعى أنه يتبع جاره الكرامة حيث سار، وهذا ليس بمحاذن في شرعة العادة، وإن أجازه العقل.

٣ - والغلو ما يكون المدعى فيه غير ممكن لا عادة ولا عقلاً، وهذا مسرح الشعراء المفلقين في مدحهم وهجومهم، وهو على قسمين : مقبول ، ومردود .

فالمقبول أنواع :

١ - أن يقترب به ما يقرّ به إلى الإمكان كلفظ يكاد في قول ابن حميس :

ويكاد يخرج سرعة من ظله لو كان يرغب في فراق رفيق^(١)

وأجمل منه قوله تعالى : ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ﴾^(٢).

٢ - أن يتضمن نوعاً حسناً من تخيل الصحة، كقول أبي الطيب :

عقدت سنابكها عليهما عثراً لو تبتغي عنقاً عليه لأمكنا^(٣)

فقد ادعى تراكم الغبار المرتفع من سنابك الحليل فوق رؤوسها بحيث صار أرضاً يمكن السير عليها ، وهذا وإن كان غير ممكن ، تخيل إلى الواقع من ادعاء كثرته وكونه كالجبل صحته ، وقد اجتمع السبب الأول والثاني في قول القاضي الأرجاني يصف طول الليل :

يُخْيِلُ لِي أَنْ 'سَمَرَ الشَّهْبُ' فِي الدَّجْنِ وَشَدَتْ بِأَهْدَافِ الْيَمِنِ أَجْفَانِي

٣ - أن يخرج خرج الخلاعة وال Hazel كقوله :

« أَسْكُرْ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَّمْتْ عَلَى الشَّرْبِ غَدًا إِنْ ذَا مِنْ الْمَجْبُبِ »

(١) يصف فرساً بسرعة المري .

(٢) سورة النور الآية ٣٥ .

(٣) السنابك : حوافر الحليل ، والكثير : الغبار ، والمعنى : السيد السريع ، وضمير عليها يعود للليل .

فلا شك أن سكره على هذه الصفة محال ، لكن حسنة المز ل مجرد سرور المجالس ومصاحبكته ، والمردود ما جرى من الاعتبارات المتقدمة كقول أبي نواس يدح هارون الرشيد :

لتخافل النطاف التي لم تخلق
وأخذت أهل الشرك حتى إنها
وقول أبي الطيب :

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها كأني ببني الاسكندر السد من عزمي
شبة نفسه بالخالق جل وعلا في دحوه الأرض ، ثم فجأة نزل الى الخصيف
فشبّه نفسه بـ الاسكندر .

المذهب الكلامي^(١)

هو أن يأتي البليغ على صحة دعوه وإبطال دعوى خصميه بحججه عقلية قاطمة تصح تسبتها الى علم الكلام .

ولم يستشهد على هذا النوع بأعظم من شواهد القرآن ، فمن لطيف ذلك قوله عز وعلا : ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢) ، إذ قام الدليل : لكنهما لم تفسدا فليس فيها آلة غير الله .

وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿فَلَمَّا أَفْلَى قَالَ لَا أَحْبَبُ الْأَفْلَى﴾^(٣) لأن تحليل القياس : القمر آفل ورببي ليس بآفل فالقمر ليس برببي .

وقوله عليه السلام : « لو تعلمون ما أعلم اضحكتم قليلاً وبكتيم كثيراً » ، إذ قام الدليل : لكنكم ضحكتم كثيراً وبكتيم قليلاً فلم تعلموا ما أعلم .

ويرى أن أبو دلف العجلي قصده شاعر تميمي ، فقال له : من أنت ؟ فقال : من تميم ، فقال أبو دلف :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المداية ضلت
قال له التميمي : بتلك المداية جئت اليك ، فأفصحه .

(١) هذه التسمية تنسب للجاحظ .

(٢) المراد بالفساد خروجهما من النظام الذي مما عليه (سورة الانبياء) .

(٣) أي بقياس حمل يفيد أن الجيء اليه ضلال ، لكن القياس الشرطي أرضح دلالة في هذا الباب وأعدب في الترقى وأسهل في التركيب (سورة الأنعام) .

حسن التعليل

هو أن يدعى شاعر أو ثائر شيء علة مناسبة غير العلة الحقيقة على جهة الاستظراف وذلك لإيهام تحقيقه وتقريره من قبل أن الشيء معللاً أكد في النفس من إثباته مجردًا عن التعليل.

وأقسامه أربعة : لأن الوصف إما ثابت قصد بيان علته ، أو غير ثابت أريد إثباته ، والثابت إما لا يظهر له علة في العادة ، أو يظهر له علة غير المذكورة ، وغير الثابت إما ممكن أو غير ممكن .

١ - فال الأول ، كقول أبي تمام :

لا تذكرى عطل الكريم من الفنى فالليل حرب المكان المعاى

فقد جل علة حرمان الكريم من الفنى هي العلة التي من أجلها حرم المكان المعاى السيل ، فكما أن العلو هو السبب في حرمان المكان المعاى كذلك علو قدر الكريم هو المانع له من الفنى الذي هو كالسيل في حاجة الخلق إليه .

وما جاء بديعًا نادرًا من هذا الضرب قول أبي هلال المسكري :

زعم البنفسج أنه كعذاره حسناً فسلوا من ففاه لسانه
فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف مما لا تظهر علته ، لكنه جعلها الافتراء على الحبوب .

٢ - والثاني ، كقول المنبي :

ما به قتل أعدائه ولكن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

جرت العادة بأن الملوك إنما يقتلون أعداءهم ليسلوا من أذام وضرهم ، لكن أما الطيب اخترع سبباً غريباً وتخيل أن الباعث له على قتل الأعداء لم يكن إلا محبتة لإنجابة من يطلب الإحسان ، فهو قد فتك بهم لعلمه علم اليقين بأنه إذا غدا للعرب رجت الذئاب والوحش الضواري أن يتسم عليهم رزقاً^(١) ، وتثال من علوم أعدائه القتلى ، فـا أراد أن يخيب لها مطلبها ، ومن لطيف هذا النوع قول ابن المعتز :

(١) يستفاد من ذلك ضمناً أنه ليس من المسرفين في القتل تشفيًا وانتقاماً .

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حرتها من دماء من قتلت والدم في النصل شاهد عجب

٣ - والثالث ، كقول مسلم بن الوليد :

يا واشيا حسنت فينا إساءته نجني حذارك إنساني من الغرق
فإن استحسان إساءة الواشي يمكن لكنه لما كان مخالفًا عليه الناس احتاج
إلى تعقيبه بذكر سببه وهو حذرء من الواشي ، ولأجل ذلك امتنع من البكاء ،
فسلم إنسان عينه من الفرق في الدموع .

٤ - والرابع ، كمعنى بيت فارسي ، ترجمته :

لولم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيتَ عليها عقد منشط
فنية الجوزاء خدمة المدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها وجعل الدليل على
ذلك شدها النطاق .

وما يلحق بحسن التعليل وليس^(١) منه ما بني على الشك كقول أبي تمام :
ربًا شفعت ريح الصبا لرياضها إلى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غبن تحتها حبيباً فما ترقا لهن مدامع
فقد علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غابت حبيباً تحت
ذلك الربي وهي تبكي عليه .

التفسير

هو أن يثبت حكم شيء بينه^(٢) وبين أمر آخر نسبة وتتعلق بعد أن يثبت
ذلك الحكم لنسب آخر لذلك الأمر ، فلا بد إذاً من متصلين أي شيئاً من متسوبين
لأمر واحد كفلام محمد وأبيه بالنسبة إلى محمد ، فمحمد أمر واحد له متصلان ،
أي متسوبان له ، أحدهما غلامه والأخر أبوه ، ولا بد من حكم واحد يثبت لأحد
المتعللين ، وهو الغلام والأب ، بعد إثباته للآخر ، كأن يقال : غلام محمد فرح
فرح أبوه ، فالفرح حكم أثبت لمتعلقي محمد ، وهو غلامه وأبوه ، وإثباته للثاني

(١) لأن في حسن التعليل ادعاء تحقق العلة والشك ينافيه .

(٢) فخرج نحو قولنا : غلام محمد فرح أيضاً لعدم التفسير .

على وجه يشعر بتفریعه عن الأول ، وعليه قول الكميّت يدح آل البيت :

أحلامكم لسقام الجمل شافية
كما دماؤكم تشفى من الكلب

فقد فرع من وصفهم بشفاء أحلامكم لسقام الجهل ووصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب .

تأكيد المدح بما يشبه النم

وهو على ضروب ثلاثة :

١ - وهو أبلغها أن يستثنى من صفة ذم منفيّة عن الشيء صفة مدح بتقدير دخوها فيها ، وذلك هو الغاية القصوى في المدح كقول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيفهم
يُهْن فَلَوْلَ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ^(١)

فقد أثبتت لهم شيئاً من العيوب بتقدير عدم فلول السيف من العيوب ، وهذا مجال ، لأن ذلك دليل كمال الشجاعة وفرط الحمية ، فكانه في المعنى تعليق على الحال ، كما قالوا في الأمثال : حق يبيض الفار ، وحق يلجم الجمل في سم الخياط ، وفي هذا الأسلوب تأكيد من وجيهين :

(أ) أنه كدعوى أقيم عليها البرهان ، إذ كأنه استدل على نفي العيوب عنهم بتعليق وجوده على وجود ما لا يكون وما لا يتحقق مجال .

(ب) أن الأصل في الاستثناء الاقتصال ، فإذا تلفظ المتكلم بغیر أو إلا أو نحوهما دار في خلد السامع قبل النطق بما يذكر بعدها أن الآتي مستثنى من المدح السابق ، وأنه يراد به إثبات شيء من الذم وهذا ذم ، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكيد المدح لكونه^(٢) مدحًا على مدح في أيدي قالب وآنق منظر .

ونظيره قول ابن الرومي :

من التوم إلا أنها تتخير	وما تعتريها آفة بشرية
تطيب وأنفاس الرياض بسحره	كذلك أنفاس الرياض تغير

(١) الفلول جمع فل بفتح الفاء الكسر يصيب السيف في حده ، والقراع المقارعة والمصاربة ، والكتائب جمع كتبية .

(٢) وللإشعار بأنه لم يجد صفة ذم يستثنىها فاضطر إلى استثناء صفة المدح وتحويل الاستثناء من متصل إلى منقطع .

وقوله تعالى: ﴿لَا يسمون فيها الغواً ولا تائِيَّا إِلا قِبْلَةَ سَلَامًا﴾^(١).

٢ - أن يثبت لشيء صفة مدح وتعقب بأداة الاستثناء تليها صفة مدح أخرى كقوله تعالى: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبَ بِيَدِ أُنْيَى مِنْ قَرِيشٍ».

وقال النابغة الجعدي :

نقى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا
وهذا الضرب يفيد التأكيد من الوجه الثاني فقط ، ومن ثم كان الضرب الأول أبلغ وأجل .

٢ - أن يؤتى بالاستثناء المفرغ كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْقَمِّ مِنَا إِلَّا أَنَّا مَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾^(٢)، إذ المعني: وما تعيب منا إلا أحسن المنافق ودعائهم المفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله .

ويحرى الاستدراك في هذا الباب بجري الاستثناء، كقول البديع الهمذاني:
هو البدر إلا أنه البحر زاخرًا سوى أنه الضراغام لكنه الوبل
فإن قوله : إلا وسوى استثناء مثل : بيد أني من قريش ، قوله : لكنه استدرك يفيد فائدة الاستثناء إذ إلا في باب الاستثناء المنقطع بمعنى لكن .

تأكيد اللام بما يشبه المدح

وهو ضربان :

١ - أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء، صفة ذم بتقدير دخولها فيها كما تقول : فلان لا خير فيه إلا أنه يتصدق بما يسرقه^(٣).

٢ - أن يثبت للشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له كما تقول : فلان حسود إلا أنه نعام ، وبيان إفادحة الضربين للتوكيد على تفاوت فيها تفهم قياساً على ما عرفت في النوع السالف، كما أن الاستدراك كالاستثناء .

(١) سورة الواقعة الآية ٢٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢٦ .

(٣) أي اتفقت عنه صفات الخير إلا هذه الصفة إن كانت خيراً لكنها ليست خيراً ، فلا خير فيه أصلاً .

الاستبعاد

هو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر ، كقول المتنبي :

نهبت من الأعمار ما لو حويته هنست الدنيا بأنك خالد

فقد مدحه ببلوغه الغاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه ، بحيث لو ورث أعمارها
خلد في الدنيا ، على أسلوب استبعاد مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا ونظمها
من قبل أنه جعل الدنيا منهأة بخلوده ولا تهنا إلا بما فيه صلاحها .

وفي البيت وجهاً آخران من المدح ، أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال ،
و ثانيهما أنه لم يكن ظالماً في قتل أي أحد من مقتوليه لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح
الدنيا وأهلها فهم مسروروون ببقائه .

الادماج

هو لغة الادخال ، فيقال : أدمج الشيء في ثوب ، اذا لفه فيه ، واصطلاحاً :
أن يجعل التكمل الكلام الذي سيق معنى من مدح أو غيره ^(١) متضمناً معنى آخر
كقول أبي الطيب :

أقلب فيه أجفاني كأني أعد به على الدهر الذروبا ^(٢)
فقد ساق الكلام أصالة لبيان طول الليل وأدمج في ذلك على جهة الاستبعاد
الشكالية من الدهر .

ونحوه قول ابن المعتز في وصف نبات يسمى الخيري :

فقد نقض العاشقون ما صنع المحب سر بألوانهم على ورقة
فإن الفرض وصف الخيري بصفة لكنه أدمج الغزل في الوصف .

وفيه وجہ ثان من الحسن وهو إيهام الجمجم بين متنافين وما الإيحاز والاطنان ،
أما الأول فمن جهة الادماج ، وأما الثاني فلأن الفرض الوصف بالصفرة ،
واللفظ زائد عليه لفائدة .

(١) فهو أعم من الاستبعاد لاختصاصه بالمدح .

(٢) ضمير فيه للليل أي لتقليل أجفاني في الليل كأني أعد بها على الدهر ذروبة .

التوجيه - الآيات

هو إيراد الكلام محتملاً معنيين على السواء^(١)، كهجاء ومديح، ليبلغ القائل غرضه الذي يريد به ما لا يمسك عليه.

كما روى أن محمد بن حزم هنا الحسن بن سهل بتزويج ابنته بوران لل الخليفة المأمون مع من هنأ فاطمته وحرمه، فكتب إليه: إن أنت تهاديت في حرمانى قلت فيك شرعاً لا يعرف أمندح هو أم ذم.

فاستحضره وسأله، فأقر، فقال الحسن: لا أعطيك أو تفعل، فقال:

بارك الله للحسن ولبوران في الختن^(٢)
يا إمام الهدى ظفرت ولكن بنت من
فلا يدرى بذلت من في العظمة وعلو الشأن ألم في الدناة والخسة.

فاستحسن الحسن منه ذلك وقال له: أمن مبتكراتك هذا؟ فقال: لا، بل نقلته من شعر بشار بن برد، وكان كثير العبث بهذا النوع.

ومن أحاديثه في ذلك أنه خاطق قباء عند خياط يسمى زيداً^(٣)، فقال له الخياط مازحاً: لأخيتك فلا تدرى فهو جبة أم قباء.

فقال بشار: إذا أنظم فيك شمراً لا يعلم من سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك، فلما خاطه له كما أخبره قبل، قال فيه بشار:

خاطلي زيد قباء ليت عينيه سواه
قل لن يعرف هذا أمديع هجاء^(٤)

قال السكاكي: ومن هذا النوع متشابهات القرآن باعتبار: أي وهو أحتمالها وجهين وإن كانت تفارقه باعتبار آخر وهو عدم تساوي الاحتمالين، لأن أحد المعنيين في المتشابهات قريب والآخر بعيد كما تقدم من عد المتشابه من التورية.

(١) فإن كان أحدهما ظاهراً والثاني خفيًا والمراد هو الخفي كان تورية.

(٢) الختن كل من كان قبل المرأة مثل الأب والأخ.

(٣) قال في «خزانة الأدب»: أغلب الناس يسمون الخياط عمراً، لكن صاحب «التعبير» روى أنه زيد.

(٤) هذان البيتان من مجزوء الرمل.

الم Hazel الذي يراد به الجد^(١)

هو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه فيخرج ذلك المقصود خرج Hazel والمحون ، كقول أبي نواس :

اذا ما تيمى أتاك مفاحراً فقل عد عن ذا كيف أكللك للضب
أي تباعد عن هذا التفاخر وخبرني كيف تأكل الضب ، ولا مفاحرة مع
من يأكله لأن أشرف الناس تعافه ، ونظيره قول ابن نباتة :

سلبت حامستك الفزال صفاتك حق تغير كل ظبي فيك
للك جيده ولخاطه ونقاره وكذا نظير قرونك لأبيك

تجاهل العارف

هو سوق المعلوم مساق غيره^(٢) لشكتة :

١ - كالنوبين في قول ليلي بنت طريف عنني أخيها الوليد حين قتلها مزيد
بن مزيد الشيباني في عهد هارون الرشيد :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كانك لم تجزع على ابن طريف
٢ - وكم بالغة في المدح في قول البحتري :

ألم برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالنظر الصاحي^(٣)
٣ - وكم بالغة في الندم كقول زهير :

وما أدرى وسوف إخال أدرى أقوم آل حصن أو نساء
٤ - وكتلده في الحب كقول الحسين بن عبد الله الغربيي :

بالله يا طبيات القاع قلنا لنا ليلي من البشر

٥ - وكم تحقير في قوله تعالى حكاية عن الكفار :

(١) الفرق بيته وبين التهكم أن التهكم ظاهره جد وباطنه Hazel ، وهذا يعكسه ، وهزليته باعتبار أصل استعماله وجديته باعتبار ما هو عليه الآن .

(٢) والغرض من ذلك المبالغة في إفادة المعنى المراد من ذم أو مدح أو نحو ذلك .

(٣) المنظر الوجه ، والضاحي الظاهر .

﴿ هُلْ نَدْلُكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبَشُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمُ كُلَّ مَزْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي حَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾^(١).

٦ - وَكَالْتَعْرِيزِ^(٢) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيمَكُمْ لَمَلِى هَدِي أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٣).

٧ - وَكَالِإِيْنَاسِ لَأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامٌ هَبَةٌ وَرَهْبَةٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾^(٤).

القول بالوجب

هو نوعان :

١ - أحدهما أن تقع صفة في كلام غيرك كناءة عن شيء أثبت له حكم ثبوت أنت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم لذلك الفير أو نفيه عنه ، نحو : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيَخْرُجُنَّ الْأَعْزَمُ مِنْهَا الْأَذْلُ وَلَهُ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥) ، فالأعز صفة وقعت في كلام المافقين كناءة عن فريقهم والأذل كناءة عن المؤمنين ، وقد أثبتو لفريقيهم حكمًا هو إخراج المؤمنين من المدينة عند رجوعهم إليها ، فرد الله تعالى عليهم بإثبات صفة العزة لغيرهم من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج أو انتفاءه .

٢ - الأسلوب الحكيم ، وقد تقدم ، وهو حمل لنظر وقع في كلام غيرك على خلاف مراده مما يحتمله ذلك اللفظ بذكر متعلقه كالبيت الثالث^(٦) من قوله :

فَكَانُوهَا وَلَكِنَّ لِلأَعْدَادِيِّ	وَإِخْوَانَ حَسَبْتُمُو درووغاً
فَكَانُوهَا وَلَكِنَّ فِي قَوَادِيِّ	وَخَلْتُمُو سَهَاماً صَائِبَاتِ
لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنَّ مِنْ وَدَادِيِّ	وَقَالُوا قَدْ صَفتَ مَنَا قَلُوبَ

(١) كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل ما (سورة سباء).

(٢) وفي مجني هذا اللفظ على الابهام فالآية أخرى ، وهي أنه يبعث الشركين على التأمل في حال أنفسهم وحال النبي والمؤمنين ، حتى إذا أنعموا النظر علموا أنهم على ضلاله ، فبعثهم ذلك على الاسلام .

(٣) سورة سباء الآية ٢٤.

(٤) سورة طه الآية ١٧.

(٥) سورة المائدون الآية ٨.

(٦) أما البيتان قبله فليسا منه لكنهما قربان منه .

الاطراد

هو أن يذكر اسم المدوح واسم من يكن أن آباه على ترتيب الولادة
لزيادة إبانة وتوضيحاً على ترتيب صحيح ونسق مستقيم من غير تكلف ولا تعسف
فيكون كلامه الجاري رقة وانسجاماً، كقوله :

إن يقتلوك فقد ثللت عروشم بعمتية بن الحارث بن شهاب^(١)
وقول دريد بن الصمة :

قتلناك بعد الله خير لدانة ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب
وقد روي أن عبد الملك بن مروان لما سمعه قال: لو لا الفافية لبلغ به آدم .
ومن ذلك قول النبي ﷺ : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم » .
يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

أما ذكر الأمهات والجدات فليس محموداً عند البلغاء لما فيه من إزالة قدر
المدوح ، وهذا عيب علي أبي ذواس قوله بدرج محمد الأمين :

أصبحت يا بن زبيدة ابنة جعفر أملاً لعقد حباله استحكام

تدريب أول

بين نوع المحسنات المعنوية فيما يلي :

- ١ - ومولع بمخاخ يدهما وشباك
- ٢ - لشن سامي أن نلتني بمسافة
- ٣ - وللفزة شيء من تلقتـه
- ٤ - الدهر يصمت وهو أبلغ ناطق
- ٥ - ليس به عيب سوى أنه
- ٦ - (٦) وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتـ بالنهار^(٧).
- ٧ -رأى جسدي والدموع والقلب والحسناـ فاضنى وأفنى واستحال وتيـ

(١) ثل العروش كنایة عن ذهاب المز وتنقضـ الحال .

(٢) سورة الأنعام الآية ٦٠ .

- ٨ - آراؤه وعطـاـيـاه ونـمـتـه
 ٩ - يا قوم كـمـ من عـاتـقـ عـانـسـ
 قـلـتـهـمـ لا أـنـقـيـ وـارـثـاـ
- وعفوه رحـةـ للـنـاسـ كـلـهـ
 بمـدوـحةـ الـأـوـصـافـ فيـ الـأـنـدـيـةـ
 يـطـلـبـ مـنـيـ قـوـدـاـ أوـ دـيـةـ

الاجابة

- ١ - في هذا البيت تورية في لفظ كراكي ، إذ المعنى القريب له (جمع كركي) وهو الطائر المعروف ، وهو ليس بمراد ، والمعنى بعيد ، المراد من الكلركي ، هو النوم .
- ٢ - في هذا البيت طباق بين ساء وسر .
- ٣ - فيه استخدام ذكر لفظ الفزالة بمعنى الحيوان المعروف ، وأعاد اليه الضمير بمعنى الشمس .
- ٤ - فيه طباق بين يصمت وناطق وبين موجز وثرثار .
- ٥ - فيه تأكيد المدح بما يشبه النم من الضرب الأول .
- ٦ - في الآية تورية لذكر جرحمت إذ لها معنيان قريب من جرحمه جرحمًا شق بعض بذنه وليس ذا براد ، وبعيد هو المراد وهو اكتسبتم الذنوب من جرح الرجل اكتسب فهو جارح وهي مجردة لعدم ذكر لازم المعنى القريب .
- ٧ - فيه لف ونشر مرتب إذ ذكر أربعة أشياء ثم أتى بما يقابلها على الترتيب .
- ٨ - فيه جمع إذ جمع بين أشياء وأعطتها حكمًا واحدًا .
- ٩ - في البيتين تورية إذ من يسمع العاتق وال manus والقتل يفهم منها المعنى القريب وهو البكر والموت لكنه أراد منها المعنى بعيد وهو المحرر والمزج بالماء .

تدريب ثان

بيان نوع المحسن المعنوي فيما يلي :

- ١ - وقد أطفئوا أشـسـ النـهـارـ وـأـقـدواـ
 نـجـومـ العـوـالـيـ فـيـ سـمـاءـ عـجـاجـ
 وـفيـ وـمـطـوـيـ عـلـىـ الـفـلـ غـادرـ
- ٢ - فـوـاـ عـجـباـ كـيـفـ اـقـفـقـنـاـ فـنـاصـحـ
 وـفـيـ خـدـهـ الشـعـرـيـ وـفـيـ وجـهـ الـبـدرـ
- ٣ - كـأـنـ الـثـرـيـاـ عـلـقـتـ فـيـ جـيـنـتـهـ

الإجابة

- ١ - فيه طباق بين أطفئوا وأقدوا .
 - ٢ - فيه مقابلة بين ناصح وفي وبين مطوي على الفعل غادر إذ الفعل ضد النصيحة والقدر ضد الوفاء .
 - ٣ - فيه مراعاة النظير لجمعه أشياء متناسبة لا على جهة التضاد ، وهي الثريا والشعر والبدر .
 - ٤ - فيه أرصاد لأنّه جعل قبل المعجز من البيت ما يبدل عليه إذ عرف الروي .
 - ٥ - فيه مشاكلة فقد عبر عن اختيار الحجار بالبناء مشاكلة لبناء الدار .
 - ٦ - فيه المكس فقد قدم في الكلام جزءاً ثم آخر ما قدم في البيت الثاني .
 - ٧ - فيه الرجوع فقد نقض ما قاله أولاً .
 - ٨ - فيه تقسيم باستيفاء أقسام الشيء لأنّ الغائب لا يخلو من هذه الثلاثة .

تدریب ثالث

- ١ - أن تلقني لا ترى غيري بمناظره
 تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد

٢ - لا خيل عندك تهديها ولا مال
 فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

٣ - وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه .

٤ - قال الشيرازي في «شرح المفتاح» العثير الفيار ولا تفتح فيه العين .

٥ - أيا ظبية الوعساء بين جلجل وبين النقـا أنت أم سالم

٦ - أودع رجل بعض القضاة أموالاً فادعى ضياعها ، فقال ابن دويبة المغربي
 مخاطسه :

ضاعت ولكن منك يعفي لو تعني
وقدت ولكن منه أحسن موقع
تذكريت القربى ففاضت دموعها
وبين طريفات المكارم والبلاد
وينقض يوماً بالفضائل والحمد

إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فِي صُدُقٍ إِنْهَا
أَوْ قَالَ قَدْ وَقَمَتْ فِي صُدُقٍ إِنْهَا

٧ - إِذَا احْتَرَبْتَ يَوْمًا فَفَاضَتْ دَمَاؤُهَا
٨ - فَتَقَ قَسْمُ الْأَيَّامِ بَيْنَ سَيْوَفَهُ
فَسَوْدَ يَوْمًا بِالْمَعْجَاجِ وَبِالرَّدِّي

الإجابة

- ١ - فيه تجريد جاء على طريق الكناية فقد كنى بالأسد عن نفسه .
 - ٢ - فيه تجريد فقد جرد من نفسه شخصاً ثم خاطبه .
 - ٣ - فيه المذهب الكلامي ، إذ التقدير : والإعادة أهون من البدء ، والأهون أدخل في الإمكان من البدء ، فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء وهو المطلوب .
 - ٤ - في قوله : ولا تفتح فيه العين توريا ، فالمعنى القريب النهي عن فتح العين وهي الجارحة ، وليس ببراء ، والبعيد النهي عن فتح العين في اللفظ ، لشلة يلزم التحريف .
 - ٥ - فيه تجاهل العارف بسوق المعلوم مساق المجهول .
 - ٦ - فيه القول بالوجب ، إذ هو قد حمل لفظي ضاعت ، ووقدت الواقعين في كلام القاضي الى معنى آخر مراد يحتمله اللفظ .
 - ٧ - فيه المزاوجة فقد زاوج بين احتربت وتذكرت الواقعتين في الشرط والجزاء ورتب على كل منها أمراً وهو فيضان الدماء وفيضان المخوع .
 - ٨ - فيه جمع وتقسيم ، لأنـه جمع أيام المدوح في الحرب والعطاء ، ثم قسم ذلك .

تین اول

بَيْنَ نُوْعَ الْمُحْسِنِ الْمَعْنَوِيِّ فِيهَا يَلِي:

- ١ - ما مضى فات والمؤمل غيب
٢ - يكاد يمسكه عرفان راحتـه
٣ - أسكر سكرى من المدام إذا

ولك الساعة التي أنت فيها
ركن الخطيم اذا ما جاءه يستلم
مرء بفكري خيال مبسمة

وأعين الناس فيه متفقة
فكل من رام لحظة رثى
وأنت امرؤ يرجو شبابك وائل
واحزني من حب من فارقني
أنا الذي كنت في حمائه السبب
يوماً فأثر فيه ذلك اللهم
وحسام غزا وبجر نوالا

- ٤ - بداع الحسن فيه مفترقة
- ٥ - سهام الحافظة مفتوحة
- ٦ - أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد
- ٧ - فارقني من أحبابي وأحزني
- ٨ - قالوا : حبيبك محمود فقلت لهم
عانته ولهايب النار في كبدتي
- ٩ - أنت بدر حسناً وشمس علواً

قرن ثان

بياض في بياض في بياض
تعاب بنسيان الأحبة والوطن
١١ - تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك (١)

والروح للسيف والأجساد للرخام
فالفهم في منازل أو نزال
قع خضر الأكتاف حمر النصال
يرفعه الله إلى أسفل
أهدى له ما حزت من نعيماته
فضل عليه لأنـه من مائـه

- ١ - فتوني مثل شعري مثل نحري
- ٢ - ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم
- ٣ - تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك
- ٤ - أبادهم فليبيت المال ما جمعوا
- ٥ - إنـ تردـ خـ بـ حـ الـ هـ عنـ يـ قـ يـ
- ٦ - تلقـ بيـضـ الـ وجـوهـ سـودـ مـثـارـ الـ
- ٧ - فـيـاـ لـهـ مـنـ عـمـلـ صـالـحـ
- ٨ - أـهـدـىـ لـجـلـسـهـ الـكـرـمـ إـنـاـ
- ـ كـالـبـعـرـ يـطـرـهـ السـحـاحـ وـمـاـهـ
- ـ فـلـانـ لـاـ خـيـرـ فـيـهـ إـلـاـ أـنـهـ ذـوـ وـجـهـ

قرن ثالث

أصبحت صبا وصبا
لطيب عيش ذهبا
وربحه غير فعل الخير خسران
مكارم لا تخفي وإن كذب الحال

- ١ - يا سادة لمدهم
لجين دمعي كم جرى
- ٢ - زيادة المرء في دنيـا نقصان
- ٣ - اذا صدق الجلد أفترى العـمـ لـفـقـ

(١) سورة المائدة الآية ١١٦ .

- ٤ - وما طيب الرياض لها ولكن
 ٥ - ولا عيب فيهم غير أن ذوي الندى
 ٦ - يكتبون فنون الدنيا قد يأبهوا
 ٧ - الأرض طرس والرياض سطورة
 ٨ - والطل في سلك الفصون كلها
 ٩ - والطير يقرأ والقدير صحيفه
 ١٠ - قال الخطيب :
 ندمت على لسان كاد مني
 فلبت بآنه في جوف علم

المحسنات اللفظية

الجناس - التجنيس - أقسامه - فائدته

هو لغة مصدر جناس الشيء الشيء شاكله واحد معه في الجنس ، واصطلاحاً تشابه الكلمتين في اللفظ ^(١) مع اختلاف في المعنى ، وينقسم قسمين :

١ - ثام ، وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء :

(أ) هيئة الحروف ، أي حركاتها وسكناتها .

(ب) عددها .

(ج) نوعها .

(د) ترتيبها .

وهو إما مماثل أو مستوف :

(أ) فالمماثل هو ما كان اللفظان فيه من نوع واحد اسمين أو فملين أو حرفين كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْجَنَّمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ ^(٢) فالساعة الأولى يوم القيمة والثانية واحدة الساعات .

وقول محمود سامي البارودي :

تحملتُ خرف المن كل رزينة وحمل رزيا الدهر أحلى من المن
فالمن الأول تعداد الصنائع والنعم نحو: أعطيتك كذا وأحسنت إليك بكلداً
والمن الثاني العسل .

(ب) والمستوفى ما كان اللفظان فيه من نوعين كاسم و فعل، كقول أبي تمام:
ما مات منْ كرم الزمان فإنه يحيى لدی يحيى بن عبد الله

(١) فيخرج التشابه في المعنى نحو: أسد وسيع، أو في مجرد العدد نحو: ضرب وعلم، أو في مجرد الوزن: ضرب وقتل .

(٢) سورة الروم الآية ٥٥ .

٢ - مركب ، وغير مركب :

(أ) فغير المركب كالأمثلة التي فرطت .

(ب) والمركب ما كان أحد ركينه لفظاً مركباً، ويسمى جناس التراكيب،

وينقسم إلى قسمين : مركب من كلمتين فامتن ، ويسمى بالملفووف .

كقول القاضي الفاضل :

عصنا الدهر بنابةٍ ليت ، راحل بنابةٍ

لا يوالي الدهر إلا خاماً ليس بنابةٍ

ومركب من كلمة وبعض الكلمة ، ويسمى مرفوضاً ، كقول الحريري :

وال默كب منها استطعت لا تأبه لتقنني السُّودَد والمكرمة

وقوله أيضاً :

فلا تله عن تذكاري ذنبك وابنكه بدمع يحاكي المزن حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقأة ومطعم صابه

٣ - متشابه ومفروق ، لأنه إن توافقت المركبة من كلمتين مع غير المركبة

في الخط لقب بالتشابه كقول بعض البلقاء : يا مفروم أمسك ، وقس يومك بأمسك ،

وإن لم تتفق فيه لقب بالمفروق نحو :

لَا تعرضن على الرواة قصيدة مالم تبالغ قبل في تهذيبها

فتق عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وساوساته تهذب بها

وغير النام ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأربعه المتقدمة :

٤ - فإن اختلفا في هيئة الحروف سمى جناساً محراً ، والاختلاف قد يكون

في الحركة فقط ، كقولهم : لا تزال الغور^(١) إلا بركوب الغرر ، وقد يكون في

الحركة والسكون ، كقولهم : البدعة شرك لشريك .

وقول الحريري :

فقلت للائي أقصر فلاني ساختار المقام على المقام

(١) الغور (بالضم) جمع أغور ، وهو الحسن من كل شيء ، (وبالفتح) التعرض للتملكة .

٢ - وإن اختلفا في العدد سمي ناقصاً ، ويكون ذلك على وجهين :

(أ) ما كان بزيادة حرف إما في الأول كقوله تعالى: ﴿ وَتَفَتَ السَّاقِ
بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَذِ الْمَسَاقِ ﴾^(١) ويسمى مردوفاً ، وإما في الوسط كقولهم:
جدي جهدي^(٢) ، ويسمى مكتتفاً ، وإما في الآخر ، ويسمى مطرفاً ، كقول
أبي تمام :

يَدْحُونَ مِنْ أَيْدِي عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسِيفٍ قَوَاضِ قَوَاضِ^(٣)

(ب) ما كان بزيادة أكثر من حروف ، ويسمى مذيلاً .

٣ - وإن اختلفا في نوع الحروف اشترط ألا يكون الاختلاف بأكثر من
حرف ، وذلك على وجهين :

(أ) أن يكون هو وما يقابلها في الطرف الآخر متقاربي المخرج ويسمى
مضارعاً ، والاختلاف إما في الأول كقول الحريري: بيني وبين كنى ليلي دامس
وطريق طامس^(٤) ، أو في الوسط كقولهم: البرايا أهداف البليا ، أو في الآخر ،
كقول الحريري لهم في السير : جرى السيل والى الخير جرى الخيل .

(ب) أن يكونا غير متقاربي المخرج ويسمى لاحقاً ، والاختلاف إما في الأول
نحو : ﴿ وَيَلِّ لَكُلَّ هَزْةٍ لِمَزْقِهِ ﴾^(٥) ، أو في الوسط نحو : ﴿ فَأَمَا الْيَتَمَّ
فَلَا تَقْهِرْ ، وَأَمَا السَّائِلَ فَلَا تَنْهِرْ ﴾^(٦) .

أو في الآخر ، كقول البحتري :

أَلْسَاتِ مِنْ تَلَاقِ تَلَافِ لَمْ لَشَاكِ مِنْ الصَّبَابَةِ شَافِ

٤ - وإن اختلفا في ترتيب الحروف سمي جناس القلب ، وهو ضربان :

(١) سورة القيمة الآية ٢٩ .

(٢) الجد الفنى والحظ ، والجهد التعب .

(٣) العواصي جمع عاصية من عصاه ، وعواصم من عصمه حفظه ، وقواض حاكمات بالقتل ،
وقواضب قاطعات .

(٤) الكن البيت ، ودامس مظلم ، وطامس بعيد .

(٥) سورة المزّة الآية ١ .

(٦) سورة الضعى الآيات ١٠ و ١١ .

(أ) قلب الكل ، كقولهم : حسامه فتح لأولئك ، حتف لأعدائه .

(ب) قلب البعض ، كقوله عليه السلام : « اللهم است عوراتنا وآمن رواعتنا » ،
وقول بعضهم : رحم الله امرأ أمسك ما بين فكينه ، وأطلق ما بين كفيه .

تبنيات

الأول - اذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره سمي مقلوباً مجسحاً^(١) ، كقول ابن نباته المصري :

ساق يربني قلبه قسوة وكل ساق قلبه فاسي

الثاني - اذا ولـى أحد المتجانسين سمي مزدوجاً ومكرراً ومرداً كما في الحديث : « المؤمنون همـنون لـيـنـون » ، وقولهم : مـن طـلـب شـيـناً وـجـدـاً وـجـدـاً .
وقول البسيـقـيـ :

أبا العباس لا تمحسب لـشـيـناً بـأـنـيـ من حـلاـ الأـشـعـارـ عـارـ

الثالث - من التجنيس نوع يسمى تجنيس الإشارة ، وهو إلا يذكر أحد المتجانسين في الكلام ، ولكن يشار إليه بما يدل عليه ، نحو :

حلقت حلقة موسى باسمه وبهـرـونـ إـذـاـ ماـ قـلـبـاـ

فلا شك أنك إذا ما قلبت هـرـونـ مـنـ آخـرـهـ إـلـىـ أـوـلـهـ يـصـيرـ (نـورـهـ) ، لكنه لم يذكرها بلفظها ، بل وأشار إليها بقوله : وبهـرـونـ إـذـاـ ماـ قـلـبـاـ .

الرابع - يلحق بالتجنيس شيئاً :

(أ) أن يجمع اللفظين الاستتفاق ، كقوله تعالى : ﴿فَاقْمُ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ الْقَيْمِ﴾^(٢) ، قوله أبي تمام : فـيـاـ دـمـعـ أـنـجـدـنـيـ عـلـىـ سـاـكـنـيـ نـجـدـ .

(ب) أن يجمع اللفظين المشابهة وهي ما يشبه^(٣) الاستتفاق وليس باشتفاق ،
قوله تعالى : ﴿وَجْنِي الْجَنَّتِينَ دَان﴾^(٤) .

(١) لأن اللفظين يمتلكان جناحين من البيت .

(٢) سورة الروم الآية ٤٣ .

(٣) لتوافق اللفظين في جميع المحرف أو جلها ، فيتبرد إلى الفكر أنها يرجعان إلى أصل واحد وليساهموا كذلك في الحقيقة .

(٤) سورة الرحمن الآية ٤٥ .

وقول البحتري :

إذا ما رياح جودك هبَّت صار قول العذول فيها هباء

قال في «أسرار البلاغة» : لا يحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنفيها من العقل موقعاً حميداً ولم يكن مرمناً الجامع بينهما مرمناً بعيداً، أتراك استضفت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذهبت بذهبه السهاحة فالتوت فيه الظنون أمنذهب أم مذهب

واستحسنت تجنيس القائل: حق نجا من خوفه وما نجا^(١). وقول المحدث:

ناظراه فيما جنى ناظراه أودعاني أمت بما أودعاني

لأمر يرجع إلى اللفظ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول وقويت في الثاني ورأيتك لم يزدك بذهب ومذهب على أن أسعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا بجهولة منكرة، ورأيتك الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاكها ويوجهك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها، ف بهذه السريرة صار التجنيس، وخصوصاً المستوفى منه، المتفق في الصورة من حل الشعر ومذكوراً في أقسام البديع ، اه .

وقال ابن رشيق في «المعدة» : التجنيس من أنواع الفراع وقلة الفائدة ومهما لا يشك في تكلفه ، وقد أكثر منه السافة المتعقبون في نظمهم ونشرهم ، حق برد ورك ، اه .

وقال ابن حجة الحموي في «خزانة الأدب» : أما الجناس فإنه غير مذهبى ومذهب من نسبت على منواله من أهل الأدب .

رد العجز على الصدر - التصدير

هو في النثر جعل أحد اللفظين المكررین^(٢) أو المتجلانسين^(٣) أو ملاحقين^(٤) بهما اشتقاقة أو شبه اشتقاقة في أول الفقرة ، والآخر في آخرها ، فالمكرران نحو :

(١) نجا الأولى أحدث ، والثانية خلص .

(٢) أي المتقين في اللفظ والمعنى .

(٣) أي المتقين في اللفظ دون المعنى .

(٤) أي اللذين يحملهما الاشتقاقة أو شبهها .

﴿وَخَشِنَّ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحْقَى أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(١) ، والتجانسان نحو: سائل اللثم
يرجع ودمه سائل، والملحقان بها استيقافاً ﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا﴾^(٢)
وشبه استيقاف نحو: قال إني لعملكم من القاتلي .

وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول
أو في حشوه أو في آخره أو في صدر المصراع الثاني^(٣) ، فال الأول نحو:

تمنت سليمي أن أموت صباية وأهون شيء عندنا ما تمنى
والثاني كقول الصمة بن عبد الله القشيري :

أقول لصاحبِي والعيسٌ هوى
بنـا بينـ المـئـنة فالـضـاءـار
تمـعـ منـ شـيمـ عـرـارـ نـجـدـ
فـما بـعـدـ العـشـيـةـ مـنـ عـرـارـ^(٤)

والثالث كقول أبي تمام :

ومنـ كانـ بالـبيـضـ الـكـواـكبـ مـغـرـماـ
فـا زـلـتـ بـالـبـيـضـ الـقـوـاضـبـ مـغـرـماـ^(٥)
والرابع كقول ذي الرمة :

وإـنـ لـيـكـنـ إـلاـ مـعـرـجـ سـاعـةـ
قـلـيـلاـ فـإـنـيـ نـافـعـ لـيـ قـلـيـلـهـاـ
والخامس كقول القاضي الأرجاني :

دـعـانـيـ مـنـ مـلـامـكـ سـفـاهـاـ
فـدـاعـيـ الشـوـقـ قـبـلـكـ دـعـانـيـ
والسادس كقول الثعالبي :

وـإـذـاـ بـلـابـلـ أـفـصـحـتـ بـلـغـاتـهاـ
فـانـفـ الـبـلـابـلـ باـحـسـاءـ بـلـابـلـ^(٦)
والسابع كقول الحريري :

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

(٢) سورة فروج الآية ١٠ .

(٣) فالأقسام ستة عشر حاصلة من ضرب أربعة في أربعة .

(٤) العيس: الأبل يخالط بياضها شفرة ، والمئفة والضمار موضعان ، والعرار: وردة صفراء طيبة الرائحة ، ومن زائدة وما بعدها مبتدأ والظرف قبله خبر ، وما مهملة .

(٥) الكواكب المارة حين يبدو ثديها للنحو ، والقواعد السيف القواطع .

(٦) البلابل الأولى جمع بلبل ، والثانية جمع بلبل وهو الحزن ، والبلابل الثالثة جملة بلبلة (بالضم) ابريق الخمر .

فشفوف بآيات المثاني^(١)
 والمفتون بربات المثاني^(٢)
 والثامن كقول القاضي الأرجاني :
 فلاح لي أن ليس فيهم فلاح
 أملتهم ثم ناملتهم
 والتاسع كقول البحتري :
 فلنسنا نرى لك فيها ضربا
 ضرائب أبدعتها في السماح
 والعالى كقول أبي العلاء :
 والعاشر كقول أبي العلاء :
 والحادي عشر كقول ابن عيينة الملبسي :
 والثانى عشر كقول أبي تمام في مرثية محمد بن نهشل حين استشهد :
 فدع الوعيد فما وعیدك ضائرى
 أطئين أجنحة الذباب يضرير
 وقد كانت البيض القوابض في الوغى
 بوادر وهي الآن من بعده بتر^(٣)
 (تبنيه) تركنا مثل الأربعية الباقيه الملحقه بالتجانس التي يجمعها الاشتقاق
 الأكبر لقلة استعمالها .

السجع - شروط حسنة - حكمه - أقسامه

هو في المنشور بازاء التصريح الآتي بيانه في المنظوم ، وهو لغة من قولهم :
 سجمت الناقة إذا مدت حنینها على جهة واحدة ، واصطلحاً أن تتواطأ
 الفاصلتان في النثر على حرف واحد .

شروط حسنة

لا يحسن السجع كل الحسن إلا إذا استوفى أربعة أشياء :
 ١ - أن تكون المفردات رشيقه أنيقة خفيفة على السمع .
 ٢ - أن تكون الألفاظ خدم المعانى ، إذ هي تابعة لها ، فإذا رأيت السجع

(١) الثاني القرآن ، وربات الثاني أي نغمات أو تمار الزامير التي ضم طاق منها إلى طاق .
 (٢) الخصر: البرودة .

(٣) بوادر جمع بوار ، والبتر جمع بتر أي مقطوع ، وقبل البيت :
 ثوى في الثرى من كان يحيى به الورى ديفمر صرف الدهر ثالث المفر

لا يدين لك إلا بزيادة في اللفظ ، أو نقصان فيه ، فاعلم أنه من المتكلف المقوت .

٣ - أن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستنكرة .
٤ - أن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى يغاير ما دلت عليه الأخرى حق لا يكون السجع تكراراً بلا فائدة .

ومق استوفى هذه الشروط كان حلية ظاهرة في الكلام ، ومن ثم لا تجد لبيان كلاماً يخلو منه كما لا تخلو منه سورة ، وإن قصرت ، بل ربما وقع في أو ساط الآيات ، كقوله تعالى : ﴿لَوْ نَشِاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ونطبع على قوله ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾^(١) .

أقسامه

- هو على ثلاثة أضرب : مرصع ، ومتواز ، ومطرف :
- ١ - فالمرصع ما اتفقت ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والنفمية كقول الحريري ، فهو يطبع الاسجاع بحواه لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه ، وقول أبي الفتح البستي : ليكن إقدامك توكل ، وإبحامك تأملا .
 - ٢ - والمتوازي ما اتفق فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين نحو قوله تعالى : ﴿وَالْمَرْسَلَاتُ عُرِفَتْ فَالْمَاعِصَمَاتِ عَصْفًا﴾^(٢) ، وقوله عز وعلا : ﴿فِيهَا سرّ مَرْفُوعَةٍ﴾ وـ﴿أَكَوابٌ﴾ موضوعة^(٣) .
 - ٣ - والمطرف ما اختلفت فاصلاته في الوزن وانفتتا في الحرف الأخير نحو : ﴿مَالَّكُمْ لَا تَرْجُونَ شَهْوَارًا وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَارًا﴾^(٤) ، وقوله : جنابه محظ الرجال ، ونخيم الآمال .
- وأيضاً السجع إما قصير نحو : ﴿وَالْمَرْسَلَاتُ عُرِفَتْ فَالْمَاعِصَمَاتِ عَصْفًا﴾ ،

(١) سورة الأعراف الآية ١٠٠ .

(٢) سورة المرسلات الآية ١ .

(٣) سورة الفاطحة الآية ١٣ .

(٤) سورة نوح الآية ١٣ .

وإما متوسط نحو : ﴿ أقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستعرٌ ﴾^(١) ، وإما طويل نحو : ﴿ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَزَّكُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكُنَ اللَّهُ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِمَ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذَا تَقِيمَ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُوْرَةُ ﴾^(٢) .

تنبيهات

الأول - أحسن السجع ما تساوت قرائته كقوله تعالى: ﴿ فِي سَدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظَلْهٍ مَمْدُودٍ ﴾^(٣) ، ثم ما طالت قرينته الثانية كقوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمٌ إِذَا هُوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾^(٤) ، أو الثالثة ، نحو قوله عز وعلا : ﴿ خَذُوهُ ، فَقُلُوهُ ، ثُمَّ الْجَمِيعُ صَلُوهُ ﴾^(٥) ، فـلا يحسن أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى كثيراً ، لأن السجع إذا استوفى أمده في الأولى بطولها وجاءت الثانية أقصر منها كثيراً ، يكون كال شيء المبتور ، يؤيد ذلك الذوق السليم .

الثاني - الاستجاع مبنية على سكون أواخرها ، لأن المزاوجة بين الفقراء في جميع الصور لا تتم إلا بالوقف ، ألا ترى أنك لو وصلت قوله : ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت ، لم يكن بذلك من إعطاء آخر القرآن ما يستلزم حكم الإعراب فتختلف أواخرها ويفوت السجع .

الثالث - يقال للجزء الواحد من السجع سجعة ، وجمعها سجعات ، وفقرة وجمعها فقر وفقرات وفقرات ، وقارنة لقارنة أختها ، وتجمع على قرائن ، وللحرف الأخير منها حرف الروي أو الفاصلة .

الرابع - ربـاـغـيـتـ الـكـلـمـةـ عـنـ مـوـضـعـهـ فـيـ تـصـرـيفـ الـلـفـةـ طـلـبـاـ لـسـجـعـ والمزاوجة بين الكلمة وأخواتها ، ألا ترى قوله ﴿ طَيْبَهُدَةٌ فِي تَعْوِيذَهِ لَابْنِ ابْنَتِهِ ﴾

(١) سورة القمر الآية ١ .

(٢) سورة الأنفال الآيات ٤٣ و ٤٤ .

(٣) سورة الواقعة الآية ٢٨ .

(٤) سورة النجم الآية ١ .

(٥) سورة الحاقة الآية ٣٠ .

«أعيده من الهامة والسامة، والمدين اللامة»، وأصلها الله لأنها من أى، فعبر عنها باللامة لموافقة ما قبلها، وقوله للنساء: انصرفن مأذورات غير مأجورات، والأصل موزورات أخذـاً من الوزر، لكنه قال ذلك لمكان مأجورات.

الخامس - يرى بعض العلماء ومنهم الباقلانـي وابن الأثير كراهة إطلاق السجع على القرآن الكريم لأنـه نوع من الكلام يعتمد الصنعة وقلما يخلو من التكـلف والتـعـسـف، إلى أنه مأخوذ من سجع الحـامـ، وهو هـدـيرـهـ، وإنـما يـقـالـ في مثل ذـلـكـ فـوـاصـلـ، أـخـذـاـ من قولـهـ تـعـالـىـ: ﴿كـتـابـ فـصـلـتـ آـيـاتـهـ﴾^(١).

السادس - يرى بعضـهمـ أنـ السـجـعـ غـيرـ مـخـتـصـ بـالـنـثـرـ، بلـ يـكـوـنـ فـيـ النـظـمـ، كـقـوـلـ أـبـيـ نـعـامـ يـدـحـ أـبـاـ العـبـاسـ نـصـرـ بـنـ بـسـامـ: تـجـلـيـ بـهـ رـشـدـيـ وـأـثـرـتـ بـهـ يـسـدـيـ وـفـاضـ بـهـ ثـدـيـ وـأـورـيـ بـهـ زـنـدـيـ^(٢) وـقـوـلـ الـخـنـسـاءـ:

مـهـدـيـ الطـرـيـقـةـ	حـامـيـ الحـقـيـقـةـ
عـقـادـ أـلـوـيـةـ لـلـخـيلـ جـرـارـ	جـوـابـ قـاصـيـةـ جـزـارـ نـاصـيـةـ
وـقـوـلـ الـآـخـرـ:	

وـمـكـارـمـ أـولـيـتـهـ مـتـورـعـاـ وـجـرـائـمـ أـفـيـتـهـ مـتـبـرـعاـ

وـمـنـهـ عـلـىـ هـذـاـ الرـأـيـ التـشـطـيرـ، وـهـوـ أـنـ يـحـمـلـ فـيـ كـلـ مـنـ شـطـرـيـ الـبـيـتـ سـجـعـانـ عـلـىـ روـىـ مـخـالـفـ لـرـوـىـ سـجـعـيـ الشـطـرـ الـآـخـرـ كـقـوـلـ أـبـيـ نـعـامـ: تـدـبـيرـ مـعـتـصـمـ بـالـلـهـ مـنـقـمـ

لـهـ مـرـتـقـبـ فـيـ اللـهـ مـرـتـقـبـ^(٣)

فـالـشـطـرـ الـأـوـلـ مـحـتوـ عـلـىـ سـجـعـتـيـنـ مـبـنـيـتـيـنـ عـلـىـ الـمـيـمـ، وـالـثـانـيـ مـحـتوـ عـلـىـ سـجـعـتـيـنـ مـبـنـيـتـيـنـ عـلـىـ الـبـاءـ.

(١) سورة فصلـتـ الآـيـةـ ٤ـ.

(٢) قبلـهـ:

سـاحـدـ نـصـرـاـ مـاـ حـيـيـتـ رـإـتـيـ لـأـعـلـمـ أـنـ قـدـ جـلـ نـصـرـ عـنـ الـحـمـدـ رـأـثـرـ صـارـتـ ذاتـ ثـرـوةـ، وـالـشـمـدـ المـاءـ القـلـيلـ، وـأـورـيـ صـارـ ذـاـ وـرـىـ أـيـ نـارـ.

(٣) مـرـتـقـبـ أـيـ رـاغـبـ، وـمـرـتـقـبـ مـنـتـظـرـ ثـوابـهـ.

الموازنة

هي أن تكون الفاصلتان ^(١) متساويتين في الوزن دون التتفقية كقوله تعالى:
﴿وَتَارِقَ مَصْفُوفَةٍ، وَذَرَابِيَّ مَبْثُوتَةٍ﴾ ^(٢).

فإن كان ما في إحدى القراءتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابلها
من الأخرى في الوزن خص باسم المائنة .

فالأول كقول البحترى يمدح الفتح بن خاقان وينذكر مبارزته للأسد :

فاحجم لما لم يجد فيك مطعماً وأقدم لما لم يجد عنك مهرباً

والثاني كقوله تعالى : ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ، وَهُدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ﴾ ^(٣).

وقول أبي تمام من قصيدة يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات :
« مها الوحش إلا أن هاتا أو انس فتنا الخط إلا أن تلك ذوابل » ^(٤)

القلب

هو أن يكون الكلام بحيث لو عكس وبيديه بحرفه الأخير إلى الأول لم يتغير
الكلام عما كان عليه .

ويحيى ذلك في النثر والنظم ، كقوله تعالى : ﴿وَرَبِّكَ فَكَبَرَ﴾ ^(٥).

وقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل :

« سر فلا كبا بك الفرس »

(١) أي الكلستان الأخيرتان من الفقرتين كما في الآية أو المصراعن ، كقوله :

« هو الشمن قدراً والملوك كواكب هو البحر جوداً والكرام جداول »

(٢) إذ الأولى على الفاء ، والثانية على الثاء ، ولا عبرة بتناه التأنيث ، كما بين في علم القافية ،
« سورة الغاشية » .

(٣) سورة الصافات الآية ١١٨ .

(٤) مها الوحش أي كها الوحش في سمة الأعين وسوادها ، وقنا الخط أي كتنا الخط
في الاستقامة .

(٥) سورة المدثر الآية ٣ .

وقول القاضي الأرجاني :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم^(١)
وقد يكون في المصراع الواحد ، نحو : « أرانا الإله هلاً أثرا » .

التشريع

هو بناء البيت على قافيةين يصح المعنى اذا وقفت على كل واحدة منها ، وإنما يقع ذلك من كان ضليعاً متمكناً من صناعة النظم ، بارعاً مقتدرأ ، كقول بعضهم :

ركنا ثيير أو هساب حراء	اسلم ودمت على الحوادث مارسا
رغم الدهور وفز بطول بقاء	ونل المراد مكنا منه على

فيتمكن أن يذكرا على قافية أخرى ، وضرب آخر بأن يقال :

اسلم ودمت على الحوا	دث مارسا ركنا ثيير
ونل المراد مكنا	منه على رغم الدهور

لزوم ما لا يلزم - الالتزام - الشديد - الاعنات

هو أن يلتزم قبل الروي في الشعر ، أو الفاصلة في النثر شيء^(٢) يتم السجع بدونه ، كقوله تعالى : « فإذا هم مبصرون هـ وإخوانهم يدعونهم في الفي ، ثم لا يقتصرون ، وقول الشاعر^(٣) :

أيادي لم تُنْفَنْ وإن هي جلت	سأشكر عرآ إن تراخت منيقي
ولامظهر الشكوى إذا النبل زلت	فق غير محجوب الفق عن صديقه
فكانَتْ قدْ عَيْنِيْهِ حَقْ تَجْلَتْ	رأى خلقي من حيث يخفى مكانها

(١) وقبله : « أحب المرء ظاهره جيل لصاحبه وباطنه سليم »

(٢) أي لو جعلت القوافي أو الفواصل أسماعاً لم يمتحن إلى الآيات بذلك الشيء وهذا الشيء أحد أمور ثلاثة : حرف وحركة معاً كما في الآية والأبيات بعدهما ، وحرف فقط : كالقمر ومستمر ، في قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » ، وحركة فقط كقول ابن الرومي :

لَا تَؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صَرْوْفَهَا يَكُونُ بِكَاهِ الطَّفَلِ سَاعَةً يُولَدُ

وإِلَّا فَمَا يَبْكِيهِ مِنْهَا إِلَّا نَهَا لَوْسَعَ مَا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدَ

(٣) هو عبد الله بن الزبير (فتح الزاي) الأستاذ في مدح عمر بن عثمان بن عفان .

تنمية

قال الإمام عبد القاهر: لا يحسن هذا النوع (المحسن اللغظي) إلا إذا كانت الألفاظ تابعة للمعاني، فإن المعاني إذا أرسلت على سجيتها، وتركت وما ترید، طلبت لأنفسها الألفاظ ولم تكتس إلا ما يليق بها، فإن كان خلاف ذلك، كان كما قال أبو الطيب:

إذا لم تشاهد غير حسن شباتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقد يقع في كلام بعض المتأخرین ما حمل صاحبه فرط شفهه بأمور ترجع إلى ما له اسم في البديع، على أنه نسي أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبيه ويخيل إليه أنه إذا جمع عدة من أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عنده في عمياء وأن يحمل السامع يتخيّله خبط عشواء.

السوقات الشعرية وما يتصل بها

إذا توافق الشاعر أن على اللفظ والمعنى ، أو المعنى وحده ، فإن لم يعلم أحد الثاني من الأول ، جاز أن يكون من قبيل اتفاق القرائح وتوارد الأفكار من غير قصد إلى سرقة وأخذ ، ويسمى ذلك مواردة ، ويرشد إلى ذلك ابن ميادة لما أنسد ابن الأعرابي قوله لنفسه :

مفید ومتلاف إذا ما أتيته تهلل واهتز اهتزاز المنهد

قيل له : أين يذهب بك ، هذا للخطيئة ، قال : الآن علمت أنني شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمعه إلا الساعة .

ولذا لا ينبغي لأحد أن يحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم جليلة أمره بأن يتلقن أنه كان يحفظ قول من سبقه حينما نظم أو بأن يخبر عن نفسه بأنه أخذ من تقدمه فإن لم يعرف ذلك فالواجب أن يقال : قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا ، حق يتبع عن دعوى العلم بالغيب ويسلم من انتقاص غيره ويكون صادقاً فيما حكم وقال .

واعلم أن اتفاق القائلين إن كان في الغرض ، كالوصف بالشجاعة ، والسعادة ، والذكاء ، أو في وجه الدلالات على الغرض كوصف الرجل حثال الحرب بالإبتسام وسكون الجوارح ، وقلة الفكر ، ووصف الجواب بالتهلل عند ورود العنة والارتياح لرؤيتهم - لا يعد هذا سرقة ولا استدانة لأن تلك أمور اشتراطت فيها العقول وتقررت بحكم العادات واستوى فيها الفصيح والأعمى ، كقولهم في الغزل : إن الطيف يحود بما يدخل به صاحبه ، وفي المدحون : إن المدوح يحود ابتداء من غير مسألة ، وفي الرثاء ، إن هذا الرزء أول حادث ، وإن هذا الذاهب لم يكن واحداً وإنما كان قبيلاً ، إلى أشياء ذلك مما يحرى هذا المجرى .

أما إذا احتاج المعنى إلى "كـ" الفكر فذاك هو الذي يدعى فيه الاختصاص

والسابق، لأنه لا يصل إلى منه كل أحد، فهو جدير بالتفاصل بين القائلين فيقال: إن أحدهما يفضل الآخر وإن الثاني زاد على الأول، أو نقص، كما فعل أبو تمام فابتدع معنى جديداً، ذلك أنه حين أنسد أحمد بن المعتصم قصيده السينية التي مطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باس
تفضي حقوق الأربع الادراس
حق انتهى الى قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاء إيس

قال الحكم الكندي: وأي فخر في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلال العرب؟
فأطرق أبو تمام، ثم أنسد :

لاتتکروا ضربی له مَنْ دُونَه
مثلًا شرودًا في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره
مثلًا من المشكاة والنبراس
فهذا معنى ابتکره ولم يتقدمه أحد به، فمن أتقى بعده بهذا المعنى أو يجزء منه
عدًّا سارقاً له .

وهذه السرقات، وإن تعددت فنونها وكثرت مذاهبها، لا تخرج عن ثانية
أنواع، وهي :

١ - النسخ - الاتتحال، وهو سرقة مذمومة، وحقيقة أن يأخذ أحد
الشاعرين معنى صاحبه ولفظه، كله أو أكثره، فهو إذاً على قسمين :
(أ) أن يأخذ لفظ الأول ومعناه، ولا يخالفه إلا بروي القصيدة، كقول
أمرىء القيس:

وقوافها صعبى على مطيمهم يقولون لا تهلك أسى وتحمل
أخذنـه طرفة وأجراءـه على منوالـه الأول ، فقال :

وقوافها صعبى على مطيمهم يقولون لا تهلك أسى وتجلدـه
(ب) أن يأخذ المعنى وأكثر اللفظ، كقول الإبيرد اليربوعي :

فـقـي يـشـتـري حـسـنـ الشـنـاءـ بـالـهـ إـذـاـ السـنـةـ الشـهـاـءـ أـعـوـزـهاـ القـاطـرـ
وـقـولـ أبيـ نـوـانـ :

فـقـي يـشـتـري حـسـنـ الشـنـاءـ بـالـهـ وـيـعـلـمـ أـنـ الدـائـرـاتـ تـدـورـ

٢ - المنسخ أو الأغارة ، وهو أن يأخذ الشاعر بعض الفظ ، أو يغيّر بعض النظم ، وهو ثلاثة أصناف :

(أ) أن يكون الثاني أبلغ من الأول لاختصاصه بحسن السبك ، أو جودة الاختصار ، أو الإيضاح ، أو زيادة المعنى ، وهو مقبول ممدوح كقوله :

خلقنا لهم في كل عين وحاجب بسم الله الرحمن الرحيم

مع قول ابن نباتة ، وهو بعده :

خلقنا بأطراف القنا في ظهورهم عيوناً لها وقع السيف حواجب

فقد زاد هذا معنى لم يطرأه الأول ، وهو إشارة إلى انزامهم .

(ب) أن يكون الثاني دون الأول في البلاغة ، وهذا خلقي بالرد ، كقول أبي تمام :

هيئات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لخيال

مع قول أبي الطيب ، وقد أخذ عنه ، وقصر عن الغاية التي وصل إليها سابقه :

أعدى الزمان سخاوه فسخا به ولقد يكون به الزمان بخيلا (١)

إذ قوله يكون بلفظ المضارع لم يقع موقعه ، إذ المعنى على المضي لكن الوزن الجاهء إلى ذلك .

(ج) أن يكون الثاني مثل الأول ، وحيثند يكون بعيداً من الذم ، والفضل للسابق ، كقول أبي تمام :

لو حمار مرتد المنية لم يجد إلا الفراق على النفوس دليلا (٢)

مع قول أبي الطيب :

لها المنايا إلى أرواحنا سبلاء ولا مفارقة الأحباب ما وجدت

(١) المعنى أن الزمان سخا به على ، وكان بخيلا به ، فلما أعداه سخاوه أسعدني بضمي إليه وهدائي له .

(٢) حمار تعبير في التوصل إلى إهلاك النفوس ، ومرتد المنية الإضافة فيه للبيان أي مرتد هو المنية ، والمعنى : لو تحيرت المنية لم تجد لها طريقاً يوصلها لذلك إلا فراق الأحبة .

٣ - السُّلْخُ وَالإِلَامُ ، وَهُوَ أَخْذُ الْمَعْنَى وَحْدَهُ ، وَهُوَ أَيْضًا يَنْقُسُ إِلَى
ثُلَاثَةِ أَفْسَامٍ :

(أ) أَنْ يَكُونَ الثَّانِي مُتَنَازِأً بِحُسْنِ سُبْكِهِ ، وَبِلَاغَتِهِ ، وَرِصَابَتِهِ ،
كَوْلُ الْبَحْتَرِيُّ :

تَصْدِحْ بِهِ أَنْ تَرَكَ بِأَوْجِهِ أَتَى الذَّنْبُ عَاصِبَهَا فَلِمَ مُطِيعُهَا
مَعْ قَوْلِ أَبْنِي الطَّيِّبِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ سُبْكًا :

وَجُرْمُ جَرْهُ سُفَاهَ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ

وَكَانَهُ اقْتَبَسَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَتَهُلَّكُنَا بِاَنْ فَعَلَهُ السُّفَاهُ مِنَا﴾ (١١).

(ب) أَنْ يَكُونَ الثَّانِي دُونَ الْأُولِ ، كَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ :

وَرِيحُهُمْ أَطْيَبُ مِنْ طَبِيهِمْ وَالْطَّيِّبُ فِيهِ الْمُسْكُ وَالْعَنْبُرُ

مَعْ قَوْلِ بَشَارٍ ، وَقَدْ أَخْذَ مِنْهُ وَقَصَرَ عَنْهُ فِي الْمَعْنَى ، حِيثُ يَقُولُ :

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصْلًا غَلْبُ الْمُسْكِ عَلَى رِيحِ الْبَصْلِ

(ج) أَنْ يَتَسَاوِي الْأُولُ وَالثَّانِي ، كَوْلُ بَعْضِهِمْ يَذْكُرُ أَبْنَاءَ لَهُ قَدْ مَاتُوا :

الصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلَّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

مَعْ قَوْلِ أَبْنِي تَامَ بَعْدَهُ :

وَقَدْ كَانَ يَدْعُونِي لِابْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبِحُ يَدْعُونِي حَازِمًا حِينَ يَحْزُنُ

وَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ الْثَّلَاثَةُ مِنْ الْأَخْذِ الظَّاهِرِ ، أَمَّا غَيْرُ الظَّاهِرِ فَهُوَ ذُو شَعْبَةٍ ، أَمْهَا :

٤ - التَّشَابِهُ ، وَهُوَ أَنْ يَتَشَابَهَ مَعْنَى الْأُولِ وَالثَّانِي ، كَوْلُ الْطَّرْمَاحِ
ابْنِ حَكِيمِ الطَّائِنِي :

لَفَدَ زَادَ حَبَّا لِنَفْسِي أَنِّي بَغَيْضُ إِلَى كُلِّ امْرَءٍ غَيْرِ طَائِلٍ

مَعْ قَوْلِ التَّنْبِيِّ :

(١) سُورَةُ الْأَعْرَافُ الْآيَةُ ١٥٥ .

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي يأني كامل
فإن ذم الناقص أبا الطيب كبغض مَنْ هو غير طائل الطرماح ، وشهادة ذم
الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرماح لنفسه .

وليس بضائر في التشابه اختلاف الغرضين كأن يكون أحدهما نسيباً والآخر
مدحياً أو هجاء أو افتخاراً ، فإن الحاذق مَنْ يتحيل في إخفاء مأخذة بتغيير
لفظه والمدلول عن الوزن والقافية .

٥ - النقل ، وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله ، كقول البحترى :

سلبوا فشرقت الدماء عليهم محمرة فكانهم لم يسلبوا^(١) نقله المتبي إلى السيف فقال :

ليس النجيع عليه وهو مجرد عن غمده فكانها هو مغمد^(٢)

٦ - أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الأول ، كقول جرير :
إذا غضبت عليك بنو تم وجدت الناس كلهم غضاباً
أخذه أبو نواس ، وعمم فيه ، فقال ، يستعطف الرشيد لما سجن
الفضل البرمي :

وليس على الله بستنكر أن يجمع العالم في واحد

٧ - القلب ، وهو أن يكون معنى الثاني نقىض معنى الأول ، كقول
أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيندة حبـاً لذكرك فليلمي اللوم
قلبه أبو الطيب فقال :

أحبه وأحب فيه ملامـة إن الملامـة فيه من أعدائه^(٣)

(١) يريد أنهم سلبوه ثيابهم فكانت الدماء الملائمة لاشراق الشمس بمنزلة الثياب لهم .

(٢) التنجيع الدم المائل إلى السواد ، يريد أن الدم البارد صار بمثله الفمد له .

(٣) الاستفهام فيه للانكار ، وجملة وأحب فيه ملامـة حالـية ، والانكار راجع للجمع بين
محبته ومحبة الملامـة فيه .

فأبو الشيص يصرح بحب الملامة من حيث اشتغال اللوم على ذكر الحبوب ، وهذا حبوب له .

والتنبي صرح بكلراحتها لصدورها من أعدائه ، وكل ما يصدر من العدو فهو مبغوض ، فكل منها نحا منحى غير الآخر .

٨ - أن يؤخذ بعض المعنى ، ويضاف إليه زيادة تحسنه ، كقول الأفوه الأودي :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستار
مع قول أبي تمام :

لقد ظلت عقاباً أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل^(١)
فقد أفاد الأفواه بقوله : رأى عين قريها ، لأنها اذا بدت تخيلت ولم تر ،
وهذا القرب إنما كان لتوقعها الفريسة ، وبقوله : ثقة أن ستار ، تأكدها بما هي
طائحة إليه .

أما أبو تمام فلم يحم حول هذا ، ولكنه زاد عليه قوله : إلا أنها لم تقاتل ،
وقوله : في الدماء نواهل ، ثم بإقامتها مع الرايات حق كأنها من الجيش ، ومن
أجل هذا حسن أن يقول : إلا أنها لم تقاتل ، وهذه الزيادة أكسبت كلامه حسناً
وطلاوة ، وإن كان قد ترك بعض ما ألم به الأفوه .

(تنبيه) الأنواع التي ليس الأخذ فيها ظاهراً مقبولة كلها ، بل منها ما يدق
فيه الصنع ويخفى فيه مكان الأخذ حق يخرج بحسن التصرف وجودة السبك من
حيز الأخذ والاتباع ، إلى أن يكون أشبه بالاختراع والابتداع .

أما ما يتصل بالسرقات الشعرية ، فهو : الاقتباس ، والتضمين ، والمقد ،
والخل ، والتلميح :

١ - الاقتباس ، أن يضم المتكلم منشوره شيئاً من القرآن ، أو الحديث ،

(١) إضافة عقاباً إلى الأعلام من إضافة المشبه به للتشبه أي الأعلام التي هي كالعقاب في تلونها
وفخامتها لأن الأعلام بمعنى الرايات فيها ألوان مختلفة كالعقبان ، وقوله بعقبان طير متعلق بظلالت
أي أنها لزمت فوق الأعلام فالقت ظلها عليها ، والنواهل من نهل اذا روى .

تفخيماً لشأنه وتربيتنا لسبكه على وجه لا يشعر^(١) بأده منه ، كقول ابن نباتة الخطيب :

«فيما أثأها الغفلة المطرقون أما أنت بهذا الحديث مصدقون ، ما لكم لا تشفقون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما انكم تنطقون » .

وقول الحريري : أنا أُبَشِّكُ بتأوبله ، وأمِيزُ صَحِيحَ القولِ مِنْ عَلِيهِ .

وقول الحماسي :

إذا رمت عنها سلوة^{*} قال شافع من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها في مضموم القلب والحسنا سريرة^{*} حب (يوم قبلي السرائر)

وقول أبي الفضل بدبيع الزمان الهمذاني :

لآل فريغوفت في المكرمات يد أولاً واعتذر أخيراً
إذا ما حللت بفمام (رأيتَ نعيمًا وملكاً كبيراً)^(٢)

وقول الحريري : « وكمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة » .
فقوله : انتظار الفرج بالصبر عبادة ، لفظ الحديث .

وقول الصاحب بن عباد :

قال لي إن رقيبي سيه الخلق فداره
قلت دعني دوجهك الجنة حفت بالمكانه »

اقتبسه من الحديث حفت الجنة بالمكانه وحفت النار بالشهوات ،
والاقتباس ضربان :

(أ) ما لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر ، كـ بما
تقدمن الأمثلة .

(ب) ما نقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي ، كقول ابن الرومي :

(١) أما إذا قال في أثناء الكلام : قال الله تعالى كذا ، أو : قال النبي عليه السلام كذا ، فلا يسمى اقتباساً .

(٢) سورة الانسان الآية ٢٠ .

لئن أخطأتُ في مدخلك ما أخطأتَ في منعي
لقد أنزلت حاجاتي (بواط غير ذي ذرع)
 فهو مقتبس من قوله تعالى: **ه**ربنا إِنِّي أَسْكَنْتُ^(١) مِنْ ذُرِيقِ بَوَادٍ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ
عَنْدَ بَيْتِكَ الْحَرَمَ **هـ**^(٢)، فعناء في القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات .

نقله ابن الرومي الى رجل لا خير فيه ولا نفع ، ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ
المقتبس للوزن أو غيره ، كقول بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه :
قد كان ما خفت أن يكونوا **إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِحُونَا**

(تتمة) الاقتباس على ثلاثة أقسام :

(أ) مستحسن ، وهو ما كان في الخطب والمواعظ .

(ب) مباح ، ما كان في الفزول والرسائل والقصص .

(ج) مردود ، ما كان في الهزل ، كقول القائل :

أَوْحَى إِلَى عَشَاقِهِ **ه**يباهات هيبات لما توعدون

وَرَدَفَهُ يَنْطَلِقُ مِنْ خَلْفِهِ **هـ**لَمَّا فَلَيْعَلُ العَامَلُونَ

٢ - التضمين^(٣) ، وهو أن يضمن الشاعر كلامه شعرًا من شعر غيره مع التنبيه
عليه إن لم يكن مشهوراً لدى نقاد الشعر وذوي اللسان ، كقول الحريري يحيى ما قاله
الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع :

عَلَى إِنِّي سَأَنْشِدُ عَنْدَ بَيْعِي **أَضَاعُونِي وَأَيْ فَقِي أَضَاعُوا**

الصراع الأخير للعرجي ، وأصله :

أَضَاعُونِي وَأَيْ فَقِي أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرْبَلَةِ وَسَدَادِ ثَغْرٍ ^(٤)

أما تضمينه فلا تنبيه عليه لشهرته ، فكقوله :

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٧ .

(٢) تضمين البيت فيما زاد استعانة وتضمين الصراع فيما دوافعه يسمى رفواً وإبداعاً .

(٣) الكروبيه : الحرب ، والسداد : سد الثغر بالخيل والرجال ، والثغر : الموضع الذي يخشى
 منه العدو ، والاستفهام أي أضاعوني وأنا أكمل الفتيان في وقت الحاجة لسداد الثغر .

قد قلت لـ أطلعت وجناته
 حول الشقيق الغض روضة آس
 أعاده الساري العجل ترافقن
 ما في وقوفك ساعة من باس^(١)
 المصراع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام :
 ما في وقوفك ساعة من باس نقضي حقوق الأربع الادراس
 وأحسن التضمين أن يزيد المضمون في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية
 والتشبيه في قوله :
 اذا الوهم أبدى لي لماها وثفرها تذكرت ما بين العذيب وبارق
 ويد كرني من قدمها ومدامعي مجر عوالينا وجري للسوابق^(٢)
 المصراعان الأخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب :
 تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا وجري السوابق
 يريد المتنبي أنهم كانوا نزولاً بين هذين الموضعين يحرون الرماح عند مطا المقر حلان
 ويساقون على الحيل، أما الآخر فأراد بالعذيب تصغير عذب وعزبه شفة الحبيبة
 وببارق ثفرها، أي ثفرها الشبيه بالبرق وبما بينهما ريقها، وهذه تورية بدعة
 نادرة في بابها، وشبه تبخثر قدتها بتغليل الرماح وتتابع دموعه يحرثان
 الحيل السوابق .

٣ - العقد ، هو نظم المشور لا على جهة الاقتباس^(٣) ، ومن شرطه أن يأخذ
 المشور بجملة لفظه ، أو بمعظمها ، فيزيد النظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ،
 فعقد القرآن كقوله :

وأشهد معشراً قد شاهدوه أتلتني بالذى استقرضت خطأ
 عنت جلال هيبة الوجه فإن الله خلاق البرايا
 إلى أجل مسمى فاكتبوه يقول : (إذا تداینت بـدين
 وعقد الحديث كقوله :

(١) أطلعت : أبدت ، والشقيق : ورد أحمر .

(٢) الذي : سمرة الشفتين ، ومجر : رؤوس الرماح .

(٣) فان كان التتر قرآنأ أو حديثاً وأريد نظمه فلا بد أن ينبع فيه تغييرًا كثيراً ، أو يشير إلى أنه من القرآن أو الحديث .

إن القلوب لأجناد مجندة^(١)
بالاذن من ربها تهوى وتأتَّلَف
فما تعارف منها فهو مؤتلف
وما تناكر فهو مختلف
عقد لقوله عليه السلام : « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها اختلف
وما تناكر منها اختلف » .

٤ - الحل ، وهو نثر النظم ، وشرط قبوله أمران :

(أ) أن يكون سبكه جيداً لا ينقص عن سبك أصله .

(ب) أن يكون حسن الموضع مستقراً في محله غير قلق ولا ثاب ، كقول بعضهم في وصف السيف : أورثه عشق الرقاب ، نحو : فبكى والدموع مطر ، تزيد به الحدود محولاً ، حل قول أبي الطيب :

في الخد إن عزم الخليط رحيلًا مطر تزيد به الحدود محولاً^(٢)
وقول بعض المغاربة : فإنه قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوه
الظن يقتاده ويصدق توهم الذي يعتاده^(٣) ، حل قول أبي الطيب^(٤) :
إذا ساء فعل المرء سامت ظنوته وصدق ما يعتاده من توهم

٥ - التلبيح ، هو أن يشير الناثر أو الناظم في قرينة سجع ، أو بيت شعر ،
إلى قصة معلومة ، أو نكتة مشهورة ، أو بيت حفظ لتوارثه ، أو مثل رائع ،
أو حكمة مستعملة .

وأحسنَه وأبلغَه ما حصل به زيادة في المعنى المقصود ، كقول بعضهم في مليح
اسمه بدر :

يا بدر أهلَكْ جاروا	وعلمُوك التجاري
وحسنوا لك هجري	فليفعموا ما أرادوا

(١) الخليط من يخالطك وأراد به الحبيب ، ومحول الحدود ذهاب نضارتها .

(٢) الفملات الأفعال وحنظلت نخلاته أي صارت كالحنظل والمراد بها نتائج افتخاره .

(٣) قاله يشكون سيف الدولة واسبابه لقول أعدائه .

إشارة الى قوله عليه السلام لعمر حينما سأله قتل حاطب^(١) بن أبي بلحة ، وكان من شهد بدرأ ، لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال : « اعملوا ما شتم فقد غفرت لكم » .

وقول الحريري : بت^٤ بليلة نابغية ، أو ماما به الى قول النابغة :

فبت^٥ كأني ساورتنى ضئيلة من الرقش في أننيها السم^٦ تاقع
وقول آخر :

لعمرو من الرمضاء والنار تلتظى أرق وأحلى منك في ساحة الكرب
إشارة الى البيت المشهور :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار^(٢)
وقد وقع هذا النوع كثيراً في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ كُمَثَّلَ الْعَنْكَبُوتُ اخْذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبَيْوَتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾^(٣) ، يشير إلى المثل : أرق من نسج العنكبوت وأضعف من بيته .

(١) لأنه أرسل خطاباً مع امرأة لأهل مكة سراً يخبرهم بعزم النبي عليه السلام وأصحابه علقتها ، ليكون له يد عندهم ، فعلم النبي ذلك بالرحى .

(٢) عمرو هو قاتل كلبي ، وقد طلب منه ماه حين أجهز عليه وطلب إغاثته فامتنع .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤١ .

خاتمة

ينبغي للمتكلم أن يتألق في ثلاثة مواضع : الابتداء ، التخلص ، الاتهاء .

١ - فالابتداء هو أن يجعل المتكلم مبدأ كلامه حسن الوصف عذب اللفظ ، صحيح المعنى ، فإذا اشتمل على إشارة إلى المقصود سمي براعة استهلال .

قال ابن رشيق في «العمدة» : إن حسن الافتتاح ، داعية الانشراح ، ومطيبة النجاح ، كما جاء في الخبر الشعر قفل أوله مفتاحه ، فعل الشاعر أن يحويه ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده ، وليتتجنب (ألا وخليل) وقد فلا يستكثر منها في ابتدائه فإنها من علامات الضعف والتکلان إلا للقدماء ول يجعله حلوا سلما و فخما جزاها .

ومن جيد الابتداءات قول أمرى القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقوط اللوى بين الدخول فحومل^(١)
فقد وقف واستوقف ويكتى واستبكتى ، وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد ، وقول النابفة الجمدي :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقساميه بطيء الكواكب

وقد فضلوا بيت النابفة على البيت الأول ، لأن الشطر الثاني منه كثير الأنفاظ قليل المعنى غريب اللفظ .

وقد كان أبو قام في الموضع الذي لا يحارى في فخم ابتداءاته لما لها من الروعة والجلال ، كقوله ينفيه المعتصم بفتح عمورية ، مع أن المنجمين كانوا قد زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

(١) السقط : منقطع الرمل حيث يدق ، واللوى رمل معوج متلو ، والدخول فحومل : موضعان .

في هذه الحدّ بين الجد واللعب
في متونهن جلاء الشك والريب
ومن جيد الابتداءات المشتملة على براعة الاستهلال قول حافظ إبراهيم في تحية
عام هجري :

أطل على الأكون و الخلق تنظر هلال رأء المسلمين فكبّروا
وقول أحمد شوقي في رثاء إسماعيل صبري :

أجل وإن طال الزمان موافي أخلي يديك من الخليل الوافي
وقوله أيضاً في فوز الأتراك على اليونان :

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

وربما خان الحظ بعض الشعراء المقلقين وأوقعهم نحس الطالع في مهواه سجينة
لا قوار لها إما من غفلة أو غلطة في الطبع أو استغراق في الصنعة وشغل هاجس
بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب ، واعتبر ذلك بما أنشده ذو الرمة حين
دخل على هشام بن عبد الملك بن مروان من قوله :

ما بال عينك منها الماء مُنسكب كأنه من كل مقرية سرب⁽¹⁾
وكان به رمش فهي تندفع أبداً، فظن أنه عرض به، فقال: بل عينك
وأمر بإخراجها .
وقيل إنه لما بني المعتصم قصره بميدان بغداد وجمع عظيمه دولته وجلس فيه
في يوم حفل أنشده إسحاق الموصلي :
يا دار غيرك البلى ومحـاك يا ليت شعرى ما الذي أبلاك
فقطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .
فعلى الحاذق الفطن أن ينظر في أحوال الخاطبين وبختار للأوقات ما يشاكلها
فيقصد ما يحبون ويتجنب ما يكرهون سماعه .

٢ - التخلص - الخروج ، هو أن ينتقل الشاعر من فن إلى آخر يحسن
أسلوب ملطف تخيل وحسن تخلص ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة

(١) الكل، حجم كلية (يضم الكاف) والمقرية المجزوّزة ، والسرب الجاري .

الالئام ، كأنها أفرغا في قالب واحد ، وذلك يحرك من نشاط السامعين ويعين على إصغائهم ، وأحسن ما تهيا للناظم في بيت واحد كقول مسلم بن الوليد مدح يحيى البرمي :

أجدك ما تدررين أن رب لِيَّةَ
سررتُ بِهَا حَقَّ تجلتْ بِفَرَّةَ
كَانَ دُجاهًا مِنْ قَرُونَكَ يُنْشَرَ

وَيَلِيهِ مَا جَاءَ فِي بَيْتَيْنِ كَوْلَ المُتَبَّيِّ يَمْدُحُ الْمُفِيتَ بْنَ عَلَىِ الْمَعْجَلِيِّ :

مَرَّتْ بِنَسَا بَيْنَ تِرَبَّهَا فَقَلَتْ لَهَا
فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمُفِيتِ يَرِيَ
مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا
لِيَثُ الشَّرِّي وَهُوَ مِنْ عَجَلٍ إِذَا انتَسَباً^(۱)
وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْعًا بِهَذَا النَّوْعِ أَبُو الطَّيْبِ ، وَلِأَجْلِهِ يَسْقُطُ سَقْوَطًا قَبِيْحًا ،
كَوْلَهُ :

هَا فَانْظَرِي أَوْ فَظِنِي يَتَرَى سُرْقاً
عَلَىِ الْأَمِيرِ يَرِي ذَلِي فَيَشْفَعُ لِيَ
مِنْ لَمْ يَذْقُ طُرْفًا مِنْهُمْ أَفْقَدْ وَالَا
إِلَىِ الَّتِي تَرْتَكَتْنِي فِي الْمَوْيِ مَثْلًا^(۲)
فَقَدْ تَعْنَىَ أَنْ يَكُونَ الْأَمِيرَ قَوَادًا لَهُ .

وَالْمُتَأْخِرُونَ كَلَمُمْ عَلَىِ الْجَملَةِ فَلَمَا يَفْوُتُهُمْ سَلُوكُ هَذِهِ الطَّرِيقِ ، أَمَّا الْعَرَبُ فَمَا
كَانُوا يَذْهَبُونَ هَذَا الْمَذْهَبُ فِي الْخَرْوَجِ مِنَ الْمَدِيجِ ، بَلْ يَقُولُونَ عِنْدَ فَرَاغِهِمْ مِنْ
نَعْتِ الْإِبْلِ وَذَكْرِ الْقَفَارِ وَمَا هُمْ بِسَيِّلِهِ : دَعْ ذَا ، وَعَدْ عَنْ ذَا ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ فِيهَا
يَرِيدُونَ ، وَيُسَمِّيُّونَ هَذَا اقْتِصَابًا ، كَوْلَهُ :

فَدَعْ ذَا وَسَلَ الْهَمْ عَنْكَ بِجَسْرَةَ
ذَمْوَلْ إِذَا صَامَ النَّهَارَ وَهَجْرَا^(۳)
أَوْ يَأْتُونَ بِأَنَّ الْمَشَدَّدَةَ ابْتِدَاءَ لِلْكَلَامِ الَّذِي يَقْصِدُونَهُ ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ الْبَحْتَرِي
يَسْلُكُ هَذِهِ الْطَّرِيقَةَ كَوْلَهُ :

(۱) أَجْدَكْ (بِكَسْرِ الْجِمْعِ وَفَتْحِهَا) لَا يَنْكِلِمْ بِهِ إِلَّا مَضَافًا ، وَالْمَعْنَى: أَيْمَدْ مِنْكَ هَذَا ، فَنَصِبَهُ عَلَىِ
طَرْحِ الْبَاءِ ، فَإِذَا سَبَقَ بِالْوَارِ فَقِيلَ: وَجْدَكْ ، فَهُوَ مَفْتُوحُ الْجِمْعِ لَيْسَ غَيْرَ .

(۲) التَّرْبُ وَاللَّدَدُ الْمَسَاوِيُّ فِي الْسَّنِ ، وَالشَّادِنُ: الْظَّبَابُ إِذَا شَدَتْ قَرْنَهُ وَرْقَوِيُّ ، وَاسْتَضْحَكَتْ:
ضَحَكَتْ ، وَالثَّرِيُّ مَأْسَدَةً مُشْهُورَةً .

(۳) الْمَرْقُ جَمْعُ حَرْقَةٍ مَا يَحْمِدُهُ الْأَنْسَانُ مِنْ لَذْعَةِ حَبٍّ أَوْ حَزْنٍ ، وَرَأَلْ نَعْجَا .

(۴) الْجَسْرَةُ الْطَّوِيَّةُ الصَّخْمَةُ مِنْ النُّوقِ ، وَالنَّمُولُ الَّتِي تَسِيرُ ذَمِيلًا أَيْ حَثِيشًا ، وَصَامَ النَّهَارَ
قَامَ قَائِمَ الظَّهِيرَةِ وَاعْتَدَلَ .

لولا الرجاء لدت من ألم النوى لكن قلبي بالرجاء موكل
إن الرعية لم تزل في صيرة عمرية منذ ساسها المتوكل
ومن الاقتضاب ما هو شبيه بالتخلص كما يقول القائل بعد حمد الله ، أما بعد
فكذا ، وقوله تعالى : ﴿هذا وإن للطاغين لشرٌ مأب﴾^(١) ، أي هذا
كما ذكر ، وقول المؤلف : هذا باب ، هذا فصل .

٣ - الانتهاء - الاختتام ، هو أن يختتم المتكلم كلامه بأحسن الخواتم ، إذ هي آخر ما يبقى منه في الأسماع ، وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب المعهد بها فوجب أن تكون غاية في الجودة وألا يكون سبيل للزيادة عليهم ، ولا لأن يؤدي بعدها بأحسن منها في رشاقتها وحلوتها وقوتها وجزالتها ، مع تضمنها معنى تماماً يؤذن السامع بأنه الفاتحة والمقصد والنهاية ، فإن دل على ما يشعر بالانتهاء سمي براعة مقطوع .

ولقد ختم الله تعالى كل سورة من سور القرآن الكريم بأحسن ختام ، وأنتها
بما يطابق مقصدتها من أدعية أو وعد أو وعيد أو موعظة أو تمجيد إلى غير ذلك
من الخواتم الرائعة .

وقد أجاد سلوك هذا الطريق المتأخر، كأبي نواس وأبي تمام والبحتري،
ولا سيما المتنبي، فإنه أتي فيه بالعجب العجاب، فمن ذلك قول أبي نواس
في المؤمنون:

فبقيت للعلم الذي تهدي له وتقاعست عن يومك الأيام
فانظر كيف تضمنت هذه الخاتمة الدعاء بالبقاء مع المدح والإعظام ،
وقول أبي تمام :
فما من ندي إلا إليك حمله ولا رفة إلا إليك تسير
وقول ثالث :

فلا حطت لك الهيجاء سرجا وقول الأرجاني :	ولا ذات لك الدنيا فراغا يقت ولا أبقي لك الدهر كاشحا
وإنك في هذا الزمان فريد	

(١) مسورة من الآية ..

وقول ابن حجة في بدريعيته :

عليك سلام نشره كلما بدا به يتغالي الطيب والمسك يختتم

تدريب أول

بيان نوع المحسن اللفظي فيما يلي :

- | | |
|---------------------------------|--|
| والموى للمرء قتال | ١ - حدق الآجال آجال |
| إلى رد أمر الله فيه سيل | ٢ - وسمته يحيى ليحيا فلم يكن |
| ظلمون الأنام ظلماً عمنا | ٣ - قد بلينا في عصرنا بأناس |
| ويحبون المال حباً جما | يأكلون التراث أكلاماً |
| فأعجب لشاك منه شاكر | ٤ - اللهم اعط منفقاً خلفاً، وأعط مسكاً تلفاً |
| في الناس أو كثرت واستيق إيناساً | ٥ - أشكوك وأشكوك فعله |
| (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) | ٦ - قابل بشكرك من قلت عطيته |
| وييفي من عطيتها المسايا | ولا تم ساخط منهم على أحد |
| وروض فضلك رحب موافق خضر | ٧ - يسار من بجيتها المسايا |
| | ٨ - فحوض عدلك عذب مدقق خضر |

الاجابة

- ١ - في هذا البيت جناس قام مماثل بين الآجال وآجال، إذ الأولى جمع أجل (بكسر الممزة) وهو القطيع من بقر الوحش، والثانية جمع أجل ، وهو أمد العمر .
- ٢ - فيه جناس قام مستوف بين يحيى ويحييا .
- ٣ - فيه اقتباس من قوله تعالى : **هُوَ وَنَّا كُلُونَ التِّراثَ أَكْلَامًا وَتَحْبُونَ الْمَالَ حَبَا حَبَا** ^(١) .
- ٤ - فيه سجع مرصع ، لأن إحدى الفقرتين كالثانية في الوزن والتقوية .

(١) سورة الفجر الآية ٢٠ .

- ٥ - فيه جناس ناقص لاختلافها في العدد .
- ٦ - فيه اقتباس من الحديث الشريف : « لا يشكر الله مَنْ لا يشكِّرُ النَّاسَ » .
- ٧ - فيه رد المجز على الصدر لوجود أحد الفظين المتفقين لفظاً ومعنى في آخر البيت ، والآخر في صدر المصراع الثاني .
- ٨ - فيه سبع مرصع لاتفاق كل لفظ من صدره مع نظيره من المجز وزناً ورويَا .

تدريب ثان

- ١ - كن كيـف شـتـت عـن الـهـوى لـأـتـهيـ حق تعود لي الحـبـاة وـأـنـتـ هي
- ٢ - هـ وإنـهـ عـلـىـ ذـلـكـ لـشـتـيدـ ،ـ إـنـهـ لـحـبـ الـغـيـرـ لـشـتـيدـ)١(
- ٣ - يـعـشـيـ عـنـ الـمـجـدـ الـغـبـيـ وـلـنـ تـرـىـ فـيـ سـوـدـدـ أـرـبـاـ لـفـيـ أـرـبـ
- ٤ - سـلـ سـبـيـلـاـ فـيـهـاـ إـلـىـ رـاحـةـ النـفـ سـ بـرـاحـ كـأـنـهـاـ سـلـسـيلـ
- ٥ - فـيـ الـحـدـيـثـ :ـ «ـ اللـهـ إـنـيـ أـدـرـأـ بـكـ فـيـ نـحـورـهـ ،ـ وـأـعـوذـ بـكـ مـنـ شـرـورـهــ»ـ .ـ
- ٦ - لـيـتـهـمـ سـعـوهـ باـسـمـ سـوـىـ ذـاـ إـنـاـ التـسـرـيـعـ دـيـنـ قـوـمـ
- ٧ - وـمـاـ اـشـتـارـ الـمـسـلـ ،ـ مـنـ اـخـتـارـ الـكـسـلـ
- ٨ - فـلـوـ كـانـتـ الـأـخـلـاقـ تـحـويـ وـرـاثـةـ وـلـوـ كـانـتـ الـأـخـلـاقـ تـحـويـ وـرـاثـةـ
- كـيـاـنـتـ كـلـ النـاسـ قـدـ ضـمـمـ هـوـيـ لـأـصـبـحـ كـلـ النـاسـ قـدـ ضـمـمـ هـوـيـ
- لـمـاـ هـوـ مـخـلـوقـ لـهـ وـمـقـرـبـ وـلـكـنـهـ الـأـقـدـارـ كـلـ مـيـسـرـ

الاجابة

- ١ - فيه جناس ثام ومفروق لتشابه الركين لفظاً لا خطأ .
- ٢ - فيه جناس مضارع لاختلافها في نوع الحرف مع تقارب المخرج .
- ٣ - فيه ما يلحق بالجناس ، لأنـهـ يـعـجمـ الـفـظـيـنـ ،ـ وـمـاـ أـرـبـ وأـرـبـ الـاشـقـاقـ .ـ

(١) سورة العاديات الآيتان ٧ و ٨ .

٤ - فيه رد العجز على الصدر ، لأن أحد الفاظين المتجلانسين في آخر المصراع
الأول ، والآخر في صدره .

٥ - فيه سبع متواز ، لأن الفقرتين اتفقنا في الكلمتين الأخيرتين .

٦ - فيه تشريع لأن البيت مبني على فافتين ، إذ يمكن أن يسقط منه
شيء ، فيصير :

لِيَتَمْ سُوْهُ بِاسْمِ
إِنَّا التَّشْرِيعُ دِنٌّ
فِيْنَاقْبَابِ مِنَ الْمَدِيدِ إِلَى الرَّمْلِ .

٧ - فيه لزوم ما لا يلزم لأن قبل الفاصلة حركة وحرفاً ليسا لازمين .

٨ - فيه اقتباس من الحديث : « اعملوا كل مُيَسِّرٍ لِمَا خلقَ لَهُ » .

تجرين أول

فإنك ما بقيت لنا بقينا
أثراه غرد صادعاً أم صادحاً
لَمْ أَكُ بالدُّعَاءِ رَبَّ شَبَّاً
وأقر عيني السلام هنداً وليلي
صيداً لَمَّا فاصطاده إنساناً
لعلى المنوار وغالي المنوال
رب باللطف من لذتك وليلها

- ١ - بقيت لنـا تجود مدي اللـيالي
- ٢ - سـل طـائرـاً صـدـاعـ الفـؤـادـ بـسـحـرةـ
- ٣ - وـاسـتـجـبـ فيـ الهـوىـ دـعـائـيـ إـنـيـ
- ٤ - حـيـ عـرـبـاـ بـالـحـيـفـ مـنـ حـيـ لـيـلـيـ
- ٥ - لـاـ كـانـ إـنـسـانـ تـيمـ قـاصـدـاـ
- ٦ - رـمـانيـ زـمـانـ فـلـمـ يـرـعـوـ
- ٧ - وـهـنـ العـظـمـ بـالـعـمـادـ فـهـبـ لـيـ
- ٨ - وـدـارـهـ مـاـ دـمـتـ فـيـ دـارـهـ ، وـحـيـهـ مـاـ دـمـتـ فـيـ حـيـهـ
- ٩ - لـهـ مـبـسـمـ كـالـبـرقـ ضـيـاهـ وـلـمـاـ ، وـأـعـيـنـ يـخـيـلـ لـيـ مـنـ سـعـرـمـ أـنـهـ تـسـعـيـ
- ١٠ - كـنـتـ أـطـمـعـ فـيـ تـجـربـيـكـ ، وـمـطـايـاـ الجـهـلـ تـجـريـ بـكـ

تمرين ثان

- ١ - دعت النوى بفراهم فتشتوا
و قضى الزمان بينهم فتبدوا
شيء سوى جود بن ارتقَ يحمد
وهو ذمِّي الحالتين فما به
- ٢ - فلم تضع الأعادى قدر شاني
ولا قالوا فلان قد رشاني
- ٣ - وإن أفتر على رق أيامه
أفتر بالرق كتاب الأيام له
- ٤ - قال الخطيب ابن نباته ، يذكر أهوال يوم القيمة :

« هنالك يرفع الحجاب ، ويوضع الكتاب ، ويجمع مَنْ لَهُ الثواب ،
وحقٌّ عليه العقاب ، فيضرب بينهم بسور لَهُ بَاب ، باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب ». .

- ٥ - قال الشافعى رضي الله عنه :
- أربعمائة خير عندنا كلمات
ليس يعنيك واعمل بنية
عدة الخير عندنا كلمات
اتق المشبهات وازهد ودع ما

- ٦ - قال ابن المعزز :
- أترى الجنة الذين قد ادعوا
عند سير الحبيب وقت الزوال
راحل فيهم أمام الجمال
م مثل صاع العزيز في أرجل القو

- ٧ - قال المتنبي في مطلع قصيدة :
- « أتراها لكتلة المشاق تحسب الدمع خلقة في الماء »

- ٨ - خليلي ما لي لا أرى غير شاعر
فلا تعجبنا إن السيف كثيرة
- ٩ - وإنني جدير إذ بلقتك بالمنى
فإن تولني منك الجميل فأهله
- ١٠ - فهمت كتابك يا سيدى
فهمت ولا عجب إن أهيمـا

فوائد من البلاغة

لقد رأينا القطع الآتية تشمل على فرائد من البلاغة ، فأحببنا وضمهما لتكون
غاذج في التطبيق على الفنون الثلاثة :

قال عبد الله فكري المتوفى سنة ١٣٠٧هـ ينصح ابنه :

إذا نام غر في دجي الليل فاسهر
وسارع الى ما رمت ما دمت قادرأ
وأكثر من الشوري فإنفك إن تصب
وقم للمالي والعواي وشر
عليه وإن لم تبصري النجح فاصبر
تجهد مادحاً أو تخطئه الرأي تعذر

وقالت عائشة التمورية المتوفاة سنة ١٣٢٠ :

بيد العفاف أصون عز حجابي	وبعصمتي أسمو على أترابي
وبفكرة وقادة وقريحة	نقادة قد كملت آدابي
ما ضرني أدبي وحسن تعلمى	إلا بكوني زهرة الألباب

وقال صفي الدين الحلبي المتوفى سنة ٥٧٤ في وصف حدائقه :

وأطلق الطير فيها سجع منطقه
والظلل يسرق بين الدوح خطوطه
وقد بـدا الورد مفترأ مبـامـه
والسحب تبـكي وثـفر البرق مبتـسمـه
فالطير في طرب والسحب في حـرب

وقال في الفخر والمحاسة :

واستشهد البيض هل خاب الرجا فيما
سل الرماح العوالى عن معالينا
عما نروم ولا خابت مساعدنا
لقد سعينا فلم تضعف عزائنا
يوماً وإن حكموا كانوا فراعنة
قوم اذا استخصموا كانوا موازينا
إنا لقوم أبى أخلاقنا شرقاً
أن نبتدي بالآذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا سود وقائعنـا
حضر مرابعـنا حمر مواطنـا

وقال محمد بن الطيب المغربي في وصف الربيع :

ورد الربيع فمرحبـاً بوروده
وبنور بهجـته ونور وروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه
والفنـن قد كسى الفـلائل بعد ما
أخذت يـداً كـانـونـ في تـجـريـده
والورد في أعلى الفـصـونـ كـأنـه

ومن لامية المعجم للطغراطي المتوفى سنة ٥١٥ :

حبـ السلامـ يـثـني عـزمـ صـاحـبهـ
عنـ المعـالـيـ ويـغـرـيـ المرـهـ بالـكـسـلـ
فـإـنـ جـنـحـتـ الـيـهـ فـاتـخـذـ نـفـقاـ
فيـ الأـرـضـ أوـ سـلـماـ فيـ الجـوـ فـاعـتـزلـ
أـبـيـ اللهـ أـنـ أـسـمـ وـبـغـيرـ فـضـائـليـ
إـنـ أـكـرـمـتـ قـبـليـ أـوـائلـ أـسـرـقـيـ
فـلـيـ بـحـمـدـ اللهـ مـبـتـداـ سـؤـددـيـ
إـذـ شـرفـتـ نـفـسـ الـفـقـ زـادـ قـدـرهـ
عـلـيـ كـلـ أـسـنـيـ مـنـهـ ذـكـراـ وـأـمـجدـ

يقول مؤلفه ، عفا الله عنه :

« فرغت من تهذيب هذا الكتاب وتقديمه » بعد وضعه وترتيبه ،
لتسع خلون من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية بمدينة
الخرطوم ، حاضرة الديار السودانية .

والحمد لله أولاً وآخرأ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

(تم)



فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٢	مقدمة الكتاب
٥	نبذة في تاريخ علوم البيان أو علوم النقد أو علوم البلاغة
المقدمة	
١٣	في حقيقة الصاحة والبلاغة لغة واصطلاحاً
١٥	الصاحة
٢٥	صاحة الكلام
٣٤	صاحة المتكلم
٣٥	البلاغة
٣٦	بلاغة الكلام
٣٩	بلاغة المتكلم
٤٠	تداريب ومتارين
٤١	علم المعاني
٤٣	الباب الأول - الخبر
٤٣	المبحث الأول في تعريف الخبر
٤٥	المبحث الثاني في تأليف الجمل
٤٦	المبحث الثالث في الفرض من إلقاء الخبر

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٤٩	المبحث الرابع في طريق إلقاء الخبر
٥٥	المبحث الخامس في الجملة الاسمية والفعلية
٥٨	نماذج ومقارن
٦١	الباب الثاني – الانشاء
٦١	المبحث الأول في تعريف الانشاء
٦٢	د) الثاني في التمني
٦٣	د) الثالث في الاستفهام
٧٥	د) الرابع في الأمر
٧٩	د) الخامس في النهي
٨١	د) السادس في النداء
٨٥	الباب الثالث – الذكر
٨٧	نماذج ومقارن
٨٩	الباب الرابع – الحذف
٨٩	المبحث الأول في مزايا الحذف وشروطه
٩٠	د) الثاني في حذف المسند إليه
٩٢	د) الثالث في حذف المسند
٩٣	د) الرابع في حذف المفعول
١٠٠	الباب الخامس – التقديم
١٠٠	المبحث الأول في مزايا التقديم وأقسامه
١٠١	د) الثاني في تقديم المسند إليه
١٠٥	د) الثالث في تقديم المسند
١٠٦	د) الرابع في تقديم متعلقات الفعل

الموضوع

الصفحة

١١٢	الباب السادس – التعريف
١١٢	المبحث الأول في الفرق بين النكارة والمعرفة والداعي الى التعريف
١١٢	♦ الثاني في تعريف المسند اليه بالاضمار
١١٤	♦ الثالث في تعريف المسند اليه بالعملية
١١٥	♦ الرابع في تعريف المسند اليه باسم الاشارة
١١٦	♦ الخامس في تعريف المسند اليه بالوصولية
١١٦	♦ السادس في تعريف المسند اليه باللام
١٢٠	♦ السابع في تعريف المسند اليه بالإضافة
١٢٢	♦ الثامن في تعريف المسند
١٢٣	تدريب وتمرين
١٢٦	الباب السابع – التنكير
١٢٨	نماذج ومقارن
١٣٠	الباب الثامن – التقيد
١٣٠	المبحث الأول في فوائد التقيد
١٣٠	♦ الثاني في التقيد بالفاعل ونحوها
١٣٠	♦ الثالث في التقيد بالتوابع
١٣٢	♦ الرابع في التقيد بضمير الفصل
١٣٤	♦ الخامس في للتقيد بالشرط
١٤٠	الباب التاسع – الخروج عن مقتضى الظاهر
١٤٨	تدريب وتمرين

الموضوع

الصفحة

١٥٠	الباب العاشر – التصر
١٥٠	المبحث الأول في تعريف القصر لغة واصطلاحاً
١٥٠	د) الثاني في طرقه
١٥٥	د) الثالث في تقسيمه باعتبار الواقع والحقيقة
١٥٦	د) الرابع في تقسيمه باعتبار حال المقصور
١٥٦	د) الخامس في تقسيمه باعتبار حال المخاطب
١٥٧	د) السادس في تقسيم موقع القصر
١٥٨	تداريب وتمارين
١٦٢	الباب الحادي عشر – الفصل والوصل
١٦٢	تمهيد في دقة مسلكه وعظمي خطره
١٦٣	المبحث الأول في وصل المفردات وفصلها
١٦٣	د) الثاني في وصل الجمل
١٦٥	د) الثالث في الجامع
١٦٧	د) الرابع في محسنات الوصل
١٦٧	د) الخامس في الفصل
١٧٢	تمة
١٧٨	تداريب وتمارين
١٨٢	الباب الثاني عشر – الإيجاز والاطناب والمساواة
١٨٢	المبحث الأول في دقة مسلكها واختلاف الأئمة في تعريفها
١٨٢	د) الثاني في الإيجاز
١٩٠	د) الثالث في المساواة

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
المبحث الرابع في الاطناب	١٩١
المبحث الخامس الايجاز أفضل أم الاطناب	١٩١
أسرار البلاغة في الايجاز والاطناب	٢٠٠
غارين ونماذج عامة على المعاني	٢٠٢
علم البيان	٢٠٧
الدلالة	٢٠٩
أبواب الفن	٢١١
الباب الأول – التشبيه	٢١٣
المبحث الأول في شرح حقيقته وبيان جليل فائدته	٢١٣
♦ الثاني في الطرفين	٢١٤
♦ الثالث في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى ملفوف ومفروق	٢١٩
♦ الرابع في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى تشبيه تسوية	٢١٩
وتشبيه جمع	٢١٩
♦ الخامس في وجه الشبه	٢٢٠
♦ السادس في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه الى تقبيل وغيره	٢٢٥
♦ السابع في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه الى محمل ومفصل	٢٢٨
♦ الثامن في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه الى قريب مبتدل وبعيد غريب	٢٢٩
♦ التاسع في الكلام على أدوات التشبيه	٢٣٢
♦ العاشر في تقسيم التشبيه باعتبار الأداة	٢٣٣
♦ الحادى عشر في الفرض من التشبيه	٢٣٤
♦ الثاني عشر في أقسام التشبيه باعتبار الفرض	٢٣٨
تداريب وغارين	٢٤٢

الموضوعالصفحة

٢٤٦	الباب الثاني - الحقيقة والمجاز
٢٤٦	المبحث الأول في أقسام الحقيقة
٢٤٦	» الثاني في تعريف الحقيقة
٢٤٨	» الثالث في المجاز وأقسامه
٢٤٩	» الرابع في المجاز المرسل
٢٥٩	» الخامس في الاستعارة ومتناها في البلاغة
٢٦٣	» السادس في الاستعارة أم مجاز لفوي هي أم مجاز عقلي
٢٦٥	» السابع في قرينة الاستعارة
٢٦٦	» الثامن في انقسامات الاستعارة إلى عنادية ووفاقية
٢٦٧	» التاسع في انقسامها باعتبار الجامع إلى داخل وخارج
٢٦٧	» العاشر في انقسامها باعتبار الجامع أيضاً إلى عامية وخاصة
٢٦٩	» الحادي عشر في انقسامها باعتبار الطرفين والجامع
٢٧٠	» الثاني عشر في تقسيم الاستعارة إلى مصريحة ومكتنة
٢٧٢	» الثالث عشر مذهب السكاكي والخطيب القزويني في المكتنة
٢٧٣	» الرابع عشر في تقسيم الاستعارة التصريحية لدى السكاكي إلى تجريبية وتخيلية ومحتملة لها
٢٧٤	» الخامس عشر في انقسامها إلى أصلية وتبعية
٢٧٧	» السادس عشر في تقسيمها إلى مرشحة و مجردة ومطلقة
٢٧٩	» السابع عشر في حسن الاستعارة وقبحها
٢٨٦	» الثامن عشر في المجاز المركب
٢٨٩	» التاسع عشر في المجاز بالحدف أو الزيادة
٢٩١	» العشرون في المجاز العقلي أو المجاز الحكمي
٢٩٦	تمة وفيها مهان
٢٩٨	تداريب ومقارن

الموضوع

الصفحة

٣٠١	الباب الثالث - الكنية
٣٠١	المبحث الأول في تعريفها
٣٠٢	ـ الثاني في أقسامها من حيث المكنى عنه
٣٠٥	ـ الثالث في أقسامها من حيث الوسائل
٣٠٦	ـ الرابع في حسن الكنية وقبعها
٣٠٧	خاتمة
٣١٠	غاذج وقارين
٣١٤	مزايا دراسة البيان في سوغ مختلف الأساليب
٣١٨	علم البديع
٣١٩	أقسام الحسنات - الحسنات اللغوية
٣٢٢	المقابلة
٣٢٣	مراعاة النظير - التناسب - الائتلاف
٣٢٣	تشابه الأطراف
٣٢٤	الارصاد - التسيم
٣٢٤	المشاكحة
٣٢٥	المزاوجة
٣٢٦	العكس - التبديل
٣٢٧	الرجوع
٣٢٧	التوربة - الآيات - التخيير
٣٢٩	الاستخدام
٣٣٠	الف ونشر

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٣٣١	الجمع - التفريق
٣٣٢	التقسيم
٣٣٤	الجمع مع التفريق - الجمع مع التقسيم
٣٣٤	الجمع مع التفريق والتقسيم
٣٣٤	التجريد
٣٣٦	المبالغة - آراء العلماء فيها - أقسامها
٣٣٩	المذهب الكلامي
٣٤٠	حسن التعليل
٣٤١	التفريغ
٣٤٢	تأكيد المدح بما يشبه الذم
٣٤٣	تأكيد الذم بما يشبه المدح
٣٤٤	الاستباع - الادماج
٣٤٥	التوجيه - الاجام
٣٤٦	الم Hazel الذي يراد به الجد
٣٤٦	تجاهل المارف
٣٤٧	القول بالواجب
٣٤٨	الاطراد
٣٤٨	تداريب ومارين

المحسنات النفعية

٣٥٤	الجنسان - التجنسيس - أقسامه - فائدته
٣٥٨	رد المجز على الصدر - التصدير
٣٦٠	السجع - شروط حسنـه - حكمـه - أقسامه
٣٦٤	الموازنـة
٣٦٤	القلب

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٣٦٥	التشريع
٣٦٦	تنة
٣٦٧	السرقات الشعرية وما يتصل بها
٣٧٨	خاتمة
٣٨٢	تداريب وقارين
٣٨٧	فرائد من البلاغة
٣٩١	الفهرس

 طبع في مطابع دار الكتب العلمية

جسر المطار - سنتر الساحل التجاري

هاتف : ٨٤٨٤٨٦ - ٨٤٨٤٨٧ + ٩٦١ ١

بيروت - لبنان